

مجمع الفكر الإسلامي

٢٤



موسوعة التاريخ الإسلامي

العصر النبوي - العهد المكي (1)

الجزء الثاني

تأليف

الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي



أهم حوادث

السنة الاولى للهجرة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وصول النبيّ الى قُباء:

روى الكليني في «روضة الكافي» بسنده عن سعيد بن المسيّب عن علي بن الحسين عليه السلام قال (وهو في مسجد الرسول بالمدينة) : قدم (الرسول) المدينة لاثنتي عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأول مع زوال الشمس، فنزل بقُباء فصلّى الظهر ركعتين والعصر ركعتين.. وكان نازلاً على (بني) عمرو بن عوف، فأقام عندهم بضعة عشر يوماً يقولون له : أتقيم عندنا فنتّخذ لك منزلاً ؟ فيقول : لا، إني أنتظر عليّ بن أبي طالب، وقد أمرته أن يلحقني، ولست مستوطناً منزلاً حتى يقدم عليّ، وما أسرعه إن شاء الله .

فقال له أبو بكر : انهض بنا الى المدينة، فانّ القوم قد فرحوا بقدومك، وهم يستريثون اقبالك إليهم، فانطلق بنا ولا تُقِم هاهنا تنتظر علياً، فما أظنّه يقدم اليك الى شهر !

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : ولست أريم حتى يقدم ابن عمّي وأخي في الله عزّ وجل وأحبّ أهل بيتي إليّ، فقد وقاني بنفسه من المشركين !

فغضب عند ذلك أبو بكر واشمأزّ وداخله من ذلك حسد لعلي عليه السلام، وكان ذلك أول عداوة بدت منه لرسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام، وأول خلاف على رسول الله. فانطلق حتىٰ دخل المدينة، وتخلّف رسول الله بقُباء حتىٰ ينتظر علياً عليه السلام[1].

إسلام سلمان:

روىٰ الطبرسي في «إعلام الورىٰ»: أنّ سلمان الفارسي كان بعض أهل الكتاب قد اخبروه بالدين الحنيف، فكان قد خرج من بلاده فارس يطلب ذلك الدين، فوقع الىٰ راهب من رهبان النصارىٰ بالشام فصحبه حتىٰ سأله عن ذلك فقال له: اطلبه بمكة مخرجه، واطلبه بيثرب فثَمّ مهاجره.

فقصد مكة، فسباه بعض الأعراب فباعه علىٰ رجل من يهود المدينة، فكان سلمان يعمل في نخله، وكان علىٰ نخلة اذ دخل علىٰ صاحبه رجل من اليهود وقال له: يا أبا فلان، أشعرتَ أنّ هؤلاء المسلمة قد قدم عليهم نبيّهم؟

فقال سلمان: جعلت فداك ما الذي تقول؟!

فقال له صاحبه: ما لَك وللسؤال عن هذا؟! أقبل علىٰ عملك..

ونزل سلمان وأخذ طبقاً من ذلك الرُطب وحمله الىٰ رسول الله.

فقال له رسول الله: ما هذا؟

قال: صدقة تمورنا، بلغنا أنكم قوم غرباء قدمتم هذه البلاد، فأحببت أن تأكلوا من صدقتنا. فقال رسول الله لأصحابه: سمّوا وكلوا.

فعقد سلمان باصبعه وقال بالفارسية: «اين يكي»: هذه واحدة (أي من

---

(١) روضة الكافي: ٢٨٠.

العلائم) . ثم ذهب فأتاه بطبق آخر من التمر . فقال له رسول الله : ما هذا ؟ فقال له سلمان : رأيتك لا تأكل الصدقة، فهذه هديّة أهديتها لك . فأكل عليه الصلاة والسلام . فعقد سلمان بيده ثانية وقال بالفارسية : «اين دوتا» : هاتان اثنتان . ثم دار خلفه (وطلب اليه أن ينزع قميصه عن كتفه) فألقىٰ عن كتفه الإزار، فنظر سلمان الىٰ خاتم النبوة علىٰ الشامة، فأقبل يقبّلها (وأسلم) . فقال له رسول الله : من أنت ؟ قال : أنا رجل من أهل فارس ـ وحدّثه بحديث طويل ـ فقال له رسول الله : أبشر واصبر، فانّ الله سيجعل لك فرجاً من هذا اليهودي[1] .

اسلام عبد الله بن سلام :

وروىٰ ابن اسحاق في اسلام عبد الله بن سلام عن (بعض أهله) عنه حديثاً شبيهاً بحديث اسلام سلمان، قال : لما سمعت برسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نترقّبه ونتوقّعه له، ولكني كنت مستسرّاً لذلك ساكتاً حتىٰ قدم رسول الله المدينة[2] .

---

(١) إعلام الورىٰ ١ : ١٥١، ١٥٢ وروىٰ الخبر ابن اسحاق في سيرته ١ : ٨٧ ـ ٩٣، وابن هشام عنه في سيرته ١ : ٢٢٨ ـ ٢٣٦ بسنده عن عبد الله بن عباس . والطبرسي روىٰ مختصره باختلاف في الألفاظ . وقد روىٰ الصدوق في اكمال الدين : ١٥٩ ـ ١٦٤ خبراً عن الامام الكاظم عليه‌السلام عن اسلام سلمان أيضاً، باختلاف في المعاني أيضاً .

ولم أجد تحديداً دقيقاً لتاريخ اسلام سلمان زماناً أو مكاناً : هل كان في قُباء أو بعد انتقال الرسول الىٰ المدينة، ولكن يبدو أنه كان في الأوائل، ويُشبه خبره خبر اسلام عبد الله بن سلام الآتي .

(٢) نقل الطبرسي في مجمع البيان عن القاضي في تفسيره : أن عبد الله بن سلام انطلق الىٰ

←

فلما نزل بقُباء، في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة بنت الحارث جالسة عندي، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله كبّرت. فحين سمعت عمّتي تكبيري قالت: خيّبك الله! والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت! فقلت لها: هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، بُعث بما بُعث به. فقالت: أهو النبيّ الذي كانوا يخبروننا عنه أنه يُبعث مع الساعة؟ فقلت لها: نعم.

ثم خرجت الى رسول الله فأسلمت، ثم رجعت الى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث. وكتمت اسلامي من اليهود.

ثم جئت رسول الله فقلت: يا رسول الله.. إني أُحبّ أن تُدخلني في بعض بيوتك وتغيّبني عنهم ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا باسلامي، فانهم إن علموا به عابوني وبهتوني.

فأدخلني رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم في بعض بيوته (وأرسل اليهم أن يأتوه) فدخلوا عليه.. فقال لهم: أيّ رجل فيكم الحُصين بن سلام؟

قالوا: سيّدنا وابن سيّدنا، وحَبرنا وعالمنا.

فخرجت عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود، اتّقوا الله، واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله، وأؤمن به وأُصدّقه وأعرفه.

→

رسول الله وهو بمكة فقال له رسول الله: أنشدك بالله هل تجدني في التوراة رسول الله؟ فقال: انعت لنا ربك. فنزلت هذه السورة (التوحيد) فقرأها النبيّ فكانت سبب اسلامه، الّا أنه كان يكتم ذلك الى أن هاجر النبيّ الى المدينة ثم اظهر الاسلام: مجمع البيان ١٠: ٨٥٩ وقال ابن اسحاق: كان عبد الله بن سلام الحبر الأعلم لبني قينقاع، وكان اسمه الحُصين بن سلام فلما اسلم سمّاه رسول الله: عبد الله ـ سيرة ابن هشام ٢: ١٦٢.

فقالوا: كذبت! ثم وقعوا بي.

فقلت لرسول الله: ألم أُخبرك يا رسول الله أنهم قوم أهل غدر وكذب وفجور؟![1].

ثم روى حديثاً عن شهادة: صفية بنت حُييّ بن أخطب من بني النضير ـ وهي التي تزوّجها الرسول فيما بعد ـ تشهد بمعرفة أبيها وعمها بالنبيّ وعداوتهم له، قالت: كنت أحبَّ وُلْدِ أبي اليه وكذلك الىٰ عمّي أبي ياسر.. فلما قدم رسول الله المدينة ونزل قُباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حُييّ بن أخطب وعمّي أبو ياسر مُغلّسين، فلم يرجعا الّا مع غروب الشمس، اذ أتيا كالّين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا، فوالله ما التفت إليّ واحد منهما مع ما بهما من الغمّ، وسمعت عمّي أبا ياسر وهو يقول لأبي حُييّ بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته ما بقيت والله[2].

بناء مسجد قباء:

ولا خلاف في أخبار السيرة عامة أنه ﷺ مكث في قُباء حتىٰ جاء أبو الأوصياء علي عليه السلام، وذكر الدياربكري والسمهودي أنه أمر علياً عليه السلام فخطّ لمسجد قُباء، فلنذكر خبره:

قالوا: كان موضع مسجد قُباء لامرأة يقال لها: لَيّة، كانت تربط حماراً فيه[3].

---

(١) سيرة ابن هشام ٢: ١٦٣ ـ ١٦٤.

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٣) تاريخ المدينة لابن شبة ١: ٥٤ ولذلك كره المنافقون الصلاة فيه.

وذكر السهيلي : أن عماراً هو الذي أشار على النبيّ ﷺ ببنيانه ، وهو الذي جمع الحجارة له[1] ولذلك كان الشعبيّ يقول : إنّ أول من بنى مسجداً هو عمار بن ياسر[2] .

وذكر الدياربكري ، والسمهودي : أنه ﷺ أمر أبا بكر بأن يركب الناقة ويسير بها ليخطّ المسجد على ما تدور عليه ، فلم تنبعث به ! فأمر عمر فكان كذلك ! فأمر علياً فانبعثت ودارت به ، فأسّس المسجد على حسب ما دارت عليه وقال : إنها مأمورة[3] فلما أسّسه الرسول استتم بنيانه عمار[4] .

وروى البزّاز : أن ابن أبي أوفى كان يقول : كنا نحمل حجارة المسجد الذي أُسّس على التقوى حجرين حجرين بالنهار ، وأن امرأته ومواليها كنّ يحملن الحجارة له بالليل[5] .

وقد روى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن الصادق عليه‌السلام قال : إن المسجد الذي أُسّس على التقوى في قوله سبحانه : ﴿ لمسجد أُسّس على التقوى من أوّل يوم أحقّ أن تقوم فيه ﴾[6] هو مسجد قباء[7] . وعنه قال : ابدأ بقُباء فصلّ فيه فانه أول مسجد صلّى فيه رسول الله في هذه العرصة[8] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٤٢ الهامش عن الروض الأُنف .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٤٢ وطبقات ابن سعد ٣ : ١٧٨ وتاريخ ابن كثير ٧ : ٣١١ .

(٣) تاريخ الخميس ١ : ٣٣٨ ووفاء الوفاء ١ : ٢٥١ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٤٣ الهامش عن الروض الأُنف .

(٥) حياة الصحابة ٣ : ١١٢ عن مجمع الزوائد للهيثمي ٢ : ١٠ .

(٦) التوبة : ١٠٨ .

(٧) فروع الكافي ١ : ٨١ كما في بحار الأنوار ١٩ : ١٢٠ .

(٨) فروع الكافي ١ : ٣٦٨ كما في بحار الأنوار ١٩ : ١٢٠ .

وروىٰ العياشي في تفسيره عنه عليه‌السلام سُئل: هل كان النبيّ يصلّي في مسجد قُباء؟ قال: نعم، كان منزله علىٰ سعد بن خيثمة الأنصاري[1].

فكأنّه عليه‌السلام ذكر نزوله علىٰ سعد بن خيثمة يشير بذلك الىٰ جواره المسجد. وكأنّ هذا مما أوهم لبعضهم فنسبوا بناءه الىٰ سعد بن خيثمة[2] وهو وهم.

وقال ابن اسحاق: قد سمعنا فيما يذكرون: أن رسول الله نزل علىٰ كلثوم بن هِدم، ويقولون: واذا خرج من منزل كلثوم بن هِدم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة، وذلك أنه كان عزباً لا أهل له، فكان منزله منزل العُزّاب من مهاجري الأصحاب فكان يقال لبيت سعد: بيت الأعزاب[3].

أول صلاة جمعة وأول خطبة:

روىٰ الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن سعيد بن المسيّب عن علي بن الحسين عليه‌السلام قال (وهو في مسجد الرسول بالمدينة): قدم علي عليه‌السلام والنبيّ في بيت (بني) عمرو بن عوف فنزل معه، ثم تحوّل منهم الىٰ بني سالم بن عوف وعلي عليه‌السلام معه، مع طلوع الشمس من يوم الجمعة، فخطّ لهم مسجداً ونصب قبلته (الىٰ بيت المقدس) وصلّىٰ بهم فيه الجمعة ركعتين وخطب خطبتين[4] ثم لم يروِ الخطبتين.

---

(١) تفسير العياشي ٢: ١١١، ١١٢.

(٢) تاريخ المدينة لابن شبّة ١: ٥٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٢: ١٣٨ وانفرد اليعقوبي بقوله: نزل علىٰ كلثوم بن الهدم فلم يلبث الّا أياماً حتىٰ مات كلثوم، وانتقل فنزل علىٰ سعد بن خيثمة فمكث أياماً، ثم كان سفهاء بني عمرو بن عوف ومنافقوهم يرجمونه بالليل، فلما رأىٰ ذلك قال: ما هذا الجوار؟ وركب راحلته فارتحل عنهم. اليعقوبي ٢: ٤١.

(٤) روضة الكافي: ٣٣٨ ـ ٣٤١.

وروى الطبري في تاريخه بسنده عن سعيد بن عبد الرحمان الجُمحي أنه بلغه عن خطبة رسول الله في أول جمعة صلّاها في بني سالم بن عوف بالمدينة أنه قال: الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأُومن به ولا أكفره، وأُعادي من يكفره. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة، على فترة من الرسل وقلّة من العلم، وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان، ودنوّ من الساعة وقرب من الأجل. من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرّط وضلّ ضلالاً بعيداً. أُوصيكم بتقوى الله، فإن خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضّه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله. فاحذروا ما حذّركم الله من نفسه، وإن تقوى الله لمن عمل به ـ على وجل ومخافة من ربه ـ عونٌ صدقٍ على ما تبغون من أمر الآخرة. ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره، في السرّ والعلانية، لا ينوي بذلك إلّا وجه الله، يكن ذكراً له في عاجل أمره، وذخراً له فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدّم، وما كان سوى ذلك يودّ لو أنّ بينه وبينه ﴿... أمداً بعيداً ويحذّركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾[1] والذي صدّق قوله ونجّز وعده لا خلف له فإنه يقول: ﴿ما يُبدّل القول لديَّ وما أنا بظلّام للعبيد﴾[2].

فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السرّ والعلانية، فإنه ﴿... من يتّقِ الله يكفّر عنه سيئاته ويُعظم له أجراً﴾[3] ومن يتّق الله ﴿... فقد فاز فوزاً عظيماً﴾[4] وإن تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه، وإن تقوى الله تبيّض

---

(١) آل عمران: ٣٠.

(٢) ق: ٢٩.

(٣) الطلاق: ٥.

(٤) الأحزاب: ٧١.

ابوحوه وترضي الرب وترفع الدرجة

حدوا عظكم ولا مرّطوا في جنب الله، فقد علّمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله، ليعلم ﴿ الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين ﴾[1]، فأحسنوا كما أحسن الله اليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في سبيل الله ﴿ حق جهاده هو اجتباكم ﴾[2] ﴿ هو سمّاكم المسلمين ﴾[3] ﴿ ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة ﴾[4] ولا حول و﴿ لا قوة الا بالله ﴾[5]

فاكثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد اليوم، فانه من تصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا قوة الاّ بالله العلي العظيم[6]

والخطبة هذه كما ترى واحدة، مع ما فيها من استشهاد بآيات من سور نزلة فيما بعد. ولكنّ ابن اسحاق قد روى الخطبتين عن أبي سلمة بن عبد الرحمن: أنه قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «أما بعد أيها الناس، فقدّموا لأنفسكم، تَعَلَّمُنَّ والله ليُصعَقَنّ أحدُكم ثم ليدعَنَّ غنمه ليس لها راع، ثم ليقولَنَّ له ربُّه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه. ألم يأتك رسولي فبلّغك؟ وآتيتك مالاً وأفضلتُ عليك، فما قدّمت لنفسك؟ فليَنظُرَنّ يميناً وشمالاً

(١) العنكبوت : ٣

(٢) الحج : ٧٨

(٣) الحج : ٧٨ الاّ أن الضمير فيها الى ابراهيم عليه السلام

(٤) الأنفال : ٤٢

(٥) الكهف : ٣٩ وما عداها من القصص والعنكبوت مدنيات نزلن في فترات متباعدة بعد هذه الفترة، وهذا مما يفتّ في عضد هذا الخبر

(٦) الطبري ٢ : ٣٩٤، ٣٩٥ ورواه الطبرسي في مجمع البيان ١٠ : ٤٣٢ بلا إسناد

فلا يرى شيئاً، ثم لينظرنّ قدّامه فلا يرى غير جهنم. فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشقٍ من تمرةٍ فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيّبة، فإنّ بها تُجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»

ثم خطب مرة اخرى فقال:

«إنّ الحمد لله، أحمده وأستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا اله الّا الله وحده لا شريك له. إنّ أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى، قد أفلح من زيّنه الله في قلبه، وأدخله في الاسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه. أحبّوا ما أحبّ الله، أحبّوا الله من كل قلوبكم، ولا تملّوا كلام الله وذكره، ولا تقسُ عنه قلوبكم، فانه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفي، قد سمّاه الله خيرته من الأعمال ومصطفاه من العباد، والصالح من الحديث ومن كلّ ما أُوتي الناس من الحلال والحرام. فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتّقوه حقّ تقاته، واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابّوا بروح الله بينكم، إنّ الله يغضب أن يُنكث عهدُه. والسلام عليكم»[1]

وليس في رواية ابن اسحاق هذه ما في رواية الطبري الاولى من إكثار الاستشهاد بآيات من سور مدنية نازلة بعد في فترات متباعدة بعد هذه الفترة، مما يمسّ في صحة تلك الرواية الاولى للطبري دون هذه الثانية لابن اسحاق.

وفي تمام خبر الكليني في «روضة الكافي» عن سعيد بن المسيّب عن علي بن الحسين عليه‌السلام قال: ثم راح (بعد العصر) من يومه الى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها، وعلي عليه‌السلام معه لا يفارقه يمشي بمشيه، وليس يمرّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله

---

(١) سيرة ابن هشام ٢: ١٤٦، ١٤٧.

بطن من بطون الأنصار إلا قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم فيقول لهم: خلّوا سبيل الناقة فإنّها مأمورة. فانطلقت به ورسول الله واضع لها زمامها حتى انتهت إلى الموضع الذي ترى ـ وأشار بيده إلى باب مسجد رسول الله الذي يُصلّى عنده على الجنائز ـ فوقفت عنده وبركت ووضعت جرانها على الأرض، فنزل رسول الله.

وأقبل أبو أيوب مبادراً حتى احتمل رحله فأدخله منزله، ونزل رسول الله وعليٌّ معه (عنده) حتى بُني له مسجده وبُنيت له مساكنه ومنزل علي (عليه السلام) فتحوّلا إلى منازلهما[1]

سائر أخبار وصول الرسول

نقل الطبرسي في «إعلام الورى» عن ابن شهاب الزهري قال: كان أناس من المهاجرين قد قدموا على (بني) عمرو بن عوف قبل قدوم رسول الله فنزلوا فيهم. فلما أقبل رسول الله ووافى ذا الجدمة سأل عن طريق بني عمرو بن عوف فدلّوه.

فوافى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونزل، واجتمع إليه بنو عمرو بن عوف وسُرّوا به، فنزل على شيخ صالح منهم مكفوف البصر هو كلثوم بن هدم. وبنو عمرو بن عوف من بطون الأوس، فأقبل رسول الله يتصفّح الوجوه فلا يرى أحداً من الخزرج، لما كان بينهم من الحروب والعداوة[2]

---

(1) روضة الكافي: ٢٨٠.

(2) وهنا قال الطبرسي: وروي أن النبي (صلى الله عليه وآله) لما قدم المدينة جاء النساء والصبيان فقلن: ←

←

طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع   وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ثم يعود الى أخبار الرسول في قُباء، بينما هذا الخبر عن سنام المدينة، فهو يقحمه بين أخبار قُباء.

وقد خلت سيرة ابن اسحاق وابن هشام وتواريخ اليعقوبي والطبري والمسعودي عن هذا الخبر. ولعل أول من نقله هو البيهقي (ت ٤٥٨) في دلائل النبوة ٢: ٢٣٣ ثم ابن حجر (ت ٨٥٢) في فتح الباري ٧: ٢٠٤ ثم السمهودي (ت ٩١١) في وفاء الوفاء ٤: ١١٧٢ ثم الديار بكري (ت ٩٨٢) في تاريخ الخميس ١: ٣٤١ ثم الحلبي (ت ١٠٤١) في سيرته ٢: ٥٤.

والسمهودي نفسه وقال: ولم أر لثنيّة الوداع ذكراً في سفر من الأسفار التي بجهة مكة. وقد قال قبله ياقوت الحموي (ت ٦٢٦) في معجم البلدان ٢: ٨٥: الثنيّة: كل عقبة في الجبل مسلوكة، وثنية الوداع ـ بفتح الواو ـ ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة، سمّي لتوديع المسافرين. وكذلك في مراصد الاطلاع ١: ٣٠١.

فقال السمهودي يرده: إن ثنيّات الوداع ليست من جهة مكة ولا يراها القادم من مكة الى المدينة ولا يمر بها الّا اذا توجه الى الشام فهي من جهة الشام. والظاهر أن مستند من جعلها من جهة مكة ما سبق من قول النسوة، وأن ذلك عند القدوم في الهجرة، ودور بني ساعدة في شامي المدينة، فلعله دخل المدينة من تلك الناحية.

ولكن من نقل الخبر قال: ثم عدل ذات اليمين حتى نزل بقُباء. فهل مرّ على بني ساعدة في المدينة قبل نزوله بقباء؟! هذا من المستبعد جداً.

وروى ابن شبّة في تاريخ المدينة ١: ٢٦٩ بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أنها سمّيت ثنية الوداع لأن رسول الله اقبل من خيبر ومعه المسلمون ومعهم ازواجهم بالمتعة فقال لهم: دعوا ما بأيديكم من نساء المتعة. فارسلوهن فسمّيت ثنية الوداع، لتوديع

←

فلما صلى رسول الله ﷺ صلاة المغرب والعشاء الآخرة جاء أسعد بن زرارة مقنّعاً فسلّم على رسول الله ثم قال : يا رسول الله، ما ظننت أن أسمع بك في مكان فأقعد عنك، الا أنّ بيننا وبين إخواننا من الأوس ما تعلم، فكرهت أن تيهم، فلما أن كان هذا الوقت لم أحتمل أن أقعد عنك !

فقال رسول الله للأوس : من يجيره منكم ؟

فقالوا : يا رسول الله، جوارنا في جوارك، فأجره

قال : لا، بل يجيره بعضكم. فقال عويم بن ساعدة وسعد بن خيثمة : نحن نجيره، فأجاروه. فكان يختلف الى رسول الله فيتحدث عنده ويصلي خلفه

فلما أمسى رسول الله فارقه أبو بكر ودخل المدينة ونزل على بعض الأنصار، وبقي رسول الله بقُبا نازلاً على كلثوم بن هدم

فجاءه أبو بكر فقال : يا رسول الله تدخل المدينة، فإنّ القوم متشوّقون إلى نزولك عليهم. فقال : لا أريم من هذا المكان حتى يوافي أخي علي ﷺ

فقال أبو بكر : ما أحسب علياً يوافي ! فقال : بلى ما أسرعه إن شاء الله

فبقي خمسة عشر يوماً فوافى علي ﷺ بعيال الرسول وعياله

وبقي رسول الله ﷺ بعد قدوم علي يوماً أو يومين، ثم ركب راحلته فاجتمع اليه بنو عمرو بن عوف فقالوا : يا رسول الله، أقم عندنا فانا أهل الجدّ والجهدْ والحلقة والمنَعة ! فقال : دعوها فإنها مأمورة (أي الناقة)

→

اللاتي استمعوا بهن، كما في وفاء الوفاء ٢ : ٢٧٥ وخلاصته : ٣٦١ فبيست من قبل مكة، ولا كانت عند الهجرة بعد، لاسم ويقال له اليوم : كشك يوسف باشا العثماني لأنه هو الذي نقر الثنية ومهّد طريقها سنة ١٩١٤م كما في هامش تاريخ المدينة

وبلغ سائر الأوس والخزرج خروج رسول الله ﷺ. فلبسوا السلاح وأقبلوا يعدون حول ناقته، وأخذ لا يمرّ بحيّ من أحياء الأنصار إلّا وثبوا في وجهه وأخذوا بزمام ناقته وتطلّبوا اليه أن ينزل عليهم، ورسول الله يقول: خلّوا سبيلها فانها مأمورة.

وكان خروج رسول الله من قبا يوم الجمعة، فوافى بني سالم عند زوال الشمس، فعرض له بنو سالم وقالوا: هلمّ يا رسول الله الى الجدّ والجلَد والحلقة والمنَعة! وقد كانوا بنوا مسجداً قبل قدوم رسول الله، فبركت ناقته عند مسجدهم، فنزل في مسجدهم وصلّى بهم الظُهر الى بيت المقدس، وخطبهم وكانوا مئة رجل، فكان أول مسجد خطب فيه رسول الله بالجمعة[1].

ثم ركب رسول الله ناقته وأرخى زمامها، فانتهت به الى عبد الله بن اُبيّ بن سلول وهو ﷺ يقدّر أنه يعرض عليه النزول عنده فوقف عليه، فثارت الغبرة فأخذ كمّه ووضعه على أنفه وقال: يا هذا، اذهب الى الذين غرّوك وخدعوك وأتوا بك، فانزل عليهم ولا تغشّانا في ديارنا!

فقال سعد بن عبادة: يا رسول الله لا يعرض في قلبك من قول هذا شيء فانا كنّا قد اجتمعنا على أن نملّكه علينا، وهو يرى ـ الآن ـ أنك قد سلبته أمراً قد كان أشرف عليه، فانزل عليّ يا رسول الله، فانه ليس في الخزرج ـ ولا في الأوس ـ اكثر فم بئر منّي، ونحن أهل الجَلَد والعزّ، فلا تجزنا يا رسول الله.

فأرخى زمام ناقته، فمرت تخبّ به حتى انتهت الى باب المسجد الذي هو اليوم، وكان مربداً ليتيمين من الخزرج يقال لهما: سهل وسهيل، وكانا في حجر

---

(١) بينما مرّ في خبر الكليني عن علي بن الحسين عليه السلام أنه خطّ مسجدهم ونصب قبلتهم وصلّى بهم فيه الجمعة وخطب خطبتين، وسيأتي ذكر الخطبتين.

أسعد بن زُرارة، فبركت الناقة على باب أبي أيّوب خالد بن يزيد، فنزل عنها رسول الله ﷺ، فلما نزل اجتمع عليه الناس وسألوه أن ينزل عليهم، فوثبت أم أبي أيوب إلى الرحل فحملته وأدخلته منزلها. فلما أكثروا عليه قال رسول الله: أين الرحل؟ فقالوا: أم أبي أيوب قد أدخلته بيتها. فقال: المرء مع رحله. وأخذ أسعد بن زُرارة بزمام الناقة فحوّلها إلى منزله.

وكان أبو أيوب له منزل أسفل، وفوق المنزل غرفة، فكره أن يعلو رسول الله فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، العلوّ أحبّ إليك أم السفل؟ فإني أكره أن أعلو فوقك؟ فقال: السفل أرفق لمن يأتينا.

وكانوا يتناوبون في بعثة العشاء والغداء إليه: أسعد بن زُرارة، وسعد بن خيثمة[1] والمنذر بن عمرو، وسعد بن الربيع، وأُسيد بن حُضير. فكان أبو أُمامة أسعد بن زُرارة يبعث إليه في كل يوم غداءً، في قصعة ثريد عليها عُراق لحم، فكان يأكل من جاء حتى يشبعون ثم تُرد القصعة كما هي، وكان سعد بن عبادة يبعث إليه في كل يوم عشاء ويتعشى معه من حضره وتُرد القصعة كما هي. ووافى رسول الله ﷺ من الصلاة وقد حمل أُسيد بن حضير قِدر الطعام بنفسه فقال له: حملتها بنفسك؟ قال: نعم يا رسول الله لم أجد أحداً يحملها. فقال: بارك الله عليكم من أهل بيت[2].

---

(1) لعلّ في هذا سهواً، فإن سعد بن خيثمة الأنصاري من بني عمرو بن عوف في قُباء وكان عزباً كما مرّ، فلعله كان يتكفل ذلك إذ كان الرسول عندهم في قباء لا في المدينة.

(2) وهنا أيضاً نقل الطبرسيّ عن (دلائل النبوة) للبيهقي عن أنس بن مالك: أنّ ناقة الرسول لما بركت على باب أبي أيّوب بجوار أسعد بن زُرارة من بني النجار خرجن جوارٍ لهم يضربن بالدفوف ويقلن:

بناء مسجد الرسول ﷺ

ونقل عن عليّ بن ابراهيم القمي قال: وكان ﷺ يصلي بأصحابه في المربد[1] فقال لأسعد بن زرارة: اشتر هذا المربد من أصحابه. فاشتراه بعشرة دنانير وكان فيه ماء مستنقع فأمر به رسول الله فسُيّل، وأمر باللَّبِن فضُرب وحفروا في الأرض، ثم أمر بالحجارة فنُقلت اليه من الحرّة (موضع الحجارة السود خارج المدينة) فأقبل رسول الله يحمل حجراً على بطنه، فاستقبله أُسيد بن حُضير فقال: يا رسول الله أعطني أحمل عنك. قال: لا، إذهب فاحمل غيره.

---

*

نحن جوار من بني النجار [illegible] حبّذا محمد من جار!

فخرج اليهم رسول الله ﷺ فقال: أتحبّوني؟ فقالوا: إي والله يا رسول الله. فقال: وأنا والله أحبّكم، ثلاث مرّات.

والخبر في دلائل النبوة ٢: ٢٣٤ هو أوّل من رواه، ولم يروه ابن اسحاق وابن هشام واليعقوبي والطبري والمسعودي.

ويلفت النظر الى أنّ البيهقي كذلك هو أوّل من نقل خبر شعر الجواري في المدينة في استقبال الرسول ﷺ بطلع البدر علينا، والكلام هنا هو الكلام السابق. فلينظر ثَمّ.

وقد نقل العلامة الحلي رحمه الله في كتابيه: نهج الحق وكشف الصدق: قد روي عنه ﷺ أنه لما قدم من سفر خرجت اليه نساء المدينة يلعبن بالدفّ فرحاً بقدومه وهو يرقص بأكمامه! ثم علّق عليه بقوله: فهل يصدر هذا عن رئيس أو من له أدنى وقار؟! نعوذ بالله من هذه السقطات! مع أنه لو نُسب أحدهم الى مثل هذا لقابله بالشتم والسبّ وتبرّأ منه، فكيف يجوز نسبة النبيّ ﷺ الى مثل هذه الأشياء التي تبرّأ منها؟! اكما في نهج الحق وكشف الصدق: ١٥٦، ودلائل الصدق ١: ٢٨٩.

(١) المربد: موضع بروك الإبل، وتجفيف التمر.

فنقلوا الحجارة (يضعونها في حفرة الجدار) حتى بلغ وجه الأرض فبناه بالسعيدة سعيدة، ثم بناه بالسميط وهو لبنة ونصف، ثم بناه بالأنثى والذكر: لبنتين مخالفتين، حتى رفع الحائط قدر قامة في مئة ذراع[1].

هذا، وقد روى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كم كان طول مسجد رسول الله؟ قال: كان ثلاثة آلاف وستمئة ذراع مكسّرة[2].

وظاهر الخبر السابق عن علي بن إبراهيم القمي: أن الأنحاء الثلاثة في البناء كان في مرة واحدة. بينما روى الخبر الكليني أيضاً عنه بسنده عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله الصادق يقول: إن رسول الله بنى مسجده بالسميط، ثم إن المسلمين كثروا فقالوا: يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فزيد فيه؟ فقال: نعم، فزيد فيه، وبناه بالسعيدة. ثم إن المسلمين كثروا فقالوا: يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فزيد فيه؟ فقال: نعم، فأمر به فزيد فيه وبنى جداره بالأنثى والذكر، وقال: والسميط لبنة لبنة، والسعيدة لبنة ونصف، والذكر والأنثى لبنتان مخالفتان[3].

وتمام الخبر: ثم اشتد عليهم الحرّ فقالوا: يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فظُلّل؟ فقال: نعم، فأمر به فأُقيمت فيه سواري من جذوع النخل، ثم طُرحت عليه العوارض والخصف والإذخر

---

(١) إعلام الورى ١: ١٥٩ مختصراً في الترتيب، ونقله القطب الراوندي في قصص الأنبياء: ٣٣٨.

(٢) فروع الكافي ١: ٨ و ٣١٧، والصدوق في الفقيه ١: ٧٥، والطوسي في التهذيب ٣٢٧، كما في الوسائل ٣: ٥٤٦.

(٣) فروع الكافي ١: ٨١، والصدوق في معاني الأخبار: ٥١٠، والطوسي في التهذيب ١: ٣٢٧

فعرشوا فيه حتى أصابتهم الأمطار فجعل المسجد يكف عليهم، فقالوا: يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فطين، فقال ﷺ: لا، عريش كعريش موسى عليه السلام، فلم يزل كذلك حتى قبض.

وقال ابن شهرآشوب في «المناقب»: رُوي أنه كان أصحاب النبي ﷺ يستعملونه وينصرفون عند الظهيرة، فدخلوا يوماً فقدم النبي فأول من رآه رجل من اليهود فنادى ثم صرخ على صوته: يا بني قيلة[1] هذا جدّكم[2] قد جاء.

فنزل النبي ﷺ على كلثوم بن هدم، وكان يخرج فيجلس للناس في بيت سعد بن خيثمة[3].

وكان معه علي عليه السلام بعد النبي بمكة ثلاث ليال، ثم لحق برسول الله فنزل معه. فأقام النبي ﷺ بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس مسجده. وفي يوم الجمعة (رحل، فصلى (صلاة) الجمعة في بطن وادي رانوناء في المسجد، فكانت أول صلاة الجمعة صلاها بالمدينة.

وكان الوادي لبني سالم بن عوف من الأوس أيضاً، فأتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة في رجال من بني سالم فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة. فقال: خلّوا سبيلها فانها مأمورة (يعني ناقته).

ثم تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة فقال كذلك.

ثم عارضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة (من

(١) أم الأوس والخزرج.
(٢) أي عظيمكم أو حظّكم.
(٣) ومرّ ما نفرد به اليعقوبي ٢: ٤١.

الخزرج فقال كذلك، ثم عترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة في رجال من بني الحارث ابن الخزرج (فقال كذلك).

فانطلقت (الناقة، حتى إذا وازت دار بني النجار بركت على مربد لغلامين يتيمين منهم، فلما بركت ولم ينزل رسول الله وثبت فسارت غير بعيد ثم التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت، ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرانها[1] فنزل عنها رسول الله، واحتمل أبو أيوب رحله فوضعه في بيته، ونزل النبيّ في بيت أبي أيوب

وسأل عن المربد فأخبر أنه لسهل وسُهيل يتيمين لمُعاذ بن عفراء، فأرضاهما معاذ. وأمر النبيّ ﷺ ببناء المسجد، وعمل فيه رسول الله بنفسه، فعمل فيه المهاجرون والأنصار، وأخذ المسلمون يرتجزون وهم يعملون قال بعضهم:

لئن قعدنا والنبيّ يعملُ لذاك منّا العملُ المضلَّلُ

والنبيّ ﷺ يقول:

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

وعليّ عليه السلام يقول

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعداً

ومَن يُرى عن الغبار حائدا

ثم بنيت مساكنه[2] وبيوته، فانتقل من بيت أبي أيوب إليها.

---

(١) أي تحركت وتثاقلت ووضعت رقبتها على الأرض لتبرك فيه.

(٢) كما في ابن هشام ٢: ١٤٣ وفي وفاء الوفاء ٢: ٤٦٢ عن الذهبي: أنه ﷺ بنى أولاً بيت سودة ثم لما احتاج إلى منزل لعائشة بناه، وهكذا سائر بيوته بناها في أوقات مختلفة.

وكان مدة مقامه عنده من شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة القابلة[1].

وفاة أسعد بن زُرارة وصلاة الجنائز:

قال ابن إسحاق: وهلك في تلك الأشهر أبو أمامة أسعد بن زُرارة، أخذته الذبحة أو الشهقة. هذا والمسجد يُبنى.

ثم روى عن ابن حزم، عن حفيد أسعد بن زُرارة: يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أسعد بن زُرارة (عن أبيه عن جده): أن رسول الله قال: بئس الميّت أبو أمامة! اليهودُ ومنافقو العرب يقولون: لو كان نبيّاً لم يمت صاحبه! ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً[2].

وهذا أول مورد ورد فيه ذكر المنافقين في المدينة.

وروى السمهري البصري عن الواقدي بسنده عن محمد بن عبد الرحمان ابن أسعد بن زُرارة (عن أبيه) قال: كان أسعد بن زُرارة أول ميت بالمدينة من الأنصار، ودفن بالبقيع، ولم يكن قبل ذلك صلاة على الجنائز[3].

وظاهر هذا الخبر أنه جمع لأسعد بن زُرارة الأوّلين: فهو أول من صُلّي على جنازته، وهو أول من دُفن بالبقيع.

بينما روى النُميري البصري خبراً رواه الحاكم الحسكاني بسنده عن أبي

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٨٤ ـ ١٨٦ يبدو أنه مختصر من سيرة ابن هشام ٢: ١٣٨ ـ ١٤٢ مما دون مدة إقامته بدار أبي أيوب، وقيل سبعة أشهر وقيل شهراً وحداً كما في وفاء الوفاء ١: ٢٦٥ والسيرة الحلبية ٢: ٦٤. والقول الوسط أضبط، كما سيأتي ذلك.

(٢) ابن هشام ٢: ١٥٣.

(٣) تاريخ المدينة ١: ٩٦.

سعيد الخدري قال: إن أول ما قدم رسول الله المدينة، كان إذا احتضر منّا الميت آذنّا رسول الله فحضره واستغفر له، حتى إذا قبض انصرف النبيّ ـ صلى الله عليه [وآله] ـ فربما طال حبس رسول الله على ذلك، وخشينا مشقة ذلك عليه، فقال بعض القوم لبعض: لو كنا لا نؤذن النبيّ بأحد حتى يُقبض فإذا قبض آذنّاه فلم يكن عليه في ذلك حبس ولا مشقة. فكنا نؤذنه بالميّت بعد أن يموت فيأتيه ويصلي عليه. فكنّا على ذلك حيناً، ثم قلنا: لو لم يشخص رسول الله بل حملنا جنائزنا إليه حتى يصلي عليها عند بيته كان ذلك أرفق به، ففعلنا ذلك (1).

يثرب أم طيبة؟

روى النميري البصري (ت ٢٦٢) بسنده عن عبد الله بن جعفر قال: سمّى رسول الله ﷺ المدينة طيبة.

أمّا متى كان ذلك؟

فقد روى بسنده عن أبي قتادة الأنصاري وسهل بن سعد الساعدي قال: لما أقبلنا من غزوة تبوك قال رسول الله ﷺ: هذه طيبة، أسكننيها ربّي (2).

إذن فتغيير اسم المدينة من يثرب إلى طيبة لم يكن في أوائل الهجرة

---

(1) وروى عن الزهري قال: كان إذا هلك الميّت شهده رسول الله فصلى عليه، فلما بدّن رسول الله وثقل نقل إليه المؤمنون موتاهم فيصلي عليهم في موضع الجنائز عند بيته.
وروى: أنه كان في موضع الجنائز عند بيته والمسجد نخيلات كانوا يصلون على الموتى عندها فيصلي عليهم. فلما أراد عمر بن عبد العزيز أن يبني المسجد فوسّعه ابتاع النخيل من بني النجار وقطعها. تاريخ المدينة ١: ٣ ـ ٥.

(2) تاريخ المدينة ١: ١٦٣، ١٦٤.

آبار المدينة وسيولها

ذكر السمهودي المصري ست عشرة بئراً هي: الأعواف، وهي التي اشتراها النبي ﷺ فيما بعد وتوضأ فيها وتفل، فجعلها صدقة جارية عامة[1].

الأغرس، توضأ النبي ﷺ منها وبزق فيه وصبوه فيها، وهي بئر على نصف ميل من الشمال الشرقي من مسجد قُباء[2].

بئر أنس أو البرود، والمقصود أنس بن مالك الأنصاري قال: كان في داري بئر تدعى في الجاهلية «البرود»[3].

بُضاعة، كانت ... في وسط سوق بني ساعدة، فكان يُستقى منها النبي ﷺ فقيل له: قد يلقى فيها حائض ... ولحوم الكلاب؟ فقال: إن الماء طهور لا ينجسه شيء[4].

البويرمة، لبني الحارث بن الخزرج[5].

الجاسوم، كانت للهيثم بن التيهان، وشرب منه النبي ﷺ[6].

البُحاء، كانت في بستان لأبي طلحة الأنصاري في قبلة المسجد من جهة الشرق إذ كانت القبلة إلى الشام، وكان ماؤها طيّباً فكان رسول الله يدخل البستان فيشرب منها فتصدق بها أبو طلحة (أو أهداها للنبي) ثم أهدى حسان

---

(١) تاريخ المدينة ١: ١٥٩.
(٢) تاريخ المدينة ١: ١٦١ وهامشه.
(٣) تاريخ المدينة ١: ١٦٠.
(٤) تاريخ المدينة ١: ١٥٦، ١٥٧ و [illegible]
(٥) تاريخ المدينة ١: ١٦٩.
(٦) [illegible]

ابن ثابت مولاه صفوانَ بن المعطل للنبيِّ، أعطاه النبيّ بئر حاء ، هديّة معوّضة

الحمير في الحرّانيّة، كان إذا طغى سيل مهزور وخيف منه على المدينة صرف الى الحمير فصبّ فيها، وكان يصب فيها سهل مذ سيب أبطن[2]

بئر رومه، ورومة أرض نزلها المشركون عام الخندق بين الجرف وزغابة، وفيها البئر، واخضعت الأخضر فيها على أنّها كانت ليهوديّ، أو لرجل من مزينة، أو لرجل من بني غفار، وكان يبيع منها القربة بمدّ، فقال له رسول الله ﷺ : بعنيها بعين في الجنة. فقال: يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي غيرها ولا أستطيع.

قالوا: فبلغ ذلك عثمان فاشتراها بخمس وثلاثين الف درهم وجعلها للمسلمين

وقالوا: اشتراها بأربعين الفاً

وقالوا: بل ذكرت لعثمان وهو خليفة فابتاعها بثلاثين الف درهم من مال المسلمين وتصدق بها عليهم[3] وهو الأولى

بئر ذَرْع، بئر بني خَطْمة، بفناء مسجدهم، توضّأ منها النبيّ ويصلي فيها[4] .

السُقيا، كانت في حُسيكة، وهي اسم موضع بالمدينة طرف جبل ذُباب، وبها منازل لليهود، من ناحية أرض ابن مافية الى أداني الجرف كلّه، واسم أرض الشعب الفلج أو الفحجان، واسم بئرها السقيا، وكانت لذكوان بن عبد قيس

(١) تاريخ المدينة ١ : ١٥٧، ١٥٨

(٢) تاريخ المدينة ١ : ١٦٩

(٣) تاريخ المدينة ١ : ١٥٣، ١٥٤

(٤) تاريخ المدينة ١ : ١٦١

الزرقي، فابتاعها منه سعد بن أبي وقاص منها بعد بعيرين، وكان ماؤها عذباً يستقى منه لرسول الله[1].

العبيّة: عند كهف بني حرام، توضّأ منها النبيّ ودخل ذلك الكهف[2].

العرس: كانت في دار سعد بن خيثمة في قباء، وكان الى جانبها مهراس وهو حجر منقور كالحوض عظيم لا يقدر على تحريكه، يتوضّأ منه، توضأ وشرب وغسّل منه رسول الله ﷺ كما عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام[3].

بئر مدرى: كان في مسير سيل المهزور الى مسجد النبيّ، وعندها بني الردم لردّ السيل عن المدينة والمسجد، في خلافة عثمان[4].

السقيا: وهي لبني أمية من الأنصار (لا المهاجرين) توضّأ منها النبيّ ويصلي فيها للبركة، وهو سمّاها «السقيا»[5].

الصحن: بئر بالحرّة فوق قصر ابن ماه[6].

وللمدينة أودية ثلاثة: بُطحان، والعقيق، وقناة.

فأما البُطحان فهو الوادي المتوسط بين بيوت المدينة وتبدأ سيول منه من ذي الجَدْر، وهي فرزة في حرّة الجنوبية، يصب في شرقي ابن الزبير وعلى خُفاف وامرقّة وبني حجر، وبني كعب، والحساء، حتى تُفضي الى فضاء بني خَطمة، والأعرس، ثم يرد الجسر، ثم يستبطن الوادي حتى يصير في رعانه.

---

(١) تاريخ المدينة ١: ١٥٨، ١٥٩ وهامشها.

(٢) تاريخ المدينة ١: ١٦٠.

(٣) تاريخ المدينة ١: ١٦٢.

(٤) تاريخ المدينة ١: ١٦٩.

(٥) تاريخ المدينة ١: ١٦١.

(٦) تاريخ المدينة ١: ١٦٩ والحرّة اسم لارض ذات أحجار سود كأنها محترقة بالنار.

ويظهر أنَّ هذا السيل كان نافعاً غير ضارّ. ولذا روى النميري البصري بسنده عن عائشة عن النبيّ ﷺ قال: إن بُطحان على تُرعة من تُرع الجنة.

وكان يسيل فيه سيل آخر يُدعى (رانونا)، يأتي من جبل في يماني عَيْر ومن حرس في شرق الحرّة، ثم يصبّ على صريحة، ثم يتفرّق في الصفاصف، فيصبّ في أرض القصة ويستبطنها حتى يمرّ على عين قُباء، ثم يدخل غوساء، ثم بطن ذي خصب، ثم يقترن بذي صُلُب، ثم يستبطن السُّراة حتى يمرّ على قصر البركة، ثم يفترق فرقتين، فتمرّ فرقة على بئر حُشم تصبّ في سكة الخليج حتى يفرغ في وادي بُطحان[2].

وأما سيل وادي العقيق، فهو يأتي من موضع يقال له بطاويح، وهو حرس من الحرّة، ومن عريّ شطاي، حتى يصبّا جميعاً في النقيع وهو من المدينة على أربعة بُرُد في يمانيها، ثم يصب في غدير يلبن وبرام، ويدفع فيه وادي السباع، ويصبّ فيه نقعاء، فيلتقي بأسفل موضع يقال له النقع، ثم يذهب السيل مشرّقاً فيصبّ على مزادتين يسقي منها، ثم يستجمع بوادي ريم في أسفل الحُلَيفة العيب، ثم يصبّ على الأنعم وعلى الجمّاء، ثم يمضي إلى وادي الحمراء فيستبطن الوادي، حتى ينتهي إلى ثنيّة الشريد، ثم يمضي إلى الوادي، فيأخذ في ذي المليسه، ثم يستبطن الوادي فتصب عليه شعب الجمّاء وعير، ثم يستبطن بطن الوادي ثم يفترش سيل العقيق يمنة ويسرة ثم يستجمع حتى يصب في زغابه، وكان سيلاً مباركاً[3].

---

(١) تاريخ المدينة ١: ١٦٧، ١٦٨

(٢) تاريخ المدينة ١: ١٦٨

(٣) تاريخ المدينة ١: ١٦٥ – ١٦٧

وأما بطن وادي مهزور فهو الذي كان يخوّف منه الغرق على أهل المدينة

وهو يأخذ من شرقيّ الحرّة، ومن هكر وحرّة صفة، حتى يأتي على محالّ

بني قريظة اليهود، ثم يسلك فيه شُعب فيأخذ في واد يقال له مُذَينيب بين بيوت

بني أُمية بن زيد، ثم يلتقي هو وسيل بني قريظة بالشرف، ثم يجتمع الواديان

مهزور ومذينيب فيفترقان في الأموال ثم يأخذ بطن الوادي ثم يأخذ في البقيع

حتى يخرج على بني حُديلة بطن مهزور، وآخره كومة أبي الحمراء ثم يفضي

فيصبّ في وادي قناة.

وروى بسنده عن الصادق عن أبيه الباقر عليه السلام قال: قضى رسول الله في

سيل مهزور: أنّ لأهل النخل إلى العقبين ولأهل الزرع إلى الشراكين، ثم

يرسلون الماء إلى من هو أسفل منهم.

وروى بسنده عن محمد بن إسحاق عن أبي مالك بن ثعلبة بن أبي مالك،

عن أبيه ثعلبة وكان إمام مسجد بني قريظة، قال: قضى رسول الله في مهزور

ووادي بني قريظة أنّ الماء إلى الكعبين، لا يحبس الأعلى على الأسفل ويحبس

الأسفل على الأعلى.

وتجتمع هذه السيول في وادي زغابة وهو طرف وادي إضَم، وإنما سُمّي

إضم لانضمام السيول به واجتماعها فيه. ثم تجتمع فتنحدر على عين أبي زياد، ثم

تنحدر فيلقاها شعب عنه ويسره، ثم يلقاها وادي مالك بذي خُشُب وجبلة، ثم

يلقاها وادي ... ودوافعه من الشرق ويلقاها من الغرب وادٍ يقال له سُوط

والخرار، ويلقاها من الشرق وادي الأعمه، ثم يفضي في وادي إضم وعيونه حتى

يلقاه وادي بُرمة الذي يقال له ذو سلعة من الشام، ويلقاه وادي تُرعة من

القبلة، ثم يلتقي هو ووادي العيص من القبلة، ثم يلقاه دوافع وادٍ يقال له حُجْر،

وبذي الجُدُر الذي به الشُّعيب والرحبة في حيز ذي المروة مُغرّباً، ثم يمضي في ذي عمودان في شُعل ذي المروة، ثم ينفذ في ذي شمس، ثم يفضي الى البحر عند جبل يقال له أُبيث، ثم يدفع في العمر من ثلاثة أمكنة في بحر يقال لها: السعوس، وحثبث والسبخة[1].

أسواق المدينة في الجاهلية والاسلام

روى النميري البصري عن أبي غسان قال: كان بالمدينة في الجاهلية سوق بزبالة، بالناحية التي تدعى يثرب، وسوق بالجسر في بني قينقاع، وسوق بالصفاصف بالعصبة (غربيّ مسجد قُباء)، وسوق في زقاق بن حُبين يقال له المزاحم، كانت تقوم في الجاهلية وأول الاسلام[2].

وروى الشافعي في «الأُم» عن الامام الصادق عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة، وكان لهم سوق يقال لها البطحاء، كانت بنو سليم يجلبون اليها الخيل والابل والغنم والسمن.

ولعله السوق الذي روى النميري البصري عن عائشة أنها قالت: كان يقال لسوق المدينة: بقيع الخيل.

وعن عطاء بن يسار قال: لما أراد رسول الله أن يجعل للمدينة سوقاً أتى سوق بني قينقاع (النبط)، ثم جاء الى سوق المدينة فضربه برجله وقال: هذا سوقكم فلا يضيّق ولا يؤخذ فيه خراج[3].

---

(١) تاريخ المدينة ١: ١٦٩ ـ ١٧٢.

(٢) تاريخ المدينة ١: ٣٠٦.

(٣) تاريخ المدينة ١: ٣٠٤ ـ ٣٠٦ وبهامشه.

الدور حول المسجد:

بنيت حول المسجد دور، اتخذ منها عبد الرحمان بن عوف دوراً متعددة.

منهنّ الدار التي كان يقال لها «الدار الكبرى». وانما سميت الدار الكبرى لأنها أول دار بناها أحد من المهاجرين بالمدينة، وقد بنى فيها النبيّ ﷺ بيده، وكان عبد الرحمان يُنزل فيها ضيفان رسول الله ﷺ، فكانت تسمّى «دار الضيفان» وكانت على عهد النميري البصري (ت ٢٦٢ هـ) بيد بعض ولد عبد الرحمان بن عوف.

ومنهن «دار القصاء» وانما سميت بذلك لأن عبد الرحمان بن عوف اعتزل فيها لليالي الشورى حتى قضي الأمر. باعها بنو عبدالرحمان من معاوية بن ابي سفيان. وكان فيها الدواوين وبيت المال فهدمها ابو العباس السفاح العباسي فصيرها رحبة للمسجد، فهي اليوم كذلك (على عهد النميري البصري).

ومنهن دار وهبها عبد الرحمان بن عوف فيما بعد لعبد الله بن مكمّل بن عوف (بن اخيه) وباعها آل مكمل من المهدي العباسي فكانت بأيدي بعض ولده (ثم ادخلت في المسجد) ومنهن دار أنزلها ابن عوف فيما بعد مليكة بنت سنان المرية، قدمت المدينة في خلافة أبي بكر فقال: من يُنزل هذه المرأة فأنزلها عبد الرحمان داره، فسميت دار مليكة. ثم باعها سهيل بن عبد الرحمان بن عوف من عبد الله ابن جعفر ﷺ فباعها عبد الله من معاوية بن أبي سفيان، فلما ولي المهدي العباسي أدخلها في المسجد.

وكنّ هذه الدور ثلاث يدعين «القرائن» وهي ثلاث جنابذ (أي قبب)

أُدخلت في المسجد[1].

وروى النميري البصري بسنده عن يحيى بن جعدة قال: لما قدم رسول الله المدينة أقطع الدور للناس[2].

ثم قال النميري البصري: وقد أخبرني مخبر، أن منها دار نعيم بن عبد الله النحام العدوي، التي بابها باعها زاوية رحبة دار القضاء فهي بأيدي ولده على حيازة الصدقات[3] وهي في غربيّ المسجد جوار دار ابن مكمل والطريق بينهما قدر ست أذرع

ثم الى جنب دار النحام: الدار التي منها أطم حسّان بن ثابت التي كان يقال لها «الفارع» والتي دخل فيها بيت عاتكة بنت يزيد بن معاوية، وصارت الى جعفر بن يحيى البرمكي ثم صودرت منه

ثم دار كانت لسكينة بنت الحسين بن علي عليهما السلام ثم صارت الى منصور أو معين مولى المهدي (او صبيح صاحب المصلى).

ثم الى جنبها الطريق ست أذرع

ثم الى جنب الطريق: دار كانت لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وهي الدار التي صارت لخيزرة مولاة أُم موسى الهادي العباسي[4]، ثم صارت بعد

---

(١) تاريخ المدينة ١: ٢٣٢ـ ٢٣٥.

(٢) تاريخ المدينة ١: ٢٤٢

(٣) تاريخ المدينة ١: ٢٤٧ بينما قال ابن حجر في الاصابة ٣: ٥٣٨: ذكر عمر بن شبه في أخبار المدينة عن أبي عبيد المدني قال: ابتاع مروان من النحام داره بثلاثة آلاف درهم فادخلها في داره. والنحام هنا ابراهيم بن نعيم. وهذا يخالف ما نقلناه هنا عن المؤلف والكتاب نفسهما

(٤) تاريخ المدينة ١: ٢٥٨.

ليحيى بن خالد البرمكي، ثم صودرت[1].

ثم الى جنبها خُشّ (أي نخل صغار لا تُسقى) لطلحة بن أبي طلحة الأنصاري، ثم صارت لآل برمك ثم صودرت وهي اليوم خراب.

ثم الى جنبها الطريق خمس أذرع.

ثم الى جنب الطريق أبيات كانت لخداش مولى عتبة بن غزوان ثم صارت لخالصة مولاة الخليفة العباسي، فباعتها لابي حرملة الأسود القرظي مولى هارون الرشيد.

ثم الى جنبه دار لأبي الأشعث بن المغيرة بن حميد بن عبد الرحمان بن عوف، أوقفها صدقة بيد بني عذير.

ثم الى جنبه بقية دار عبد الله بن مسعود ﵁، صارت لجعفر بن يحيى البرمكي ثم صودرت منه (هذا كله في غربيّ المسجد).

ثم من الشرق، دار سعيد عبد الله بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ﵈ وشاركه فيها موسى بن ابراهيم المخزومي، وظن عبيد الله أنّ موسى يريد الربح فتركها له.

ثم دار عمرو بن العاص ثم دار خالد بن الوليد ثم دار جبلة بن عمر الساعدي، ثم صارت لسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان، ثم صارت الى أسماء بنت الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس.

ثم دار ريطة بنت أبي العباس، وهي اليوم لولدها.

ثم الطريق بينها وبين دار عثمان بن عفان خمس أذرع.

ثم دار عثمان.. ثم الطريق بعد دار عثمان.

---

(١) تاريخ المدينة ١: ٢٣٤.

ثم دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، التي نزله رسول الله، وابتاعها منه المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي، وجعل فيه ماءً يستقى منه في المسجد.

ثم إلى جنبه دار حارثة بن النعمان الأنصاري، فصارت إلى جعفر بن محمد ابن علي الصادق عليه السلام.

ثم الطريق بينها وبين دار إبراهيم بن هشام المخزومي، فصارت إلى أبي مسلم مولى بني العباس ثم إلى جنبها بيت عمر بن عبد الله بن الزبير بن العوام، ثم دار عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي[1].

هذه هي كل الدور التي ذكرها النميري البصري في كتابه «أخبار المدينة» تحت عنوان: «الدور الشوارع على مسجد النبي ﷺ اليوم» ولذلك لم يذكر فيها من دور بني هاشم سوى دور: عبد الله بن جعفر، وذكر أنه اشتراها من سهيل بن عبد الرحمن بن عوف. ودار سكينة بنت الحسين عليه السلام، ودار الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام اشتراها من حارثة بن النعمان الأنصاري، ودار عبيد الله بن الحسين ابن علي بن الحسين عليه السلام شراها. ولم يذكر فيما بينها داراً لعلي عليه السلام شارعة إلى المسجد.

نعم مرّ ذكره لدار عثمان بن عفّان، وذكر داراً لأبي بكر في ذكره دور بني تيم قال: واتخذ أبو بكر داراً فباعه الدار الصغرى لعثمان في زقاق البقيع، واتخذ داراً أخرى عند المسجد. وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ «سدّوا عنّي هذه الأبواب إلّا ما كان من باب أبي بكر» أو قال: «سدّوا عنّي هذه الأبواب إلّا ما كان من خوخة أبي بكر»[2].

---

(١) تاريخ المدينة ١: ٢٥٦ ـ ٢٦٠.

(٢) تاريخ المدينة ١: ٢٤٢ وعلق عليه المحقق نقلاً عن النهاية في غريب الحديث والرواية لابن الأثير ٢: ٨٦: الخوخة هي: والخوخة: باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بيتين.

وقد مرّ عنه: أنّ «دار القضاء» كانت من دور عبد الرحمان بن عوف في رواية، ولكنه قال: وسمعت من غير واحد: أن رحبة القضاء كانت لعمر بن الخطاب، وأنها انما سميت رحبة القضاء لأنه أوصىٰ أن تباع بعد وفاته لدين كان عليه، فسمّيت «دار القضاء» فلما ولي معاوية اشتراها، وفي سنة ثمان وثلاثين ومئة هدمها والي المدينة زياد بن عبيد الله وجعلها رحبة للمسجد وقسط أجره هدمها على أهل السوق فلحق كل واحد منهم أربعة دوانيق[1].

ثم ذكر الحميري البصري خطط القبائل من المهاجرين، فذكر داراً لجهينة بن زيد، وداربن للمصطلق بن سعد وكعب بن عمرو، وثلاث منازل لبني أقصى، وثلاث منازل لبني قيس بن عيلان، واثني عشر منزلاً (اثنتي عشرة) أسرة من قريش بدأ بني أسد بن عبد العزّى: الزبير بن العوّام وأخيه عبد الرحمان بن العوّام وحكيم بن حزام ونوفل بن عدي وهبّار بن الأسود ودؤيب بن حبيب

وذكر دار طليب بن كثير من عبد قصيّ.

ودار عمرو بن العاص من بني سهم.

وداربن لبني عارب بن نهر.

وثلاث دور لبني جُمح.

وأربع دور لبني تيم: أبي بكر وابنته أسماء وطلحة بن عبيد الله وحليفهم صهيب الرومي.

وست دور لبني عامر بن لؤي منهم عبد الله بن أبي سرح (ولم يكن من المهاجرين الأولين) وثماني دور لبني عدي بن كعب منهم عمر وابنه عبدالله بن عمر.

---

(١) جمع دانق معرّب: دانه أي واحدة، وهي سدس الدرهم.

وتلي دور بني مخزوم منهم الأرقم بن أبي الأرقم، وخالد بن الوليد (بعد الفتح) وداراً لعمار بن ياسر حليفهم بناها له عمر عند رجوعه من الشام، ووهبها لأُم سلمة زوج النبيّ ﷺ فبعضها اليوم بأيدي بعض ولده. وبعضها باعوها فصارت إلى الفضل بن يحيى البرمكي. وكانت لعمار قبلها دار أخرى أُدخلت في المسجد في الضلع الغربي اليماني منه.

وذكر داراً لحليفهم الآخر: خراش بن أُمية الكعبي، وقال: إنها كانت بين زقاق القصّارين وبابها شارع في سوق الخبّازين، وأوقفها على ولده.

وفي دور بني زهرة ذكر خمس دور لعبد الرحمان بن عوف الزهُري «دار مُليكة» و«دار القصاص» و«الدار الدميمة» و«دار الضيفان الكبرى» وداراً باعها ابنه سهيل لعبد الله بن جعفر فباعها لمعاوية فصارت لميرة ثم صارت ليحيى البرمكي ثم صودرت. وذكر أن ثلاثاً منها كانت تدعى «القرائن» و«الجنابذ» أي القُباب، أُدخلت في المسجد.

واتخذ أخوه عبد الله بن عوف داراً فهي صدقة في وُلده. وذكر أن سعد بن أبي وقّاص الزهري اتخذ داراً بالمصلّى عند زقاق الحمارين.

وكانت له داران بالبقّال، وكانت لأبي رافع القبطي دار قريبة فساومه عليها سعد فكان أبو رافع يريدها بخمسمئة دينار. وسعد يقول: لا والله لا أزيدك عن أربعة آلاف منجّمة (أي مقسّطة) فباعه أبو رافع على ذلك. ثم أوقفها سعد على ذريته.

واتخذ سعد داراً أخرى بالبلاط قبال دار ابراهيم بن هشام المخزومي. لما قدم سعد من العراق وقاسم أمواله عُمَر على مقاسمته لأموال عُماله قسمه داره

---

(١) تاريخ المدينة ١: ٢٤٢ ـ ٢٤٦.

عنه، بالنصف، فوهب نصفه لامرأة تدعى «حُبّى» كانت قد أرضعت عمر، فكانت بيدها حتى جمعت نقضاً في سقف بيت، فقالت: والله لا سكنت هذا البيت. فخرجت منه ثم بيعت الدار لعصر ولد عمر بن الخطاب فهي بأيديهم الى اليوم. وبيع سعد النصف الباقي له لعثمان بن عفان باثني عشر ألف درهم، ثم صارت لعمرو بن عثمان. وبعد حوزه عامر بن أبي وقاص داره، وعتبة بن أبي وقاص داره بالبلاط، وكانت بأيدي ورثتهما حتى باعه الربيع حاجب المنصور من ولد عتبة بدراهم.

وذكر لهم دارين آخرين لعبد الرحمن بن زهر ومخرمة بن نوفل، وهي في زاوية المسجد عند المنارة الشرقية اليمانية، فاشترى المهدي بعضها فأدخله في رحبة المسجد، وصارت بقيتها لآل برمك ثم صودرت اليوم.

وذكر أن المقداد بن عمرو البهراني (ابن الاسود الكندي) حليف بني مخزوم له دارين صارت الى ولد ابنته من وهب بن عبد الله الأسدي، باعوا احداهما ليزيد بن عبد الملك والاخرى بأيديهم في بني جديلة يقال لها: دار المقداد[1].

قال ابن اسحاق: فأقام رسول الله في بيت أبي أيوب حتى بني له مسجده ومساكنه، ثم انتقل من بيت أبي أيوب الى مساكنه[2] ولم يعين مدة ذلك.

وقد مرّ عن ابن شهرآشوب في «المناقب» قال: كانت مدة مُقامه عنده من شهر ربيع الأول الى صفر من السنة القابلة[3] وقيل سبعة أشهر، وقيل شهراً واحداً[4].

(١) تاريخ المدينة ١: ٢٢٢ ـ ٢٤١

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ١٤٣

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٨٦

(٤) وفاء الوفاء ١: ٢٦٥ والسيرة الحلبية ٢: ٦٤

وفي «وفاء الوفاء» للسمهودي قال: الظاهر كما قال الذهبي أنه ﷺ بنى أولاً بيت سودة، ثم لما احتاج إلى منزل عائشة بناه، وهكذا سائر بيوته بناها في أوقات مختلفة(١).

وسيأتي أن دخوله بعائشة كان في شهر شوال الثامن من هجرته، وكان قد تزوّج بها وبسودة ودخل بها بمكة قبل الهجرة.

وقد خرجت عائشة من مكة إلى المدينة مع أخيها عبد الله وأمها أم رومان ومعهم طلحة بن عبيد الله التيمي بعد أن رجع إليهم من المدينة عبد الله بن أُريقط فأخبرهم بمكان أبيهم بالسنح من المدينة(٢).

أما علي عليه السلام فقد حمل معه أمه فاطمة بنت أسد ومعها من بنات الرسول فاطمة وأما سائر بناته: فزينب مع زوجها أبي العاص بن الربيع، ورقية مع زوجها عثمان في هجرة الحبشة، وأما أم كلثوم فقد مرّ أن عكرمة كان قد طلّقها ولم يذكر أنها هاجرت إلى الحبشة، ولم يذكر أن علياً عليه السلام حملها مع أختها فاطمة إلى المدينة. ولكن قالوا: إن رسول الله بعث أبا رافع القبطي وزيد بن حارثة الكلبي من المدينة إلى مكة فحملا إليه زوجته سودة بنت زمعة وسائر بناته(٣) بل هي أم كلثوم فقط. ويبدو أنّ ذلك كان قبل دخوله بعائشة لما مرّ أنّ أوّل بيت بناه كان لسودة ثم لعائشة فيبدو أن ذلك كان في الشهر السابع رمضان قبل دخوله بعائشة في الشهر الثامن شوال. وعليه فمدة إقامته بدار أبي أيوب سبعة أشهر حتى بنى مسجده وبيته.

(١) وفاء الوفاء ٢: ٤٦٢.

(٢) الطبري ٢: ٤٠٠ وعنه الكازروني في المنتقى وعنه في بحار الأنوار ١٩: ١٢٩.

(٣) الطبري ٢: ٤٠٠ وعنه الكازروني في المنتقى وعنه في بحار الأنوار ١٩: ١٢٩.

تشريع أذان الإعلام

قالوا: وفي السنة الأولى من الهجرة شُرّع الأذان[1]. وروى محمد ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم، عن محمد بن عبد الله، عن أبيه عبد الله بن زيد أنه قال: كان رسول الله حين قدم المدينة يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة، وكان لليهود بوق يدعون به لصلاتهم، فهمّ رسول الله أن يجعل لذلك بوقاً كبوق اليهود، ثم كرهه، وأمر أن ينحت ناقوس ليضرب به للصلاة.

فبينا هم على ذلك إذ طاف بي طائف: مرّ بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده، فقلت له: يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قال: قلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ قال: قلت: وما هو؟ فعلّمه فصول الأذان بلا إقامة، وليس فيها «حيّ على خير العمل».

فأتى رسول الله فقال له ذلك، فلما أخبر بها رسول الله قال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذّن بها فإنه أندى صوتاً منك[2].

«وهناك من أحاديثهم ما هو صريح بأن تلك الرؤيا كانت من أربعة عشر رجلاً من الصحابة، كما في «شرح التنبيه» للجيلي، ورووا أن الرائين تلك الليلة كانوا سبعة عشر رجلاً من الأنصار، وعمر وحده من المهاجرين، ورووا أن بلالاً ممن رأى الأذان أيضاً. وثمة متناقضات في هذا الموضوع أورد الحلبي منها ما يوجب العجب العُجاب، وحاول الجمع بينها فحبط عمله.

والشيخان البخاري ومسلم قد أهملا هذه الرؤيا بالمرة، فلم يخرجاها في

---

(١) بحار الأنوار ١٩ : ١٣١ عن [illegible].

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٥٤، ١٥٥.

صحيحيهما أصلاً لا عن ابن زيد، ولا عن ابن الخطّاب، ولا عن غيرهما، وما ذاك إلّا لعدم ثبوتها عندهما.

نعم أخرجا في باب بدء الأذان من صحيحيهما عن ابن عمر قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحيّنون الصلاة، وليس ينادي بها أحد فتكلّموا يوماً في ذلك فقال بعضهم: اتّخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقاً مثل بوق اليهود. فقال عمر: ألا تبعثون رجلاً ينادي للصلاة؟ فقال رسول الله: يا بلال قم فنادِ بالصلاة. فنادى بالصلاة»[1].

هذا، وقد روى المتّقي الهندي في «كنز العمال» أنّهم تذاكروا الأذان عند الحسن عليه‌السلام وذكروا رؤيا ابن زيد فقال: إنّ شأن الأذان أعظم من ذلك، أذّن جبرئيل في السماء مثنى مثنى وعلّمه رسول الله[2].

وروى القاضي النعمان المصري عن الصادق عليه‌السلام قال: سُئل الحسين بن علي عليه‌السلام عن قول الناس في الأذان: أنّ السبب فيه كان رؤيا رآها عبد الله بن زيد فأخبر بها النبيّ فأمر بالأذان، فغضب عليه‌السلام وقال: الأذان وجه دينكم والوحي ينزل على نبيّكم وتزعمون أنّه أخذ الأذان عن عبد الله بن زيد؟! بل سمعت أبي علي بن أبي طالب يقول: أهبط الله عزّوجلّ ملكاً حين عرج برسول الله ـ وساق حديث المعراج بطوله الى أن قال ـ فبعث الله ملكاً لم يُر في السماء قبل ذلك الوقت ولا بعده، فأذّن مثنى مثنى وأقام مثنى مثنى. ثمّ قال جبرئيل للنبيّ: يا محمد هكذا أذّن للصلاة[3].

(١) النص والاجتهاد: ٢٢، ٢٣١ عن صحيح مسلم ٢ كتاب الصلاة باب بدء الأذان.

(٢) عن كنز العمال ٦: ٢٧٧.

(٣) دعائم الاسلام ١: ١٤٢ وعنه في مستدرك الوسائل ٤: ١٧ ط آل البيت. ومثله عن الجعفريات: ٤٢.

وروى الحلبي في سيرته عن أبي العلاء قال: قلت لمحمد بن الحنفية: إنّا لنتحدّث أنّ بدء هذا الأذان كان من رؤيا رآها رجل من الأنصار في منامه، قال: ففزع لذلك محمد بن الحنفية فزعاً شديداً وقال: عمدتم إلى ما هو الأصل في شرائع الإسلام ومعالم دينكم فزعمتم أنه من رؤيا رآها رجل من الأنصار في منامه، تحتمل الصدق والكذب وقد تكون أضغاث أحلام! فقلت: هذا حديث قد استفاض في الناس! قال: هذا والله هو الباطل، ولقد أخبرني أبي أنّ جبرئيل عليه السلام أذّن في بيت المقدس ليلة الإسراء وأقام، ثم أعاد جبرئيل الأذان لما عرج بالنبيّ إلى السماء[1]

وروى العياشي في تفسيره عن عبد الصمد بن بشير قال: ذكر عند أبي عبد الله عليه السلام بدء الأذان فقيل: إنّ رجلاً من الأنصار رأى في منامه الأذان فقصّه على النبيّ ﷺ فأمره رسول الله أن يعلّمه بلالاً، فقال أبو عبد الله: كذبوا، إنّ رسول الله كان نائماً في ظل الكعبة فأتاه جبرئيل ومعه طاس فيه ماء من الجنة فأيقظه وأمره أن يغتسل به، ثم وضعه في محمل له ألف ألف لون من نور، ثم صعد به حتى انتهى إلى أبواب السماء... فأمر الله جبرئيل فقال: الله أكبر، الله أكبر... فأتمّ الأذان وأقام الصلاة، وتقدّم رسول الله فصلّى بهم. فهذا كان بدء الأذان[2]

ولكن هذا لا يعني أنّ تشريع الأذان للإعلام كان من حين رجوعه ﷺ من ذلك المعراج في مكة، بل لعله كان كما روى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: هبط جبرئيل بالأذان على رسول الله وكان رأسه في حجر علي عليه السلام فأذّن جبرئيل وأقام، فلما انتبه رسول الله قال: يا علي سمعت؟ قال: نعم يا رسول الله

(١) السيرة الحلبية ٢: ٩٦.

(٢) تفسير العياشي ١: ١٥٧.

قال: حفظت؟ قال: نعم، قال: ادع بلالاً فعلّمه، فدعا عليّ عليه السلام بلالاً فعلّمه[1].

وروى بسنده عن الصادق عليه السلام قال: قال (رسول الله) لبلال: إذا دخل الوقت يا بلال أُعلُ فوق الجدار ـ وكان طول حائط مسجد رسول الله قامة ـ وارفع صوتك بالأذان[2].

وهذا يقتضي أنّ الأذان كان بعد بناء المسجد، وقد مرّ ترجيح أنه كان بعد سبعة أشهر من الهجرة، أي في شهر رمضان المبارك من السنة الأولى للهجرة.

وروى ابن إسحاق عن عروة بن الزبير بخصوص أذان الفجر، عن امرأة من بني النجار قالت: كان بيتي أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يأتي بسحر فيصعد ويجلس عليه في السحر ينتظر الفجر من كل غداة، فإذا رآه أذّن للفجر[3].

وقال اليعقوبي: وكان بلال يؤذن، ثم أذّن معه ابن أمّ كلثوم، أيّهما سبق أذّن، فإذا كانت الصلاة أقام واحد.

ثم نقل عن الواقدي قال: إن بلالاً كان إذا أذّن وقف على باب رسول الله فقال: الصلاة يا رسول الله، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح[4].

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

روى الطوسي في أماليه بسنده عن سعد عن أبيه حذيفة بن اليمان قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين الأنصار والمهاجرين أخوّة الدين، فكان يؤاخي بين

---

(١) فروع الكافي: ٨٣ ومن لا يحضره الفقيه ١: ٥٧ والتهذيب ١: ٢١٥.

(٢) فروع الكافي ١: ٨٤ والتهذيب ١: ١٥.

(٣) سيرة ابن هشام ٢: ١٥٦ بتصرف.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٢.

الرجل ونظيره. ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: هذا أخي

قال حذيفة: فرسول الله سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له في الأنام شبيه ولا نظير، وعلي بن أبي طالب أخوة[1].

ويبدو لي أن هذه الرواية من سعد بن حذيفة هي التي أشار إليها ابن إسحاق اذ قال: «بلغنا أن رسول الله قال ـ ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل ـ: تآخوا في الله أخوين أخوين. ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي

فكان رسول الله صلى الله عليه وآله سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير (أي شبه) ولا نظير. وعليّ بن أبي طالب أخوين.

وأضاف: وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله صلى الله عليه وآله وزيد بن حارثة مولى رسول الله أخوين، وإليه أوصى حمزة يوم أُحد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت. وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين الطيّار في الجنة ومُعاذ بن جبل أخو بني سلمة أخوين. وكان أبو بكر الصدّيق ابن أبي قحافة وخارجة بن زُهير الخزرجي أخوين. وعمر بن الخطاب وعِتبان بن مالك الخزرجي أخوين. وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر الخزرجي أخوين. والزبير بن العوّام وسلمة بن سلامة أخوين. وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخوين. وعبد الرحمان بن عوف وسعد بن الربيع الخزرجي أخوين. وأبو عبيدة بن الجرّاح وسعد بن معاذ أخوين. ومصعب بن عمير بن هاشم وأبو أيوب (الأنصاري الخزرجي) أخوين. وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان حليف خزرج أخوين. وأبو ذر الغفاري والمنذر بن عمرو

---

1) أمالي الطوسي: ٥٨٧ ح ١٢١٥ وعنه في بحار الأنوار ٣٨: ٣٣٣ ورواه ابن طاووس في الطرائف: ٢٨ عن مناقب ابن المغازلي: ٤٢ كما في بحار الأنوار ٣٨: ٣٤٦.

الخزرجي أخوين. وسلمان الفارسي وأبو الدّرداء عويمر أخوين. وبلال مؤذّن رسول الله وأبو رويحة الخثعمي أخوين. فهؤلاء ممن سُمّي لنا ممن كان رسول الله آخى بينهم من أصحابه[1].

ونقل المقريزي في «امتاع الأسماع» عن عبد الرحمان بن الجوزي قال: أحصيت جملة من آخى النبيّ ﷺ بينهم فكانوا مئة وستة وثمانين رجلاً. ويقال كانوا تسعين رجلاً، خمسة وأربعين رجلاً من المهاجرين وخمسة وأربعين رجلاً من الأنصار. ويقال: خمسين من هؤلاء وخمسين من هؤلاء. ويقال: انه لم يبق من المهاجرين أحد الا آخى بينه وبين أنصاري.

وكانت المؤاخاة بعد مقدمه بخمسة أشهر. وقيل: بثمانية أشهر، ثم نسخ التوارث بالمؤاخاة بعد بدر[2].

ونقل ابن شهرآشوب عن تاريخ النسوي أنها كانت بعد ثمانية أشهر[3].

أمّا ابن اسحاق فقد سمّى ثمانية وثلاثين رجلاً: واحد وعشرون رجلاً من المهاجرين وسبعة عشر رجلاً من الأنصار (المؤاخاة للنبيّ والوصي، وحمزة وزيد ابن حارثة) ثم قال: «فهؤلاء ممن سمّي لنا ممن كان رسول الله آخى بينهم من أصحابه» ولعله سمّي له غيرهم ولم يذكرهم.

وأمّا ابن حبيب في «المحبر» فقد زاد على من ذكرهم ابن اسحاق ستة

---

(١) سيرة ابن هشام ٢: ١٥١ ـ ١٥٣.

(٢) إمتاع الأسماع للمقريزي: ٣٤٠ وروى الحديث عن ابن عباس عنه ﷺ قال لعليّ: أنت أخي وصاحبي. كما رواه أحمد في مسنده ١: ٢٣٠ وابن عبد البر في الاستيعاب ٢: ٤٦٠ والمتقي الهندي في كنز العمال ٦: ٣٩١. كما في الغدير ٣: ١١٦.

(٣) مناقب ١: ١٥١.

وثمانين رجلاً، فاجتمع أربعة وعشرون رجلاً من المهاجرين والأنصار، منهم: الحُصين بن الحارث بن المطّلب مع رجع بن عنجدة، والطفيل بن الحارث بن المطّلب مع المنذر بن محمد بن عقبة، وعبيدة بن الحارث بن المطّلب مع عمير بن الحمام السَّلمي، وعبيدة هو الشهيد ببدر، وبذلك قالوا: كانت المؤاخاة قبل بدر ولم يكن بعد بدر مؤاخاة، كما في «المحبّر»[1].

وقد آخى رسول الله بين أصحابه مرّتين. أولاهما في مكّة، آخى بين جماعة منهم قبل الهجرة. وعن هذه المؤاخاة الاولى ذكر ابن حبيب في «المحبّر» أنه ﷺ آخى بين نفسه وعلي بن أبي طالب عليه السلام، وآخى بين حمزة بن عبد المطلب وبين زيد بن حارثة مولى رسول الله، وبين أبي بكر وعمر، وبين عثمان بن عفّان وعبد الرحمان بن عوف، وبين الزبير بن العوّام وعبد الله بن مسعود، وبين عبيدة بن الحارث بن المطّلب وبلال مولى أبي بكر، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص، وبين أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة، وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله[2].

ومن ذكره لمصعب بن عمير يُعلم أن ذلك كان قبل ارسال الرسول ﷺ له الى المدينة، أي قبل الهجرة بسنة تقريباً.

وصرّح ابن سيد الناس بأن هذه المؤاخاة كانت قبل الهجرة[3] كما جاء في

---

(١) المحبّر: ٧٠ ـ ٧١.

(٢) المحبّر: ٧١.

(٣) السيرة لابن سيد الناس ١: ٢٠٠ ـ ٢٠٣ كما في الغدير ٣: ١٦٤ وقد ذكر الأميني في الغدير عدداً من مصادر أخبار المؤاخاة بين النبيّ والوصي ٣: ١١١ ـ ١٢٥ من الطبعة ←

«السيرة الحلبية» أيضاً[1] وهو الظاهر من رواية الحاكم الحسكاني النيسابوري في «المستدرك على الصحيحين»[2].

وقال ابن سعد في «الطبقات»[3] والسهيلي في «الروض الأنف» والكازروني في «المنتقى» ما معناه: أن النبي ﷺ لما قدم المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة يتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام فكانوا كذلك وهم تسعون حتى نزل قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ نسخت هذه الآية ما كان قبلها ورجع كل إنسان إلى نسبه وورثه ذو رحمه.

وقال السهيلي: فلما عزّ الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ أي في الميراث. ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ يعني في التودّد وشمول الدعوة.

وهذا يعني أنّ عقد المؤاخاة كان قبل نزول هذه الآية، وهذه الآية عمّمت الأخوّة.

والمجلسي في بحار الأنوار ٣٨: ٣٣٠ ـ ٣٤٧ عن العامة والخاصة. وذكر ابن عساكر عشرين خبراً بأسنادها في ذلك من الخبر ١٤١ إلى ١٦١ وأضاف المحقّق المحمودي مصادر أخرى للأخبار من صفحة ١١٧ إلى ١٣٢ من القسم الأول من ترجمة الإمام علي ﷺ من تاريخ دمشق لابن عساكر.

(١) السيرة الحلبية ٢ : ٢٣ و ١٠٢

(٢) مستدرك الحاكم ٣ : ٤.

(٣) الطبقات ١ : ٢٤٢

أول سريّة بالمدينة:

روى الواقدي: أنّ عير قريش جاءت من الشام تريد مكّة في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجرة النبيّ ﷺ، وفيها أبو جهل (ابن هشام) في ثلاثمئة راكب من أهل مكّة. فعقد رسول الله لواءً (أبيض) لحمزة بن عبد المطّلب، وكان أوّل لواء عقده بعد أن قدم المدينة (وكان يحمله أبو مرثد الغنوي)[1]، بعثه في ثلاثين راكباً خمسة عشر من المهاجرين وخمسة عشر من الأنصار، يعترضون لعير قريش.

فبلغوا سيف البحر والتقوا هناك واصطفّوا للقتال. وكان مجديّ بن عمرو حليفاً (؟) للفريقين فلم يزل يمشي إلى هؤلاء وإلى هؤلاء حتى انصرف القوم وانصرف حمزة راجعاً إلى المدينة في أصحابه.

ثمّ روى الواقدي: أنّ رسول الله لم يبعث أحداً من الأنصار حتى كانت بدر. ثم قال: وهو أثبت[2].

وقال ابن إسحاق: بعثه إلى سيف البحر من ناحية العيص، في ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، فلقي أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمئة راكب من أهل مكّة. وكان مجديّ بن عمرو الجُهَني موادعاً للفريقين فحجز بينهم[3] ولم يقل أنّه كان حليفاً، ولعلّه هو الصحيح، إذ لم نعهد لهم حلفاً. وكذلك في رواية الطبري عن الواقدي ليس فيها أنّه كان حليفاً لهم.

---

(١) الطبري ٢: ٤٠٢ عن الواقدي، وليس في المغازي. ونقل عنه اليعقوبي: كان حليفه ٢: ٧٠.

(٢) مغازي الواقدي ١: ٩، ١٠.

(٣) سيرة ابن هشام ٢: ٢٤٥ واليعقوبي ٢: ٦٩، وأشار إليه في ٢: ٤٤ والتنبيه والإشراف ٢٠٠ والطبرسي في إعلام الورى بلا إسناد ١: ١٦٢.

سرية عُبيدة بن الحارث:

روى الواقدي قال: ثمّ عقد لواءً لعُبيدة بن الحارث، في شوّال على رأس ثمانية أشهر، إلى رابغ - ورابغ على عشرة أميال من الجُحفة إلى قُديد - فخرج عبيدة في ستّين راكباً كلّهم من قريش (من المهاجرين ليس فيهم أنصاري)، فلقي أبا سفيان بن حرب على ماءٍ يقال له أحياء من بطن رابغ، وأبو سفيان يومئذٍ في مئتين. لم يسلّوا السيوف ولم يصطفّوا للقتال. وتقدم سعد بن أبي وقّاص أمام أصحابه ونثر كنانته (ليرميهم) وترّس أصحابه عنه، فرمى بما في كنانته حتى أفناها. وكان فيها عشرون سهماً، وليس منها سهم إلّا يقع فيجرح إنساناً أو دابّةً (ومع ذلك فإنّهم) لم يسلّوا السيوف ولم يصطفّوا للقتال، بل انصرفوا. فقال سعد لعُبيدة: لو اتّبعناهم لأصبناهم فإنّهم قد ولّوا مرعوبين. فلم يتابعه عبيدة على ذلك، بل انصرفوا إلى المدينة[1].

وقال ابن إسحاق: وبعث رسول الله عُبيدة بن الحارث بن المطّلب بن عبد مَناف في ستّين راكباً من المهاجرين، حتّى بلغ ماءً بالحجاز بأسفل ثنيّة المُرّة. ورَمى سعد بن أبي وقّاص بسهم، وهو أوّل سهم رُمي به في الإسلام. ثم انصرف القوم عن القوم ولم يكن بينهم قتال[2].

وكان المقداد بن عمرو حليف بني زهرة، وعتبة بن غزوان المازني حليف بني نوفل مسلمين (بمكّة)، فخرجا معهم ليتوصّلوا بهم إلى المسلمين، ففرّوا منهم إليهم.

---

(١) مغازي الواقدي ١: ١٠، ١١ بتصرّف وكذلك في رواية الطبري عنه ٢: ٤٠٢، والتنبيه والإشراف: ٢٠١.

(٢) ونقله الطبرسي في إعلام الورى ١: ١٦٢ بلا إسناد.

وبعض الناس يقول: كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله لأحد من المسلمين. ولكنّ بعثه وبعثَ عبيدة كانا معاً فشُبّه ذلك على الناس[1]

بيت سودة ثم عائشة

مرّ عن السمهودي عن الذهبي: أنه ﷺ بنى بيت سودة أولاً ثم لما احتاج الى منزل عائشة بناه، وهكذا سائر بيوته بناها في أوقات مختلفة[2].

والآن نذكر أن دخوله بعائشة كان في شهر شوال لثمان من هجرته، وعليه فيبدو أنّ إرساله لأبي رافع القبطي وزيد بن حارثة الشيباني من المدينة الى مكة ليحملا اليه أهله سودة بنت زمعة بن قيس كان قبل دخوله بعائشة في المدينة.

ورجع عبد الله بن أريقط من المدينة الى مكة فأخبر عبد الله بن أبي بكر بمكان أبيه بالسُنح من المدينة، فخرج عبد الله بعيال أبيه اليه وفيهم عائشة ومعهم طلحة بن عبيد الله التيمي[3].

قالت عائشة: وكان أبو بكر قد نزل في بني الحارث بن الخزرج بالسنح، فقدمنا المدينة عليه.

وجاء رسول الله فدخل بيتنا فاجتمع اليه رجال من الأنصار ونساء، وكنت أنا في أرجوحة بين عذقين ترجّح بي، فجاءتني أمي فأنزلتني، ومسحت وجهي بشيء من ماء، ووفّت جمّتي (شعري).

وكان رسول الله جالساً على سرير في بيتنا، فقادتني أمي حتى وقفت بي عند باب البيت، ثم أدخلتني فأجلستني... وقالت له: هؤلاء أهلك، فبارك الله لك

---

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٢٤١، ٢٤٢ بتصرف. واليعقوبي ٢: ٦٩ نقل نص ابن اسحاق.

(٢) وفاء الوفاء ٢: ٤٦٣

(٣) الطبري ٢: ٤٠٠ واستق زعمه في بحار الأنوار ١٩: ١٢٩

فيهن وبارك لهنّ فيك . ووثب القوم والنساء فخرجوا، فبنى بي رسول الله في بيتي، وأنا يومئذٍ ابنة تسع سنين . ولا نُحرت لي جزور ولا ذُبحت عليّ شاة حتى أرسل لنا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها الى رسول الله[1].

ثم روى الطبري عن الكلبي : أن رسول الله تزوّج عائشة قبل الهجرة ثلاث سنين، وهي ابنة سبع سنين، وجُمع اليها بعد أن هاجر الى المدينة وهي ابنة تسع سنين، في شوال[2].

سرية الخرّار :

قال الواقدي : في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من مهاجرة رسول الله ﷺ قال رسول الله لسعد بن أبي وقاص : اخرج يا سعد حتى تبلغ الخرّار، فإن عيراً لقريش ستمرّ به . والخرّار من الجحفة قريب من خُم[3] وعقد له لواءً أبيض كان يحمله المقداد بن عمرو، وعهد إليه أن لا يجاوز الخرّار.

فخرج في أحد وعشرين رجلاً (مهاجراً) على أقدامهم ، يكمنون النهار ويسيرون بالليل ، فبلغوا الخرّار صباح الليلة الخامسة . فكان العير قد فاتهم فلم

---

(1) الطبري ٣ : ١٦٣ .

(2) الطبري ٣ : ١٦٤ و ٢ : ٤١٠ بالرواية عن عائشة . وقريب منه في اعلام الورى ١ : ٢٧٦ والتنبيه والاشراف : ٢٠١ ومروج الذهب ٢ : ٢٨٨ ولكنه أضاف : «وكان مقامها معه ثمان وعشرين وقد قاربت السنين» فيكون عمرها في زواجها اثنتي عشرة سنة لا تسعة . ومن الطبيعي أن تصغّر المرأة عمرها !

(3) مغازي الواقدي ١ : ١١ .

(4) الطبري ٢ : ٤٠٣ عن الواقدي وليس في المغازي .

يدركوه فرجعوا[1]. وهذه هي السرية الثالثة والأخيرة في ثلاثة أشهر: رمضان وشوال وذي القعدة وتعدو عن الخروج للحرب في الأشهر الحرم: ذي الحجة ومحرم، ويعود الرسول ﷺ الى القتال في شهر صفر من السنة الثانية.

ولكن رواية الواقدي هذه تقول: إن السرية هذه كانت في ذي القعدة الحرام، والآية: ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتال فيه كبيرٌ وصدٌّ عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجد الحرام ﴾[2] وان كانت قد نزلت بعد هذا، ولكن ليس لسانها لسان ابتداء التشريع والتحريم، والواقدي نفسه يقول في الآية: فحدثهم الله أن القتال في الشهر الحرام كما كان وحرّم الشهر الحرام كما كان حرّمه[3].

وعليه فالأولى رواية ابن اسحاق اذ يجعل الخرّار في جُمادي الاولى من السنة الثانية[4].

موقف اليهود وأحبارهم:

قال ابن اسحاق: إن اليهود في المدينة لمّا رأوا أن الله اختار رسوله من العرب دونهم حسدوه فكذّبوه وجحدوه وعادوه.

وكان أحبارهم: من بني النضير: حييّ بن أخطب، وأخواه جدي بن أخطب، وابو ياسر بن أخطب، وسلام بن أبي الحُقيق وأبناء أخيه الربيع بن أبي

---

(١) مغازي الواقدي ١: ١١

(٢) البقرة: ٢١٧

(٣) مغازي الواقدي ١: ١٨

(٤) سيرة ابن هشام ٢: ٢٥١

الحُقيق: الربيع بن الربيع وكنانة بن الربيع وكعب بن الأشرف الطائي النبهاني حليف بني النضير وأمه منهم، وحلفاؤه: الحجّاج بن عمرو وكَرْدَم بن قيس، وسلام بن مِشكم، وعمرو بن جَحّاش

ومن بني قُريظة: الزبير بن باطا بن وهب، وعزّال بن شموئيل، وكعب بن أسد، وشموئيل بن زيد، وجبل بن عمرو بن سكينة، والنحّام بن زيد، ووهب بن زيد وعديّ بن زيد، وجبل ابن عمرو بن سُكينة، وقردَم بن كعب وكردم بن زيد، وأبو نافع، ونافع بن أبي نافع، والحارث بن عوف، وأسامة بن حبيب، ورافع بن رُميلة، وجبل بن أبي قُشير، ووهب بن يهودا

ومن يهود بني قينُقاع: زيد بن اللصيت، وسعد بن حنيف، ومحمود بن سَيحان، وعُزير بن أبي عُزير، وعبد الله بن صيف ومالك وبني صيف، وسويد بن الحارث، ورفاعة بن قيس، وفِنحاص، وأشيع، ونعمان بني أضا، وبحريّ بن عمرو، وشأس بن عدي، وشأس بن قيس، وزيد بن الحارث، ونعمان بن عمرو وسُكين بن أبي سُكين، وعديّ بن زيد، ونعمان بن أبي أوفى، ومحمود بن دحية، وكعب بن راشد وعازر، ورافع بن أبي رافع، وخالد، وأزار بن أزار، ورافع بن حارثة، ورافع بن حُريملة، ورافع بن حارجة، ومالك بن عوف، ورفاعة بن زيد

وكان خيرهم وأعلمهم الحُصين بن سلام وهو الذي أسلم فسماه رسول الله: عبد الله[1].

اليهود من حلف الأوس والخزرج الى عهد المسلمين:

روى الطوسي في «التبيان» وعنه الطبرسي في «مجمع البيان» عن عكرمة

---

(١) سيرة ابن هشام ٢: ١٦٠ ـ ١٦٢

عن ابن عبّاس قال: إنّ اليهود كانوا فريقين، طائفة منهم بنو قينُقاع، وهم حلفاء الخزرج، وطائفتا النضير وقُريظة، وهم حلفاء الأوس. فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينُقاع مع الخزرج، وخرجت بنو النضير وقريظة مع الأوس. يظاهر كلّ فريق حلفاءه على إخوانه حتّى يتسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم[1].

هذا وقد استجاب جمهور الخزرج لدعوة الإسلام وتبعهم الأوس، فلم يبق لحلفهم مع اليهود معنىً..

فلعلّ هذا هو الذي دفعهم إلى ما رواه الطبرسي في «إعلام الورى» عن علي بن إبراهيم القمّي قال:

وجاءه اليهود: قُريظة والنضير وقينُقاع فقالوا: يا محمّد إلامَ تدعو؟ قال: شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله الذي تجدونني مكتوباً في التوراة، والذي أخبركم به علماؤكم: أنّ مَخرَجي بمكّة ومُهاجَري بهذه الحرّة (أي المدينة) وأخبركم عالم منكم جاءكم من الشام فقال: تركت الخمر والخمير وجئت إلى البؤس والتمور، لنبيّ يُبعث في هذه الحرّة (أي الحجارة) مخرجه بمكّة ومُهاجَره ها هنا، وهو آخر الأنبياء وأفضلهم، يركب الحمار، ويلبس الشَملة، ويجتزيء بالكِسرة (من الخُبز زهداً) وفي عينيه حُمرة، وبين كتفيه خاتم النبوّة، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى، وهو الضحوك القتّال، يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر.

---

(١) التبيان ١: ٣٣٦ ومجمع البيان ١: ٣ رأيه الإشارة في قوله سبحانه: ﴿ثمّ أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان﴾ البقرة: ٨٥.

فقالوا له: قد سمعنا ما تقول، وقد جئناكم لنطلب منكم هدنة على أن لا نكون لك ولا عليك، ولا نعين عليك أحداً، ولا تتعرّض لنا ولا لأحد من أصحابنا؛ حتى ننظر إلى ما يصير أمرك وأمر قومك.

فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك، وكتب بينهم كتاباً أن لا يعينوا على رسول الله ولا على أحد من أصحابه بلسان ولا يد ولا بسلاح ولا بكراع، في السرّ والعلانية، لا بليل ولا بنهار، والله بذلك عليهم شهيد، فإن فعلوا فرسول الله في حِلٍّ من سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونسائهم وأخذ أموالهم.

وكتب لكل قبيلة منهم (قريظة والنضير والقينقاع) كتاباً على حدة.

وكان الذي تولّى أمر بني النضير حُيَيّ بن أخطب، فلما رجع إلى منزله قال له إخوته، جُدَيّ بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب: ما عندك؟ قال: هو الذي نجده في التوراة، والذي بشّرنا به علماؤنا، ولا أزال له عدوّاً؛ لأن النبوة خرجت من ولد إسحاق وصارت في ولد إسماعيل، ولا نكون تبعاً لولد إسماعيل أبداً!

وكان الذي تولّى أمر قريظة كعب بن أسد.

والذي تولّى أمر بني قينقاع مُخيريق، وكان أكثرهم مالاً وحدائق، فقال لقومه: إن كنتم تعلمون أنه النبيّ المبعوث فهلمّوا نؤمن به ونكون قد أدركنا الكتابين! فلم تجبه قينقاع إلى ذلك[2].

ثمّ لم يروِ الطبرسي ولا غيره من الرواة نصّ المعاهدة، نعم روى الكليني في

(١) مرّ مثله في أخبار أوائل الهجرة في قباء عن ابن إسحاق عن صفية بنت حُيَيّ بن أخطب، ولعله تكرّر منه ذلك، وإلّا فإن المستبعد كتابة العهد في قباء.

(٢) إعلام الورى ١: ١٥٧، ١٥٨ عن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، ولم نجده في تفسيره، وقد مرّ مثله عن ابن إسحاق عن صفية بنت حُيَيّ بن أخطب بعد خبر إسلام عبد الله بن سلام أول الهجرة.

«الكافي» والطوسي في «التهذيب» بإسنادهما عن طلحة بن زيد عن الصادق عن أبيه الباقر عليه السلام قال: قرأتُ في كتاب لعلي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم منهم من أهل يثرب[1] ثم لم يرد على ثلاثة أسطر من العهد الآتي قبلاً. واكمل نصّ ابن إسحاق قال: كتب رسول الله كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرّهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبيّ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم: أنهم أمة واحدة من دون الناس. المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم[2] بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو جُشم على رَبعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو النجار على رَبعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي

---

(١) أصول الكافي ٢: ٦٦٦ وفروع الكافي ١: ٣٣٦ والتهذيب ٢: ٤٧.
(٢) العاني: الأسير.

عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين

وبنو عمرو بن عوف على رَبعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو النبيت على رَبعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الأوس على رَبعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين

وإنّ المؤمنين لا يتركون مُفرَحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداءٍ أو عقل[1].

وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه

وإنّ المؤمنين المتّقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم[2].

ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر. ولا ينصر كافراً على مؤمن.

وإنّ ذمّة الله واحدة يجير عليهم أدناهم.

وإنّ المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

وإنّه من تبعنا من يهود فإنّ له النصرَ والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.

وإنّ سلم المؤمنين واحدة، لا يُسالَمُ مؤمنٌ دون مؤمنٍ في قتال في سبيل الله

---

(١) المُفرَح، والمفدَح: المثقل بالدَّين، والكثير العيال

(٢) دسيعة ظلم: ظلماً عظيماً، أو ما ينال من الظلم

الّا على سواء وعدل بينهم[1]

«وإنّ كل غازية غزت معنا يعقب بعضُها بعضاً، بالمعروف والقسط بين المسلمين

وإنّه لا تجار حرمةٌ إلّا باذن أهلها

وإنّ الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وحرمة الجار على الجار كحرمة أُمّه وأبيه»[2]

وإنّ المؤمنين يُبيء بعضُهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله[3]

وإنّ المؤمنين المتّقين على أحسن هدىً وأقومه

وإنّه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن

وإنّه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بيّنة فانه قَوَدٌ به، إلّا أن يرضى وليّ المقتول،

وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلّا قيام عليه.

وإنّه لا يحل لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحْدِثاً أو أن يؤويه. وإن من نصره أو آواه فعليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صَرْفٌ ولا عدلٌ

وإنّكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإنّ مردّه إلى الله عزّ وجل وإلى محمد

وإنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

وإنّ يهود بني عوف أُمّة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم:

---

(١) سيرة ابن هشام ٢: ١٤٧، ١٤٨.

(٢) هذا المقطع هو ما روي في الكافي والتهذيب، وقد ذكرها ابن اسحاق متفرقة

(٣) يبيء ويبوء بمعنى واحد: يرجع، والمعنى أنهم يتساوون ويتبادلون في الثأر في سبيل الله.

(٤) العبط: الباطل، اعتبطه: قتله باطلاً أي بلا حق.

مواليهم وأنفسهم إلّا من ظلم وأثم، فإنه لا يُوتِغ(1) إلّا نفسه وأهل بيته

وإنّ ليهود بني النجّار مثل ما ليهود بني عَوْف.

وإنّ ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف

وإنّ ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.

وإنّ ليهود بني جُشَم مثل ما ليهود بني عوف

وإنّ ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.

وإنّ ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلّا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلّا نفسه وأهل بيته. وإنّ جفنة بطنٌ من ثعلبة كأنفسهم. وإنّ موالي ثعلبة كأنفسهم.

وإنّ لبني الشُّطَيبة مثل ما ليهود بني عوف

وإنّ بطانة يهود كأنفسهم.

وإنه لا يخرج منهم أحد إلّا بإذن محمد

وإنه لا ينحجز عن ثأرٍ جُرْحٌ(2)

وإنّه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته، إلّا من ظُلِم.

وإنّ على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم

وإنّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

وإنّ بينهم النُّصح والنصيحة والبرّ، دون الإثم

وإنّه لم يأثم امرؤ بحليفه

---

(1) يُوتِغ: يهلك

(2) أي لا ينحجز جُرحٌ عن ثأر: أي لا يهدر ثأرُ جُرحٍ أي لا يترك قصاص جراحة، أي يؤخذ بالقصاص ولو كان جُرحاً فضلاً عن القتل

وإنّ النصر للمظلوم.

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين

وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة

وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم

وإنّه لا تجار حُرمة إلّا بإذن أهلها.

وإنّه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فساده فإنّ مردّه الى الله عزّوجل والى محمد رسول الله وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه.

وإنّه لا تُجار قريش ولا من نَصرَها

وإنّ بينهم النصر على من دَهَم يثرب

وإذا دُعوا الى صلح يُصالحونه ويلبسونه، فإنهم يصالحونه ويلبسونه

وانهم (اليهود) اذا دُعوا الى مثل ذلك فإنّه لهم على المؤمنين الّا مَن حارب في الدين على كل أُناس حصّتهم من جانبهم الذي قِبَلهم

وإنّ يهود الأوس مواليهم وأنفسهم ـ على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البرّ المحض من أهل هذه الصحيفة

لا يكسب كاسب الّا على نفسه

وإنّ الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه

وإنّه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم

وإنّه من خرج (من المدينة) آمن ومن قعد آمن، الّا من ظلم أو أثم

وإنّ الله جار لمن برّ واتّقى، ومحمد رسول الله[1]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢: ١٤٧ ـ ١٥٠ ومصادر اُخرى ذكرها المحقق الأحمدي في كتابه القيم ←

نقل المحقق الأحمديّ هذه المعاهدة في كتابه القيّم «مكاتيب الرسول» ثم علّق عليها بقوله: إن النبيّ ﷺ كان سيد الحكماء قبل أن يكون سيد الأنبياء، فقد آتاه رشده من قبل أن يؤتيه الكتاب، ويكفي لذلك شاهداً هذه المعاهدة الخالدة الباقية ما بقي الدهر. قليل نظيرها عزيز مثلها، فعلى القرّاء الكرام التدبّر في شروطها ونتائجها، فارجعوا النظر وفكروا في تفاصيلها[1].

ونحن نفهم من مفهومها ومنطوقها: أن العرب يومئذٍ ومنهم الخزرج والأوس واليهود منهم بالمدينة كانوا إذا حاربوا فأسر بعضهم بعضاً، كانت تجتمع كل طائفة فتفتدي الأسير منها، وإذا تقاتلوا فقتل بعضهم بعضاً كانت تجتمع كل عائلة فتؤدي العقل أي دية القتيل إلى أهله.

ونفهم أن الأنصار من الأوس كانوا أقل من الخزرج، وأن الأنصار من الخزرج كانوا على طوائف: بني عوف، وبني ساعدة، وبني الحارث، وبني جُشَم، وبني النجّار ـ ومنهم آمنة بنت وهب أم الرسول فهم أخواله ـ وبني عمرو بن عوف، وبني النبيت، وبني الأوس.

ونفهم أن الأوس كان منهم يهود، وأن الخزرج كذلك كان منهم يهود من طوائف: بني النجّار، وبني عوف، وبني الحارث، وبني ساعدة، وبني جُشَم وبني ثعلبة ومنهم بنو جَفْنة، وبني الشُّطَيبة.

ونفهم أن هذه المعاهدة تركت المهاجرين من قريش على ربعتهم أي

مكاتيب الرسول ١: ٢٤١ ومصادر أخرى ذكرها البروفسور محمد حميد الله مستوفى في كتابه القيم - مجموعة الوثائق السياسية، ونقلها الأحمدي ١: ٢٤٢.

(١) مكاتيب الرسول ١: ٢٦١ و ٢٦٣.

حالهم التي جاءهم الاسلام وهم عليها من فداء الأسرى وعقل القتلى أي دياتهم، وكذلك ترك الأنصار من الاوس والخزرج واليهود منهم على ربعتهم أيضاً، لم تغيّر من ذلك شيئاً

ومنها أن القود أي القصاص كان مقرّراً وقرّرته هذه المعاهدة، إلّا أن يرضى وليّ المقتول، إلّا أنّها استثنت قتل المؤمن قصاصاً بكافر. وكذلك قرّرت المعاهدة قصاص الجراحة أيضاً.

ومنها أن البيّنة بمعنى الشهادة البيّنة كانت مفهومة وأقرّتها المعاهدة في الفتن، وطبيعيّ بعد هذه المعاهدة أن البيّنة تقام عند النبيّ أو من أقرّه لذلك حاكماً أو قاضياً، أو من تراضى به الخصمان فترافعا إليه، مع سكوت المعاهدة عن ذلك

ومنها أن الغزو والقتال في سبيل الله كانا قائمين، وقرّرت المعاهدة أنه إذا غزت جماعة غزوة فعليهم أن يعقب بعضهم بعضاً في الغزو على العدل والتساوي، فلا يسلم جمع من المؤمنين عن القتال في سبيل الله دون جمع آخرين[1]

وأنه يجوز أن يجير مؤمن ـ وهو من أدنى المؤمنين ـ كافراً، ولكن ليس له أن ينصر كافراً ـ ولو والده ـ على مؤمن، ولا أن ينصر محدثاً ولا أن يؤويه

أما الكفار المشركون في المدينة ومن حولها من الأعراب فلا يجوز لأحدهم أن يجير نفساً من مشركي قريش ولا مالاً له، فيحول دونه أو دون

---

(1) هذا هو الظاهر من هذه المعاهدة، وإلّا فمن المستبعد جداً أن تتحدث هذه المعاهدة عن ذلك من دون أن يكون قد بُدئ به. والغريب أن ابن اسحاق ـ وتبعه ابن هشام ـ ذكر هذه المعاهدة قبل ذكر السرايا والغزوات، بل يبدو لي أن هذه المعاهدة كانت بعد عقد الأخوة بين المهاجرين أولاً وبين المهاجرين والانصار ثانياً، وهذه في المرتبة الثالثة، ولذلك جعلتها هنا بعد الأخوة وبدء السرايا

منه على مؤمن[١].

وشرطت المعاهدة على اليهود:

١ـ أن إذا حارب أحدٌ أهلَ هذه الصحيفة أو دهَم يثرب فعلى اليهود النصح والنصرُ بنفقتهم. على كلِّ أناس حصتهم التي من جانبهم

٢ـ وأنّه إذا دُعي المسلمون إلى صلح فدعى المسلمون اليهود إليه كان عليهم أن يستجيبوا لذلك.

٣ـ وأن لا يجيروا قريشاً ولا من نصرها

٤ـ وأن لا يجيروا حُرمةً من غير قريش والمحاربين إلّا بإذن أهلها.

٥ـ وأنهم إذا اختلفوا في شيء فردّه إلى محمد رسول الله.

وشرطت المعاهدة لهم

١ـ أنّ من تبعنا من اليهود فإن له أسوة بغيره من المسلمين وله النصر على المسلمين بنفقتهم ولا تتناصر عليه

٢ـ وأنّ لهم أن يجيروا غير قريش والمحاربين بشرط أن يكون الجوار بإذن أهل الداخل في الجوار.

٣ـ وأنّ لهم أن ينصحوا غير قريش والمحاربين ولهم ذلك على المؤمنين

وتوكيداً للأمن بين المسلمين واليهود حرّم الرسول في المعاهدة جوف يثرب على أهل الصحيفة لصالحهم

وبذلك أمن المسلمون ـ حسب المعاهدة ـ على أموالهم ودمائهم ودورهم وزروعهم، من أن يتّحد اليهود مع المشركين عليهم وبه وجدوا مجالاً لقتال

(١) وهذا يعني أنهم كفّار حربيون لا أمان لهم من مثلهم، إلّا من مؤمن وهذا يقتضي الإذن في القتال أيضاً

المشركين ونشر الدين

وتحريم النبيّ لمدينة «يثرب» بما ضمن هذه المعاهدة أو مستقلاً كان مكتوباً في أديم خولاني عند رافع بن خديج جابه به مروان بن الحكم لمّا ذكر حرمة مكة[1] ولا يذكر ابن اسحاق سنده الى المعاهدة، فلعلّه كتبها من رافع بن خديج هذا.

ونلاحظ أن اسم المدينة «يثرب» في هذه المعاهدة على ما كان عليه لم يُغيّر، وهذا يتّفق مع ما سبق عن أبي قتادة الأنصاري وسهل بن سعد الساعدي: أنّ الرسول ﷺ لما قدم من غزوة تبوك قال: هذه طيبة أسكننيها ربّي[2]. هذا وأما بين الاسمين:

يثرب أو المدينة؟

فقد روى ابن اسحاق بسنده عن عروة بن الزبير عن عائشة ـ وهذا يعني أن ذلك كان بعد قدومها المدينة وزواجها بالرسول ـ قالت: قدم رسول الله المدينة وهي أوبأ أرض الله من الحُمّى، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم، منهم أبي ابو بكر ومولياه: عامر بن فُهيرة وبلال، وكان ذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، فدخلت عليهم أعودهم، فدنوتُ من أبي فقلت: كيف تجدك يا أبت؟ قال:

كلّ امرىءٍ مصبَّحٌ في أهلـه والموت أدنى من شِراك نعله

فقلت في نفسي: والله ما يدري أبي ما يقول من شدة الوعك وألم المرض.

ثم دنوت من عامر بن فهيرة فقلت له: كيف تجدك يا عامر؟ قال:

---

(١) كما في مسند أحمد ٤: ١٤١.

(٢) تاريخ المدينة لابن شبّة ١: ١٦٣، ١٦٤.

لقد وجدت الموت قبل ذَوقه إنّ الجبان حتفُه من فوقه

نقمت في نفسي. والله ما يدري عامر ما يقول. وسمعتُ بلالاً يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتَنّ ليلةً بفخٍّ وحولي إذْخِر وجليل ؟.

فرجعت وقلت لرسول الله: انهم ليهذون وما يعقلون من شدّة الحُمّى، وذكرت له ما سمعته منهم، فقال: «اللهم حبّب الينا المدينة كما حبّبت الينا مكة أو أشد، وبارك لنا في مُدّها وصاعها، وانقل وباءها الى مَهْيَعة»[1] فصرف الله تعالى ذلك عنهم. وكأنّه استبدل بهذه المناسبة اسمها من يثرب ـ بمعنى المنقطع أو السوء ـ الى المدينة، تفوّلاً باستبعاد الوباء والحُمّى عنها كما أبعد عنها اسمها المتصل بذلك المعنى المكروه.

رأس المنافقين:

ولعلّ ممن أصابته هذه الحمّى من أصحاب رسول الله من غير المهاجرين سعد بن عبادة. وقد مرّ خبر عروة عن عائشة أنها عادت أباها ومولييه ولم يرو عنها عيادة النبيّ لهم. ولكنه روى عن أسامة بن زيد عيادة الرسول لسعد بن عبادة قال: ركب رسول الله الى سعد بن عبادة يعوده من شكوى أصابته، على حمار مخطوم بخطام من ليف فوقه قطيفة فدكيّة، فركبه وأردفني خلفه. فمرّ في طريقه الى سعد على عبدالله بن أُبيّ ابن سلول وهو في ظلّ وحوله رجال من قومه منهم عبد الله بن رواحة في رجال من المسلمين، فلما رآه رسول الله كره أن يتجاوزه ولا ينزل اليه. فنزل وسلّم وجلس قليلاً ثم تلا القرآن ودعا الى الله عزّوجلّ وذكر الله وحذّر وبشر وأنذر، وابن أُبيّ ساكت لا يتكلم، حتى اذا فرغ

(1) سيرة ابن هشام ٢: ٢٣٨، ٢٣٩. والمهيعة: طريق الجحفة، والمهيعة: طريق واسع.

رسول الله من مقالته، قال: يا هذا إنه لا أحسن من حديثك هذا ان كان حقاً! فاجلس في بيتك فمن جاءك له فحدّثه اياه، ومن لم يأتك فلا تغشه به، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه!

فقال عبد الله بن رواحة: بلى فاغشنا به وائتنا في مجالسنا ودورنا وبيوتنا فهو والله مما نحب ومما اكرمنا الله به وهدانا له. فقال عبد الله بن اُبي:

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل   تذلُّ ويصرعك الذين تُصارع

فقام رسول الله حتى دخل على سعد بن عبادة وفي وجهه الغضب

فقال سعد: والله ـ يا رسول الله ـ إني لأرى في وجهك شيئاً، لكأنك سمعت شيئاً تكرهه؟!

قال: أجل. ثم أخبره بما قال ابن اُبي.

فقال سعد: يا رسول الله أرفق به، فو الله لقد جاءنا الله بك، وإنّا لننظم له الخرز لنتوّجه، فوالله إنه ليرى أن قد سلبته ملكه[1]!

وروى ابن اسحاق عن عاصم بن عُمر بن قتادة: أن رسول الله لما قدم المدينة كان عبد الله بن اُبيّ بن سلول العوفي لا يختلف عليه في شرفه من قومه اثنان، وقد كان معه من الأوس رجل مثله شريفاً مطاعاً في قومه هو أبو حنظلة عبد عمرو بن صيفيّ، واذ كان هذا مع ابن اُبيّ لذلك اجتمعت عليه الأوس والخزرج لم تجتمع على رجل من أحد الفريقين غيره قبله ولا بعده، فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوّجوه ثم يملّكوه عليهم.

وبينما هم على ذلك إذ جاءهم الله تعالى برسوله فانصرف قومه عنه الى الاسلام، فكان يرى أن رسول الله قد استلبه ملكاً فضغن عليه، ولكنّه لما رأى

---

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٢٢٦ ـ ٢٢٧ بتصرف

ن قومه دخلوا في الاسلام مصرّين عليه دخل هو فيه كارهاً مصرّاً على الضغن والنفاق

وأما أبو حنظلة ـ غسيل الملائكة ـ المعروف بأبي عامر فانه لما رأى أن قومه الأوس اجتمعوا على الاسلام، أتى رسول الله ـ كما حدّث جعفر بن عبد الله ـ فقال له :

ما هذا الدين الذي جئت به ؟

قال : جئت بالحنيفية دين ابراهيم

وكان ابو حنظلة قد ترهّب في الجاهلية ولبس المسوح حتى كان يقال له الراهب فقال : فأنا عليها ،

فقال رسول الله : انك لست عليها

فقال : بلى ، وانك يا محمد قد أدخلت في الحنيفية ما ليس منها !

قال رسول الله : ما فعلت ، ولكني جئت بها بيضاء نقية

قال : الكاذب منّا أماته الله طريداً غريباً وحيداً ، يعرّض برسول الله

قال رسول الله : أجل من كذب فعل الله به ذلك

فقام وانصرف .

ثم خرج من المدينة مع بضعة عشر رجلاً من قومه من المدينة الى مكة [١]

وقد عدّ ابن اسحاق عدداً من منافقي الأوس والخزرج :

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ويوم الخندق لما افتتح رسول الله مكة خرج الى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام ولم يلحقه من جاء معه من قومه ولكن لحقه رجلان من الطائف كنانة بن عبد ياليل الثقفي وعلقمة بن علاثة بن كلاب، فمات ابو حنظلة بالشام طريداً غريباً وحيداً عن قومه كما دعا رسول الله ﷺ

منافقو الأوس والخزرج

من الأوس: زُوَيّ بن الحارث، وجُلاس بن سويد بن الصامت، وأخوه الحارث بن سويد، وبجاد بن عثمان، ونبتل بن الحارث وعبد الله بن نبتل، وأبو حبيبة بن الأزعر، وثعلبة بن حاطب، ومعتّب بن قُشير، وعبّاد بن حُنيف ـ أخو سهل بن حُنيف ـ وعمرو بن خِذام، وبحزج، وجارية بن عامر، وابناه زيد ومجمّع، ووديعة بن ثابت، وخذام بن خالد، وبشر ورافع ابنا زيد، ومربع بن قيظي، وأخوه أوس بن قيظي، وحاطب بن أُمية، وبُشير بن أُبيرق، وحليفه قزمان، ويتّهم معهم الضحاك بن ثابت. خمسة وعشرون رجلاً.

ومن الخزرج: رافع بن وَديعة، وزيد بن عمرو، وعمرو بن قيس وكان صاحب آلهة في الجاهلية، وقيس بن عمرو بن سهل، والجدّ بن قيس، ووديعة، ومالك بن أبي قَوقل، وسُويد، وداعس، وهم رَهطُ عبد الله بن أُبيّ بن سلول[1] وهؤلاء عشرة، فهم أقل من الأوس وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم فاجتمع يوماً ناس منهم في المسجد، فرآهم رسول الله قد لصق بعضُهم ببعض يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم. فأمر رسول الله من حضره من أصحابه بإخراجهم من المسجد إخراجاً عنيفاً.

وكانوا ستة: أربعة من بني النجار من الخزرج (رهط النبيّ) هم: عمرو بن قيس، ورافع بن وديعة، وزيد بن عمرو، وقيس بن عمرو بن سهل، وواحد من

(1) سيرة ابن هشام ٢: ١٦٦ ـ ١٧٣، وذكر لكثير منهم أحداثهم ولكنّها تتعلق بعد هذا الموضع من التاريخ فأجّلناها الى مواضعها في السيرة.

الأوس هو زُوَيّ بن الحارث . وآخر لم يذكر ممن أنهم : الحارث بن عمرو (ويرجح أنه من الخزرج)

فأما زُوَيّ بن الحارث، فقد قام اليه رجل من خواته الأوس فأقف له وقال له : غلب عليك الشيطانُ وأمره، وأخرجه من المسجد اخراجاً عنيفاً .

وأما الحارث بن عمرو فقد قام اليه عبد الله بن الحارث الخزرجي الخُدْري من رهط أبي سعيد الخُدْري ، فأخذ بجمة الرجل فسحبه بها سحباً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد، وقال له : لا تقربنّ مسجد رسول الله فانك نجس

وقام الى الأربعة من بني النجّار ثلاثة منهم هم . مسعود بن أوس ، وعُمارة ابن حزم، وخالد بن يزيد أبو أيوب الأنصاري

فقام أبو أيوب الى عمرو بن قيس ـ وهو صاحب آلهتهم في الجاهليه ـ فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه وهو يقول : أخرجني ـ يا أبا أيوب ـ من مربد بني ثعلبة !

ثم قصد ابو أيوب الى رافع بن وديعة فلطم وجهه ثم لببه بردائه اجتذبه جذباً شديداً حتى أخرجه من المسجد وهو يقول له : أفّ لك منافقاً خبيثاً . أدراجك يا منافق من مسجد رسول الله .

وقام عمارة بن حزم الى زيد بن عمرو، وكانت له لحية طويلة ، فأخذ عمارة بلحية زيد فقاده بها قوداً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع يديه فدفعه في صدره دفعةً خرّ منها الى الأرض ، وهو يقول له : أبعدك الله يا منافق ! فما أعدّ الله لك من العذاب أشدّ من ذلك ، فلا تقربنّ مسجد رسول الله

وقام أبو محمد مسعود بن أوس الى قيس بن عمرو بن سهل ، وكان غلاماً

شاباً، فجعل أبو محمد يدفع في قفاه حتى أخرجه من المسجد[1].

المنافقون من اليهود

قال ابن إسحاق: وممن أظهر الإسلام وهو منافق من أحبار اليهود من بني قينقاع: سعد بن حُنيف، وزيد بن اللُّصيت، ونُعمان بن أوفى، وأخوه عثمان بن أوفى، ورافع بن حُرَيملة، ورفاعة بن زيد، وسلسلة بن برهام، وكنانة بن صوريا[2].

نزول سورة البقرة

قال ابن إسحاق: ففي أن صدر سورة البقرة إلى المئة منها[3]، نزل في هؤلاء المنافقين من أحبار اليهود والأوس والخزرج

﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ يعني

(١) سيرة ابن هشام ٢: ١٧٥، ١٧٦ ويلاحظ أن الرسول لم يأمر بإخراجهم من قبل أمة من بني النجار واستعان عليهم من قومهم، وهي حكمة منسجمة مع العرف السائد يومئذ، بل إلى يومنا هذا.

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ١٧٤، ١٧٥.

(٣) هي قوله سبحانه: ﴿أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ وبعدها قوله: ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون﴾ مما ظاهره وحدة السياق، وقد نقل ابن إسحاق ما يقتضي ذلك كذلك أيضاً، ثم استمر في سياق الآيات بشأن اليهود إلى الآية المئة والعشرين كما سيأتي ذلك. وروى في «فتح الباري» ٨: ١٣ عن عائشة قالت: نزلت سورة البقرة وأنا عنده.

المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون * في قلوبهم مرض ﴾ أي شك ﴿ فزادهم الله مرضاً ﴾ شكاً ﴿ ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون * وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ أي إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب !

﴿ ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون * وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون * وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴾ الذين يأمرونهم بالتكذيب بالحق وخلاف ما جاء به الرسول ﴿ قالوا إنا معكم ﴾ على مثل ما أنتم عليه ﴿ إنما نحن مستهزئون ﴾ نستهزئ بالقوم ونلعب بهم ﴿ الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون * أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ أي الكفر بالإيمان ﴿ فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ﴾

ثم ضرب لهم مثلاً فقال تعالى ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ أي لم يخرجوا من ظلمة الكفر بنور الحق أطفؤوه بنفاقهم فيه. فتركهم الله في ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى ولا يستقيمون عليه ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ عن الخير فهم لا يصيبون نجاة ولا يرجعون إلى خير ما داموا على ما هم عليه ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ﴾ أي إنهم للنظر إلى ظلمة ما هم فيه من الكفر، والحذر من القتل لما هم عليه. كالذي هو في ظلمة المطر الصيب يجعل أصابعه في أذنيه من الصوت حذر الموت والله محيط بالكافرين ﴿ يكاد البرق يخطف أبصارهم ﴾

لشدة ضوء الحق ﴿ كلّما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ﴾ اي كلّما عرفوا الحق تكلّموا به واذا ارتكسوا في الكفر قاموا متحيّرين ﴿ ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ﴾ لما تركوا من الحق بعد معرفته ﴿ إنّ الله على كل شيء قدير ﴾.

ثم قال للفريقين من الكفار والمنافقين جميعاً: ﴿ يا أيّها الناس اعبدوا ﴾ أي وحّدوا ﴿ ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تضر ولا تنفع وأنتم تعلمون أنه لا ربّ لكم يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذي يدعوكم اليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه.

﴿ وان كنتم في ريبٍ مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتّقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أُعدت للكافرين ﴾ أي لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر. ثم رغّبهم وحذّرهم نقض الميثاق الذي أخذ عليهم (اليهود) لنبيّه، وذكر لهم بدء خلقهم حين خلقهم وشأن أبيهم آدم عليه السلام وكيف صُنع به حين خالف عن طاعته[1].

ويُفهم من سياق الآيات أنّ هناك أسباباً لنزولها.

فمنها: ما يفهم من سياق الآية ٢٦: ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً مّا بعوضة فما فوقها فأمّا الذين آمنوا فيعلمون أنّه الحقّ من ربّهم وأمّا الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضلّ به كثيراً ويهدي به كثيراً ﴾ أي

---

(١) سيرة ابن هشام ٢: ١٧٧ ـ ١٨١.

الذين كفروا وجهروا بالكفر أو نافقوا كانوا قد سمعوا الآية ٤١ من سورة العنكبوت المكيّة: ﴿ مثل الذين اتّخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتّخذت بيتاً وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ فقالوا: ماذا أراد الله من ذكر هذا؟[1] أو إن الله أجلّ من أن يضرب مثلاً[2] فردّ الله عليهم بهذه الآية من سورة البقرة.

ومنها: أنّ اليهود كانوا يزعمون جهلاً أنّهم إذا أقرّوا برسول الله لزمهم الاقرار، والّا فانّ لهم الانكار، ولذلك كانوا يتواصون بالانكار وأن لا يتحدثوا الى المسلمين بما فتح الله للمسلمين على اليهود برسول الله بعد أن كانوا هم (اليهود) يستفتحون به على غيرهم من العرب في يثرب. وكأنّهم اذا تحدّثوا الى المسلمين بذلك قامت الحجة عليهم بذلك، وان لم يحدثوا اليهم بذلك لم يكن علمهم بذلك حجة عليهم. فردّ الله عليهم بقوله سبحانه: ﴿ واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجّوكم به عند ربّكم أفلا تعقلون * أوَلا يعلمون انّ الله يعلم ما يُسرّون وما يُعلنون ﴾[3].

روى الطوسي في «التبيان» عن الباقر عليه السلام قال: كان قوم من اليهود ليسوا بالمعاندين المواطئين اذا لقوا المسلمين حدّثوهم بما في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وآله فنهاهم كبراؤهم عن ذلك وقالوا: لا تخبروهم بما فتح الله عليكم، في

---

(١) التبيان ١: ١١١ عن قتادة، ورأى أنّ إضافة الذباب إلى العنكبوت من خطأ الرواة إذ أنّ الذباب في سورة الحج المدنية المتأخرة عن البقرة بكثير.

(٢) التبيان ١: ١١١ عن ابن عباس وابن مسعود.

(٣) البقرة: ٧٦ و ٧٧ والخبر في سيرة ابن هشام ٢: ١٨٥ بالمعنى.

التوراة من صفة محمد ﷺ ليحاجوكم به عند ربكم. فنزلت الآية

وروى العيّاشي في تفسيره عن الصادق عليه السلام قال: كانت اليهود تجد في كتبها: أن مهاجر محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما بين عير وأحد (جبل بالمدينة) فخرجوا يطلبون الموضع، فمرّوا بجبل يُسمّى حداد، (وحوله فدك وخيبر وتيماء) فقالوا: حداد وأحد سواء، فتفرّقوا عنده فنزل بعضهم بفدك، وبعضهم بخيبر، وبعضهم بتيماء (على عشر مراحل من المدينة).

ثم مرّ أعرابي من قيس بالذين كانوا في تيماء فقال لهم: أمرّ بكم ما بين أحد وعير، فاستأجروا منه إبله، فلما توسّط بهم أرض المدينة قال لهم: ذاك عير وهذا أُحد، فنزلوا عن ظهر إبله وقالوا له: قد أصبنا بُغيتنا فلا حاجة لنا في إبلك، فاذهب حيث شئت.

ثم كتبوا إلى إخوانهم الذين بفدك وخيبر: إنّا قد أصبنا الموضع فهلمّوا إلينا. فكتبوا (جواباً) إليهم: إنا قد استقرت بنا الدار واتخذنا الأموال، وما أقربنا منكم، فإذا كان ذلك فما أسرعنا إليكم.

ولما كثرت أموال هؤلاء بأرض المدينة وبلغ ذلك تُبّع الحميري غزاهم، فتحصّنوا منه، فحاصرهم، فكانوا يرقّون لضعفاء أصحاب تُبّع فيلقون إليهم بالليل التمر والشعير، فبلغ ذلك تبّع، فرقّ لهم وآمنهم، فنزلوا إليه.

فخلف فيهم الحيّين: الأوس والخزرج، فلما كثروا كانوا يتناولون أموال اليهود فكانت اليهود تقول لهم: أما لو بُعث محمد لنخرجنّكم من ديارنا وأموالنا[2].

(١) التبيان ١: ٣١٦ ونقله في مجمع البيان ١: ٢٨٦.

(٢) تفسير العيّاشي ١: ٤٩، ٥٠.

وروى القمي في تفسيره بسنده عن الصادق عليه السلام أيضاً قال: كانت اليهود تقول للعرب قبل مجيء النبيّ: أيها العرب، هذا أوان نبيّ يخرج بمكة وتكون هجرته الى هذه المدينة (يثرب) وهو آخر الأنبياء وأفضلهم، في عينيه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوة، يلبس الشملة ويجتزئ بالكسرة والتميرة، ويركب الحمار العري، وهو الضحوك القتّال، يضع سيفه على عاتقه ولا يبالي بمن لاقى، يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر، ولنقتلنّكم الله به يا معشر العرب قتل عاد!

فلما بعث الله نبيّه بهذه الصفة حسدوه وكفروا به كما قال الله[1].

ومنها: أن اليهود -كما مرّ- كانوا فريقين: طائفة منهم بنو قينقاع، وهم حلفاء الخزرج، وطائفتا النضير وقريظة وهم حلفاء الأوس، وكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت بنو النضير وقريظة مع الأوس، يظاهر كل فريق حلفاءه على إخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقاً لما في التوراة وأحكامه، فتفدي بنو قينقاع من كان من أسراهم في أيدي الأوس، وتفتدي بنو النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج، ويطلّون ما أصابوا من الدماء ومن قتلوا منهم فيما بينهم، مظاهرة لأهل الشرك عليهم، فأنّبهم الله بذلك فقال: **﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون * ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أُسارى تفادوهم وهو محرّم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلّا خزيٌ في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب**

---

(١) تفسير القمي ١: ٣٣

وما الله بغافل عمّا تعملون * اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفّف عنهم العذاب ولا هم يُنصرون ﴾[1].

ثم كرّ القرآن الكريم على استفتاح اليهود على الكفار بالنبيّ المختار فقال: ﴿ ولما جاءهم كتابٌ من عند الله مصدّق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * ... فباءوا بغضبٍ على غضبٍ وللكافرين عذابٌ مُهين ﴾[2].

وروى الطوسي في «التبيان» عن ابن عباس قال: كان معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور قد قالا لليهود: اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك ـ وتخبرونا بأنه مبعوث. فقال لهما سلام بن مشكم من بني النضير: ما جاء بشيء نعرفه وما هو بالذي كنّا نذكر لكم، فأنزل الله ذلك[3].

ومنها: ما في قوله سبحانه: ﴿ قل من كان عدوّاً لجبريل فانه نزّله على قلبك ﴾ فانّ السياق ـ قال العلامة الطباطبائي ـ يدل على أن الآية نزلت جواباً عما قالته اليهود، وانّهم تأبّوا واستنكفوا عن الايمان بما اُنزل على رسول الله ﷺ، وعلّلوه بأنّهم عدوّ لجبريل النازل بالوحي اليه[4].

---

(1) البقرة: ٨٤ ـ ٨٦ والخبر في التبيان ١: ٣٢٦ ومجمع البيان ١: ٣٠٣ عن عكرمة عن ابن عباس. وفي سيرة ابن هشام ٢: ١٨٨.

(2) البقرة: ٨٩ و ٩٠.

(3) التبيان ١: ٣٤٥ ومجمع البيان ١: ٣١٠ وفي سيرة ابن هشام ٢: ١٩٦.

(4) الميزان ١: ٢٢٩. وروى الطوسي في «التبيان» وعنه الطبرسي في «مجمع البيان» عن ابن عباس وفي «الاحتجاج» عن العسكري عليه السلام: ان سبب نزول الآية هو ان ابن صوريا

←

وجماعة من أهل فدك لما قدم النبيّ المدينة قدموا إليه فسألوه فقالوا: كيف نومك؟ فقد أُخبرنا عن نوم النبيّ الذي يأتي في آخر الزمان.

فقال: تنام عيناي وقلبي يقظان.

فقالوا: صدقت يا محمد، فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل أو من المرأة؟

فقال: أمّا العظام والعصب والعروق فمن الرجل، وأما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة.

قالوا: صدقت يا محمد، فما بال الولد يُشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شيء، أو يُشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شيء؟

فقال: أيّهما علا ماؤه كان الشبه له.

قالوا: صدقت يا محمد، فأخبرنا عن ربك ما هو؟

فأنزل الله تعالى: ﴿قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد﴾

فقال ابن صوريا: خصلة واحدة إن قلتها آمنت بك واتّبعتك: أيّ ملك يأتيك بما ينزل الله عليك؟

قال: جبرئيل.

قالوا: ذلك عدوّنا ينزل بالقتال والشدة والحرب، وميكائيل ينزل باليسر والرخاء، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك آمنّا بك. فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية.

كما في التبيان ١: ٣٦٣ وعنه في مجمع البيان ١: ٣٢٥ عن ابن عباس وفي الاحتجاج ١: ٤٦ ـ ٤٨ عن العسكري عليه السلام وفيه: فأنزل الله: ﴿قل هو الله أحد﴾ بينما هي مكية من الأوائل. وفي آخر الخبر: فأنزل الله هذه الآية. بينما مرّ عن ابن إسحاق قوله بمعنى أنّ صدر السورة إلى المئة منها نزل في المنافقين، وهذه الآية من قبل المئة. فالمعنى أن هذه

واختصر الخبر القمي في تفسيره قال: نزلت في اليهود الذين قالوا لرسول الله: إنّ لنا في الملائكة أصدقاء وأعداء.

فقال رسول الله: مَن صديقكم ومن عدوّكم؟

فقالوا: جبرئيل عدوّنا، لأنه يأتي بالعذاب، ولو كان الذي نزل عليك القرآن ميكائيل لآمنّا بك، فإنّ ميكائيل صديقنا، وجبرئيل ملك الفظاظة والعذاب، وميكائيل ملك الرحمة. فأنزل الله الآية[1].

وفي الآية التاسعة والتسعين: ﴿ **ولقد أنزلنا إليك آيات بيّنات وما يكفر بها إلّا الفاسقون** ﴾ روى الطوسي في «التبيان» عن ابن عباس قال: إنّ ابن صوريا القطراني[2] قال لرسول الله: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أُنزل عليك من آية بيّنة فنتّبعك لها. فأنزل الله في ذلك الآية[3].

وفي الآية المئة: ﴿ **أوكلّما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون** ﴾ قال ابن إسحاق: لما بُعث رسول الله وهاجر وذكر لليهود ما أُخذ عليهم من الميثاق وما عهد الله إليهم فيه، قال مالك بن الصيف: والله ما عُهد إلينا في محمد عهد، وما أُخذ له علينا من ميثاق! فأنزل الله فيه الآية[4].

الآيات كلها نزلت بعد هذه الحوادث تشير إليها، لا أنها نزلت واحدة فواحدة.

ونحو قريباً من شأن النزول هذا في ابن إسحاق ٢: ١٩١. ولكن سيأتي في سياق حوادث السنة الرابعة خبر آخر عن الباقر عليه‌السلام بشأن لقاء ابن صوريا ورسول الله قريب من هذا.

(١) تفسير القمي ١: ٥٤.

(٢) وفي سيرة ابن هشام ٢: ١٩٦: ابن صوريا الفطيوني، وأسقط الطبرسي اللقب.

(٣) التبيان ١: ٣٦٥ ومجمع البيان ١: ٣٢٧ بحذف اللقب.

(٤) سيرة ابن هشام ٢: ١٩٦.

ومنها: ما نسوح من قوله سبحانه ﴿ واتّبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكنّ الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر ﴾[1]

ولم نُعهد عن اليهود أنهم كانوا يكفّرون سليمان، والكفر في الآية حسب سياقها كفر السحر، كما في الحديث: «الساحر كالكافر» واليهود كانوا ينسبون السحر الى سليمان.

والسبب في ذلك ما رواه القمي في تفسيره بسنده عن الباقر عليه السلام قال: لما هلك سليمان بن داود وضع ابليس السحر وكتبه في كتاب ثم طواه وكتب على ظهره: «هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم» (وفيه) من أراد كذا وكذا فليفعل كذا وكذا. ثم دفنه تحت السرير، ثم استثاره لهم فقرأوه فقال الكافرون: ما كان سليمان يغلبنا الّا بهذا. وقال المؤمنون: بل هو عبد الله ونبيّه[2].

فكان اليهود لا يرون السحر كفراً بل حلالاً كان يعمل به سليمان بن داود، وان كانوا يرونه لذلك ملكاً ـ كما مرّ في الخبر ـ لا نبياً رسولاً، بل ينكرون ذلك على من يقول به.

هذا «وقد استعظم الله قدر سليمان في مواضع من كلامه في عدة من السور المكية النازلة قبل هذه السورة كسورة الأنعام، والأسراء، والنمل وص، وفيها انه كان عبداً صالحاً بل نبياً مرسلاً آتاه الله العلم والحكمة ووهب له من الملك ما لا ينبغي لأحد من بعده، فلم يكن ساحراً»[3] ولم يكن قد غرّهم بذلك السحر

(١) البقرة: ١٠٢

(٢) تفسير القمي ١: ٥٥ ورواه العياشي أيضاً ١: ٥٢

(٣) الميزان ١: ٢٣٥

ولذلك قال بعض أحبار اليهود ـ كما نقله الشيخ الطوسي عن ابن إسحاق ـ «ألا تعجبون من محمد يزعم أن سليمان كان نبيّاً؟! والله ما كان إلّا ساحراً»[1]. قال: وروي عن الربيع: أن اليهود سألوه ﷺ عن السحر وخاصموه فيه، فأنزل الله الآية[2] فقالت: ﴿وما كفر سليمان﴾ باتّباعه السحر والعمل به ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ باتباعهم السحر وعملهم به[3].

ومنها: ما يفهم من قوله سبحانه: ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم﴾ وكأنّ في كلمة «راعنا» شيء من التنقيص والوصمة والفساد والسبّ والشتيمة، كما روى الطوسي في «التبيان» عن الباقر عليه السلام قال: هذه الكلمة سبّ بالعبرانية، وإليه كانوا (اليهود) يذهبون. وقال المغربي: فبحثت عن ذلك فوجدتهم يقولون: راع نا ـ بتفخيم النون وإشمامها ـ بمعنى الفساد والبلاء. وكان المسلمون يقولون: يا رسول الله راعنا من المراعاة أي راعنا سمعك حتى نفهمك ونفهم عنك، فلما عرف اليهود على ذلك قالوا: نحن نقول كما يقول المسلمون. فنهى الله المسلمين عن ذلك وقال: قولوا عوضها: انظرنا أي انظر إلينا[4].

ومنها: ما يفهم من قوله سبحانه: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك السموات

(١) التبيان ١: ٣٧١ وفي سيرة ابن هشام ٢: ١٩٢.
(٢) التبيان ١: ٣٧٠ ومجمع البيان ١: ٣٣٦.
(٣) سيرة ابن هشام ٢: ١٩٢ وبه قال الشيخان الطوسي والطبرسي عن قتادة وابن جبير عن ابن عباس.
(٤) التبيان ١: ٣٨٩ بتصرف، كما في مجمع البيان ١: ٣٤٣ بتصرف.

والأرض وما لكم من دون الله من وليّ ولا نصير ﴾[1] وحسب السياق السابق كأنّه كان مما اعترض به اليهود على رسول الله نسخ بعض الآيات.

والآية السابقة هي قوله سبحانه: ﴿ ما يودّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزّل عليكم من خير من ربّكم والله يختصّ برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ وقد روى الطوسي في «التبيان» أنه سبحانه أراد بالخير والرحمة هنا النبوة[2].

وقد مرّ أن اليهود جحدوا النبوة حسداً عليها أن يؤتيها الله العرب من ولد اسماعيل على خلاف المعهود لديهم أن تكون النبوة في بني اسرائيل ذرية يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم. وعليه فالآيات الثلاث مترابطة تقول: إن الكافرين من أهل الكتاب (اليهود) لا يودّون أن تنزل خير النبوة عليكم (يا بني اسماعيل دون بني اسرائيل) بينما الله يختصّ برحمته ومنها النبوة من يشاء. وأيّة آية ننسخها (بشأن النبوة في بني اسرائيل) نأت بخير منها (في بني اسماعيل. إذ له ملك السموات والأرض وهو على كل شيء (من التكوين والتشريع) قدير[3].

ومنها: ما يفهم من قوله سبحانه: ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سُئل موسى من قبل ومن يتبدّل الكفر بالايمان فقد ضلّ سواء السبيل ﴾[4]

وقد روى الطوسي في «التبيان» عن ابن عباس قال: قال رافع بن حُريملة

---

(١) البقرة: ١٠٦ و ١٠٧.

(٢) التبيان ١: ٣٩١ ومجمع البيان ١: ٣٤٤.

(٣) وانظر بحث النسخ في الآية: التبيان ١: ٣٩٢ ـ ٣٩٦ ومجمع البيان ١: ٣٤٥ والميزان ١: ٢٤٩ ـ ٢٥٦.

(٤) البقرة: ١٠٨.

ووهب بن زيد لرسول الله: ائتنا بكتاب تنزّله علينا من السماء نقرؤه، وفجّر لنا أنهاراً نتّبعك ونصدّقك، فأنزل الله في ذلك الآية(١).

ويؤيّده قوله سبحانه في سورة النساء: ﴿ **يسألك أهل الكتاب أن تنزّل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة** ﴾(٢).

ومنها: ما يفهم من قوله سبحانه: ﴿ **ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفّاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إنّ الله على كل شيء قدير** ﴾(٣).

وقد روى الطوسي في «التبيان» عن ابن عباس: أنّهم حييّ بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب(٤)، وفي الآية: أنّ الحق قد تبيّن لهم، ولذلك أكمل الخبر الطبرسي: أنّهما حينما قدم النبيّ المدينة دخلا عليه، فلما خرجا قيل لحييّ: أهو النبيّ؟ قال: هو هو. فقيل: فما له عندك؟ قال: العداوة إلى الموت(٥).

وقد مرّ الخبر عن ابن إسحاق، وهنا نصّ قال ابن إسحاق بذلك وأضاف: وكانا جاهدين في ردّ الناس عن الإسلام بما استطاعا(٦).

ومنها: ما يفهم من الآيتين من قوله سبحانه: ﴿ **ومن أظلم ممّن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين**

---

(١) التبيان ١: ٤٠٢ ومجمع البيان ١: ٣٥١ وفي سيرة ابن هشام ٢: ١٩٧.

(٢) النساء: ١٥٣. والغريب أنّ الميزان الذي اختاره الطباطبائي لتفسير القرآن بالقرآن لم يطبّقه هنا بل قال: إنّ سياق الآية يدل على أنّ بعض المسلمين سألوه. الميزان ١: ٢٥٩.

(٣) البقرة: ١٠٩.

(٤) التبيان ١: ٤٠٥.

(٥) مجمع البيان ١: ٣٥٣.

(٦) سيرة ابن هشام ٢: ١٩٧.

لهم في الدنيا خزيٌ ولهم في الآخرة عذاب عظيم * ولله المشرق والمغرب فأينما تولّوا فثمّ وجه الله إنّ الله واسع عليم ﴾[1]

هاتان الآيتان الرابعة عشرة والخامسة عشرة بعد المئة من سورة البقرة، وآيات تحويل القبلة هي الآيات التسعة من ١٤٢ إلى ١٥٠، فبين هذه الآية هنا وتلك الآيات خمس وعشرون آية في معاني أخرى.

وعليه فمن المستبعد أن تكون هذه الآية ردّاً على اليهود لما أنكروا تحويل القبلة إلى الكعبة، كما رواه الطوسي في «التبيان» عن ابن عباس[2].

وأبعد منه ما نقله عن قتادة وابن زيد: أنه كان للمسلمين التوجّه بوجوههم في الصلاة إلى حيث شاؤوا، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿فولّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾[3] وإنما كان النبيّ اختار التوجّه إلى بيت المقدس[4] مع أنّ الله يقول: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾[5].

بل الأوجه ما ذكره الطوسي أيضاً: أنها نزلت في قوم صلّوا في ظلمة وقد خفيت عليهم جهة القبلة، فلما أصبحوا إذا هم صلّوا إلى غير القبلة[6]. ورواه الطبرسيّ عن جابر قال: بعث رسول الله سريّة كنت فيها فأصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة، فقالت طائفة منا: قد عرفنا القبلة هي ها هنا، قبلَ الشمال، فصلّوا وقال بعضنا: بل القبلة ها هنا، قبل الجنوب، فلما أصبحوا وطلعت الشمس

---

(١) البقرة: ١١٤، ١١٥.

(٢) التبيان ١: ٤٢٥ ومجمع البيان ١: ٣٦٣.

(٣) البقرة: ١٤٤ و ١٥٠.

(٤) التبيان ١: ٤٢٥ ومجمع البيان ١: ٣٦٣.

(٥) البقرة: ١٤٣ وكذلك استدل بها الطوسي على ذلك في الاخبار ٢: ٥.

(٦) التبيان ١: ٤٢٤.

أصبحت الخطوط غير آمنة فهل قطعنا من سفرنا؟ سألنا النبيّ عن ذلك فسكت، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1] فلعلّها كانت في بعض السرايا السابقة ـ قبل تحويل القبلة من بيت المقدس في الشام ـ في شمال المدينة إلى الكعبة في جنوبها، كما يأتي تفصيله.

ولو كانت الآية ـ كما روى الطوسي عن ابن عباس ـ ردّاً على اليهود، فليس لإنكارهم تحويل القبلة إلى الكعبة، بل لإنكارهم تحويل القبلة من الكعبة في بدء البعثة إلى بيت المقدس في الشام بعد ذلك. وعنوان ﴿لله المشرق والمغرب﴾ يتكرّر عند تحويل القبلة إلى الكعبة: ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾[2] ولكنّه يصلح في المقامين، فكأنّه كان هناك فصل زمني بين اعتراض اليهود على ذلك وبين تحويل القبلة.

وكأنّ الآية السابقة تقول: إن منع مشركو مكة رسول الله من أن يذكر الله بالصلاة إلى الكعبة في المسجد الحرام لاحتجاجهم على الرسول أنّه يصلّي إلى الأصنام المنصوبة في الكعبة وحولها وعليها، وإنّما كان ذلك ظلماً منهم، فهل أنتم اليهود تريدون أن تفعلوا مثل ذلك فتصدّوا رسول الله عن الصلاة إلى بيت المقدس؟! ولما فعل مشركو مكة ذلك فما كان لهم أن يتوجّهوا للدخول إلى المسجد الحرام في مكة إلّا خائفين بفعل السرايا المرسلة على قوافلهم التجارية في طرقهم إلى مكة. والطريف أنّ السرايا إنّما كانت تخوّفهم حين توجّههم للدخول إلى مكة، لا حين خروجهم منها إلى الشام. فالآية على هذا تضمّنت استئذاناً ببعث السرايا، قبل نزول قوله سبحانه: ﴿أُذن للذين يقاتلون بأنّهم ظُلموا..﴾[3]

---

(١) مجمع البيان ١: ٣٦٣.

(٢) البقرة: ١٤٢.

(٣) الحج: ٣٩.

من سورة الحج المتأخرة النزول بغير قليل

ومنها: ما نفهم من قوله سبحانه: ﴿**وقال الذين لا يعلمون لولا يكلّمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بيّنّا الآيات لقوم يوقنون**﴾[1]

وقال ابن إسحاق: قال رافع بن حرملة لرسول الله: يا محمد، إن كنت رسولاً من الله ـ كما تقول ـ فقل لله فليكلّمنا حتى نسمع كلامه. فأنزل الله تعالى في ذلك الآية[2]

وقد نقل الطوسي عن ابن عباس أن المعنيّ بهذه الآية هم اليهود[3] وقد سبق قوله سبحانه: ﴿**وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه**﴾[4]

ونقل الطوسي هناك عن ابن عباس أيضاً: أنهم الذين اختارهم موسى من قومه، فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا أمره، وحرّفوا القول في إخبارهم لقومهم حين رجعوا إليهم[5]

وعليه فالذين لا يعلمون والذين من قبلهم من اليهود تشابهت قلوبهم وعقولهم في الجهل

ومنها: ما يفهم من قوله سبحانه: ﴿**وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا**

---

(١) البقرة: ١١٨

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ١٩٨

(٣) التبيان ١: ٤٣٤ ومجمع البيان ١: ٣٧٠

(٤) البقرة: ٧٥

(٥) التبيان ١: ٣١٢ ومجمع البيان ١: ٢٨٥

قل بل ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين * قولوا آمنّا بالله وما أُنزل الينا وما أُنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أُوتي موسى وعيسى وما أُوتي النبيون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون * فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولّوا فإنّما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم * صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون * قل أتحاجّوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون * أم تقولون إنّ ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل ءأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادةً عنده من الله وما الله بغافل عمّا تعملون * تلك أُمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عمّا كانوا يعملون ﴾ (1)

وروى الطوسيّ في «التبيان» عن ابن عباس أنه قال: قال عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله: ما الهدى إلّا ما نحن عليه، فاتّبعنا يا محمد تهتد (2). وروى ابن اسحاق مثله وقال: فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ وقالوا كونوا هوداً ﴾ الى قوله سبحانه: ﴿ تلك أُمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عمّا كانوا يعملون ﴾ (3).

وعن الطوسي عن ابن عباس مثله الطبرسي في «مجمع البيان» ولكنّه أضاف الى ابن صوريا: كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، وجماعة من اليهود (4) وقد

---

(1) البقرة: ١٣٥ ـ ١٤١

(2) التبيان ١: ٤٧٩

(3) سيرة ابن هشام ٢: ١٩٨

(4) مجمع البيان ١: ٤٠٢.

عطف هؤلاء النصارى على اليهود في هذا القول من دون أن يسمّوا أحداً منهم، ولا أظنّه الا مجاراة لعطف الآية النصارى على اليهود بينما يكفي لعطف النصارى في الآية أن يكونوا يقولون مثل ما قال اليهود، ولا ضرورة لوقوع القول هذا منهم مع اليهود. وأضافهم الطبرسي الى نجران، ولم يُعهد ورود منهم الى المدينة لنصف قصة سوى المباهلة وهي متأخرة عن أوائل الهجرة بغير قليل.

وأضاف الطوسي في «التبيان» عن ابن عباس لمناسبة تسمية الأنبياء قال: إنّ نفراً من اليهود (ولعلهم الذين سمّاهم الطبرسي) أتوا رسول الله فسألوه عمّن يؤمن به من الرسل. فقال: نؤمن بالله وما أُنزل الينا وما أُنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أُوتي موسى وعيسى. فلما ذكر عيسى قالوا: لا نؤمن بعيسى، ولا نؤمن بمن آمن به. فأنزل الله فيهم الآيات[1]. ولعلّ ابن صوريا هنا قال كلمته تلك، فالظاهر اتحاد القصتين لا تعدّدهما.

* * *

(١) التبيان ١: ٤٨١.



أهم حوادث

السنة الثانية للهجرة

أولى الغزوات غزوة الأبواء[1]

لا تختلف رواية الواقدي ومن قبله رواية ابن إسحاق في أن غزوة الأبواء هي أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه، إلا أن ابن إسحاق قال: قدم رسول الله المدينة لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول.. فأقام بها بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر، والجماديين، ورجباً وشعبان، وشهر رمضان، وشوالاً، وذا القعدة وذا الحجة والمحرم.

ثم خرج غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة، حتى بلغ وَدّان ـ وهي غزوة الأبواء ـ يريد قريشاً[2].

وقال الواقدي: ثم غزا رسول الله في صفر على رأس أحد عشر

---

(1) الأبواء: من قرى المدينة بعد الجحفة بثلاث وعشرين ميلاً = ٤٦ كم ـ معجم البلدان ١ ٩٢

(2) سيرة ابن هشام ٢ ٢٤١

شهراً[1] حتى بلغ الأبواء، يعترض لعير قريش، فلم يلق كيداً (ولم يذكر ودّان)[2].

ولاقى بني ضمرة من كنانة، فوادعه سيدهم مخشيّ بن عمرو الضمري[3] فكاتبهم على أن لا يعينوا عليه أحداً ولا يُكثّروا عليه (فكان ثاني عهد بعد عهد اليهود) ثم رجع، فكانت غيبته عن المدينة خمس عشرة ليلة[4] وكان معه في هذه الغزوة علي عليه‌السلام[5] فلعله هو الذي كتب كتاب العهد.

فأقام في المدينة بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول[6].

زواج علي بالزهراء عليهما‌السلام (العقد):

واختلفوا في زواج الزهراء بعلي عليهما‌السلام، وأقدم مؤرخ تقدم في زواجها بتاريخ أسبق من غيره هو اليعقوبي قال: زوّجها رسول الله من علي بعد قدومه بشهرين، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوها الى رسول الله، فلما زوّجها علياً قالوا في ذلك، فقال رسول الله: ما أنا زوّجته ولكنّ الله زوّجه[7].

وروى الكليني في «روضة الكافي» بسنده عن سعيد بن المسيّب في حديث الهجرة قال سعيد: فقلت لعلي بن الحسين: متى زوّج رسول الله فاطمة من

---

(١) وإنما يختلف الواقدي عن ابن اسحاق في عد بقية ربيع الأول، فالأول لا يدخلها في الحساب والثاني يعدّها شهراً.

(٢) مغازي الواقدي ١: ١٢.

(٣) سيرة ابن هشام ٢: ٢٤١.

(٤) مغازي الواقدي ١: ١٢.

(٥) الارشاد ١: ٧٩ برواية البختري القرشي.

(٦) سيرة ابن هشام ٢: ٢٤١.

(٧) اليعقوبي ٢: ٤١.

علي عليه السلام؟ قال: بالمدينة بعد الهجرة بسنة، وكان لها يومئذٍ تسع سنين[1].

وينسجم هذا مع ما رواه الطبري عن الواقدي بسنده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: تزوّج علي بن أبي طالب عليه السلام فاطمة لليال بقين من شهر صفر من السنة الثانية[2].

واكمله في موضع آخر وبنفس السند قال: وبنى بفاطمة عليها السلام في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً[3].

وبنفس السند والنص (الا: لليال بقين من) رواه الدولابي في «الذرية الطاهرة» عن الصادق عليه السلام[4].

وبمعناه قال المسعودي: كان تزويج فاطمة بعلي عليهما السلام بعد سنة مضت من الهجرة وقيل أقل من ذلك[5] ثم عيّن الأقل فقال: وفي شهر صفر من السنة الثانية تزوّج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بفاطمة[6] وفي آخر هذه السنة ـ سنة اثنتين من الهجرة ـ كان دخول علي بن أبي طالب بفاطمة[7] ثم عيّن الشهر فقال: في شهر ذي الحجة بنى عليٌّ بفاطمة عليها السلام[8] من دون أن يسند ذلك الى

---

(١) روضة الكافي: ١٨٠

(٢) الطبري ٢: ١٠٤

(٣) الطبري ٢: ٤٨٥.

(٤) الذرية الطاهرة: ٩٣ وعنه في كشف الغمة ١: ٣٦٤ وبتصحيف صفر الى رمضان، وعنه في بحار الأنوار ٤٣: ٩٢ وبمعناه عن المنتقى في بحار الأنوار ١٩: ١٩٢.

(٥) مروج الذهب ٢: ٢٨٢.

(٦) التنبيه والاشراف: ٢٠٢.

(٧) مروج الذهب ٢: ٢٨٨

(٨) التنبيه والاشراف: ٢٠٧ وعن اليوم قال المفيد في «مسار الشيعة»: كان ذلك في أوّل يوم منه: ٥٢ ط. قم، والطوسي في المصباح، كما في البحار ٤٣: ٩٢

قول الصادق أو الباقر عليهما‌السلام

وعنه الاصفهاني في «مقاتل الطالبيين» عن الواقدي بسنده عن الباقر عليه‌السلام قال: كان تزويج علي بن أبي طالب فاطمة في صفر بعد مقدم رسول الله المدينة، وبنى بها بعد رجوعه من غزوة بدر[١] وهذا صريح في أمر شهر صفر أنه الأول بعد الهجرة.

ويلاحظ أن الاصفهاني يطابق الطبري في الاسناد عن الواقدي إلى الباقر عليه‌السلام بواسطتين هما: أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة. فالطبري يقول: عن أبي جعفر، ويكمل الاصفهاني: عن أبي جعفر محمد بن علي.

وينفرد عنهما الدولابي بنفس سند الواقدي إلا أنه عن جعفر بن محمد.

وتتفق الروايات الثلاثة في تاريخ الزواج في شهر صفر بعد الهجرة. وينفرد الطبري بقوله: لليال بقين من صفر. بقوله: «وبنى بها في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً» أي بعد قدومه من بدر بشهرين.

ويتوجه هذا أن يكون هو الصحيح من عبارة اليعقوبي «بعد قدومه بشهرين» فلعله سقط منه «من بدر»[٢]

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٠ وأضاف: وهي يومئذ ثماني عشرة سنة. وفي بحار الأنوار ٤٣: ٩٢ نقل المجلسي عن الاقبال عن حدائق الرياض للمفيد قال: في ليلة الخميس لإحدى والعشرين من محرم سنة ثلاث من الهجرة كان زفاف فاطمة ... ولم يسنده إلى رواية.

(٢) أما ما انفرد به محمد بن سعد كاتب الواقدي عنه في «الطبقات» وعنه السبط في «التذكرة» عن الباقر عليه‌السلام أيضاً قال: «تزوج علي فاطمة في رجب بعد الهجرة بخمسة أشهر وبنى بها بعد مرجعه من بدر» فهو مما انفرد به مخالفاً لما رووه قوياً عن الواقدي نفسه عن الباقر عليه‌السلام، ومرفوعاً للعامة ولا سبيل إلى قبوله «وفاطمة يومئذ بنت ثماني عشرة سنة» فهو مردود عليه.

إذن، فالراجح أن نبني في تاريخ الزواج على تحديد الطبري: لليال بقين من صفر. وفي تاريخ الزفاف على تحديد الدولابي، بإضافة تحديد اليوم من «مصباح المتهجد» قال: في أول يوم من ذي الحجة زوّج رسول الله فاطمة من أمير المؤمنين عليه السلام(1).

وعليه فالفصل الزمني بين الأمرين كان عشرة أشهر تقريباً، ولعل الإسراع بالعقد عليها كان لقول الرسول كلمة الفصل في الإجابة على الخطوبات المتجهة لها، وعدم الإسراع في زفافها كان نظراً لصغرها ريثما تتعدى طور الصِّبا وتكبر عنه شيئاً ما فتبلغ مبالغ النساء جسدياً وإن كانت هي سيدتهنّ عقلاً ونُبلاً وحكمة ودراية بالأمور، بل هي معصومة عن الرجس والشرور، وعن التقصير والقصور.

وإذا كان التاريخ قد ذكر مكث علي عليه السلام بمكة لأداء الأمانات لدى رسول الله إلى أهلها ثم حمل الفواطم إلى المدينة، فإنا لا نجد فيه عن منزل هؤلاء الفواطم شيئاً يذكر، فهل نزلن أو بعضهن ولا سيما فاطمة بنت الرسول ثم أختها أم كلثوم على أبيهما في منزل أبي أيوب؟ أم ماذا؟

وروى الطبرسي في «إعلام الورى» عن علي بن إبراهيم القمي قال: وكان رسول الله حيث بنى منازله كانت فاطمة عليها السلام عنده، فخطبها أبو بكر، فقال له رسول الله: أنتظر أمر الله عزّوجل. ثم خطبها عمر فقال له مثل ذلك. فقالوا لعلي: لمَ لا تخطب فاطمة؟ قال: والله ما عندي شيء. فقيل له: إن رسول الله لا يسألك شيئاً.

فجاء إلى رسول الله فاستحيا أن يسأله، فرجع.

ثم جاءه في اليوم الثاني فاستحيا، فرجع

---

(1) بحار الأنوار ٤٣: ٩٢.

ثم جاءه في اليوم الثالث . فقال له رسول الله : يا علي، ألك حاجة ؟ قال : نعم يا رسول الله قال : لعلك جئت خاطباً ؟

قال : نعم، يا رسول الله .

قال : فهل عندك شيء يا علي ؟

قال : ما عندي شيء ـ يا رسول الله ـ إلّا درعي[1]

فزوّجه رسول الله على اثنتي عشرة اوقية ونش[2] ودفع اليه درعه[3]

وهذا الخبر اذا كان مرفوعاً ثم لم يُسمّ القائل لعلي عليه‌السلام : لِمَ لا تخطب فاطمة، فان الدولابي في «الذرّية الطاهرة» روى بسنده عن الحارث (الهمداني) عن علي عليه‌السلام قال : خطب أبو بكر وعمر الى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله فأبى رسول الله عليهما فقال عمر : أنت لها يا علي فقلت : ما لي من شيء إلّا درعي أرهنها[4]

ولعلّه عليه‌السلام أرهنها وثيقة لاستدانته مبلغ المهر وأدّى دينه بعد بدر من سهمه من غنائمها، ثم زفّت اليه الزهراء عليها‌السلام .

واذا لم يكن في خبر القمي من قال له : إن رسول الله لا يسألك شيئاً . ومن أين له الدرع ؟ فقد روى الدولابي أيضاً بسنده عن مجاهد عن علي عليه‌السلام قال : قالت لي مولاة لي : إنّ فاطمة قد خُطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله فيزوّجك (اياها) .

---

(١) من هنا يعلم أنه كان قد أعدّ درعاً لنفسه للمشاركة في السرايا التي كانت قد بدأت .

(٢) النش : هو النصف أي ونصف الأوقية، وقد مرّ في مهر الرسول لخديجة تقديره .

(٣) إعلام الورى : ١٦١ وليس في تفسير القمي ومعنى الخبر أن المهر كان غائباً عن بدعة .

(٤) الذرية الطاهرة : ٩٣

فقلت: وعندي شيء أتزوج به؟

فقالت: إنك إن جئت رسول الله زوّجك.

فوالله ما زالت ترجّيني حتى دخلت على رسول الله، وكانت لرسول الله جلالة وهيبة، فلما قعدت بين يديه أُفحمت فوالله ما استطعت أن أتكلم.

فقال: ما جاء بك؟ ألك حاجة؟ فسكتُّ. فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ فقلت: نعم. فقال: فهل عندك شيء تستحلها به؟ فقلت: لا. فقال: ما فعلت بالدرع التي سلّحتكها؟ فقلت: عندي، ولكنّها ـ والذي نفسي بيده ـ لحُطَمية[1] ما ثمنها إلّا أربعمئة درهم.

قال: قد زوّجتكها (بها) فابعث بها.

فكان ذلك صداق فاطمة[2].

---

(١) قال الجزري في النهاية: قال لعلي: أين درعك الحُطَمية. وأشبه الأقوال أنها منسوبة إلى بطن من عبد القيس كانوا يعملون الدروع.

(٢) الذرية الطاهرة: ٩٤. قال الحبري في مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٥٠. وخطب النبي ﷺ في تزويج فاطمة خطبة رواها عن الرضا عليه السلام يحيى بن معين في أماليه وابن بطة في الإبانة بإسنادهما عن أنس بن مالك مرفوعاً أنه قال: «الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع في سلطانه، المرغوب إليه فيما عنده، المرهوب من عذابه، النافذ أمره في سمائه وأرضه، خلق الخلق بقدرته، وميّزهم بأحكامه، وأعزّهم بدينه، وأكرمهم بنبيه محمد.

إنّ الله جعل المصاهرة نسباً لاحقاً، وأمراً مفترضاً، وشج بها الأرحام، وألزمها الأنام، قال تعالى: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾ (الفرقان: ٥٤).

ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوّج فاطمة من علي، وقد زوّجتها إياه على أربعمئة مثقال فضة (كذا) إن رضيت يا علي»

←

ولعله عليه السلام بعث بها فأرهبها فتبلغ المهر كما في الخبر السابق. ولعلّ قوله صلى الله عليه وآله: «زوّجتكها» ليس إيجاباً للعقد من دون مراجعة فاطمة، بل وعد به، وأما مراجعته لابنته فاطمة فقد جاء في خبر آخر رواه الدولابي أيضاً بسنده عن عطاء بن أبي رباح قال: لما خطب علي فاطمة أتاها رسول الله فقال لها: إن علياً قد ذكرك. فسكتت، فخرج فزوّجها[1].

وقد مرّ ما سمعت من خطبة أبي بكر لفاطمة، ونلاحظ أن ذلك كان متزامناً مع بناء النبيّ صلى الله عليه وآله بعائشة ابنة أبي بكر، فلعل أبا بكر كان يرى ذلك مبرّراً لخطبته ابنة النبيّ لنفسه.

وإذ كان الزفاف بعد العقد بعشرة أشهر في أول ذي الحجة من السنة الثانية فنحن نؤجل القول فيه إلى هناك[2].

فقال علي عليه السلام: رضيت يا رسول الله.

ثم روى الحلبي عن ابن مردويه: أنه صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: تكلم خطيباً لنفسك. فقال: «الحمد لله الذي قرب من حامديه، ودنا من سائليه، ووعد الجنة من يتقيه، وأنذر بالنار من يعصيه. نحمده على قديم إحسانه وأياديه، حمد من يعلم أنه خالقه وباريه، ومميته ومحييه، ومسائله عن مساويه، ونستعينه ونستهديه، ونؤمن به ونستكفيه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تبلغه وترضيه، وأن محمداً عبده ورسوله صلاة تزلفه وتحظيه، وترفعه وتصطفيه.

والنكاح مما أمر الله به ويرضيه، واجتماعنا مما قدّره الله وأذن فيه، وهذا رسول الله قد زوّجني ابنته فاطمة على خمسمئة درهم، وقد رضيت».

(١) الذرية الطاهرة: ٩٥.

(٢) من الصفحة: ٢٢٥.

غزوة بواط

وأقبلت قافلة تجارية لقريش فيها مئة رجل منهم، وفيهم أُمية بن خلف، ومعهم ألفان وخمسمئة بعير. فغزاهم رسول الله في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً، يعترض للقافلة، حتى بلغ بُواط من المدينة على ثلاثة بُرد نحو ناحية ذي خُشب (اثني عشر فرسخاً = ستة وستين كيلومتراً) ولم يلق قتالاً فرجع(١).

وتتفق هنا روايتا الواقدي وابن اسحاق على أن بدء هذه الغزوة كان في ربيع الأول. ثم يقول ابن اسحاق: ثم رجع الى المدينة فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى(٢).

غزوة بدر الأولى (الصغرى)

هذا، وقال الواقدي: أغار كرز بن جابر الفهري (من مشركي قريش) على (مواشي) لأهل المدينة كانت ترعى بنواحي الجماء (على ستة كيلومترات نحو الجُرف).

فخرج في طلبه رسول الله في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً(٣) حتى بلغ (بئر) بدر، ولم يدركه(٤) وكان يحمل لواءه علي بن أبي طالب عليه السلام، واستخلف

(١) مغازي الواقدي ١: ١٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٢٤٨ ومختصر الخبر الطبرسي في اعلام الورى ١: ١٦٤.

(٣) هكذا يؤرخ الواقدي على لسان رواته حتى يبلغ ستة وخمسين شهراً أي خمس سنين من الهجرة، مما قد يدل على عدم وجود قرار بالتدرج بالسنين من الهجرة.

(٤) مغازي الواقدي ١: ١٢.

على المدينة زيد بن حارثة[1] بينما يؤرخها ابن اسحاق بقرب العشر من جمادى الآخرة[2].

غزوة ذي العُشيرة

قال الواقدي: وجاءه الخبر بفصول العير من مكة تريد الشام، قد جمعت قريش لها أموالها فهي في تلك العير، فندب أصحابه فخرج في مئة وخمسين أو مئتين، يعترض لعير قريش، على رأس ستة عشر شهراً. فسلك على نَقْب بني دينار الى بيوت السُقيا (الى جهة الجُحفة)[3].

وقال ابن اسحاق: فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها: ذات الساق، فصلى عندها فهناك مسجده، وصُنع له عندها طعام، واستُقي له من ماء يقال له المشترب.

ثم ارتحل رسول الله فترك (أرض) الخلائق عن يساره وسلك شعبة عبد الله، ثم مال الى يساره حتى هبط يَلْيَل فنزل بمجتمعه، واستقى من بئر بالضَّبوعة. ثم سلك الفرش حتى لقي الطريق بصُخيرات اليمام، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العُشيرة من بطن ينبع. فأقام بها جُمادى الاولى وليالي من جُمادى الآخرة ولم يلق قتالاً ووادع فيها بني مُدْلج وحلفاءهم من بني ضمرة[4] (فهو ثالث العهود).

---

(١) الطبري ٢: ٤٠٧ عن الواقدي ولا يوجد في المغازي المنشور.

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٢٥١.

(٣) مغازي الواقدي ١: ١٢.

(٤) وهذا غير ما مرّ من خبر الواقدي، أنه وادع بني ضمرة من كنانة فإنهم في بُواط غير متحالفين مع بني مُدْلج، وهؤلاء منهم متحالفون مع بني مدلج في ذي العُشيرة من ينبع.

عليّ أبو تراب :

ثم روى بسنده عن عمار بن ياسر قال : كنت أنا وعليّ بن أبي طالب رفيقين في غزوة العُشيرة، فلما نزلها رسول الله وأقام بها ، رأينا أُناساً من بني مُدْلج يعملون في عين لهم وفي نخل ، فقال لي عليّ بن أبي طالب : يا أبا اليقظان ، هل لك في أن نأتي هؤلاء، فننظر كيف يعملون ؟ قلت : إن شئت

فجئناهم فنظرنا الى عملهم ساعة ، ثم غشينا النومُ ، فانطلقتُ أنا وعليّ حتى اضطجعنا بين صغار النخل ، في الترب فنمنا . فما أيقظنا الّا رسول الله يحركنا برجله وقد تترّبنا من ذلك التراب اللين الذي نمنا فيه ، وقال لعليّ : ما لك يا أبا تراب ؟ لما رأى عليه من التراب .

ثم قال لنا : ألا أُحدثكما بأشقى الناس رجلين ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : أُحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا علي على هذه - ووضع يده على مقدّم رأسه - حتى يَبُلّ منها هذه - وأشار الى لحيته -[1]

---

(1) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٩ - ٢٥٠ ثم روى عن بعض أهل العلم : أن رسول الله انما سمّى علياً أبا تراب لأنه كان اذا عتب على فاطمة في شيء ... أخذ تراباً فوضعه على رأسه ، فرآه رسول الله وعلى رأسه التراب فقال له : مالك يا أبا تراب ؟ (بإيجاز)

ونقل محقق السيرة عن السهيلي في «الروض الأنف» قال : وأصحّ من ذلك ما رواه البخاري في جامعه : وهو أنه كان قد خرج الى المسجد مغاضباً لفاطمة ، فوجده رسول الله نائماً وقد ترب جنبه ، فجعل يمسح التراب عن جنبه ويقول : قم يا أبا تراب .

ونقول : بل الأصح من هذه الثلاث هو ما رواه ابن اسحاق أولاً مسنداً عن يزيد بن محمد عن أبيه محمد بن خثيم المحاربي عن عمار بن ياسر ، أما ما رواه ثانياً مرفوعاً عن بعض ←

ثم رجع إلى المدينة، فأقام بها بقية جمادى الآخرة ورجباً وشعبان[1].

سرية نخلة

روى الواقدي عن عبد الله بن جحش قال: حين صلى العشاء رسول الله دعاني فقال: واف مع الصبح معك سلاحك أبعثك وجهاً، فوافيت صلاة الصبح وعليّ سيفي وقوسي وجعبتي ومعي درقتي، فلما صلى النبي ﷺ بالناس الصبح

→

أهل العلم. فهو متفق وخبر البخاري في اتهام الإمام بالنصب والتعصب على فاطمة وبعلها! وكأنما أراد البخاري وأصحابه أن يغالطوا بما قالوه هم شأن الزهراء والمشنعين ما بين فاطمة وهي غضبى عليهما، فكأنهم أرادوا أن يقولوا: لو أنها غضبت عليهما فقد غضبت على علي كذلك من قبل! فتأمل ولا تنس على أن هذا الخبر لا أصل له وإنما رواه البخاري في ترجمة خبر من «متعصباً لفاطمة» بسنده عن أبي حازم قال: قيل لسهل بن سعد (الساعدي): إن بعض أمراء المدينة يريد أن يبعث إليك تسبّ علياً على المنبر. قال: أقول ماذا؟ قال: تقول: أبا تراب. قال: والله ما سمّاه بذلك إلا رسول الله ﷺ.

قال (أبو حازم): قلت: وكيف ذلك يا أبا العباس؟

قال: دخل علي على فاطمة ثم خرج من عندها فاضطجع في فيء المسجد. ثم دخل رسول الله على فاطمة فقال لها: أين ابن عمك؟ فقالت: هو ذاك مضطجع في المسجد. فجاءه رسول الله فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره وخلص التراب إليه فجعل يمسح التراب عنه ويقول: اجلس أبا تراب.

ثم قال سهل: والله ما سماه به إلا رسول الله، ووالله ما كان اسم أحبّ إليه منه. الغدير ٦: ٢٠٩، ففي أين جاءت الزيادة في رواية البخاري «متعصباً لفاطمة» اللهم إلا من حيث ذكرناه. ثم لا نسى أنه ﷺ لم يكن قد دخل بفاطمة ؑ بعدُ.

(١) البداية والنهاية ٣: ٢٤٨.

سبقته إلى باب داره، وإذا معي نفر من قريش، وانصرف النبيّ عن صلاته فوجدني واقفاً عند بابه ومعي نفر من قريش، فدخل رسول الله، ودعا أُبيّ بن كعب فدخل عليه، فأمره فكتب صحيفة من أدم خَوْلاني[1] فأعطانيها وقال: استعمل على هؤلاء النفر وأشار إلى النفر من قريش، فامض حتى إذا سرت ليلتين فانشر كتابي ثم امض لما فيه

قلت: يا رسول الله، أيّ ناحية؟

فقال: اسلك النجدية تؤمّ رَكِيّة[2]

قال الواقدي: فانطلق حتى إذا كان ببئر ابن ضُميرة نشر الكتاب فقرأه فإذا فيه: سر على اسم الله وبركاته ولا تُكرهَنّ أحداً من أصحابك على المسير معك، وامض لأمري فيمن تبعك حتى تأتي بطن نخلة، فترصَّدْ بها عير قريش[3] وتَعلَّمْ لنا من أخبارهم[4].

فلما قرأ عليهم الكتاب قال لهم: لست مستكرهاً أحداً منكم، فمن كان يُريد الشهادة[5] فليمض، فإني ماضٍ لأمر رسول الله، ومن أراد الرجعة، فمن الآن.

فقالوا: نحن سامعون مطيعون لله ولرسوله ولك، فسِر على بركة الله حيث شئت

---

(١) خولان: قرية باليمن والنسبة كما في معجم البلدان ٥: ٤١ والأدم من جلودهم وهذه أول مرة يذكر فيها أُبيّ بن كعب كاتباً لرسول الله في غير الوحي بعد الهجرة

(٢) ركيّة: البئر

(٣) مغازي الواقدي ١: ١٣

(٤) سيرة ابن هشام ٢: ٢٥٢

(٥) وهذه أول مرة يذكر فيها الشهادة، مما يشهد أن رسول الله كان قد شرحها لهم

فسار حتى بلغ نخلة، فوجد عيراً لقريش، فيها: عمرو بن الحضرمي، والحكم بن كيسان المخزومي (مولاهم) وعثمان بن عبد الله المخزومي، ونوفل بن عبد الله المخزومي[1]

قال ابن اسحاق: وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين: ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وعُكّاشة بن محصن، وعتبة بن غزوان، وسعد بن أبي وقاص، وعامر بن ربيعة، وواقد بن عبد الله، وخالد بن البكير، وسهيل بن بيضاء، ليس فيهم من الأنصار أحد.

فمرّت بهم عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة من تجارة قريش[2]

ورأى واقد بن عبد الله وعُكّاشة بن محصن أن يُغيروا عليهم، فحلق عامر بن ربيعة رأس عُكّاشة بيده حتى إذا رآهم المشركون يقولون: هؤلاء معتمرون ثم أشرف عُكّاشة عليهم، فظن المشركون أن هؤلاء معتمرون، فأمنوا في أنفسهم وقيّدوا ركائبهم وسرّحوها، وصنعوا لأنفسهم طعاماً[3].

قال ابن اسحاق: وكان ذلك في آخر يوم من رجب، فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلُنّ الحرم فليمتنعُنّ به منكم، ولئن قتلتموهم لتقتلُنّهم في الشهر الحرام؛ وقال قائل منهم: لا نعلم هذا اليوم الا من الشهر الحرام ولا نرى أن تستحلّوه لطمع أشفيتم عليه

وقال قائل: لا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا؟

---

(١) مغازي الواقدي ١: ١٤

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٢٥٣ ومغازي الواقدي ١: ١٦ وخبراً وفي عددهم قيل: كانوا اثني عشر رجلاً ١: ١٧ و ١٩.

(٣) مغازي الواقدي ١: ١٤

(٤) بالحرمة القديمة أو بالسنة والخبر في السيرة ٢: ٢٥٣

وعلم أنّ الأمراء الذين كانوا يريدون عرض الحياة الدنيا (١) فشجّعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم (٢).

فخرج واقد بن عبد الله يقدم القوم قد فوّق سهمه في قوسه وكان لا يخطئ، فرمى عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، وشدّ القوم عليهم، فهرب نوفل ابن عبد الله، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان أمولاهم، واستاقوا العير(٣).

وأقبل عبد الله بالأسيرين والعير، وكان ذلك قبل أن فرض الله الخمس في المغانم، فقال عبد الله لأصحابه: إنّ لرسول الله مما غنمنا الخمس، فعزل لرسول الله خمس العير، وقسم سائرها بين أصحابه(٤).

فلما قدموا على رسول الله المدينة قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام.

فلما قال رسول الله ذلك سقط في أيدي القوم وظنّوا أنهم قد هلكوا وعنّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا.

ووقّف رسول الله العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً (١)، حتى

---

(١) مغازي الواقدي ١: ١٤.

(٢) ابن هشام ٢: ٢٥٣.

(٣) مغازي الواقدي ١: ١٥.

(٤) سيرة ابن هشام ٢: ٢٥٤. واختصر الخبر القمي في تفسيره ١: ٧١، ٧٢ والطبرسي في إعلام الورى ١: ١٦٧، ٧٤ ونقله عن القمي. وتمام الخبر: حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائم أهل بدر. مغازي الواقدي ١: ١٨ وصرّح ابن إسحاق أن ذلك كان بعد نزول القرآن في حدث منهم في الشهر الحرام، أي أن نزول الآيات أيضاً كان بعد بدر، ولذلك فسنحيل ذكر ذلك إلى هنالك.

رجع من بدر، فقسّمها مع غنائم أهل بدر.

وفي شهر شعبان من هذه السنة الثانية قال الطبري والمسعودي: فُرض صوم شهر رمضان(1).

غزوة بدر الكبرى:

قال القمي في تفسيره: كانت بدر على رأس ستة عشر شهراً من مقدم رسول الله المدينة(2) وكان سبب ذلك أن عيراً لقريش خرجت إلى الشام فيها خزائنهم(3) (ورجعت)(4) فأمر رسول الله أصحابه بالخروج إليها ليأخذوها وأخبرهم أن الله قد وعده إحدى الطائفتين: إما العير وإما قريش إن ظفر بهم فخرج في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً(5).

---

(1) الطبري ٢: ٤١٧ والتنبيه والإشراف: ٢٠٢ ولم يعلّلا نزول آيات الصيام.

(2) تفسير القمي ١: ٢٧٦.

(3) قال الواقدي: وكانت العير ألف بعير، وكانت فيها أموال عظام، ولم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعداً إلا بعث به في العير، فكان يقال: إن كان فيها خمسون ألف دينار، وقيل: كان لبني عبد مناف فيها عشرة آلاف مثقال، ولبني مخزوم منها بعير وخمسة آلاف مثقال ذهب، ولأمية بن خلف ألفا مثقال، وللحارث بن عامر بن نوفل ألف مثقال، وإن أكثر ما فيها لآل سعيد بن العاص إما لهم أو قراضاً بالنصف ١: ٢٧.

(4) قال الواقدي: ولما تحيّن رسول الله انصراف العير من الشام بعث طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد يتحسسان خبر العير، قبل خروجه من المدينة بعشر ليال ١: ١٩، ثم يقول: وخرج يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من رمضان ١: ٢١ فكان بعث الرجلين في الثاني من رمضان.

(5) تفسير القمي ١: ٢٦١. وذكر ابن إسحاق ثلاثة وثمانين من المهاجرين ممن شهد ومن أسهم ←

له الرسول ٢: ٣٢٣ – ٣٤٢ ثم ذكر الأنصار من ٣٤٢ إلى ٣٦٢ ثم قال: فجميع من شهد بدراً من المسلمين من المهاجرين والأنصار من شهدها منهم ومن ضرب له بسهم: ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً؛ من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً، ومن الأوس واحد وستون رجلاً، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً. وسائر غيره قال: بيان مفصّل من المصادر ٢: ٣٦٣

وقال الواقدي: وخرج رسول الله ﷺ معه يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من رمضان حتى انتهى إلى بيوت السقيا بأبقع من نقب بني دينار، وبيوت السقيا متصلة بالمدينة ١: ٢١ وكانت تسمى الثقم فيها التي بيوت السقيا ١: ٢٣ وضرب عسكره هناك واستعرضه وقد بُني في ذلك الموضع مسجد يُسمى باسم الموضع مسجد السقيا، وهو اليوم في محطة القطار القديمة لسكك الحديد العثمانية، على بعد كيلومترين من المسجد النبوي الشريف، فهذا هو حدُّ الترخيص للإفطار يومئذ وهو منتصف ثمانية فراسخ ١: ٢١ وأمرهم أن يستقوا ١: ٢٢ واستعمل على المشاة قيس بن عمرو بن زيد بن عوف (من بني عوف من الأنصار) وأمره حين فصل من بيوت السقيا أن يقف عند بئر أبي عتبة فيعدّهم، فوقف وعدَّهم وأخبره بعدتهم ١: ٢٦ ورحل من بيوت السقيا الأحد لاثنتي عشرة مضت من رمضان ومعه ثلاثمائة وخمسة، وتخلّف ثمانية فضرب لهم بسهم ١: ٢٣ فهم ثلاثمائة وثلاثة عشر هكذا، ولكنه في ٤٧ ألحق بهم خبيب بن يساف، فهو كابن إسحاق ٣١٤ رجلاً ولكنه في تسميتهم قال: من شهد الوقعة ومن ضرب له رسول الله بسهم وهو غائب: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ثم عدّدهم ١: ١٥٢ – ١٧٢ وصلى في بيوت السقيا ودعا لأهل المدينة (وسماها المدينة فقال):

«اللهم إنّ إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لأهل مكة، وإني محمد عبدك ونبيك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدّهم وصاعهم وثمارهم. اللهم حبّب إلينا المدينة،

قال القمي: وكان في العير أبو سفيان فلما بلغه أن رسول الله ﷺ قد خرج يتعرض للعير (١) خاف خوفاً شديداً، فلما وافى البهرة من نواحي المدينة اكترى ضمضم (٣) بعشرة دنانير وأعطاه قلوصاً وقال له: امض إلى قريش وأخبرهم أنّ محمداً والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم فأدركوا العير، وأوصاه أن يخرم أنف ناقته ويقطع أذنها حتى يسيل الدم، ويشق ثوبه من قُبُل ودبُر، فإذا دخل مكة ولى وجهه إلى ذنب البعير وصاح بأعلى صوته: يا آل

واجعل ما بها من وباء بخمّ. اللهم إني قد حرّمت ما بين لابتيها كما حرّم إبراهيم خليلك مكة» ١: ٢٢

والطبري ٣: ٤٣١ والمسعودي في التنبيه والإشراف: ٢٠٤ وابن شهر آشوب في المناقب ١: ١٨٧ قالوا: وكان خروجه لثلاث خلون من شهر رمضان. ولعله كان في الأصل ثلاث عشرة خلت منه. والمسعودي في التنبيه والإشراف: ٢٠٦ أرّخ رجوع الرسول إلى المدينة لثمان بقين من شهر رمضان.

ولعل هذا يرجح قول الواقدي أن يكون كل من ذهابه وإيابه مستغرق خمسة أيام.

(١) في إعلام الورى ١: ١٦٨: في أربعين راكباً من قريش تجاراً قافلين من الشام. وذكره في مجمع البيان ٤: ٨٠٢ وذكره ابن شهر آشوب في المناقب ١: ١٨٧ وقال: أو سبعين.

(٢) روى الواقدي ١: ٢٨ عن عبد الله بن جعفر عن أبي عون مولى المسور، عن مخرمة بن نوفل قال: أدركنا بالشام رجل من جذام فأخبرنا: أن محمداً كان قد عرض لعيرنا في بدأتنا، وأنه ينتظر رجعتنا وقد حالف أهل الطريق ووادعهم. وعن عمرو بن العاص أنه لقيهم في رجوعهم من غزّة للشام بالزرقاء بناحية معان من أذرعات على مرحلتين وأنه قال: عرض لكم محمد وأصحابه في بدأتكم فأقام شهراً ثم رجع إلى يثرب.

(٣) الخزاعي كما في سيرة ابن هشام ٢: ٢٥٨ ابن عمرو الغفاري، وكذلك في الواقدي ١: ٢٨ واليعقوبي ٢: ٤٥ والطبري والمسعودي وابن شهر آشوب في المناقب ١: ١٨٧. وفي الواقدي عن عمرو بن العاص: بعثوا ضمضم من معان الأردن، وقبل ذلك من تبوك ١: ٢٨

غالب، اللطيمةَ اللطيمةَ، العيرَ العيرَ أدركوا أدركوا، وما أراكم تدركون، فإنّ محمداً والصُّباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم!

فخرج ضمضم يُبادر الى مكة، ووافاها ينادي في الوادي: يا آل غالب، يا آل غالب، اللطيمةَ اللطيمة، العيرَ العيرَ، أدركوا أدركوا، وما أراكم تدركون، فإنّ محمداً والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم التي فيها خزائنكم!.

فتصايح الناس بمكة وتهيأوا للخروج.

وقام سهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وأبو البختري بن هشام، ونُبيه ومُنبّه ابنا الحجاج، ونوفل بن خويلد، فقالوا: يا معشر قريش، والله ما أصابكم مصيبة أعظم من هذه: أن يطمع محمد والصُّباة من أهل يثرب أن يتعرضوا لعيركم التي فيها خزائنكم! فوالله ما قرشي ولا قرشية إلّا ولها في هذه العير شيء فصاعداً، وإنّه الذلّ والصغار أن يطمع محمد في أموالكم ويفرق بينكم وبين متجركم، فاخرجوا.

وأخرج صفوان بن أُميّة خمسمئة دينار وجهّز بها.

وأخرج سُهيل بن عمرو خمسمئة، وما بقي أحد من عظماء قريش إلا أخرجوا مالاً وحملوا وقوّوا، وخرجوا على الصعب والذلول، ما يملكون أنفسهم. وأخرجوا معهم القينات يضربن بالدفوف وهم يشربون الخمور[1].

---

(١) روى الكليني في روضة الكافي بسنده عن الصادق عليه السلام قال: لما خرجت قريش الى بدر وأخرجوا معهم بني عبد المطلب (ومنهم) طالب بن أبي طالب، نزل يرتجز ويقول:

يا ربِّ إمّا خرجوا بطالبِ	في مقنب من هذه المقانبِ
في مقنب المغالب المحاربِ	فاجعلهم المغلوب غير الغالبِ

←——

خروج رسول الله

وخرج رسول الله في ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً[1] وكان في عسكره فرسان: فرس للزبير بن العوّام وفرس للمقداد بن عمرو، وكان لهم سبعون جملاً[2] يتعاقبون عليها، فكان رسول الله وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يتعاقبون على جمل مرثد[3]

افطار الصوم وقصر الصلاة

روى الواقدي قال: خرج رسول الله من منزله حتى انتهى الى بيوت اشقيا ـ وهي متصلة (اليوم) بالمدينة ـ يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من شهر رمضان.

ثم روى عن الأشجعي أن النبي أمر أصحابه أن يستقوا من بئرهم يومئذ وشرب منه

---

*

وجعلهم المسلوب غير السالب

فرد زه روضة الكافي: ٣٠٧ وفي الخصال ١: ١٢٦

(١) تفسير القمي ١: ٢٥٧

(٢) وفي اعلام الورى ١: ١٦٨: معهم ثمانون بعيراً

(٣) تفسير القمي ١: ٢٦٢ قال الواقدي: ثم سلك طريق المكيمن من بطن العقيق حتى خرج على طلحاء بن نوهر أصبح ببطن ملل وتربان بين الحمرة وملل وهناك اسار رسول الله سعد بن أبي وقاص ... وكان رماهم بسهم ... الى ظبي وقتل به ... فرماه في غيره ثم عثر فوجده به رمق فذكاه. المغازي ١: ٢٦، ٢٧ وهذا من ذكر ... في الاسلام

وروى عن عمرو بن أبي عمرو: أنّ النبيّ كان أوّل من شرب ذلك اليوم[1] أي نهار اليوم الأوّل من سفره في شهر رمضان بعد فرض الصيام فيه وبعد يوم أو يومين ـ قال الواقدي ـ نادى مناديه: يا معشر العصاة إنّي مُفطر فأفطروا! وذلك أنّه قد كان قال لهم قبل ذلك: أفطروا، فلم يفعلوا[2].

هذا ما ذكره الواقدي في إفطار الصوم، ولا نجد فيه ولا في غيره عن قصر الصلاة شيئاً، إلّا أنّنا نجد في آخر أخبار بدر وما بعدها أمرين يدلّان على أنّ إضافة ركعتي السنّة الواجبة على الفريضة الأُولى كان قبل بدر:

الأوّل: أنّ من شهد بدراً: عمير بن عبد عمرو ذو اليدين أو ذو الشمالين، من حلفاء بني زهرة، من المهاجرين[3].

وقد روى المشايخ في الكتب الأربعة عدّة أخبار بأسانيد صحاح عن أبي بصير، وأبي بكر الحضرمي، وأبي سعيد القمّاط، وجميل بن درّاج، والحارث بن المغيرة النضري، وزيد الشحّام، وسعيد الأعرج، وسماعة بن مهران، وغيرهم: أنّ رسول الله صلّى بالناس الظهر ركعتين، فقال له ذو الشمالين: يا رسول الله، أنزل في الصلاة شيء؟ فقال: وما ذاك؟ قال: إنّما صلّيت ركعتين. فقال رسول الله لأصحابه: أتقولون مثل قوله؟ قالوا: نعم. فقام فأتمّ بهم الصلاة أو: فأتمّ ما بقي من صلاته أو: فبنى على صلاته فأتمّ الصلاة أربعاً[4].

وهذا يدلّ على أنّ الصلاة كانت قد تمّت أربعاً قبل بدر حيث

---

(1) مغازي الواقدي ١: ٢١.

(2) مغازي الواقدي ١: ٤٧، ٤٨، وانظر الكافي ٤: ١٢٧، والفقيه ١: ١٣٥، والتهذيب ٤١٣.

(3) سيرة ابن هشام ٢: ٣٣٧ والواقدي ١: ١٤٥.

(4) وسائل الشيعة، الباب الثالث من أبواب الخلل ٨: ١٩٨ - ٢٠٤ ط آل البيت عليهم السلام.

استشهد الرجل.

والأمر الثاني: أن تحويل القبلة من القدس الى الكعبة كان بعد بدر، وكانت الصلاة حينئذٍ تامة أربعاً، فنعلم أن ذلك كان منذ مدة من قبل بدر، وإن لم نجد نصّاً بالتعيين إلّا إجمالاً.

روى الكليني في «روضة الكافي» بسنده عن سعيد بن المسيّب قال: سألت علي بن الحسين (عليه السلام): فمتى فُرضت الصلاة على المسلمين على ما هم عليه اليوم؟

قال: بالمدينة، حين ظهرت الدعوة وقوي الاسلام، وكتب الله عز وجل على المسلمين الجهاد، زاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الصلاة سبع ركعات: في الظهر ركعتين وفي العصر ركعتين، وفي المغرب ركعة، وفي العشاء الآخرة ركعتين، وأقرّ الفجر على ما فُرضت[1].

(١) روضة الكافي: ١٨٠، ورواه الصدوق في الفقيه ١: ٤٥٥ وعلل الشرائع: ١٠٦، والعياشي في تفسيره. وروى معناه البخاري عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة كما في هامش السيرة ١: ٢٦٠.

هذا، وقد روى الكليني في فروع الكافي ٣: ٤٣٢ بسنده عن الصادق (عليه السلام) قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما نزل عليه جبرئيل بالتقصير قال له النبي: في كم ذلك؟ فقال: في بريد. قال: وكم البريد؟ قال: ما بين ظل عير الى فيء وعير. ورواه الصدوق في الفقيه مرسلاً ١: ٤٤٧ ط طهران. وروى فيه عنه (عليه السلام) قال: سافر رسول الله (صلى الله عليه وآله) الى ذي خُشُب، وهي مسيرة يوم من المدينة يكون اليها بريدان ـ أربعة وعشرون ميلاً ـ فقصّر وأفطر فصارت سنّة ١: ٤٣٥. ورواه الطوسي في التهذيب ١: ٤١٥ عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): في كم يقصّر الرجل؟ فقال: في بياض يوم أو بريدين، فان رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج الى ذي خشب فقصّر. فقلت: فكم ذو خشب؟ فقال: بريدان. بدون تعيين لتاريخ الوحي والسفر. ولعله كان بعد بدر، ولذلك روى الواقدي افطار الصوم في بدر دون قصر الصلاة.

قال القمي في تفسيره: فلما كان على ليلة من بدر[1] بعث بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء[2] يتجسّسان خبر العير، فأتيا ماء بدر، وأناخا راحلتيهما، وسمعا جاريتين قد تشبّثت إحداهما بالأخرى تطالبها بدرهم كان لها عليها، فقالت الأخرى: عير قريش نزلت أمس في موضع كذا وكذا[3]، وهي تنزل غداً هاهنا وأنا أعمل لهم وأقضيك.

فرجع (الرجلان) إلى رسول الله فأخبراه بما سمعا[4].

وأقبل أبو سفيان بالعير، فلما شارف بدراً تقدم العير وأقبل وحده حتى انتهى إلى ماء بدر، وكان بها رجل من جُهينة يقال له: كشد الجُهني[5] فقال له: يا كشد، هل لك علم بمحمد وأصحابه؟ قال: لا، قال: واللات والعزّى لئن كتمتنا أمر محمد فلا تزال قريش معاديةً لك آخر الدهر، فإنه ليس أحد من قريش إلا وله في هذه العير شيء فصاعداً، فلا تكتمني.

فقال [كشد]: والله ما لي علم بمحمد، وما بال محمد وأصحابه بالتجار؟!

---

(١) في إعلام الورى ١: ١٦٨: وبدر بئر منسوبة إلى رجل من غفار يقال له بدر. وفي مجمع البيان ٤: ٨٠٤ بدر رجل من جُهينة، والماء ماؤه فسمي به. وفي الواقدي ١: ٤٤ كان بدر موسماً من مواسم الجاهلية وأسواقها.

(٢) في القمي: بشير بن أبي الزغباء ومجد بن عمرو، وأثبتنا ما في ابن هشام والواقدي واليعقوبي والطبري. وأظن أن بشير مصحّف بسبس ومجدٌ مصحّف عدي مع تقديم وتأخير، كما لا ريب أن الرغباء مصحّف الزغباء. نعم ذكر ابن إسحاق مجديّ بن عمرو ولكنه كان نازلاً على ماء بدر وليس أحد الرجلين.

(٣) في الواقدي ١: ٤٠: قد نزلت الروحاء على ميلين من عرق الظبية.

(٤) قال الواقدي ١: ٤٠: لقيه بعرق الظبية من الروحاء على ميلين. وفي: ٥١ قال: لقيه في المعترضة بعد العبيرتين والحيوف وقبل بدر.

(٥) في القمي: كسب، وأثبتنا ما في ابن هشام والواقدي واليعقوبي والطبري.

إلّا أني رأيت في هذا اليوم راكبين أقبلا وأناخا راحلتيهما و ... من الماء ورجعا، فلا أدري من هما.

فجاء أبو سفيان إلى مُناخ إبلهما ففتّ أبعار الإبل بيده فوجد فيها النوى فقال: هذه علايف يثرب! هؤلاء عيون محمد!

ورجع مسرعاً وأمر بالعير فأخذ بها نحو ساحل البحر، وتركوا الطريق ومرّوا مسرعين. ونزل جبرئيل على رسول الله فأخبره: أن العير قد أفلتت، وأن قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها، وأمره بالقتال، ووعده النصر.

اختبار الأنصار

وكان نازلاً ماء الصفراء، فأحبّ أن يبلو الأنصار، لأنهم إنّما وعدوه أن ينصروه في الدار.

فأخبرهم: إن العير قد جازت، وإن قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها، وإن الله قد أمرني بمحاربتهم.

فجزع أصحاب رسول الله من ذلك وخافوا خوفاً شديداً!

فقال رسول الله: أشيروا عليّ.

فقام (أبو بكر) فقال: يا رسول الله، إنها قريش وخُيلاؤها، ما آمنت منذ كفرت، ولا ذلّت منذ عزّت!

ولم تخرج (أنت) على هيئة الحرب![1]

---

(١) حمل ابن اسحاق قول ... فقال وأحسن وكذلك عن عمر ٢: ٢٦٦ كذلك حمل الواقدي ١: ٤٨ في أبي بكر، وعن عمر قال: ثم قال: يا رسول الله، إنها قريش وعزّها، والله ما ذلّت

←

فقال رسول الله له: إجلس. فجلس. فقال: أشيروا عليّ.

فقام عمر بن الخطّاب، فقال مثل مقال الأوّل.

فقال ﷺ له: إجلس. فجلس.

ثمّ قام المقداد فقال: يا رسول الله، إنّا قد آمنّا بك وصدّقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عند الله، ولو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا[1] وشوك الهراس[2] لخضنا معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: «اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون»[3] ولكنّا نقول: اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون.

فجزّاه النبيّ خيراً، فجلس. ثمّ قال: أشيروا عليّ[4]

منذ عزّت، والله ما آمنت منذ كفرت، والله لا تُسلم عزّها أبداً، ولتقاتلنّك فتأهّب لذلك أُهبته وأعدّ لذلك عُدّته ١: ٤٨ وفي صحيح مسلم ٥: ١٧٠ ومسند أحمد ٣: ٢١٩ والبداية والنهاية ٣: ٢٦٣ والسيرة النبويّة لابن كثير ٢: ٣٩٤ فأعرض عنه.

(١) الغضا: شجر عظيم صلب الأخشاب يتّقد طويلاً.

(٢) الهراس: شجر شائك.

(٣) المائدة: ٢٤. وعلّق العلّامة الطباطبائي على الموضع فقال: في بعض الأخبار ما يُشعر بأنّ هذه الآيات نزلت قبل غزوة بدر في أوائل الهجرة، على ما سيجيء الإشارة إليها في البحث الروائي التالي. الميزان ٥: ٢٨٦ ولكنّه في البحث الروائي التالي لم يعد على الموضوع شيء. وقال القمّي بعد الآية ٢: إنّ ذلك نزل بعد قوله ﴿لن نصبر على طعام واحد﴾ فنصف الآية في سورة البقرة ونصفها في سورة المائدة ـ تفسير القمّي في المقدّمة ١٢ و ١٦٤.

(٤) ونقل الطبرسي في مجمع البيان ٤: ٨٠٣ عن القمّي وغيره، قالوا: إنّما كان يريد الأنصار لأنّ أكثر الناس منهم، ولأنّهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: إنّا بُرآء من ذمّتك حتّى تصل إلى

فقام سعد بن مُعاذ فقال : بأبي أنت وأُمي يا رسول الله كأنك أردتنا ؟

قال : نعم .

قال : فلعلك قد خرجت على أمرٍ قد أُمرت بغيره ؟ قال : نعم

قال : بأبي أنت وأُمي يا رسول الله ، إنّا قد آمنّا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله ، فمرنا بما شئت ، وخذ من أُموالنا ما شئت واترك منها ما شئت ، والذي أخذت منه أحبّ إليّ من الذي تركت منه . والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك

فجزّاه خيراً . ثم قال سعد :

بأبي أنت وأُمي و لله ما خُضتُ هذا الطريق قط ، وما لي به علم ، وقد خلّفت بالمدينة قوماً لسنا نحن بأشد جهاداً لك منهم ، ولو علموا أنّه الحرب لما تخلّفوا . ولكن نُعِدّ لك الرواحل ونلقى عدوّنا ، فانّا لصُبُرٌ عند اللقاء أنجادٌ في الحروب ، وإنّا لنرجو أن يقرّ الله عينك بنا . فان يك ما تحب فهو ذلك . وإن يكن غير ذلك قعدت على رواحلك فلحقت بقومنا .

فقال رسول الله : أو يحدث الله غير ذلك ، كأنّي بمصرع فلان ها هنا ، وبمصرع فلان ها هنا ، وبمصرع أبي جهل ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، ونبيه ومنبّه ابني الحجاج ؛ فانّ الله وعدني إحدى الطائفتين ، ولن يخلف الله الميعاد .

دارنا ، ثمّ أنت في ذمّتنا نمنعك ممّا نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان يتخوّف أن لا ترى الأنصار عليها نصرته إلّا في المدينة .

ثم أمر رسول الله بالرحيل، فرحلوا حتى نزلوا عشاءً على ماء بدر، وهي العُدوة الشامية.

نزول قريش:

وأقبلت قريش فنزلت بالعدوة اليمانية

وبعثت عبيدها[1] تستعذب الماء فأخذهم أصحاب رسول الله[2] وحبسوهم، وقالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن عبيد قريش. قالوا: فأين العير؟ قالوا: لا علم لنا بالعير. فأقبلوا يضربونهم.

وكان رسول الله يصلي فانفتل من صلاته فقال:

إن صدقوكم ضربتموهم وإن كذبوكم تركتموهم؟! عليّ بهم. فأتوا بهم. فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: يا محمد، نحن عبيد قريش. قال: كم القوم؟ قالوا: لا علم لنا بعددهم. قال: كم ينحرون في كل يوم جزوراً؟ قالوا: تسعة أو عشرة. فقال: تسعمئة أو ألف. ثم قال: فمن فيهم من بني هاشم؟ قالوا: العباس بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث، وعقيل بن أبي طالب، فأمر رسول

---

(١) في سيرة ابن هشام ٢: ٢٦٨ روى ابن إسحاق عن عروة بن الزبير أنه: أسلم غلام بني الحجاج، وعريض غلام بني العاص بن سعيد. وروى الواقدي عن حكيم بن حزام قال: أُخذ تلك الليلة يسار غلام عبيد بن سعيد بن العاص، وأسلم غلام منبه بن الحجاج، وأبو رافع غلام أُمية بن خلف ١: ٥٢.

(٢) في سيرة ابن هشام ٢: ٢٦٨ روى ابن إسحاق عن عروة بن الزبير قال: فبعث رسول الله علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر عليه. وفي الواقدي: فبعث علياً والزبير وسعد بن أبي وقاص وبسبس بن عمرو يتحسسون على الماء ١: ٥١.

الله بهم فحبسوهم.

وبلغ ذلك قريشاً فخافوا خوفاً شديداً، فاقبلوا يتحارسون يخافون البيات.

وطلب رسول الله عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود فقال لهما: ادخلا في القوم واتياني بأخبارهم.

فصيا يجولان في عسكرهم لا يرون الا خائفاً ذعراً، وسمعوا منبه بن الحجاج يقول:

لا يترك الجوع لنا مبيتا   لا بدّ أن نموت أو نُميتا

فلما ذكرا لرسول الله ذلك قال ﷺ: والله كانوا شباعاً ولكنّهم من الخوف قالوا هذا. والقى الله في قلوبهم الرعب

ولكن بلغ أصحاب رسول الله كثرة قريش ففزعوا فزعاً شديداً وبكوا واستغاثوا

فلما أمسى رسول الله وجنّه الليل ألقى الله على أصحابه النعاس حتى ناموا

وأنزل الله عليهم السماء، وكان على أصحاب رسول الله ﷺ

---

(١) روى الطبرسي عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده أبي رافع قال: قال النبيّ لأصحابه: من يلتمس لنا الماء؟ فسكتوا عنه، فقال علي: أنا يا رسول الله، فأخذ القربة وذهب الى القليب وملأ القربة وأخرجها، وجاءت ريح فهرقته، فعاد الى القليب وملأ القربة وخرج فجاءت ريح فاهرقته، فلما كانت الرابعة ملأها فأتى بها الى النبي فأخبره بخبره فقال: أما الريح الاولى فجبرئيل في الف من الملائكة سلموا عليك وسلموا، واما الريح الثانية فميكائيل في ألف من الملائكة سلم عليك وسلموا، وأما الريح الثالثة فاسرافيل في الف من الملائكة سلم عليك وسلموا ـ إعلام الورى: ٣٥٧ وروى مثله ابن شهر آشوب في المناقب ٢: ٨٧.

رُدّ د بقدر ما لبد الأرض[1] وكانت قريش في موضع أنزل الله عليهم السماء حتى ثبتت اقدامهم في الأرض (وطمست).

والتقى الجمعان:

فلما أصبح رسول الله ﷺ عبّأ أصحابه بين يديه وقال لهم: غُضّوا أبصاركم، ولا تبدأوهم بالقتال، ولا يتكلّمنّ أحد[2]

---

(١) تزداد المطر الخفيف وقال القمي ١: ٢٦١ في قوله سبحانه: ﴿ويُنزّل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به ويذهب رجس الشيطان﴾ ذلك ان بعض اصحاب النبي احتلم. وروى الواقدي عن رفاعة بن مالك قال: غلبني النوم فاحتلمت حتى اغتسلت آخر الليل ١: ٥٤ وهذا أول ذكر للاحتلام والاغتسال من جنابة ولم يقل قبيل طلوع الفجر، لأنهم لم يكونوا صُيّاماً.

(٢) وفي اعلام الورى ١: ١٦٨ وكان لواء رسول الله يومئذ أبيض مع مصعب بن عمير، ورايته مع علي ؑ وذكر ذلك في مجمع البيان ٢: ٨٢٨ وأضاف: وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة أو سعد بن معاذ. وكذلك في المناقب ١: ١٩٠ وفي الطبري ٣: ٤٣٦ بسنده عن ابن عباس. والأغاني ٤: ١٧٥ وفي الواقدي ١: ١٠١ أن سعد بن عبادة لما حث رسول الله في الجهاد كان يأتي دور الأنصار يحضّهم على الخروج، فنُهش في بعض تلك الأماكن فمنعه عن الخروج وروى عن ابن عباس وسعيد بن المسيب: أن رسول الله غزا الى بدر بسيف وهبه له سعد بن عُبادة يقال له: العضب، ودرعه: ذات الفضول ١: ١٠٣ فقال رسول الله حين فرغ من القتال ببدر: لئن لم يكن يشهدها سعد بن عُبادة لقد كان فيها راغباً. وضرب له بسهم من الغنائم ١: ١٠١.

وهنا روى ابن اسحاق أن رسول الله عدّل صفوف أصحابه يوم بدر بسهم كان في يده، فمرّ بسواد بن غزيّة من حلفاء بني النجار وهو خارج عن الصف متقدم عليه، فطعنه النبي في بطنه بالسهم وقال: استوِ يا سواد. فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق

فلما نظرت قريش الى قلة أصحاب رسول الله، قال عتبة بن ربيعة لأبي جهل: أترى لهم مدداً أو كميناً؟

فبعثوا عمير بن وهب الجُمحي لينظر ذلك، وكان فارساً شجاعاً، فجال بفرسه حتى طاف معسكر رسول الله فرجع الى قريش وقال لهم:

ما لهم مدد ولا كمين، ولكن نواضح يثرب[1] قد حملت الموت الناقع! أما ترونهم خُرساً لا يتكلمون! يتلمّظون تلمّظ الأفاعي! ما لهم ملجأ الا سيوفهم! وما أراهم يولّون حتى يُقتلوا! ولا يُقتلون حتى يَقتلوا بعددهم! فارتأوا رأيكم!.

فقال أبو جهل: كذبت وجُبنت وانتفخ سَحْرُك[2] حين نظرت الى سيوف يثرب!

وبعث رسول الله الى قريش من يقول لهم عنه:[3]

يا معشر قريش، ما أحد من العرب أبغض إلي ممن يبدأبكم[4] حتى

→

والعدل فأقِدني! فكشف رسول الله عن بطنه وقال: استقد. فاعتنق سواد رسول الله ثم أهوى فقبّل بطنه! فقال رسول الله: يا سواد ما حملك على هذا؟ قال: يا رسول الله، حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ جلدي جلدك. فدعا له رسول الله بخير ٢: ٢٧٨ وليس قُبيل وفاته كما زعم بعضهم.

(١) النواضح جمع الناضحة وهي الناقة على البئر يصب عليها الماء.

(٢) السَّحْر: الرئة والجوف ومنه سحْر السبيل أي جوفه، وانتفخ سحرك أي ملئت أو جوفك من الخوف.

(٣) قال الواقدي ١: ٦١ أرسل النبي ﷺ عمر بن الخطاب الى قريش.

(٤) كذا، أي ليس هناك في العرب من يكون أكثر مبغوضاً عندي ممن يبدأ بقتال معكم. فأنا أبغض أن أبدأ بقتال معكم إن لم تقاتلوني.

والعرب، فإن يك صادقاً فأنتم أعلى بي عيناً، وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري، فارجعوا.

فقال عُتبه: والله ما أفلح قوم قط ردّوا هذا! وأقبل يقول:

يا معشر قريش! أطيعوني اليوم واعصوني الدهر وارجعوا الى مكة، واشربوا الخمور وعانقوا الحور، فإنّ محمداً له إلٌّ وذمّة، وهو ابن عمكم، فارجعوا، ولا تبذوا رأيي. وإنما تطالبون محمداً بالعير التي أخذها محمد بنخيلة ودم ابن الحضرمي، وهو حليفي وعليّ عقله[1].

فلما سمع أبو جهل ذلك غاضه وقال:

إن عتبة أطول الناس لساناً وأبلغهم في الكلام، ولئن رجعت قريش بقوله ليكوننّ سيد قريش آخر الدهر.

ثم قال: يا عتبة! نظرت إلى سيوف بني عبد المطلب وجبنت وانتفخ سَحَرك[2] وتأمر الناس بالرجوع، وقد رأينا ثأرنا بأعيننا!

فنزل عتبة عن جمله وحمل على أبي جهل وهو على فرسه فعرقب فرسه وأخذ بشَعره وقال: أمثلي يجبُن؟! وستعلم قريش اليوم أيّنا الألأم وأجبن؟ وأيُّنا المفسد لقومه! لا يمشي الى الموت عياناً الا أنا وأنت! ثم أخذ يجرّه بشَعره!

فاجتمع الناس يقولون: يا أبا الوليد! الله الله! لا تفتّ في أعضاد الناس تنهى عن شيء وتكون أوله. حتى خلّصوا أبا جهل من يده.

فذهب ولبس درعه، وطلبوا له بيضة تسع رأسه ـ وكان عظيم الهامة ـ فلم يجدوا، فاعتمّ بعمامتين. ثم أخذ سيفه ونظر الى ابنه الوليد فقال: قم يا بُني فقدم

---

(١) العقل: الدية.

(٢) مرّ معناه. وفي القمي مخرّفاً: منخرك، في الموضعين.

معه فنظر الى أخيه شيبة، فقام معه

المبارزة الاولى:

وتقدم عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد.

ونادى: يا محمد، أخرج الينا أكفاءنا من قريش.

فبرز اليه ثلاثة نفر من الأنصار من بني عفراء: عوف وعوذ ومعوّذ

فقال عتبة: من انتم؟ انتسبوا لنعرفكم

فقالوا: نحن بنو عفراء أنصار الله وأنصار رسول الله.

قالوا: ارجعوا، لسنا اياكم نريد، انما نريد الأكفاء من قريش!

فبعث اليهم رسول الله: أن ارجعوا، فرجعوا ووقفوا موقفهم[1].

ثم نظر رسول الله الى عمّه عبيدة بن الحرث بن عبد المطّلب وكان له سبعون سنة، فقال له: قم يا عُبيدة! فقام بين يديه بالسيف

ثم نظر الى حمزة بن عبد المطلب فقال: قم يا عمّ!

ثم نظر الى امير المؤمنين فقال له: قم يا علي. وكان أصغرهم

ثم قال لهم: فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم، فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تطفىء نور الله

ثم قال: يا عبيدة عليك بعتبة، وقال لحمزة: عليك بشيبة، وقال لعلي: عليك بالوليد بن عتبة.

فمرّوا حتى انتهوا الى القوم. فقال عتبة: من انتم؟ انتسبوا لنعرفكم

فقال عبيدة: أنا عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب.

---

(١) لكنهم استشهدوا بعد، كما يأتي

فقال عتبة: كفوٌ كريم، فمن هذان؟

قال عبيدة: هما حمزة بن عبد المطلب وعليّ بن أبي طالب.

فقال عتبة: كفوان كريمان، لعن الله من أوقفنا وإياكم هذا الموقف.

ووقف حمزة بإزاء شيبة، فقال له شيبة: من أنت؟

قال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله.

فقال شيبة: لقد لقيت أسد الحلفاء(1)، فانظر كيف تكون صولتك يا أسد الله.

فحمل عُبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلق بها هامته، وضرب عتبة عُبيدة على ساقه فقطعها، وسقطا.

وحمل حمزة على شيبة فتضاربا بالسيف حتى انثلما وكل واحد يتّقي بدرقته.

وحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد بن عتبة فضربه على عاتقه فأخرج السيف من إبطه، فأخذ الوليد يمينه المقطوعة بيساره فضرب بها هامة علي عليه السلام

ونادى المسلمون: يا علي، أما ترى الكلب قد أبهر (أبهر) عمّك؟!

---

(1) نقل الواقدي ذلك، ونقل عن أبي الزناد قال: لم أسمع كلمة أوهن من قوله: أنا أسد الحلفاء، يعني بالحلفاء الأجمة ١: ٦٩ والأجمة تعني الغابة.

وقال ابن أبي الحديد: قد رويت هذه الكلمة على صيغة أخرى: أنا أسد الأحلاف، وقالوا في تفسيرها: أراد أنا سيد أهل الحلف المطيّبين، وكان الذين حضروه بني عبد مناف، وبني أسد بن عبد العزى، وبني تيم، وبني زهرة، وبني الحارث بن فهر، وردّ قوم هذا التأويل فقالوا: إن المطيبين لم يكن يقال لهم الحلفاء ولا الأحلاف، وإنما ذلك لقب خصومهم وأعدائهم الذين وقع التحالف لأجلهم، وهم بنو عبد الدار، وبنو مخزوم، وبنو سهم، وبنو جمح، وبنو عدي بن كعب. وقال قوم في تفسيرها: إنه عنى حلف الفضول، وهذا التفسير أيضاً غير صحيح؛ لأن بني عبد شمس لم يكونوا في حلف الفضول، وإنما هم بنو هاشم، وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو زهرة، وبنو تيم، وبنو الحارث بن فهر. فقد بان أنّ ما ذكره الواقدي أصح وأثبت. شرح نهج البلاغة ٣: ٣٣٤

فحمل علي عليه السلام على شيبة وقال لعمّه حمزة: يا عمُّ طأطئْ رأسك. فأدخلَ حمزة رأسه في صدره، فضرب عليّ على رأس شيبة فطيّرَ نصفَه!

ثمّ جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهزَ عليه.

ثمّ حمل هو وحمزة عبيدة بن الحارث حتّى أتيا به رسول الله، فنظر إليه رسول الله واستعبر، فقال عبيدة: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي ألستُ شهيداً؟

قال رسول الله: بلى، أنت أوّل شهيد من أهل بيتي.

قال عبيدة: أما لو كان عمّك حيّاً لعلم أنّي أولى بما قال منه.

قال رسول الله: وأيّ أعمامي تعني؟

قال عبيدة: أبا طالب، حيث يقول:

كذبتم ـ وبيتِ الله ـ نُبزي محمّداً ... ولمّا نُطاعنْ دونه ونناضلِ

ونسلمه، حتّى نُصرَّع حوله ... ونُذهلَ عن أبنائنا والحلائلِ

فقال رسول الله: أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله، وابنه الآخر في جهاد الله بأرض الحبشة؟

فقال عبيدة: يا رسولَ الله، أسخطت عليَّ في هذه الحالة؟!

فقال رسول الله: ما سخطتُ عليك[1]

حامل راية قريش:

وجاء إبليس إلى قريش في صورة سراقة بن مالك فقال لهم: ادفعوا إليّ

---

(١) وفي الإرشاد ١: ٧٤ فمات بالصفراء (في رجوعهم من بدر)، وكذلك في المناقب ١: ١٨٨. وفي مغازي الواقدي ١: ١٤٧ عن يونس بن محمّد قال: أراني أبي أربعة قبور في شعب من مضيق الصفراء، وثلاثة بالدبة أسفل من شعب المستعجلة، وقبر عبيدة بن الحارث بذات أجذال بالمضيق أسفل من الجدول.

رأيكم، فدعوهم فيه.

وأقبلت قريش يقدمها إبليس في صورة سراقة بن مالك معه الراية

وقال أبو جهل لقريش: عليكم بأهل يثرب فاجزروهم جزراً، وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً حتى ندخلهم مكة فنعرّفهم ضلالتهم التي كانوا عليها!

ونظر إليهم رسول الله فقال لأصحابه:

غضّوا أبصاركم، وعضّوا على النواجذ، ولا تسلّوا سيفاً حتى آذن لكم

ثم رفع يده إلى السماء وقال:

يا ربّ إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد، وإن شئت أن لا تُعبد لا تُعبد

ثم أصابته الغشية ثم سُرّي عنه وهو يسلت العرق عن وجهه ويقول لهم:

هذا جبرئيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مُردفين[1]

ونظر إبليس إلى جبرئيل فتراجع ورمى باللواء!

فأخذ منبّه بن الحجّاج بمجامع ثوبه ثم قال له: ويلك يا سراقة تفتّ في أعضاد الناس!

فركله إبليس ركلة في صدره وقال: إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله[2]

---

(١) وفي إعلام الورى ١: ١٦٨: وأيدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة، وكثّر الله المسلمين في أعين الكفار، وقلّل المشركين في أعين المؤمنين كيلا يفشلوا. وكذلك في المناقب ١: ١٨٨.

(٢) جاءت الإشارة إلى ذلك في تفسير العياشي ٢: ٥٢ و٦٥ عن زين العابدين والصادق عليهما السلام، ونقل الطوسي في التبيان ٥: ١٣٥ عن الباقر والصادق عليهما السلام، والسدّي وقتادة عن ابن عباس ونقله عن علي عليه السلام قال: ظهر لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني المدلجي في جماعة من جنده وقال لهم: هذه كنانة قد أتتكم نجدة. فلما رأى الملائكة نكص على عقبيه، فقال له الحارث بن هشام: إلى أين يا سراقة؟! فقال: إني أرى ما

وأخذ رسول الله كفّاً من حصى فرمى به في وجوه قريش وقال: شاهت الوجوه. فبعث الله رياحاً تضرب في وجوه قريش، فكانت الهزيمة(٣).

لا ترون. ونقله عن ابن إسحاق أيضاً وذلك في سيرته ٢: ٢٨ و٢٢٣. وروى الطوسي ملخصه في أماليه ١: ١١ كما في بحار الأنوار ١٩: ٢٧٠ عن جابر.

ونقل الطبرسي في مجمع البيان ٤: ٨٤٤ عن الباقر عليه السلام وعن الكلبي عن السدي عن ابن عباس، رفعه عن علي عليه السلام: بعد قول: إنّ إبليس يد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه. فقال له الحارث: يا سراقة أين؟ أتخذلنا على هذه الحالة؟! فقال له: إني أرى ما لا ترون! فقال الحارث: والله ما نرى إلا جعاسيس يثرب! فدفع إبليس في صدر الحارث وانطلق وانهزم الناس.

فلما قدموا مكة قالوا: إن سراقة هزم الناس!

فبلغ ذلك سراقة فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم! فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان. ونقل كلاماً عن الشيخ المفيد في توجيه ذلك. ونقله ابن شهرآشوب في مناقب ١: ١٨٨ كما في مجمع البيان. ونقل الخبر عن ابن عباس الواقدي ١: ٧٠، ٧١ وعن رفاعة بن رافع: ٧٥.

(١) وفي الإرشاد: ٦٩ قال: وحمي الأمر تناول النبي صلى الله عليه وآله كفّاً من حصباء فرمى بها في وجوههم وقال: شاهت الوجوه، فلم يبق منهم أحد إلا ولّى الدبر منهزماً. وروى الطوسي في التبيان ٥: ٩٣ عن ابن عباس قال: إن النبي صلى الله عليه وآله أخذ كفّاً من حصباء فرماها في وجوههم وقال: شاهت الوجوه، فقسمه الله على أبصارهم فشغلهم بأنفسهم حتى غنمهم المسلمون وقتلوهم كل مقتل. وفي إعلام الورى: ١٦٩ وأخذ رسول الله كفّاً من تراب ورماه إليهم وقال: شاهت الوجوه، فلم يبق منهم أحد إلا اشتغل بفرك عينيه. وكذلك في مناقب ١: ١٨٨ عن الشعبي عن عكرمة عن ابن عباس عن علي عليه السلام. وذكره ابن إسحاق في سيرة ٢: ٢٨٠ و٢٦٣ والواقدي ١: ٨١ و٩٥ عن حكيم بن حزام ونوفل بن معاوية، والطبري ٢: ٤٢٤ عن عروة.

فقال رسول الله: إنهم لا يقتلن فرعون هذه الأمة أبو جهل بن هشام

مقتل أبي جهل

والتقى عمرو بن الجموح بأبي جهل فضرب عمرو أبا جهل بن هشام على فخذه، وضرب أبو جهل عمراً على يده فأبانها من العضد، فتعلقت بجلده، فاتكأ عمرو على يده برجله ثم نزا في السماء حتى انقطعت الجلدة ورمى بيده

وانتهى عبد الله بن مسعود الى أبي جهل وهو يتشحط في دمه فقال له الحمد لله الذي أخزاك!.

فرفع رأسه فقال: أي أخزى الله عبد ابن ام عبد الله، لمن الدبر ويلك؟

قال ابن مسعود: لله ولرسوله. واني قاتلك! ووضع رجله على عنقه

فقال أبو جهل: لقد ارتقيت مرتقاً صعباً يا رويعي الغنم! أما انه ليس شيء أشدّ على من قتلك اياي في هذا اليوم. ألا تولّى قتلي رجل من المطيبين أو الأحلاف!.

فاقتلع ابن مسعود بيضة كانت على رأسه فقتله وأخذ رأسه وجاء به الى رسول الله

وقال: يا رسول الله البشرى! هذا رأس أبي جهل بن هشام. فسجد شكراً لله

(٢) قال الواقدي: قالوا: وكان انهزام القوم وتوليهم حين زالت الشمس، فأمر رسول الله عبد الله بن كعب بقبض الغنائم وحملها، وأمر نفراً من أصحابه ان يعينوه. وصلى العصر ببدر ثم رحل (١، ١١٢) ويقال: صلى العصر بالأثيل (١، ١١٣)

أسر العباس وعقيل:

وأسر أبو اليَسَر الأنصاري[1] العباس بن عبد المطّلب وعقيل بن أبي طالب، وجاء بهما الى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله: هل أعانك عليه أحد؟ قال أبو اليَسَر: نعم، رجل عليه ثياب بيض. فقال رسول الله: ذاك من الملائكة.

ثم قال العباس لرسول الله: يا رسولَ الله، قد كنتُ أسلمتُ، ولكنّ القوم استكرهوني.

فقال رسول الله: إن يكن ما تذكر حقاً فان الله يجزيك عليه، فأما ظاهر

---

(١) في مجمع البيان ٤: ٨١٢ أبو اليَسَر كعب بن عمرو من بني سلمة، وكذلك في سيرة ابن هشام ٢: ٢٩٨ ومغازي الواقدي ٢: ١٢٥٢ ومن الطريف أن ابن اسحاق ذكر في سيرته عن العباس بن عبد المطلب وآله رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب بشأن انتصار المسلمين على قريش ٢: ٢٥٨ وعن النبي ﷺ أن العباس اخرج مكرهاً فلا تقتلوه ٢: ٢٨١ وعن أبي رافع مولاه: أنه وآله كانوا قد اسلموا ٢: ٣٠١ وعدّه اول المطعمين من قريش ٢: ٣٢ وذكر أسر عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث ٢: ٣٠٣ ولم يذكر معهما العباس، وعلله أبو ذر الخشنيّ (ت ٦٠٤) من شرح السيرة قال: لأنه كان قد أسلم وكان يكتم اسلامه خوف قومه. كما في هامش السيرة ٢: ٣ والواقدي لم يذكر عن العباس سوى رؤيا اخته عاتكة ١: ٢٩ وأنه اكثر من النبيّ بثلاث سنين ١: ٧٠ وعنا اليعقوبي ذكر أسره واسلامه وافتداءه نفسه وعقيلاً ونوفلاً ٢: ٤٦ وكذلك الطبري ويلاحظ أيضاً أن ابن اسحاق ذكر نزول سورة الأنفال بعد بدر وفيها الآية: ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أُخذ منكم ويغفر لكم﴾ ولم يذكر شيئاً عن معناها وشأن نزولها في العباس، وأما الواقدي فلم يذكرها ضمن آيات الأنفال النازلة ببدر أصلاً! فلعل ذلك تحاشياً عن غضب بني العباس.

أمرك فقد كنت علينا. ثم قال له: إنكم خاصمتم الله فخصمكم.

ثم قال رسول الله لعقيل: يا أبا يزيد، قد قتل الله أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ونبيه ومُنبّه ابني الحجّاج، ونوفل بن خويلد، وسهيل بن عمرو، وفلاناً وفلاناً(1).

فقال عقيل: فإن كنت قد أثخنت القوم إذاً لا تُنازَع في تهامة، وإلّا فاركب أكتافَهم! فتبسم رسول الله من قوله(2).

وكان القتلى (من المشركين) سبعين(3) قتل منهم علي عليه السلام عشرين

---

(1) وعدّ منهم النضر بن الحارث وعقبة بن أبي مُعيط ثم يذكر أنهما قتلا بالأُثيل في رجوعهم من بدر ١ : ٢٦٩.

(2) وروى مثله الحميري في قرب الإسناد عن الصادق عن الباقر عليهما السلام كما في البحار ١٩ : ١٣٩.

(3) منهم فتية من قريش سمّى خمسة منهم ابن إسحاق والواقدي وإن كان الواقدي ذكرهم سبعة، قالوا عنهم: إنهم كانوا قد أسلموا ورسول الله بمكة، فلما هاجر رسول الله إلى المدينة حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا، فخرجوا معهم إلى بدر وهم على الشك والارتياب، فلما قدموا بدراً ورأوا قلة أصحاب النبي قالوا: غرَّ هؤلاء دينهم، وهم مقتولون الآن، فأُصيبوا في بدر جميعاً. وفيهم نزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرَّ هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإنّ الله عزيز حكيم﴾ في خبر الأنفال. وفيها: ﴿إنّ شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون * الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون * فإما تثقفنّهم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم لعلهم يذّكّرون﴾ وفيها: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم * وإن يريدوا أن يخدعوك فإنّ حسبك الله، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين * وألّف بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الأرض ما ألّفت بين قلوبهم، ولكن الله ألّف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ الأنفال: ٤٩ ـ ٦٣ مغازي الواقدي ١: ٧٢ و٧٣ وابن

رجلاً[١]

ــــــــــــــــــــــ

والمحاربي لم يذكر هذه الآيات وإنما قال: نزل فيهم من القرآن قوله: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا: فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض. قالوا: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾ النساء: ٩٤ سيرة ابن هشام ٢: ٢٩٤. وفي مغازي الواقدي بسنده عن محمد بن كعب القرظي: أنزل الله بعد بدر فيمن كان يدعي الاسلام على الشك وقتل مع المشركين ببدر وهم سبعة نفر: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ الى آخر ثلاث آيات، وهي من سورة النحل: ١٦ ـ ١٨ والواقدي ١: ٧٣ والأول أولى.

(١) وفي المغازي للواقدي ١: ١٥٢ اثنين وعشرين رجلاً. وقال الشيخ المفيد في الإرشاد ١: ٦٩ ـ ٧٢: كان المقتولون منهم سبعين رجلاً، تولّى كافة من حضر من المسلمين مع ثلاثة آلاف من الملائكة المسومين قتل الشطر منهم، وتولّى أمير المؤمنين قتل الشطر الآخر وحده، بمعونة الله له وتأييده وتوفيقه ونصره... قد أثبت رواة العامة والخاصة معاً أسماء الذين تولى أمير المؤمنين عليه‌السلام قتلهم ببدر من المشركين على اتفاق فيما نقلوه من ذلك واصطلاح. ثم ذكر من سمّوه ثم قال: فذلك ستة وثلاثون رجلاً سوى من اختلف فيه أو شرك أمير المؤمنين عليه‌السلام فيه غيره، وهم أكثر من شطر المقتولين ببدر.

وفي إعلام الورى ١: ١٧٠: وقتل علي عليه‌السلام ببدر من المشركين ستة وثلاثين رجلاً وسمى عشرة ممن ذكرهم الشيخ المفيد، منهم: العاص بن سعيد بن العاص، وطعيمة بن عدي بن نوفل، ونوفل بن خويلد، وهو عمّ الزبير بن العوام، وهو الذي قرن طلحة وأبا بكر بحبل وعذّبهما قبل الهجرة. وعمير بن عثمان التيمي عمّ طلحة. ومالك وعثمان ابنا عبيد الله أخوي طلحة. وحنظلة بن أبي سفيان أخا معاوية. وزمعة وعقيل ابني الأسود. والحارث بن زمعة بن الأسود. وقتل عمار بن ياسر أمية بن خلف. وأمر رسول الله بإلقاء القتلى في قليب بدر

وكان الأسرى سبعين ـ ولم يأسر علي عليه السلام أحداً[١] ـ فجمعوهم وقرنوهم بالحبال، وجمعوا غنائمهم[٢].

قصة القطيفة الحمراء.

وكان في الغنيمة التي أصابوها يوم بدر قطيفة حمراء ففقدت، فقال رجل من أصحاب رسول الله: ما لنا لا نرى القطيفة؟ ما أظن إلا أن رسول الله أخذها!

فجاء رجل إلى رسول الله فقال: إن فلاناً غلّ قطيفة فأخبأها هنالك.

فأمر رسول الله بحفر ذلك الموضع، فأخرجت القطيفة[٣].

---

(١) أي لم يكن علي عليه السلام مشغولاً بحماية النبيّ والمسلمين على الأسر قبل الإثخان في القتل، ولم يطمع بذلك. ابن إسحاق ٢: ٣٠٥ والواقدي ١: ١٣٩ ذكر أن علياً عليه السلام قتل حنظلة بن أبي سفيان، وأسر عمرو بن أبي سفيان[؟].

(٢) تفسير القمي ١: ٢٥٦ ـ ٢٦٩. وقال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله أمر بما في العسكر مما جمع الناس فجمع ٢: ٢٩٥ وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف ٢: ٢٩٧. وفي مغازي الواقدي استعمل عليها رسول الله عبد الله بن كعب بن عمرو المازني. وكان فيها إبل ومتاع وأنطاع وثياب ١: ١٠٠ وكانت الإبل مئة وخمسين بعيراً ١: ١٠٢ وعشرة أفراس، وسلاحاً ١: ١٠٣ وكانت الدروع فيهم كثيرة التقطها المسلمون ١: ٩٦ وكان معهم أدَم كثير حملوه للتجارة فغنمه المسلمون.

(٣) تفسير القمي ١: ١٢٦، ١٢٧. وبعده الواقدي وقال: فسأل رسول الله الرجل فقال: لم أفعل يا رسول الله. فقال الدالّ: يا رسول الله احفروا هاهنا. فأمر رسول الله فحفر هناك، فاستخرجت القطيفة.

فقال قائل: يا رسول الله، استغفر لفلان، مرتين أو مراراً.

فقال رسول الله: دعونا من آبي جُرْم ـ ١: ١٠٢.

قالوا: وكان انهزام القوم وتوليهم حين زالت الشمس، فصلّى العصر ببدر ثم راح ←

نزول سورة الأنفال:

قال: ولما انهزم الناس كان أصحاب رسول الله على ثلاث فرق: فصنفٌ كانوا عند خيمة النبيّ ﷺ، وصنف أغاروا على النهب، وفرقة طلبت العدو وأسروا وغنموا.

وكان سعد بن معاذ أقام عند خيمة النبيّ ﷺ فلما جمعوا الغنائم والأسارى خاف سعد أن يقسم رسول الله الغنائم والأسلاب بين من قاتل ولا يعطي من تخلف على خيمة رسول الله شيئاً، فقال:

يا رسول الله، ما منعنا أن نطلب العدو زهادة في الجهاد ولا جبنٌ عن العدو، ولكنّا خفنا أن نعدو موضعك فيمل عليك خيل المشركين. وان الناس كثير يا رسول الله والغنائم قليلة، ومتى تُعطي هؤلاء (الغانمين) لم يبق لأصحابك شيء.

وقال سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله، أتعطي فارس القوم الذي يحميهم مثل ما تعطي الضعيف؟ فقال النبيّ: ثكلتك أمك! وهل تُنصرون إلّا بضعفائكم؟![1]

فاختلفوا فيما بينهم حتى سألوا رسول الله: لمن هذه الغنائم؟

فأنزل الله ﴿بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله

→

ولعله في الأصل: صلى الظهر ببدر ثم راح فيعود فيقول ويقال: صلى العصر بالأثيل (على أربعة أميال من بدر = ٨ كم) ١: ١١٣.

(١) رواه الواقدي بسنده عن عكرمة ١: ٩٩.

والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾[1]

فرجع الناس وليس لهم في الغنيمة شيء.

ثم أنزل الله بعد ذلك ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾[2]

ولم يخمّس رسول الله ببدر، وقسمه بين أصحابه[3]

وقال الطوسي في «التبيان»: قال قوم: إن النبيّ ﷺ كان نفّل أقواماً على بلاء، فأبلى أقوام وتخلّف آخرون مع النبيّ، فلما انقضت الحرب اختلفوا، فقال قوم: نحن أحرزنا لأنا قاتلنا، وقال آخرون: ونحن كنا وراءكم نحفظكم، وقال آخرون: نحن أحطنا بالنبيّ، ولو أردنا لأخذنا. فأنزل الله هذه الآية يعلمهم أن ما فعل فيها رسول الله ماضٍ جائز. رواه عكرمة عن ابن عباس، وهو عن عبادة بن الصامت[4].

ولا يتنافى مع هذه الرواية عن ابن عباس ما روي عنه قبلها: أن الأنفال هي سلب الرجل وفرسه، فللنبيّ أن ينفله من شاء[5].

ونقل عن قتادة: أن النبيّ ﷺ كان ينفل الرجل من المؤمنين سلب الرجل

---

(١) الآية الأولى من سورة الأنفال.

(٢) الأنفال: ٤١.

(٣) تفسير القمي ١: ٢٥٤، ٢٥٥ ورواه الواقدي بسنده عن عبادة بن الصامت، وعامة ثم استقبل يأخذ الخمس بعد بدر.

(٤) التبيان ٥: ٧٢، ٧٣.

(٥) التبيان ٥: ٧٢.

من الكفر اذا فتنه[1].

ونقل الطبرسي في «مجمع البيان» عن ابن عباس وأصحاب النبي ﷺ قال يوم بدر: من جاء بكذا فله كذا، ومن جاء بأسير فله كذا، فتسارع الشبان وبقي الشيوخ تحت الرايات، فلما انقضت الحرب طلب الشبان ما كان قد نفلهم النبي ﷺ فقال الشيوخ: كنا ردءاً لكم، ولو وقعت عليكم الهزيمة لرجعتم الينا، وجرى بين أبي اليَسَر كعب بن عمرو الأنصاري وبين سعد بن مُعاذ كلام فنزع الله الغنائم منهم وجعلها لرسوله يفعل بها ما يشاء، فقسّمها بينهم بالسوية.

ثم روى مسند رواية ابن عباس عن عبادة بن الصامت قال: اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا فجعله الى رسوله، فقسمه بيننا على السواء، وكان ذلك في تقوى الله وطاعته وصلاح ذات البين[2].

وقد روى السيوطي في «الدر المنثور» ما لعله تفصيل هذا المجمل بإسناده عن عُبادة بن الصامت قال: خرجت مع رسول الله وشهدت معه بدراً، والتقى الناس وهزم الله العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم المنهزمين يقتلون منهم، وأحدقت طائفة برسول الله لئلا يُصيب العدوّ منه غِرّة، وأكبّت طائفة على غنيمة العسكر يجمعونها ويحوزونها.

فلما فاء الناس بعضهم الى بعض وكان الليل قال الذين جمعوا الغنائم: نحن جمعناها وحويناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحقّ بها منّا، نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول

(١) التبيان ٥: ٧٤.

(٢) مجمع البيان ٤: ٧٩٦، ٧٩٧ ورواه ابن اسحاق في ابن هشام ٢: ٢٩٦ و ٣٢٢.

الله. تستم بالحق من عن حدها رسول الله وحقت أن يصيب العدو منه غرة

فعرت: ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ﴾ فقسّمها رسول الله بين المسلمين[1].

في منزل أثيل

ونعود: «وكان الليل» يعني أن ذلك كان بعد رجوعهم من بدر وبعد مسألة الأسرى في منزل الأثيل[1] حيث قال علي بن ابراهيم القمي.

فرحل رسول الله، وساقوا الأسارى على أقدامهم مقرونين بحبال من الجبال. وعند غروب الشمس نزلوا الأثيل[2] ـ وهو من بدر على ستة أميال (اثني عشر كيلومتراً الى المدينة).

ونظر رسول الله الى عقبة بن أبي مُعيط والنضر بن الحارث بن كلدة وهما في قران واحد، فقال لعلي عليه السلام: يا علي، عليّ بالنضر وعقبة.

فجاء علي عليه السلام فأخذ بشعر النضر فجرّه الى رسول الله

فقال النضر: يا محمد، أسألك بالرحم الذي بيني وبينك ـ إلّا أجريتني كرجل من قريش، إن قتلتهم قتلتني، وإن فاديتهم فاديتني، وإن أطلقتهم أطلقتني

فقال رسول الله: لا رحم بيني وبينك، قطع الله الرحم بالاسلام

---

(١) تفسير القمي ١: ٢٥٩ وعنه في الميزان ٩: ١٦ وقد كان التقسيم في منزل سير بعد الأثيل لذلك أجّلت تفصيل التقسيم بعد ذكر ما حدث في منزل الأثيل.

(٢) كما صرّح بذلك الواقدي قال: لما خرج النبيّ من بدر وكان بالأثيل عُرض عليه الأسرى. مغازي الواقدي ١: ١٠٦.

(٣) وفي إعلام الورى ١: ١٦٩ بالصفراء.

ثم التفت إلى علي وقال: قدّمه يا علي فاضرب عنقه. فقدّمه وضرب عنقه.

ثم قال: قدّم عُقْبة فاضرب عنقه. فقدّمه وضرب عنقه[1].

فقام الأنصار وقالوا: يا رسول الله، قد قتلت سبعين وأسرت سبعين، وهم قومك وأُسارك، ولكن هبْهم لنا يا رسول الله، وخذ منهم الفداء وأطلِقْهم؟ قالوا: يا رسول الله لا تقتلهم وهبهم لنا حتى نفاديهم.

فنزل جبرئيل فقال: إن الله قد أباح لهم أن يأخذوا من هؤلاء الفداء ويطلقوهم، على أن يُستشهد منهم في عام قابل بعدد من يأخذون منه الفداء من هؤلاء. فأخبرهم رسول الله بهذا الشرط، فقالوا: قد رضينا به، نأخذ العام الفداء من هؤلاء نتقوى به ويُقتل منّا في عام قابل بعدد ما نأخذ منهم الفداء وندخل الجنة[2].

فأطلق لهم أن يأخذوا الفداء ويطلقوهم[3].

---

(١) كما من المستهزئين والمحرّضين على حرب بدر ـ الواقدي ١: ٣٧.

(٢) تفسير القمي ١: ٢٦٩، ٢٧٠.

(٣) تفسير القمي ١: ١٢٦.

(٤) تفسير القمي ١: ٢٧٠ وروى مثله الواقدي بسنده عن علي عليه السلام، والمغازي ١: ١٠٧. واستظهر من هذا أن ما نزل من سورة الأنفال كان إلى الثلثين من السورة، إلى الآية الرابعة والخمسين منها، مشتملة في الآية الأولى على حكم الأنفال وفي الآية الواحدة والأربعين على حكم ما غنموا وتخميسه، ثم العتاب في باب أخذهم الأسرى ثم تحليل ما غنموا من فدائهم في الآيات ٦٧ إلى ٧٠ فهي بعد الآيات ١٥٥ إلى ٦٦ التي قال الواقدي عنها أنها نزلت في بني قينقاع ووقعهم في منتصف شهر شوال ثم قفول الرسول منهم إلى المدينة ووصول وفود مكة في فداء الأسرى.

العباس بن عبد المطلّب وعقيل بن أبي طالب:

روى الكليني في «روضة الكافي» بسنده عن معاوية بن عمار الدُّهني عن الصادق عليه السلام قال: إنّ رسول الله نهى يوم بدر أن يُقتل أحد من بني هاشم فأسروا.

ثم أرسل عليّاً وقال له: انظر من ها هنا من بني هاشم؟ فمرّ علي عليه السلام ورجع إلى رسول الله فقال له: هذا أبو الفضل في يد فلان، وهذا عقيل في يد فلان وهذا نوفل بن الحارث في يد فلان.

وجيء بالعباس فقيل له: افدِ نفسك وافدِ ابني أخيك. فالتفت إلى النبيّ وقال: يا محمد! تركتني أسأل قريشاً في كفّي؟!

قال رسول الله: أعطِ مما خلّفتَ عند أمّ الفضل وقلت لها: إن أصابني شيء في وجهي هذا فأنفقيه على نفسك وولدك.

قال: يابن أخي! من أخبرك بهذا؟!

قال: أتاني به جبرئيل من عند الله.

فقال: والمحلوف به! ما علم بهذا أحد إلّا أنا وهي، فأشهد أنك رسول الله[1].

وروى الطبرسي في «مجمع البيان» عن الباقر عليه السلام قال: كان الفداء يوم بدر كل رجل من المشركين بأربعين أوقية، والأوقية أربعون مثقالاً، إلّا العباس فإن فداءه كان مئة أوقية. وكان أُخذ منه حين أسر عشرون أوقية ذهباً، فقال النبيّ

---

(١) روضة الكافي: ٢٠٢ ورواه العياشي في تفسيره ٢: ٦٨ و ٦٩ والحميري في قرب الإسناد كما في الميزان ٩: ١٤٠.

ذلك غنيمة، ففادِ نفسك وابني أخيك نوفلاً وعقيلاً. فقال: ليس معي شيء. فقال: أين الذهب الذي سلّمته إلى أُم الفضل وقلت: إن حدث بي حدث فهو لك وللفضل وعبد الله وقُثَم؟ فقال: من أخبرك بهذا؟ قال: الله تعالى.

فقال: أشهد أنك رسول الله، والله ما اطّلع على هذا أحد إلّا الله تعالى[1].

قال الواقدي: ومنّ رسول الله من الأسرى يوم بدر على أبي عزة عمرو بن عبد الله الجُمحي، وكان شاعراً، فقال لرسول الله: لي خمس بنات ليس لهنّ شيء، فتصدّقْ بي عليهن يا محمد! وأُعطيك موثقاً لا أُقاتلك ولا أُكثر عليك أبداً.

فجعل رسول الله وأعتقه وأرسله[2].

الوصية بالأسرى

قال: قالوا: ولما حُبس الأسرى ببدر استعمل النبيّ عليهم غُلامه شُقران وقد شهد بدراً ولم يعتقه يومئذٍ[3] وقال: إنّ لكم غنمةً، فلا يفوتكم رجل من

(1) مجمع البيان 4: 86 وقال في إعلام الورى 1: 169: قال العباس: والله يا رسول الله إني لأعلم أنك رسول الله، إنّ هذا لشيء ما علمه غيري وغير أُم الفضل. ثم فدى نفسه بمئة أُوقية، وكل واحد من الاثنين بأربعين أُوقية. ومن الطريف أن ابن إسحاق والواقدي وابن هشام تحاشوا ذكر أسر العباس وذكروا أخباراً شيئاً عن سابق إسلام العباس وأسره!

(2) فلما خرجت قريش إلى أُحد خرج أبو عزة يدعو العرب يحشرهم ثم خرج مع قريش إلى أُحد فأُسر وحده من قريش فقال: يا محمد، لي بنات فامنن عليّ وإنما أُخرجت مكرهاً! فقال رسول الله ﷺ: أين ما أعطيتني من العهد والميثاق؟ لا والله، لا تمسح عارضيك بمكة تقول: سخرت بمحمد مرتين، إنّ المؤمن لا يُلدغ من جُحر مرتين. يا عاصم بن ثابت، قدّمه فاضرب عنقه. فقدّمه وضرب عنقه. مغازي الواقدي 1: 111.

(3) مغازي الواقدي 1: 105 و107 و116.

هؤلاء الّا بفداء أو ضربة عنق.

فقال عبد الله بن مسعود: يا رسول الله، إلّا سهيلاً ابن بيضاء، فاني رأيته يذكر الاسلام بمكة. فسكت النبيّ فلم يرد عليه، ثم رفع رسول الله رأسه فقال: إلّا سُهيلاً[1].

وروى عن الزُهري روى عن النبيّ قال لأصحابه في الأسرى: استوصوا بهم خيراً.

فكان ابو العاص بن الربيع يقول: كنت مع رهط من الأنصار وكان التمر زادهم والخبز معهم قليل، وكانوا اذا تغدّوا أو تعشّوا[2] أكلوا التمر وآثروني بالخبز، حتى إن الرجل لتقع في يده الكِسرة فيدفعها إليّ، جزاهم الله خيراً.

وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل هذا ويزيد: وكانوا يحملوننا ويمشون[3]. وروى ابن اسحاق عن أبي عزيز بن عمير أخي مصعب بن عمير ـ وكان صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث من بني عبد الدار ـ قال: كنت في رهط من الأنصار حين اقبلوا بي من بدر، فكانوا لوصية رسول الله اذا قدّموا غداءهم أو عشاءهم خصّوني بالخبز وأكلوا التمر، حتى ما كانت تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلّا نفحني بها[4].

وغالباً ما كان الأسير مع من أسره، وكان مالك بن الدُخشُم قد أسر أب

---

(١) مغازي الواقدي ١: ١٠٦، ١١٠ وعليه فهذا ثاني مَن مُنّ عليه وأُطلق بلا فداء. وفي الخبر: سُهيل بن بيضاء، وقال الواقدي: سهيل بن بيضاء كان من مهاجرة الحبشة ولم يشهد بدراً، فهو وهم.

(٢) ذلك انهم مفطرون في سفرهم.

(٣) مغازي الواقدي ١: ١١٩ وعليه فما مرّ عن القمي انهم سحبوهم راجلين لم يدم طويلاً.

(٤) سيرة ابن هشام ٢: ١١٩.

يريد سهيل بن عمرو من المُطعمين بمكة. فروى الواقدي قال: في منزل شوكة قال سهيل لذلك: يا مالك خلّ سبيلي لأتغوط. فقعد مالك على رأسه! فقال سهيل: إنّي أحتشم فاستأخر عنّي. فاستأخر عنه، فانتزع سهيل يده من القِران ومضى على وجهه. فلما أبطأ سهيل افتقده مالك فصاح في الناس. وخرج النبيّ فقال: من وجده فليقتله! وخرج النبيّ في طلبه فوجده نفسه قد أُخفى أو دفن نفسه بين شجرات سَمُرات، فأمر به فرُبطت يداه إلى عنقه ثم قرنه إلى راحلته[1].

تقسيم الغنائم

مرّ أنّ تقسيم الغنائم كان بعد اختلافهم فيها ونزول سورة الأنفال قطعاً لخلافهم فيها وجواباً لسؤالهم عنها، ويبدو أنّ ذلك كان بعد بدر وقبل قفولهم من منزل سَيَر. فقد قال ابن إسحاق: أمر رسول الله فجُمع ما جمعه الناس مما كان في عسكر المشركين ببدر، وأمر الناس أن يردّوا ما كان في أيديهم من النَّفَل. ثم أقبل قافلاً إلى المدينة واحتمل معهم النفل الذي أُصيب من المشركين، وجعل عليه عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف المازني من بني النجار. حتى خرج من مضيق الصفراء ونزل على كثيب بين المضيق والنازية يقال له سَيَر، فقسّم هنالك النفل على السَّواء[2].

وروى الواقدي بسنده عن سهل بن أبي حَثْمة الأنصاري قال: جُمعت الغنائم واستعمل عليها رسول الله عبد الله بن كعب بن عمرو المازني ـ وقيل

---

(١) فلم يركب خطوة حتى قدم المدينة مغازي الواقدي ١ : ١٧، ومن هنا أيضاً نفهم أنّ ما ذكره القمّي لم يدم طويلاً.

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٥ ـ ٢٩٧.

خبّاب بن الأرت ـ وقسّمها بسَيَر وهو شعب بمضيق الصفراء[1]

وفي رواية أخرى عنه قال: أمر رسول الله أن تُردّ الأسلاب وما أخذوا في المغنم والأسرى، فقسم الأسلابَ التي نفّلها للرجل في المبارزة وما أُخذ في العسكر، قسّمه بينهم على فُواق[2]، وأقرع بينهم في الأسرى[3] يعني أنه ستردّ الجميع وقسّمه.

ولكن روى عن موسى بن سعد بن زيد بن ثابت عن أبيه عن جده قال: نادى منادي النبيّ يومئذٍ: من قتل قتيلاً فله سلبه، ومن أسر أسيراً فهو له، فكان من قتل قتيلاً يعطيه سلبه، وما وُجد في العسكر وما أخذوه بغير قتال فقسّمه بينهم على فواق. وهذا يعني أنه ﷺ لم يسترد الأسلاب بل إنما سائر الغنائم والأسرى.

ولذلك قال الواقدي: والثبت عندنا من هذا أن كل ما جعله لهم فإنه قد سلّمه لهم[4] وما لم يجعل لهم فقد قسّمه بينهم.

وقال: قالوا: أخذ علي عليه السلام درع الوليد بن عتبة ومغفره وبيضته، وأخذ حمزة سلاح عتبة، وأخذ عبيدة بن الحارث درع شيبة، فهي في ورثته.

وأما سلب أبي جهل فقد روى عن سعيد بن خالد القارظي: أن النبيّ أعطاه لعبد الله بن مسعود، وروى عن خارجة بن كعب القرظي: أن النبيّ دفعه الى مُعاذ بن عمرو بن الجموح.

---

(١) مغازي الواقدي ١: ١٠٠ و ١١٤

(٢) قالوا في معناه: أي جعل مَن رأى تفضيله فوق بعض

(٣) وهذا أول مورد للعمل بالقرعة في تقسيم الأسرى للمقاتلين

(٤) سوى الأسرى فإنه ﷺ جعلهم لمن أسرهم ثم لم يسلمهم لهم بل اقترع عليهم بينهم كما مرّ ويأتي

ثم روى بسنده عن عبد الله بن مُكنف الأنصاري قال: كان الرجال ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً، وكانت السهام ثلاثمئة وسبعة عشر سهماً، أربعة أسهم للمقداد والزبير لفرسيهما، وثمانية أسهم لثمانية نفر لم يحضروا وأسهم لهم رسول الله[١]: ثلاثة من المهاجرين: سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل وطلحة بن عبيد الله اللذان بعثهما رسول الله يتحسّسان العير[٢]. قال ابن اسحاق: وكان عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس قد تخلّف على امرأته رقيّة بنت رسول الله، فضرب له رسول الله بسهمه[٣] وقال الواقدي: خلّفه رسول الله[٤].

ومن الأنصار: أبو لُبابة بن عبد المنذر، خلّفه على المدينة. وعاصم بن عدي، خلّفه على قُباء وأهل العالية. والحارث بن حاطب، أمره بأمره في بني عمرو بن عوف. وخوّات بن جُبير، والحارث بن الصِّمّة، كُسرا بهم بالروحاء في الطريق الى بدر.

وقد روي أنه ضرب لأربعة رجال آخرين ليس مجمع عليهم كإجماعهم على الثمانية، منهم سعد بن عُبادة، وقد مرّ خبره أنه كان قد نُهش فمنعه ذلك عن الخروج. وسعد بن مالك الساعدي، وكان قد تجهّز الى بدر فمرض، ومات خلاف

(١) كذا، ولا يخفى ما فيه من اختلال في التقسيم، فإنّ السبعة عشر بعد الثلاثمئة لا تزيد على الثلاثة عشر بعد الثلاثمئة الا بأربعة، فلو ذهب منها اثنان للفارسين بقيت سهمان لا ثمانية.

(٢) مغازي الواقدي ١: ١٠١ وقال قبل ذلك: فقدم طلحة وسعيد المدينة اليوم الذي لاقاهم رسول الله ببدر، واستقبلا الرسول فلقياه على [illegible] لقُربان بعد السّيّالة وقبل مَلَل ١: ٢٠ والسيّالة أُولى المنازل الى مكة وملل ثانيها. وعدّ ابن اسحاق منهما في السيرة ٢: ٢٣٩ و ٢٤١ كانا في الشام وقدما.

(٣) سيرة ابن هشام ٢: ٣٣٤.

(٤) وسيأتي الكلام عنه في وفاة رقية في ذي الحجة.

رسول الله، ولرجلين آخرين

وكانت الابل التي غنموها يومئذٍ مئة وخمسين بعيراً معها أدم كثير حملوه للتجارة. وغنموا من خيولهم عشرة أفراس وسلاحاً فكانت تصيب الرجل بعير ومتاع وآخر أنطاع[1].

وكان لرسول الله صفيٌ من الغنيمة قبل أن تُقسم، فكان جمل أبي جهل له ﷺ، فكان يغزو عليه حتى ساقه هدْي الحُديبية وتنفّل رسول الله سيف المُنبّه بن الحجاج وكان يقال له: ذا الفقار (أي الفقرات بمعنى الحفَر)

وكان لا يَردّ سؤالاً، فسأله الأرقم بن أبي الأرقم سيف المَرزُبان لابن عائذ لمخزومي فأعطاه إياه. وسأله سعد بن أبي وقاص سيف العاص بن منبّه فأعطاه.

وكان مماليك اربعة حضروا بدراً فلم يسهم لهم ولكن اعطاهم شيئاً منه. غلامُه شُقران استعمله على الاسرى فاعطي شيئاً من فداء كل اسير. وغلام لسعد ابن مُعاذ، وغلام لعبد الرحمان بن عوف وغلام حاطب بن أبي بَلْتعة. أعطاهم من الغنائم[2]

بعث البشير بالفتح :

قال الواقدي: وقدّم رسول الله عبد الله بن رواحة (بشيراً الى أهل العالية من المدينة، وزيد بن حارثة الى أهل السافلة منها)[3]

وافترق عبد الله بن رواحة عن زيد بن حارثة من العَقيق فاتبع دور

---

(١) وهذا هو معنى اتفاق بعضهم فوق بعض أو تفاوت وهو طبيعي مع هذه الغنائم، وعليه فلا يصح ما في سيرة ابن هشام ٢: ٢٩٧ وغيرها: أنه قسّمه على السَّواء. وكيف؟!

(٢) مغازي الواقدي ١: ٩٩ ـ ١٠٥

(٣) سيرة ابن هشام ٢: ٢٩٦ وذكر ابن رواحة في ٣: ٥٤

الأنصار بالعالية وهم بنو خطمة وبنو عمرو بن عوف وبنو وائل، وجعل ينادي على راحلته:

يا معشر الأنصار أبشروا بسلامة رسول الله وقتل المشركين وأسرهم، قُتل ابنا ربيعة، وابنا الحجاج، وأبو جهل، وأمية بن خلف وزمعة بن الأسود، وأُسر سهيل بن عمرو ذو الأنياب في أسرى كثيرين، وغدا يقدم رسول الله إن شاء الله ومعه الأسرى مقرّنين. وجعل الأطفال يشتدّون معه ويقولون: قُتل أبو جهل الفاسق، قتل ابو جهل الفاسق.

وقدم زيد بن حارثة الى المدينة على الناقة القصواء، ناقة النبيّ ﷺ، فلما بلغ المصلى صاح: قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وابنا الحجاج وابو جهل وابو البختري، وأمية بن خلف، وزمعة بن الأسود، وأسر سُهيل بن عمرو ذو الأنياب في اسرى كثيرة.

فقال رجل من المنافقين لأبي لبابة بن عبد المنذر: هذا زيد لا يدري ما يقول من الرعب، وقد قتل محمد وقتل معه جِلّةُ أصحابه، وقد تفرق أصحابكم تفرّقاً لا يجتمعون بعده أبداً، وهذه ناقة محمد نعرفها!

وقال آخر من المنافقين لأسامة بن زيد: قُتل صاحبكم ومَن معه!

قال أُسامة: فجئت حتى خلوت بأبي (وقال ابن اسحاق: فجئته وهو واقف بالمصلى قد غشيه الناس) فقلت: يا أبة، أحقّ ما تقول؟ قال: إي والله حقاً يا بني[1].

قال ابن اسحاق: وكان كعب بن الأشرف من (يهود) بني نبهان من طيّ وأمه من بني النضير، فلما بلغه الخبر قال: أحقٌ هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء

(١) مغازي الواقدي ١: ١١٥.

أما بين مستقبليهم هاذان الرجلان: زيد وعبد الله؟ فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس! والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم فبطن الأرض خير من ظهرها!(١)

استقبال الرسول:

واستقبله الناس بالروحاء يهنئونه بفتح الله عليه.

ولقيه في تربان عبد الله بن قيس فقال: يا رسول الله، الحمد لله على سلامتك وظفرك، كنت يا رسول الله ليالي خرجت موروداً (محموماً بالموتة) فلم يفارقني حتى أمس، فأقبلت إليك. فقال: آجرك الله.

ولقيه أُسيد بن حضير فقال: يا رسول الله، الحمد لله الذي ظفّرك وأقرّ عينك! والله يا رسول الله ما كان تخلّفي عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدوّاً، ولكنّي ظننت أنها العير، ولو ظننت أنه العدو ما تخلّفت. فقال رسول الله: صدقت.

أما الأسرى فقد قدموا بهم المدينة قبله أو بعده بيوم أو بعض يوم(٢).

ولما التقى برسول الله وجوه الخزرج يهنئونه بفتح الله، قال سلمة بن سلامة ابن وَقْش: ما الذي تهنّئونا به؟ فوالله ما لقينا إلّا عجائز صُلعاً.

فتبسم النبيّ ﷺ وقال: يا ابن أخي أولئك الملأ لو رأيتهم لهبتهم ولو

---

(١) ابن هشام ٣: ٥٥

(٢) وقد قال في مرجعه من بدر كان قتل عصماء بنت مروان لخمس ليال بقين من رمضان مرجع النبي ﷺ من بدر ١: ١٧٤ ونقل الطبري عن بعضهم قال: كان رجوعه إلى المدينة يوم الأربعاء لثماني ليال بقين من رمضان ٢: ٤٨٢ ولعله عنه أخذ المسعودي في التنبيه والإشراف: ٢٠٦. وكانت غيبة رسول الله إلى أن عاد إلى المدينة تسعة عشر يوماً، ودخلها لثمان بقين من شهر رمضان، أي في الحادي أو الثاني والعشرين من رمضان.

أمروك لأطعتهم، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرته، وبئس القوم كانوا لنبيّهم!

فقال سلمة: أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، إنك يا رسول الله لم تزل عنّي مُعرضاً منذ كنّا بالروحاء في بدأتنا؟!

فقال رسول الله: أما ما قلت للأعرابي: وقعت على ناقتك فهي حُبلى منك! فحسبت وقلت ما لا علم لك به! وأما ما قلت في القوم، فانك عمدت الى نعمة من نعم الله تزهدها! فاعتذر الى النبيّ، فقبل منه رسول الله معذرته[1].

البكاء على الشهداء:

وعقد أُسر الشهداء مناحة على شهدائهم منهم آل العفراء على ولديهم معوّذ وعوف ابني العفراء، وشاركتهم سودة بنت زمعة زوج رسول الله ﷺ وكان ذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب[2].

وروى الواقدي بسنده عن داود بن الحُصين عن رجال من بني عبد الأشهل قالوا: لما بلغ مقتل حارثة بن سُراقة الى اُمّه بالمدينة، وكان مقتله على حَوض بدر إذ أتاه سهمٌ غربٌ[3] فوقع في غره فقتله، قالت اُمه: والله لا أبكيه حتى يقدم رسول الله فأسأله، فان كان ابني في الجنة لم أبك عليه، وإن كان ابني في النار بكيته!

فلما قدم رسول الله من بدر جاءت أم حارثة الى رسول الله فقالت:

يا رسول الله، قد عرفت موضع حارثة من قلبي فأردت أن أبكي عليه فقلت: لا أفعل حتى أسأل رسول الله فان كان في الجنة لم أبك عليه، وإن كان في

(١) مغازي الواقدي ١: ١١٦.

(٢) مغازي الواقدي ١: ١١٤ ـ ١١٨ والخبر الأخير في سيرة ابن هشام أيضاً ٢: ٢٩٦.

(٣) غربٌ: لا يعرف راميه.

لثار بكيته.

فقال النبيّ ﷺ: هَبِلْتِ (هَلَكْتِ) جَنَّةٌ واحدة؟ إنها جنان كثيرة! والذي نفسي بيده إنه لفي الفردوس الأعلى!.

فقالت: فلا أبكي عليه أبداً.

فدعا رسول الله بماء فنتس يده فيه ومضمض فاه ثم ناول أم حارثة فشربت ثم ناولته ابنها فشربت، ثم أمرهما فنضحتا منه في جيوبهما فرجعتا من عند النبيّ ﷺ وما بالمدينة امرأتان أقرّ عيناً منهما ولا أسرّ[1].

الأسرى في المدينة

قال: ولما قدموا بالأسرى لم يبق بالمدينة يهودي ولا مشرك ولا منافق إلّا ذل. وقال كعب بن الأشرف اليهودي: بطن الأرض اليوم خيرٌ من ظهرها، هؤلاء أشراف الناس وساداتهم وملوك العرب وأهل الحرم والأمن قد أُصيبوا[2].

---

(١) مغازي الواقدي ١: ٩٣، ٩٤.

(٢) مغازي الواقدي ١: ١٢١ وروى الواقدي بسنده عن كعب بن مالك، وجابر بن عبد الله الأنصاري قالا: لما رأى ابن الأشرف الأسرى مقرّنين كُبت وذلّ وقال لهم: ويلكم! والله لبطنُ الأرض خير من ظهرها اليوم! هؤلاء سراة القوم قد قتلوا وأُسروا فما عندكم؟ قالوا: عداوته ما حيينا. قال: وما أنتم وقد وطئ قومه وأصابهم؟! ولكني أخرج إلى قريش فأحضّهم وأبكي قتلاهم، فلعلهم ينتدبون فأخرج معهم.

فخرج حتى قدم مكة، ووضع رحله عند أبي وداعة بن ضُبيرة السهمي (وهو صهر بني أُمية) وأول أسير افتدي، فجعل يرثي قريشاً ـ المغازي ١: ١٨٥.

وروى ابن إسحاق عن رواته قالوا: خرج حتى قدم مكة، وجعل يُنشد الأشعار يبكي أصحاب القليب من قريش الذين أُصيبوا ببدر، ويحرّض بذلك على رسول الله ـ ٣: ٥٥.

وقال آخر منهم: هو الذي نجده مغلوباً، والله لا تُرفع به راية بعد اليوم إلّا ظفرت!

وقال عبد الله بن نبتل: ليت أنّا كنا خرجنا معه حتى نصيب معه غنيمة!

وخرج كعب إلى مكة، ورثى قتلى بدر من المشركين وهجا المسلمين، فدعا رسول الله حسّان بن ثابت الأنصاري فأخذ يهجو مَن نزل كعبٌ عنده (أبا وداعة السهمي) حتى رجع كعب إلى المدينة[1].

وروى ابن إسحاق عن نُبيه بن وهب قال: لما أقبل رسول الله بالأسارى فرّقهم بين أصحابه واستوصاهم بهم خيراً[2].

فداء الأسرى:

وكان أبو وَداعة بن ضُبيرة (السهميّ) أول من افتدي، وكان رسول الله قد قال لهم: إن له بمكة ابناً كيّساً تاجراً ذا مال، وكأنكم به قد جاء في طلب فداء أبيه[3] وهو مغلٍ فداءه*. فلما قدم الحَيْسُمان الخزاعي مكة بخبر قتلاهم

---

* أمّا عبد الله بن أُبيّ رأس المنافقين فقد قال الواقدي فيه: كان لعبد الله بن أُبيّ مقام يقومه كل جمعة شرفاً له لا يُريد تركه، فلما رجع رسول الله من (بدر) إلى المدينة جلس على المنبر يوم الجمعة فقام ابن أُبيّ فقال: هذا رسول الله بين أظهركم قد أكرمكم الله به، فانصروه وأطيعوه ـ ١: ٣١٨. وكلمة (بدر) في المطبوع (أُحد) ويبدو خطؤه من سياق الكلام.

(١) مغازي الواقدي ١: ١٢١، ١٢٢ باختصار.

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٢٩٩.

(٣) سيرة ابن هشام ٢: ٣٠٢.

(٤) مغازي الواقدي ١: ١٢٩.

وأسراهم[1] سلّ المطلب بن أبي وداعة ليلاً وأخذ شرقيّ مكة فسار أربع ليال إلى المدينة، فافتدى أباه بأربعة آلاف درهم وانطلق به[2] ثم قدم بعده بثلاث ليال خمسة عشر رجلاً منهم في فداء أصحابهم: أُبيّ بن خلف الجُمحي، وجُبير بن مطعم، وخالد بن الوليد المخزومي، وطلحة بن أبي طلحة، وعبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وعثمان بن أبي حُبيش المخزومي، وعكرمة بن أبي جهل المخزومي، وعمرو بن قيس السهمي، وعمرو بن الربيع أخو أبي العاص بن الربيع صهر الرسول، وفروة بن السائب المخزومي، ومكرز بن حفص، وهشام بن الوليد المخزومي، والوليد بن عقبة بن أبي معيط.

وكان الفداء من أربعة آلاف، إلى ثلاثة آلاف، إلى ألفين، إلى ألف درهم، إلى قوم لا مال لهم منّ عليهم رسول الله[3].

وقد مرّ بنا رواية الواقدي عن سهل بن حثمة الأنصاري قال: أمر رسول الله أن يردّوا الأسرى ثم أقرع بينهم فيهم[4] وروى عن أبي عُفير قال: لما أمر النبيّ أن يردّوا الأسرى، كان سعد بن أبي وقاص قد أسر الحارث بن أبي وجزه من بني عبد شمس، فردّه، ثم صار إليه أيضاً بالقرعة، فقدم في فدائه الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط (فوجد أباه قد قُتل) ففدى الحارث بأربعة آلاف درهم[5] وكان ممن أسره أبو اليسر الأنصاري: أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير، ثم اقترع عليه

(1) سيرة ابن هشام ٢: ٣٠٠ ومغازي الواقدي ١: ١٢٠.
(2) سيرة ابن هشام ٢: ٣٠٣ ومغازي الواقدي ١: ١٢٩.
(3) مغازي الواقدي ١: ١٢٩، ١٣٠.
(4) مغازي الواقدي ١: ١٠٠.
(5) مغازي الواقدي ١: ١٣٦.

فصار لمحرز بن نضلة الأنصاري، فبعثت أمه فيه بأربعة آلاف درهم

وافتدى عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي : أمية بن أبي حذيفة، وخالد بن هشام، وعثمان بن عبد الله، كل رجل منهم بأربعة آلاف درهم.

وافتدى خالد بن الوليد أخاه الوليد بن الوليد بأربعة آلاف درهم، وخرج به هو وأخوهم هشام حتى بلغ بالوليد الى ذي الحُليفة (بينها وبين المدينة ستة أميال = إثنا عشر كيلومتراً) فأفلت منهم وأتى النبيّ فأسلم وقال: كرهت أن أسلم قبل أن أُفتدى.

وافتدى مِكْرز بن حفص أخاه سهيل بن عمرو بأربعة آلاف، فلما قالوا له : هات المال. قال : احبسوا رجلاً مكان رجل وخلّوا سبيله. فخلّوا سبيل سهيل وحبسوا مكرز، وبعث سهيل بالمال مكانه من مكة، فأطلقوه[1].

قال ابن اسحاق : وممن سُمّي لنا من الاسارى ممن مُنّ عليه بغير فداء: ابو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي، قال لرسول الله : يا رسول الله لقد عرفتَ أن ليس لي مال وأني ذو حاجة وذو عيال، فامنن عليّ (ومدحه بخمسة أبيات من الشعر) فأخذ عليه رسول الله أن لا يعين عليه أحداً ومنّ عليه فأطلقه[2].

وروى الواقدي عن سعيد بن المسيّب قال : قال لرسول الله : يا محمد، لي خمس بنات ليس لهن شيء، فتصدّق بي عليهن. ففعل رسول الله. فقال : اعطيك موثقاً لا اقاتلك ولا اكثّر عليك أبداً! فأرسله رسول الله[3].

---

(١) مغازي الواقدي ١ : ١٢٨

(٢) ابن هشام ٢ : ٣١٥

(٣) مغازي الواقدي ١ : ١١١ وخالف يوم أحد فحرض على رسول الله وشارك في أحد فأُسر فقتل، كما مرّ ويأتي.

ولم يكن لربيعة بن درّاج الجمحي مالٌ فأخذ منه شيء يسير وأرسل. ولم يكن للسائب بن عبيد، وعبيد بن عمرو من بني المطّلب بن عبد مناف، مال، فلم يقدم في فدائهما أحد، فكّهما رسول الله عنهما بغير فدية.

وكان أبو أيوب الأنصاري قد أسر المطّلب بن حنطب من بني أبي رفاعة، ولم يكن له مال، فأرسله بعد حين.

ولم يكن لصيفي بن أبي رفاعة مال، فمكث عندهم مدة ثم أرسلوه بينما افتدى أخوه أبو المنذر بن أبي رفاعة بألفين.

وافتدي منهم عبد الله بن السائب بألف درهم، وكان قد أسره سعد بن أبي وقاص[1].

وروى ابن سعد في «طبقاته» قال: كان رسول الله يفادي الأسرى على قدر أموالهم. وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون. فمن لم يكن له فداء (وكان يكتب) دفع إليه عشرة من غلمان المدينة فعلّمهم (الكتابة) فإذا حذقوا (في الكتابة) فهو فداؤه[2].

صهر النبيّ أبو العاص بن الربيع[3]:

مرّ ذكر الواقدي فيمن ساهم ممن قدموا في فداء الأسرى من المشركين

(١) مغازي الواقدي ١: ١٣٨ ـ ١٤٣.

(٢) طبقات ٢: ١٤.

(٣) قال ابن اسحاق: وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالاً وأمانةً وتجارة. وكانت هالة بنت خويلد، فكانت خديجة خالته وكانت بعده بمنزلة ولدها، فسألت خديجة رسول الله أن

عمرو بن الربيع أخو أبي العاص بن الربيع صهر النبيّ ﷺ

ولما رأت زينب بنت رسول الله أهل مكة يبعثون (الرجال بالأموال) في فداء أسراهم، نقل في مجمع البيان عن كتاب علي بن ابراهيم القمي قال: بعثت زينب في فداء زوجها أبي العاص بن أبي الربيع (مع أخيه عمرو بن الربيع) قلائد لها كانت خديجة جهّزتها بها ـ وكان أبو العاص ابن اخت خديجة ـ فلما رأىٰ رسول الله تلك القلائد قال: رحم الله خديجة، هذه قلائد هي جهّزتها بها. فأطلقه رسول الله بشرط أن يبعث اليه زينب ولا يمنعها من اللحوق به فعاهده علىٰ ذلك ووفىٰ له[1].

وكان الذي أسره عبد الله بن جبير[2] وكان أبو العاص عند رسول الله فأطلقوه، وردّوا علىٰ زينب متاعها[3].

قال ابن اسحاق: ولم يظهر من رسول الله أنه قد أخذ علىٰ صهره أبي

---

*

يزوّجه، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي وكان رسول الله لا يحلّلها، فزوّجه، فلما أكرم الله رسوله بنبوّته آمنت به خديجة وبناته، وثبت ابو العاص علىٰ شركه.

فلما بادىٰ رسول الله قريشاً بالعداوة قالوا: فما بينهم: ردّوا عليه بناته فاشغلوه بهن! فمشوا الى أبي العاص فقالوا له: فارق صاحبتك ونحن نزوّجك أي امرأة من قريش شئت!

قال: لا والله اني لا افارق صاحبتي ولا احب أن لي بامرأتي امرأة من قريش فلما سارت قريش الى بدر (أخرجوه معهم، ابا العاص بن الربيع، فأسر يوم بدر، فكان عند رسول الله بالمدينة ـ ابن هشام ٢ : ٣٠٦، ٢٠٧

(١) مجمع البيان ٤ : ٨٥٩ وليس في تفسير القمي

(٢) مغازي الواقدي ١ : ١٣١

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٨ والواقدي ١ : ١٣١ .

العاص، أو كان مما شرط عليه في إطلاقه ولم يظهر من أبي العاص أنه وعد رسول الله شيء بشأن زينب بنت الرسول، لأنه لما أُخلي سبيل أبي العاص وخرج إلى مكة، قال رسول الله لزيد بن حارثة ورجل آخر من الأنصار: كونا ببطن يأجج[1] حتى تمرّ بكما زينبُ فتصحباها حتى تأتياني بها[2].

فعلم أن ذلك كان إما بشرط من النبيّ عليه أو وعد منه له ﷺ. وقد مرّ أن الواقدي قال: كان المطلب بن أبي وداعة أول من قدم المدينة بعد بدر في فداء المشركين، وسار من مكة إليها في أربع ليال، وبعده بثلاث ليال قدم خمسة عشر رجلاً منهم عمرو بن الربيع أخو أبي العاص بن الربيع في فدائه[3] وهذا يعني أن قدومهم المدينة كان في أواخر شهر رمضان أو أوائل شوال.

أما إرسال الرسول للرجلين إلى بطن يأجج ليأتيا بزينب ابنته، فقد قال ابن إسحاق: كان ذلك بعد بدر بشهر أو شيعه[4] أي قريب منه، أي في أواسط شوال[5].

---

(١) موضع مسجد الشجرة بينه وبين مسجد التنعيم ميلان، أي بينه وبين مكة أربعة أميال ٣ كم تقريباً.

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٨ والواقدي قال: أخذ النبيّ عليه بذلك ١ : ١٣١.

(٣) مغازي الواقدي ١ : ١٢٩.

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٨ ويأتي تمام الخبر.

(٥) أما عن تاريخ بدر فقد قال الطوسي في التبيان ٥ : ١٦٦ كانت في صبيحة السابع عشر من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة. ورواه ابن إسحاق في السيرة ٢ : ٢٧٨ عن الإمام الباقر ﷺ ونقله عنه الطبري ٣ : ٤٤٦ ورووه عن حسن بن علي ﷺ وزيد بن ثابت وعبدالله بن مسعود في إحدى الروايتين عنه ٣ : ٤١٩، ٤٢٠ وأطلقه الواقدي

أسير أُطلق لفكّ الرهينة:

روى ابن إسحاق قال: كان من أسرى بدر: عمرو بن أبي سفيان صخر بن حرب، وكانت أمه بنت عُقبة بن أبي مُعيط (أو أُخته أو عمّته على قول ابن هشام) وقد أسره عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فقيل لأبي سفيان: افدِ ابنك عمراً.

فقال: قتلوا حنظلة وأفدي عمراً؟! دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم!.

وكان بالبقيع (من المدينة) شيخ مسلم من بني عمرو بن عوف يُدعى سعد ابن النعمان بن أكّال، وكان في غنمٍ له، وكان ظنّه أنّ قريشاً لا يعرضون لأحد جاء حاجّاً أو معتمراً إلا بخير، ولا يظنّ أنه يُحبس بمكة ولا يخشى ذلك، فخرج من البقيع معتمراً ومعه مرأته، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب فحبسه بابنه عمرو (رهينةً).

فمشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله فأخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكّوا به صاحبهم، ففعل رسول الله ذلك (وأعطاهم عمرو ابن أبي سفيان) فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلّى سبيل سعد بن النعمان. وكان أبو سفيان قد قال شعراً:

أرهطَ ابنِ أكّالٍ أجيبوا دعاءه ... تعاقدتمُ لا تُسلموا السيّد الكَهْلا

وفقاً ليوم الجمعة ١: ٥١. ولكن روى الطوسي في التهذيب ٥: ١٢٥ عن الصادق عليه السلام أنه كان التاسع عشر منه. ورواه الطبري عن زيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود برواية أخرى عنهما ٢: ٤١٩ و٤١٨.

وإن بني عمرو لئام أذلّة ... لئن لم يعكّوا عن أسيرهم الكبلا

فأجابه حسّان بن ثابت فقال:

ولو كان سعدٌ يوم مكة مُطلَقاً ... لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلا

بعضبٍ حُسامٍ أو بصفراء نبعةٍ ... تحنّ إذا ما أُنبضت تحفز النبلا[1]

تحويل القبلة من القدس الى الكعبة

«بعد رجوعه ﷺ من بدر» صُرف رسول الله الى الكعبة، فيما رواه الشيخ الطوسي في «التهذيب» عن رسالة «راحة العقل في معرفة القبلة» لشاذان بن جبرئيل القمي عن معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام[2].

ونقله عنها الحرّ العاملي في «وسائل الشيعة» وفيها تمامه: وكان يصلي في المدينة الى بيت المقدس سبعة عشر شهراً، ثم أُعيد الى الكعبة[3] والخبر جواب على سؤال ابن عمار.

وفي خبر آخر أخرجه الحميري في «قرب الإسناد» بسنده عن الصادق عليه السلام بدأ به عن أبيه الباقر عليه السلام قال: إنّ رسول الله ﷺ استقبل بيت المقدس تسعة عشر شهراً، ثم صُرف الى الكعبة وهو في العصر[4].

ونقله عنه الحرّ العاملي في «وسائل الشيعة» واعتمد على نسخة سجّلت كما

---

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٣٠٥، ٣٠٦. والنبعة شجر ذو خشب أصفر كان يصنع منه الأقواس، يقول: اذا مُدّ وترها تقذف النبل وترميه. وأشار الى أصل الخبر الواقدي في مغازيه ١: ١٣٩.

(٢) التهذيب ٢: ٤٣ ح ١٣٥.

(٣) وسائل الشيعة ٤: ٢٩٨ ط آل البيت (ع).

(٤) قرب الإسناد: ٦٩ وعنه في وسائل الشيعة ٤: ٣٠٢ ط آل البيت (ع).

سبق : تسعة عشر شهراً. وأشار الى نسخة جرى بين موسين (سبعة عشر شهراً)
والصحيح هو ما اعتمده أولاً: سبعة عشر شهراً، بناءً على الخبر الأوّل: أنّ ذلك
كان بعد رجوعه من بدر، فان بدراً كان في رمضان للشهر التاسع عشر بعد الهجرة،
وليس سبعة عشر شهراً. وكذلك الأمر في الخبر الاول أيضاً.

وقد يُفهم من قوله عليه‌السلام في الخبر الأول: ثم أُعيد الى الكعبة: أنّ الكعبة
كانت قبلته الاولى فأُعيد اليها بعد بيت المقدس، ولكن في الخبر التالي عنه عليه‌السلام
تفسير لذلك، بأنه كان يصلي الى بيت المقدس ولكنه في مكة كان يجعل الكعبة بينه
وبين بيت المقدس فلا يجعل الكعبة خلف ظهره، فكان يبدو أنه يصلي الى الكعبة،
وأُعيد اليها مرة أُخرى.

فقد روى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن الحلبي قال: سألت أبا
عبدالله الصادق عليه‌السلام: هل كان رسول الله يصلي الى بيت المقدس؟ قال: نعم.
فقلت: أكان يجعل الكعبة خلف ظهره؟ فقال: أما اذ كان بمكة فلا، وأما اذ هاجر
الى المدينة فنعم، حتى حُوّل الى الكعبة[1].

بل نقل الطبرسي في «الاحتجاج» عن الامام العسكري عليه‌السلام قال: لما كان
رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله بمكة أمره الله أن يتوجّه نحو بيت المقدس في صلاته ويجعل الكعبة
بينه وبينها اذا أمكن، واذا لم يمكن استقبل بيت المقدس كيف كان. فكان رسول
الله صلى‌الله‌عليه‌وآله يفعل ذلك طول مقامه ثلاث عشرة سنة. فلما كان بالمدينة وكان متعبَّداً
باستقبال بيت المقدس استقبله وانحرف عن الكعبة[2].

وقال القمي في تفسيره: إنّ اليهود كانوا يعيّرون رسول الله ويقولون له:

---

(١) فروع الكافي ٣: ٢٨٦ ح ١٢ وعنه في وسائل الشيعة ٤: ٢٩٨.
(٢) الاحتجاج ١: ٤٣.

أنت تابع لنا تصلي الى قبلتنا. فاغتمّ من ذلك رسول الله غمّاً شديداً، وخرج في جوف الليل ينظر في آفاق السماء ينتظر أمر الله تبارك وتعالى في ذلك، فلما أصبح وحضرت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلى بهم (من) الظهر ركعتين، نزل جبرئيل عليه السلام فأخذ بعضديه وحوّله الى الكعبة فصلى ركعتين الى الكعبة وأنزل عليه قوله سبحانه: **﴿ قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولينّك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره وإن الذين اوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحقّ من ربّهم وما الله بغافل عمّا يعملون * ولئن أتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذاً لمن الظالمين * الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإنّ فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون * الحق من ربك فلا تكوننّ من الممترين * ولكلّ وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إنّ الله على كل شيء قدير * ومن حيث خرجت فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وأنّه للحق من ربّك وما الله بغافلٍ عمّا تعملون * ومن حيث خرجت فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث كنتم فولّوا وجوهكم شطره لئلّا يكون للناس عليكم حجة الّا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتمّ نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون * كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكّيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون * فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾**[1].

قال القمي: فقالت اليهود والسفهاء من الناس: ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟! فأنزل قوله سبحانه: **﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولّاهم عن**

---

(١) البقرة: ١٤٤ ـ ١٥٢.

قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم * وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلّا لنعلم من يتّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلّا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إنّ الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ [1]

قال القمي: صلى رسول الله إلى بيت المقدس بمكة ثلاث عشرة سنة، وبعد مهاجرته إلى المدينة سبعة أشهر، ثم حوّل الله القبلة إلى البيت الحرام [2].

هذا ما قاله القمي في تفسيره ولكنّ الطبرسي رواه عنه في «مجمع البيان» بإسناده عن الصادق عليه‌السلام [3] واختصر الخبر في «إعلام الورى» قال: قال علي بن إبراهيم: وكان رسول الله يصلي إلى بيت المقدس مدة مقامه بمكة، وبعد هجرته حتى أتى سبعة أشهر، فلما أتى له سبعة أشهر عيّرته اليهود وقالوا له: أنت تابع لنا تصلي إلى قبلتنا، ونحن أقدم منك في الصلاة. فاغتمّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله من ذلك، وأحبّ أن يحوّل الله قبلته إلى الكعبة، فخرج رسول الله في جوف الليل ونظر إلى آفاق السماء ينتظر أمر الله، وخرج في ذلك اليوم إلى مسجد بني سالم الذي جمّع فيه أول جمعة كانت بالمدينة، وصلى بهم الظهر هناك، بركعتين إلى بيت

---

(١) البقرة: ١٤٢ و١٤٣.

(٢) تفسير القمي ١: ٦٣ ويقول القمي: إن قوله تعالى: «قد نرى تقلب وجهك في السماء» نزل أولاً، ثم نزل: «سيقول السفهاء من الناس» فهذه الآية مقدمة على تلك في الجمع ونقله الطوسي عن قوم قالوا به (التبيان ٢: ١٣)، وهذا لا يضر فيما لو كان تحويل القبلة بالآيات، ولكنه يستلزم القول بأن تحويل القبلة لم يكن بالآيات بل كان بفعل جبرئيل وتحوّل الرسول، فقال السفهاء اليهود: ما ولّاهم؟! فنزلت الآيات فيه دفعاً لطعن السفهاء في الرسول.

(٣) مجمع البيان ١: ٤١٣.

المقدس ركعتين الى الكعبة ونزل عليه ﴿قد نرى تقلّب وجهك في السماء، فلنولينّك قبلة ترضاها، فولّ وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث كنتم فولّوا وجوهكم شطره﴾ [1]

وقال الصدوق ابن بابويه القمي في «من لا يحضره الفقيه»: صلى رسول الله الى بيت المقدس بعد النبوة ثلاث عشرة سنة بمكة، وتسعة عشر شهراً بالمدينة، ثم عيّرته اليهود فقالوا له: انك تابع لقبلتنا، فاغتمّ لذلك غمّاً شديداً، فلما كان في بعض الليل خرج يقلّب وجهه في آفاق السماء.

فلما أصبح صلى الغداة، فلما صلى من الظهر ركعتين جاء جبرئيل عليه السلام فقال له: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينّك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾ ثم أخذ بيد النبيّ فحوّل وجهه الى الكعبة، وحوّل من خلفه وجوههم، حتى قام الرجال مقام النساء والنساء مقام الرجال. فكان أول صلاته الى بيت المقدس وآخرها الى الكعبة.

وبلغ الخبر مسجداً بالمدينة وقد صلى أهله من العصر ركعتين فحوّلوا نحو الكعبة، وكان أول صلاتهم الى بيت المقدس وآخرها الى الكعبة، فسمّي ذلك المسجد مسجد القبلتين.

فقال المسلمون: صلاتنا الى بيت المقدس تضيع يا رسول الله؟

فأنزل الله عزّوجلّ ﴿وما كان الله ليضيع ايمانكم﴾ يعني: صلاتكم الى بيت المقدس.

ثم قال الصدوق: وقد اخرجت الخبر في ذلك على وجهه في

---

(١) إعلام الورى ١: ١٦٢ وهذا تاريخه حدث بسبعة اشهر بعد الهجرة يصحّ فيما لو قدرنا ذلك بعد السنة الاولى للهجرة، فيكون المجموع تسعة عشر شهراً ويصح مع ما جاء في الخبر الأوّل: بعد بدر، ومع الخبر الثاني: تسعة عشر شهراً.

«كتاب النبوة»[1].

والخبر على وجهه في المسجد بالمدينة الذي نبع أهله الخبر وقد صلوا من العصر ركعتين :

هو ما أخرجه شاذان بن جبرئيل القمي في رسالة «إزاحة العلة في معرفة القبلة» بسنده عن أحدهما عليه‌السلام قال : ان بني عبد الأشهل أتوهم وهم في الصلاة قد صلوا ركعتين الى بيت المقدس، فقيل لهم : ان نبيكم صُرف الى الكعبة فتحوّل النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء، وجعلوا الركعتين الباقيتين الى الكعبة، فصلّوا صلاة واحدة الى قبلتين، فلذلك سُمّي مسجدهم مسجد القبلتين[2].

وكذلك الخبر على وجهه في قوله سبحانه : ﴿ وما كان الله ليضيع ايمانكم ﴾ فقد روى العياشيّ في تفسيره عن الصادق عليه‌السلام قال : لما حرفه الله نبيّه عن بيت المقدس قال المسلمون للنبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله : أرأيت صلاتنا التي كنا نصلي الى بيت المقدس ما حالك فيها ؟ وحال من مضى من موتانا وهم كانوا يصلون الى بيت المقدس ؟ فأنزل الله الآية[3].

وروى الطوسي في «التبيان» عن ابن عباس وقتادة والربيع قالوا : لما حُوّلت القبلة قال ناس : كيف بأعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا الأُولى ؟ وكيف من مات من اخواننا قبل ذلك ؟ فأنزل الله الآيات[4].

---

(١) كتاب من لا يحضره الفقيه ١ : ٢٧٤ ، ٢٧٦ ط طهران . فعلم أن النص كان بحيص حجر .

(٢) ازاحة العلة : ٢ ، وعنها في التهذيب ٢ : ٤٣ ح١٣٨ ، ورواه في التبيان ٢ : ١ وعن ابن عباس أيضاً وعنه في مجمع البيان ١ : ٤١٧ .

(٣) تفسير العياشي ١ : ٦٣ .

(٤) التبيان ٢ : ١١ وعنه في مجمع البيان ١ : ٤١٧

وروى الطبرسي في «الاحتجاج» عن العسكري عليه‌السلام قال: لما كان هوى أهل مكة في الكعبة أراد الله أن يبيّن متّبعي محمد ممن خالفه باتباع القبلة التي كرهها هو ومحمد يأمر بها. ولما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها والتوجه الى الكعبة ليبيّن من يوافق محمداً فيما يكرهه. فقال: ذلك في قوله: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الآ..﴾[1].

آيات اُخرى من سورة البقرة

مرّ أن بني العفراء كانوا قد عقدوا مجلس عزاء على أبنائهم الشهداء عوف ومعوّذ، وأن سودة زوج النبي كانت قد حضرت مأتمهم ذلك اذ دخل رسول الله المدينة راجعاً من بدر.

وقد مرّ آنفاً أنّ تحويل القبلة من المقدس الى الكعبة كان بعد بدر، ونزلت بشأنه آيات هي لعلّها العشرة من الآية ١٤٢ الى الآية ١٥٢ من سورة البقرة آخرها قوله سبحانه: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾.

ولم أجد فيما بأيدينا شأن نزول خاص للآية التالية، ولكنّي استظهر أنها نزلت بشأن شهداء بدر، قوله سبحانه: ﴿يا أيّها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾[2] أما قوله سبحانه: ﴿ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ولَنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين * الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا اليه راجعون * اولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة

---

(١) الاحتجاج ١: ٤٥، ٤٦.

(٢) البقرة: ١٥٣.

﴿أولئك هم المهتدون﴾[1] فقد نقل الطبرسي في «مجمع البيان» عن ابن عباس: أنها نزلت في قتلى بدر، كانوا يقولون: مات فلان، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقد قتل يومئذٍ من المسلمين أربعة عشر رجلاً: ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار[2] وعليه فهذا أول بيان لهذه الفكرة: فكرة حياة الشهداء، مع أول عدد من الشهداء في أول غزوة مصيرية بينهم وبين مشركي مكة عاصمة الشرك والوثنية ولعلهم لذلك سمّوا شهداء أي هم شهود حضور.

أما الآية التالية: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حجّ البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطّوّف بهما ومن تطوّع خيراً فإنّ الله شاكر عليم﴾[3].

فقد روى العياشي في تفسيره عن بعض أصحابنا قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام قلت: أليس الله يقول: ﴿فلا جناح عليه أن يطّوّف بهما﴾؟

قال: إن رسول الله كان شرط عليهم أن يرفعوا الأصنام (عن الصفا والمروة) في عمرة القضاء؟ فتشاغل رجل من أصحابه حتى أُعيدت الأصنام، فجاؤوا إلى رسول الله وقيل له: إن فلاناً لم يطف وقد أُعيدت الأصنام؟ فأنزل الله الآية[4].

ونقل القمي معناه وقال: فلما كان عمرة القضاء في سنة سبع من الهجرة[5].

---

(1) البقرة: ١٥٤ ـ ١٥٧.

(2) مجمع البيان ١: ٤٣٣.

(3) البقرة: ١٥٨.

(4) تفسير العياشي ١: ٧٠ ورواه الطبرسي في مجمع البيان ١: ٤٤٠ وأشار إليه قبله الطوسي في التبيان ٢: ٤٤.

(5) تفسير القمي ١: ٦٤.

وعليه فالآية في غير محلّها من حيث ترتيب النزول في السورة.

ولكن روى الطبرسي في «مجمع البيان» خبراً آخر عن الصادق عليه السلام أنّه قال: كان المسلمون يرون أنّ الصفا والمروة ممّا ابتدع أهل الجاهلية، فأنزل الله هذه الآية[1]. وقد مرّ أنّ بعض المسلمين كانوا يحجّون أو يعتمرون قبل عمرة القضاء، ومنهم سعد بن النعمان بن أكّال الأنصاري بعد بدر، الذي حبسه أبو سفيان رهينة لابنه الأسير عمرو بن أبي سفيان حتى أطلقه المسلمون بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، كما اعتمر قبله قبل بدر سعد بن مُعاذ أيضاً[2].

فلعلّ هذا الظنّ من المسلمين كان إذ ذاك، فنزلت الآية في سياق آيات سورة البقرة بعد بدر لتدفع ذلك الوَهم لديهم.

وكما أنّ الآية السابقة غير متحدة السياق مع ما قبلها من آيات القبلة[3] كذلك هي غير متحدة السياق مع ما بعدها، فهي في الذين يكتمون الهدى والبيّنات من كتاب الله السابق، وهو التوراة حسب ابتلاء المسلمين بهم في المدينة: **﴿إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * إلّا الذين تابوا وأصلحوا وبيّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التوّاب الرحيم﴾**[4].

وروى ابن إسحاق بسنده إلى ابن عباس قال: سأل مُعاذ بن جبل وسعد بن مُعاذ، وخارجة بن زيد نفراً من أحبار اليهود عن بعض ما في التوراة

---

(١) مجمع البيان ١: ٤٤٠.

(٢) مغازي الواقدي ١: ٣٥.

(٣) الميزان ١: ٣٨٨.

(٤) البقرة: ١٥٩، ١٦٠ إلى ١٦٩ أو أكثر.

فكتموهم إياه وأبوا أن يخبروهم عنه فأنزل الله تعالى فيهم الآيات[1]

وروى الطوسي عنه أيضاً أنهم اليهود مثل كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، وابن صوريا، وزيد بن تابوه، الذين كتموا أمر محمد ونبوته وهم يجدونه مكتوباً في التوراة، أو علماء النصارى وهم يجدونه مكتوباً في الانجيل مبيّناً فيها[2] والآيات متّسقة إلى الآية ١٦٩.

والآية ١٧٠: ﴿ **واذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون** ﴾ إلى الآية ١٧٧ متّسقة السياق موصولة في المعنى.

وروى ابن اسحاق بسنده عن ابن عباس: انّ رسولَ الله دعا اليهود من أهل الكتاب إلى الاسلام ورغّبهم فيه وحذّرهم عذاب الله ونقمته، فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف: بل نتّبع ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم وخيراً منّا. فأنزل الله في ذلك: ﴿ واذا قيل لهم... ﴾[3]

ونزل من الآية ١٧٧: ﴿ **ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب...** ﴾ وما نقله الطوسي في «التبيان» قال: قيل: لما حوّلت القبلة وكثر الخوض في ذلك، فصار كأنه لا يُراعى بطاعة الله الاّ التوجه للصلاة، أنزل الله تعالى هذه الآية، وبيّن فيها: أن البرّ ما ذكره فيها، ودلّت على أن الصلاة انما يحتاج اليها لما فيها من المصلحة الدينية، وأنه إنما يأمر بها لما في علمه أنها تدعو إلى

---

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٢٠٠.

(٢) التبيان ٢: ٤٦ وعنه في مجمع البيان ١: ٤٤١.

(٣) سيرة ابن هشام ٢: ٢٠٠ ورواه عن ابن عباس الطوسي في التبيان ٢: ٧٦ وعنه في مجمع البيان ١: ٤٦١.

الصلاح وتصرف عن الفساد وإن ذلك يختلف بحسب الأزمان والأوقات»[1].

ونقل الطبرسي عن قتادة أنها نزلت في اليهود، وعن أبي القاسم البلخي: أن القبلة لما حوّلت وكثر الخوض في نسخ القبلة السابقة وكثر اليهود ذكرها كأنه لا يُراعى طاعة الله الا التوجه للصلاة أنزل الله هذه الآية[2].

فالآية وهذا الشأن في النزول ندلّان أو يشيران الى انعقاد سياق الآيات من الآية الاولى في القبلة ١٤٢ حتى هذه الآية، ولا مانع من ذلك مع سبق الأسباب المذكورة.

وهنا آيتان في القصاص ١٧٨ و ١٧٩ ثم ثلاث آيات في الوصية ١٨٠ ـ ١٨٢ لم أجد بشأنها سبباً خاصاً للنزول.

ثم تأتي أربع آيات ١٨٣ ـ ١٨٦ في صيام شهر رمضان والدّعاء، لا يذكر بشأنها سوى أنها نزلت لصيام شهر رمضان للسنة الثانية من الهجرة، ولا نجد تحديداً لنزولها قبل شهر رمضان أو قبل سفر الرسول فيه للتعرّض لعير قريش، ولا نجد تصريحاً بأن تشريع صيام شهر رمضان كان بها لا بسنة الرسول. وحيث نجدها في المصحف بعد آيات تحويل القبلة، وقد مرّت النصوص المصرّحة بكون ذلك بعد بدر، فلا مانع من أن يكون صيام شهر رمضان شرّع بسنة الرسول قبل نزول الآيات، وكذلك افطار الصيام في الأسفار بعد حدّ الترخّص كما مر، وبعد رجوع الرسول من بدر وتحويل القبلة ونزول الآيات، نزلت معها آيات الصيام.

أو نزلت مع ما يذكر من شأن نزول الأخيرة من آيات الصيام الخمس ١٨٧: ففي تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام قال: كانوا من قبل أن تنزل هذه

---

(١) البيان ٢: ٩٥

(٢) مجمع البيان ١: ٢٧٥

الآية إذا نام أحدهم حرم عليه الطعام، وكان خوّات بن جبير مع رسول الله في الخندق وهو صائم، فأمسى على ذلك، فرجع إلى أهله فقال: هل عندكم طعام؟ فقالوا: لا تنم حتى نصنع لك طعاماً. فاتّكأ فنام. فقالوا: قد فعلت؟ قال: نعم، فبات على ذلك وأصبح، فغدا إلى الخندق، فجعل يُغشى عليه، فمرّ به رسول الله ﷺ، فلما رأى الذي به سأله فأخبره كيف كان أمره، فنزلت الآية»[1].

ورواه القمي في تفسيره عن أبيه عن إبراهيم بن هاشم مرفوعاً عن الصادق عليه السلام قال: كان النكاح والأكل محرّمين في شهر رمضان بالليل بعد النوم، وكان النكاح حراماً في الليل والنهار في شهر رمضان أيضاً. وكان رجل من أصحاب رسول الله يقال له: خوّات بن جبير الأنصاري أخو عبد الله بن جبير، شيخاً كبيراً ضعيفاً، وكان صائماً فأبطأت أهله بالطعام فنام قبل أن يفطر، فلما انتبه قال لأهله: قد حرّم الله عليّ الأكل في هذه الليلة. فلما أصبح حضر حفر الخندق، فأُغمي عليه، فرآه رسول الله فرقّ له، وكان قوم من الشباب ينكحون بالليل سرّاً في شهر رمضان، فأنزل الله عزّ وجل: ﴿أُحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ...﴾[2].

والخبران يذكران أنّ ابن جبير كأنه كان مجبوراً على الصيام وهو في حفر الخندق مع رسول الله، والخندق قيل: كان في شوال أو ذي القعدة من السنة الخامسة[3] وليس في شهر رمضان فلماذا الصوم مع ذلك وبتلك الكلفة على من لا يطيقه وهو في غير شهر رمضان، ولا في رجب أو شعبان كي نحتمل أن كان

(١) تفسير العياشي ١: ٨٣.

(٢) تفسير القمي ١: ٦٦.

(٣) تفسير القمي ١: ٦٦.

عليه واجب مُضيَّق، فلماذا هذا التضييق؟ ولِمَ لم يأمره الرسول بالافطار إذ رقّ له؟

أما ما نقله الطوسي في «التبيان» فهو سليم عن كل هذا، ومنسجم مع أوائل تشريع صيام شهر رمضان. قال: قيل: إن هذه الآية نزلت في شأن أبي قيس بن صرمة كان يعمل في أرض له، فأراد الأكل، فقالت امرأته: نصنع لك شيئاً، فغلبته عيناه، ثم قدمت إليه الطعام فلم يأكل، فلما أصبح لاقى جُهداً، فأخبر رسول الله بذلك، فنزلت الآية.

ثم قال: وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام حديث أبي قيس، سواء[1].

وروي: أن عمر أراد أن يواقع زوجته ليلاً، فقالت: إني نمت، فظنّ أنها تعتلّ عليه فوقع عليها، ثم أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك من الغد، فنزلت الآية فيهما[2].

ورواه الطبرسي عن السُدّي عن ابن عباس: جاء إلى رسول الله فقال: يا رسول الله، عملت في النخل نهاري أجمع حتى إذا أمسيت أتيت أهلي لتطعمني فأبطأت، فنمتُ، فأيقظوني وقد حرم عليّ الأكل وأصبحت وقد جهدني الصوم؟

فقال عمر: يا رسول الله، أعتذر إليك من مثله؛ رجعت إلى أهلي بعدما صليت العشاء، فأتيت امرأتي.

وقام رجال فاعترفوا بمثل الذي سمعوا، فنزلت الآية[3].

وإذ قال الله سبحانه: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ فمثل ذلك استدعى بعضهم ليسأل عن وجه الحكمة في زيادة الأهلة ونقصانها[4] وحيث كان

---

(١) التبيان ٢ : ١٣٧ و ١٣٨.

(٢) التبيان ٢ : ١٣٧.

(٣) مجمع البيان ٢ : ٥٠٣.

(٤) التبيان ٢ : ١٤١.

بعضهم قد يحجّون أو يعتمرون كما فعل في تلك الفترة سعد بن النعمان بن اكّال كما مرّ، وكان قوم في الجاهلية إذا أحرموا ـ أو رجعوا من الحج ـ ينقبون في ظهر بيوتهم نقباً يدخلون منه ويخرجون[1]، ولا يدخلون بيوتهم من أبوابها، فنزل قوله سبحانه: ﴿ **يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكنّ البرّ من اتّقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾[2].

وإذ كان تأليف الآيات ضمن كل سورة وفق ترتيب نزولها، فتكتب واحدة تلو الأخرى تدريجياً حسب النزول حتى تنزل بسملة أخرى فيعرف أن السورة قد انتهت وابتدأت سورة أخرى، حسب ما رواه العياشي في تفسيره عن الصادق عليه السلام قال: وإنما كان يعرف انقضاء سورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ابتداءً للأخرى[3] وكما رواه اليعقوبي في تاريخه عن ابن عباس قال:

كان يُعرف فصل ما بين السورة والسورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم فيعلمون أن الأولى قد انقضت وبُدئ بسورة أخرى[4].

فالآيات التالية في القتال نزلت في أجواء ما بعد بدر، وبعد سريّة النخلة في آخر يوم من شهر رجب الحرام: ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحبّ المعتدين * واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث**

---

(١) التبيان ٢: ١٤٢ وعنه في مجمع البيان ٢: ٥٠٩. وفي وجه السؤال عن الهلال عن أنّ معاذ بن جبل قال: يا رسول الله، إنّ اليهود يكثرون مسألتنا عن الأهلّة فنزل

(٢) البقرة: ١٨٩.

(٣) تفسير العياشي ١: ١٩.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٤ والحاكم في المستدرك ١: ٢٣١ وانظر التمهيد ١: ٢١٢ وبحوث في تاريخ القرآن وعلومه: ١٠٤ ـ ١٠٨.

أخرجوكم والفتنة أشدّ من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين * فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم * وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلّا على الظالمين * الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أنّ الله مع المتقين ﴾ [1]

فالآيات أمرت بالقتال في سبيل الله، ولكنّها نهت عن الاعتداء، وعن القتال عند المسجد الحرام (أو الحرم)[2] إلا دفاعاً وعن القتال في الشهر الحرام إلا قصاصاً.

وكأنّ بعض الأنصار قال لبعضهم سرّاً دون رسول الله: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعزّ الاسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها. فأنزل الله على نبيّه يردّ عليهم ما قالوه: ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا إن الله يحبّ المحسنين ﴾[3] قال أبو أيوب الأنصاري: فكانت التهلكة: الاقامة في الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو[4].

ثم تعود الآيات التالية الى فهرسة بعض أحكام الحج في ثماني آيات من الآية: ١٩٦ الى الآية: ٢٠٣، ولم أجد فيها ما يدلنا سبباً خاصاً لنزولها، فهي تعود على الآية: ١٨٩ بمناسبة اعتبار بعض المسلمين من الأنصار مثل سعد بن النعمان بن

---

(١) البقرة: ١٩٠ ـ ١٩٤

(٢) روى الطوسي عن عطاء عن ابن عباس قال: إن المسجد الحرام: الحرم كله ـ التبيان ٢: ٢٠٨

(٣) البقرة: ١٩٥

(٤) السيد ابن طاووس في مقدمة الملهوف على قتلى الطفوف، والسيد الطباطبائي في الميزان ٢: ٧٣ عن الدر المنثور

كل كما مرّ. أضف إلى ذلك أن وقوع القتال في سرية نخلة في آخر شهر رجب الحرام من جانب المسلمين واستغلاله لإثارة عواطف العرب من جانب المشركين، ستتبع أن قالت قريش: استحلّ محمد الشهر الحرام[1] وقتل أهل البلد الحرام ولا سيما بجوار الحرم في نخلة، وكأنه لا يعتدّ بالبلد الحرام ولا بالشهر الحرام فاستدعى ذلك وبمناسبة السؤال عن وجه الحكمة في زيادة الأهلة ونقصانها أن تُعنى هذه الآيات بالحج والعمرة وأحكامهما ردّاً على ما قالوه وأشاعوه عن الاسلام والمسلمين.

وتستصحب الآيات ﴿ **وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها** ﴾[2] ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله** ﴾[3] حيث كانت قريش تقول: نحن أولى الناس بالبيت! وكانوا لا يفيضون إلا من المزدلفة، فأمرهم الله أن يفيضوا من عرفة كما عن الصادق عليه السلام[4].

وفي خبر آخر عنه عليه السلام أيضاً قال: كانت قريش في الجاهلية تفيض من المزدلفة وتقول: نحن أولى بالبيت من الناس! فأمرهم الله أن يفيضوا من حيث أفاض الناس من عرفة[5].

وفي آخر: إن أهل الحرم كانوا يقفون على المشعر الحرام، ويقف سائر الناس بعرفة[6].

---

(١) إعلام الورى ١: ١٦٧.

(٢) البقرة: ١٨٩.

(٣) البقرة: ١٩٩.

(٤) تفسير العياشي ١: ٩٦، ٩٧.

(٥) تفسير العياشي ١: ٩٦، ٩٧.

(٦) تفسير العياشي ١: ٩٦، ٩٧.

وفي آخر: إن قريشاً كانت تفيض من جَمْع (المزدلفة) وربيعة ومضر من عرفات[1].

وفي آخر: إن ابراهيم عليه السلام أخرج اسماعيل الى الموقف بعرفات، فأفاض منه وكان الناس يفيضون منه فلما كثرت قريش قالوا: لا نفيض من حيث أفاض الناس! فكانوا يفيضون من المزدلفة، ومنعوا الناس أن يفيضوا معهم، إلا من عرفات. فلما بعث الله محمداً ـ عليه الصلاة والسلام ـ أمره أن يفيض من حيث أفاض الناس[2].

والفقرة الثالثة المردودة: ﴿ فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً ﴾[3] حيث روى العياشي في تفسيره عن الحسن بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن العلاء الحضرمي، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن قول الله: ﴿ فاذكروا الله كذكركم آباءكم ﴾ قال: كان الرجل في الجاهلية اذا قاموا بمنى بعد النحر يفتخرون بآبائهم يقولون: أبي الذي حمل الديات والذي قاتل كذا وكذا، وكانوا يحلفون بآبائهم: لا وأبي لا وأبي[4].

ومن هنا بدأ آيات ثلاث تصف بعض الناس ممن تأخذه العزّة بالإثم فهو من المفسدين في الأرض وشديد الخصومة على الدنيا ولكنّه شديد القول في ذمّها، فهو منافق في ذلك: ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام * واذا تولّى سعى في الأرض ليُفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحبّ الفساد * واذا قيل له اتّق الله أخذته العزّة

---

(١) تفسير العياشي ١: ٩٦، ٩٧.

(٢) تفسير العياشي ١: ٩٦، ٩٧.

(٣) البقرة: ٢٠٠.

(٤) تفسير العياشي ١: ٩٨ بالتلفيق بين خبرين هنا واحد سنداً.

بالإثم فحسبه جهنّم ولبئس المهاد﴾[1].

وقد نقل الطوسي في «التبيان» عن السدّي: أنّها نزلت في الأخنس بن شُريق الثقفي حليف بني زهرة[2] وكان يظهر الرغبة في دين النبيّ ويُبطن خلاف ذلك[3].

ويتبادر الى الذهن من هذا أنه كان من منافقي المسلمين بالمدينة، بينما الرجل كان معدوداً في رجال قريش من مكة يوم خروجهم لحرب بدر، حتى فتح مكة، فلم يكن من منافقي المدينة يومئذٍ. ولعله لذلك نقل عن قوم غير السدّي منهم ابن عباس والحسن البصري: أن المعنيّ بهذه الآية كل منافق ومُراء[4] ونقله الطبرسيّ في «مجمع البيان» وأضاف: وهو المرويّ عن الصادق عليه السلام[5].

ثم تنفرد الآية: ٢٠٧ في وصف بعض عباد الله ممّن باعوا أنفسهم لله طلباً لرضاه: **﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾**.

وقال القمي: ومعنى يشري نفسه أي: يبذل نفسه، وذلك أمير المؤمنين عليه السلام[6].

وروى العياشي في تفسيره عن ابن عباس قال: شرى عليّ نفسه اذ لبس ثوب النبيّ صلى الله عليه وآله ونام مكانه، فكان المشركون يرون رسول الله... وجعل يُرمى بالحجارة كما كان يُرمى رسول الله وهو يتضوّر[7]. ورواه الطبرسي عن

---

(١) البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦.

(٢) التبيان ٢: ١٧٨ و١٨١.

(٣) مجمع البيان ٢: ٥٣٤.

(٤) التبيان ٢: ١٧٧ و١٨١.

(٥) مجمع البيان ٢: ٥٣٤ ولعله يعني ما في تفسير القمي ١: ٧١.

(٦) تفسير القمي ١: ٧١.

(٧) تفسير العياشي ١: ١٠١.

السدّي عن ابن عباس[1]

وروى العياشي في تفسيره عن الصادق عليه السلام قال: إنها أنزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام حيث بذل نفسه لله ولرسوله ليلة اضطجع على فراش رسول الله لما طلبته قريش[2]

وروى الطوسي في «التبيان» عن الباقر عليه السلام أيضاً قال: نزلت في علي حين بات على فراش رسول الله لما أرادت قريش قتله، حتى خرج رسول الله وفات المشركين أغراضهم[3]

وعليه وعلى القول بالترتيب الطبيعي للآيات، فالآيات هذه نزلت بعد بدر تذكّر باختلاف الناس في مراتب الإيمان والتفاني فيه، ومنهم المثل الأعلى عليّ عليه السلام.

وعلى القول بالترتيب الطبيعي للآيات، فالآيات هذه نزلت بعد بدر، بعد ما زلّ بعض المؤمنين فاتّبعوا خطوات الشيطان فتنازعوا في الغنائم والأسرى، ولم يستسلموا لله ولرسوله مطلقاً، بعد ما جاءتهم البيّنات بنزول الملائكة مدداً لهم! فهل هم أيضاً ينتظرون ما كان المشركون ينتظرون: أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام؟! **﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافّة ولا تتّبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوّ مبين * فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البيّنات فاعلموا أنّ الله عزيز حكيم * هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظُلل من الغمام والملائكة وقُضي الأمر وإلى الله تُرجع الأُمور ﴾**[4].

---

(١) مجمع البيان ٢: ٥٣٥

(٢) تفسير العياشي ١: ١٠١

(٣) التبيان ٢: ١٨٣

(٤) البقرة: ٢٠٨ ـ ٢١٠

ثم تذكرهم الآية الثانية بمصير بني إسرائيل إذ لم يقدّروا نعمة الله عليهم:

﴿ سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بيّنة ومن يُبدّل نعمة الله من بعد ما جاءته فإنّ الله شديد العقاب ﴾[1].

ثم تعرّضت الآية الثالثة على مقارنة بين حال المؤمنين ورؤوس المشركين:

﴿ زُيّن للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتّقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾[2].

فعن مقاتل: نزلت في عبد الله بن أُبيّ وأصحابه كانوا يسخرون من ضعفاء المؤمنين.

وعن عطاء: نزلت في رؤساء اليهود من بني قُريظة والنضير وقَينُقاع، سخروا من فقراء المهاجرين.

وعن ابن عباس: نزلت الآية في أبي جهل وغيره من رؤساء قريش حيث بُسطت لهم الدنيا فكانوا يسخرون من قوم من المؤمنين فقراء مثل عبد الله بن مسعود[3].

وعلى الترتيب الطبيعي للآيات فالمناسب هو الأخير من النقول الثلاث، ولا ننسى أن ابن مسعود هو الذي صعد في بدر بأن صعد على صدر أبي جهل فكان فوق صدره يفري نحره!

والآية التالية تنقلب تذكّر بأن هذا الاختلاف في الحق قديم قِدم البشر منذ عهد نوح وآدم عليهما السلام ﴿ كان الناس أمّة واحدة فبعث الله النبيّين مبشّرين

---

(١) البقرة: ٢١١

(٢) البقرة: ٢١٢

(٣) مجمع البيان ٢: ٥٤٠، ٥٤١.

ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلّا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البيّنات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ﴾[1].

روى العياشي عن الصادق عليه السلام قال: لما انقرض آدم وصالح ذرّيته بقي شيث وصيّه لا يقدر على اظهار دين الله الذي كان عليه آدم وصالح ذرّيته، ذلك أن قابيل توعّده بالقتل كما قتل أخاه هابيل، فسار فيهم بالتقيّة والكتمان، فازدادوا كلّ يوم ضلالاً، حتى لم يبق على الأرض معهم إلا من هو سلف، فبدا لله تبارك وتعالى أن يبعث الرسل.

قلت: أفضُلّالاً كانوا قبل النبيّين؟ أم على هدى؟

قال: لم يكونوا على هدى كانوا على فطرة الله التي فطرهم عليها لا تبديل لخلق الله، ولم يكونوا ليهتدوا حتى يهديهم الله، أما تسمع ابراهيم يقول: ﴿ **لئن لم يهدني ربي لأكوننّ من القوم الضالين** ﴾ أي ناسياً للميثاق[2].

وروى الطوسي في «التبيان» عن الباقر عليه السلام قال: كانوا قبل نوح امة واحدة على فطرة الله، لا مهتدين ولا ضُلّالاً فبعث الله النبيّين[3].

---

(1) البقرة: ٢١٣.

(2) تفسير العياشي ١: ١٠٤، ١٠٥ وانتقل الامام عليه السلام هنا الى التذكير باستمرار الامامة مداداً بسورة القدر: ولو سُئل هؤلاء الجهّال لقالوا: قد فرغ من الأمر. وكذبوا، إنما هو شيء يحكم به الله في كل عام... فيحكم الله بما يكون في تلك السنة من شدة أو رخاء أو مطر أو غير ذلك. وقرأ: «فيها يُفرق كل أمر حكيم».

(3) التبيان ٢: ١٩٥ وعنه في مجمع البيان ٢: ٥٤٣.

والآية التالية عادت تذكّر المؤمنين بما هم قبل هذا النصر في بدر: ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأساء والضرّاء وزلزلوا حتّى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إنّ نصر الله قريب ﴾[1].

ونقل الطبرسي في «مجمع البيان» عن عطاء قال: نزلت في المهاجرين من أصحاب النبيّ ﷺ إلى المدينة، إذ تركوا ديارهم وأموالهم ومسّهم الضرّ[2].

أمّا ما نقله الطوسي في «التبيان» عن السدّي وقتادة: أنّها نزلت في يوم الخندق[3] فلا ينسجم مع الترتيب الطبيعيّ للآيات، إلّا أن لا نتقيّد بذلك.

وقد قال العلّامة الطباطبائي في «الميزان»: إنّ هذه الآيات إلى آخر هذه الآية ذات سياق واحد يربط بعضها ببعض[4].

وإذا كانت الآيات إلى آخر الآية السابقة ذات سياق واحد يربط بعضها ببعض، فالظاهر أنّ الآية التالية مفردة منفردة في السياق ولا ترتبط بما قبلها ولا بما بعدها، إذ هي تبدأ بقوله سبحانه: ﴿ يسألونك ماذا ينفقون ﴾ والجواب: ﴿ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإنّ الله به عليم ﴾[5].

وقال الطبرسي في «مجمع البيان»: نزلت في عمرو بن الجموح، وكان شيخاً

---

(١) البقرة: ٢١٤.

(٢) مجمع البيان ٢: ٥٤٦.

(٣) التبيان ٢: ١٩٨ وعنه في مجمع البيان ٢: ٥٤٦.

(٤) الميزان ٢: ١٥٨.

(٥) البقرة: ٢١٥.

كبيراً ذا مال كثير، فقال: يا رسول الله عندي أتصدّق؟ وعلى من أتصدّق؟ فنزلت الآية[1].

وطبيعيّ أن لا علاقة لهذا السؤال والجواب بوقائع بدر اللهم الا أن نعطف النظر الى الآية ما قبل عشر آيات، وهي: ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ﴾[2] وما روي عن أبي أيوب الأنصاري سبباً لنزولها، اذ كان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بني سلمة وأشرافهم[3] ولم يكن ممن حضر بدراً، وحضر بدراً ابنه مُعاذ وخلّاد، وضرب مُعاذ رجلَ أبي جهل فقطعها، فضرب عِكرمة بن أبي جهل على يد مُعاذ فقطعها[4] فلعلّ أباه عمراً سأل النبيّ عن الصدقة شكراً على حياة ابنه مُعاذ وكفّارة عن عدم حضوره هو في بدر فأُجيب.

وتعود الآية التالية على موضوع القتال فتقول: ﴿ كُتب عليكم القتالُ وهو كُرْهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تُحبّوا شيئاً وهو شرٌّ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾[5] والآية تقرير لعمل الرسول لا ابتداء تشريع القتال.

ثم تنتقل الآيتان التاليتان الى الاجابة على السؤال عن القتال في الشهر الحرام حيث وقع ذلك قبل بدر في سرية النخلة في آخر يوم من شهر رجب، فتقول: ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبيرٌ وصدٌّ عن سبيل

---

(١) مجمع البيان ٢: ٥٤٧.

(٢) البقرة: ١٩٥.

(٣) سيرة ابن هشام ٢: ٩٥.

(٤) سيرة ابن هشام ٢: ٣٦٨.

(٥) البقرة: ٢١٦.

الله وكفرٌ به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم ﴾[1].

قال القمي في تفسيره: كان سبب نزولها: أنّ رسول الله ﷺ بعث السرايا الى الطرقات التي تدخل مكة تتعرض لعير قريش حتى بعث عبد الله بن جحش في نفر من أصحابه الى نخلة ... وأخذوا العير بما فيها وساقوها الى المدينة، فعزلوا العير وما كان عليها ولم ينالوا منها شيئاً.

وكتبت قريش الى رسول الله: انك استحللت الشهر الحرام وسفكت فيه الدم وأخذت المال! وكثر القول في هذا.

وجاء أصحاب رسول الله فقالوا: يا رسول الله أيحلّ القتل في الشهر الحرام؟

فأنزل الله: ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه ... ﴾[2].

وقال الطبرسي في «إعلام الورى»: ... وساقوا العير فقدموا بها على رسول الله ـ وكان ذلك قبل بدر بشهرين ... فقال لهم النبيّ ﷺ: والله ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام، وأوقف الأسيرين والعير ولم يأخذ منها شيئاً.

وقالت قريش: استحلّ محمد الشهر الحرام

---

(١) البقرة: ٢١٧ و ٢١٨.

(٢) تفسير القمي ١: ٧١ و ٧٢ وكأنّه يلتفت القمي الى أن تحريم الشهر الحرام قد مرّ في الآية ١٩٤، أي قبل أكثر من عشر آيات فيقول: ثم نزلت: «الشهر الحرام بالشهر الحرام».

وأسقط في أيدي القوم وظنّوا أنهم قد هلكوا..

فأنزل الله سبحانه: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه ...﴾

فلما نزل ذلك أخذ رسول الله المال وفداء الأسيرين[1].

أما في تفسيره «مجمع البيان» فقد نقل القول عن المفسّرين الى أن قال: فركب وفد كفار قريش حتى قدموا على النبيّ فقالوا: أيحلّ القتال في الشهر الحرام؟ فأنزل الله هذه الآية. وإنما سألوا ذلك على جهة العيب للمسلمين باستحلالهم القتال في الشهر الحرام[2]. وعليه فالسائل هو وفد مشركي قريش من مكة، وقبله نقله الطوسي في «التبيان» عن الحسن البصري[3] فلعله هو الوفد الذي وفد عليه لفداء أسراء بدر بعد بدر، وهم أربعة عشر رجلاً، وفدوا عليه بعد رجوعه من بدر بأربعة أيام أو خمسة، أي في شهر رمضان قبل انقضائه. وهذا هو المنسجم مع الترتيب الطبيعي للآيات.

وروى الواقدي بسنده عن أبي بردة بن نيار قال: إن النبيّ ﷺ وقف غنائم أهل نخلة ومضى الى بدر، فلما رجع من بدر ... قالوا: ونزل القرآن وفيه: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام﴾ فقسّمها مع غنائم أهل بدر وأعطى كل قوم حقّهم. قالوا: وكان فداؤهم أربعين أوقية لكل واحد، والأوقية أربعون درهماً.

وروى بسنده عن محمد بن عبد الله بن جحش قال: كان لأهل الجاهلية مرباع (أي ربع الغنيمة للرئيس) فلما رجع عبد الله بن جحش من نخلة خمّس ما غنم للنبيّ، فكان أول خمس خُمّس في الاسلام، ثم نزل بعد: ﴿واعلموا أنما غنمتم

---

(1) إعلام الورى 1: 167.

(2) التبيان 2: 204.

(3) مغازي الواقدي 1: 18.

من شيء فأن لله خمسه وللرسول ... ﴾ [١].

وروى ابن اسحاق عن الزُهري عن عروة قال: أما عثمان بن عبد الله الذي استؤسر فافتدى فلحق بمكة حتى مات بها كافراً، وأما الحكم بن كَيْسان الذي استؤسر هو أيضاً فقد أسلم وحسن اسلامه وأقام عند رسول الله حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً[٢].

وروى الواقدي بسنده عن كريمة ابنة المقداد بن عمرو عن أبيها المقداد قال: أنا أسرت الحكم بن كَيْسان فقدمنا به على رسول الله، فجعل رسول الله يدعوه الى الاسلام وأطال كلامه فقال عمر بن الخطاب: تكلّم هذا يا رسول الله؟ والله لا يُسلم هذا آخر الأبد، دعني أضرب عنقه ويقدم الى أمه الهاوية، فجعل النبيّ ﷺ لا يُقبل على عمر حتى أسلم الحكم.

وروى عن الزُهري قال: قال الحكم: وما الاسلام؟ قال: تعبد الله وحده

---

(١) مغازي الواقدي ١: ١٧، ١٨ وانما معنى ذلك نزول آية الخمس في سورة الأنفال بعد تخميس ابن جحش غنيمة نخلة وقبل ذلك الانفال. وقسمها مع غنائم بدر. لابد أن نفترض فيه مسامحة في التعبير، اذ نصّ الواقدي ١: ١٠٠ وقبله ابن اسحاق ٢: ٢٩٧ على أن الرسول ﷺ قسم غنائم بدر في مضيق بشعب سير بالصفراء في منصرفه من بدر الى المدينة وقبل أن يصلها. ونصّا أيضاً أن ذلك كان بعد نزول سورة الأنفال الواقدي ١: ١٣١ وابن هشام ٢: ٣٢٢ وطبيعي أن تقسيمه لغنيمة نخلة انما كان بعد رجوعه من بدر ووصوله الى المدينة من دون أن يكون قد حملها معه الى بدر ليكون قد قسمها مع غنائم بدر في شعب سير. وعليه فقد نزلت سورة الأنفال حين الانصراف من بدر، فقسم غنائمها في شعب سير، ثم وصل المدينة ونزلت الآيات من سورة البقرة «يسألونك عن الشهر الحرام» فقسّم غنيمة نخلة.

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٢٥٥.

لا شريك له، وتشهد أنّ محمداً عبده ورسوله. قال: قد أسلمت.

فالتفت النبيّ إلى أصحابه فقال: لو أطعتكم فيه آنفاً فقتلته دخل النار. فأسلم، وحسن إسلامه، وجاهد في الله حتى قتل شهيداً يوم بئر معونة[1].

والآيتان التاليتان قوله سبحانه: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلكم تتفكّرون * في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إنّ الله عزيز حكيم﴾[2].

قال الطبرسي في «مجمع البيان»: آيتان في الكوفي، وآية واحدة فيما عداه، عدّ الكوفي «تتفكّرون» آية، وتركها غيره[3].

وقد التزم بعض المفسّرين بذكر وجه انتظام الآيات في السورة، بل والسور في المصحف، والطبرسي من هؤلاء كما في تفسيره وفي مقدمته. ثمّ أُقدّم في كل آية ذكر الاختلاف في القراءات، ثم ذكر انتظام الآيات[4] وقد ذكر وجهاً لاتصال الآيات السابقة بما قبلها، أمّا في ما بين الآيتين فكأنّه استبدل عن ذلك بذكر سبب النزول فقال: نزلت في جماعة من الصحابة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: أفتنا في الخمر والميسر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال، فنزلت الآية[5].

وقد روى الكليني في «الكافي» عن علي بن يقطين قال: سأل المهدي

---

(١) مغازي الواقدي ١: ١٥ بتصرف يسير.

(٢) البقرة: ٢١٩ و٢٢٠.

(٣) مجمع البيان ٢: ٥٥٥.

(٤) مجمع البيان ١: ٧٧.

(٥) مجمع البيان ٢: ٥٥٧.

العباسي، أبا الحسن (الكاظم) عليه‌السلام عن الخمر هل هي محرمة في كتاب الله عزّ وجل ؟ فان الناس انما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون تحريمها !

فقال له أبو الحسن عليه‌السلام : بل هي محرمة.

فقال : في أي موضع هي محرمة في كتاب الله عزّ وجلّ يا أبا الحسن ؟

فقال : قول الله تعالى : **﴿ انما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ﴾**[1] فاما الاثم فهي الخمر بعينها وقد قال الله تعالى في موضع آخر **﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما اكبر من نفعهما ﴾**.

فقال المهدي : يا علي بن يقطين، هذه فتوى هاشمية

فقلت له : صدقت يا أمير المؤمنين، الحمد لله الذي لم يُخرج هذا العلم منكم أهل البيت. فوالله ما صبر المهدي أن قال لي : صدقت يا رافضي[2].

وقد نقل الطوسي في «التبيان» هذا المعنى عن العامة منهم الحسن البصري قال : هذه الآية تدل على تحريم الخمر، لأنه ذكر أن فيه إثماً، وقد حرّم الله الاثم بقوله **﴿ قل انما حرّم ربيّ الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم ﴾** على أنه قد وصفها بأنّ فيها اثماً كبيراً، والكبير يحرم بلا خلاف[3].

وقال الطبرسي في «مجمع البيان» : قال الحسن : في الآية تحريم الخمر من وجهين : احدهما : قوله : **﴿ واثمهما اكبر من نفعهما ﴾** فانه اذا زادت مضرة الشيء على منفعته اقتضى العقل الامتناع عنه.

---

(١) الاعراف : ٣٣.

(٢) فروع الكافي ٦ : ٤٠٦، الحديث الأول.

(٣) التبيان ٢ : ٢١٣.

والثاني: أنّه بيّن أنّ فيهما الإثم، وقد حرّم في آية أخرى الإثم فقال: ﴿قل إنّما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم﴾[1].

ولا ارتباط بين هذا السؤال والجواب وبين بدر وما تلاها.

أمّا المقطع الآخر من الآية: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون﴾؟

وقد سبقت الآية الماثلة: ﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾؟ قبل أربع آيات، واختلف الجواب. فهناك ﴿قل ما أنفقتم من خير﴾ وهنا: ﴿قل العفو﴾ وقد مرّ هناك أنّ السائل كان عمرو بن الجموح، وقد مرّ هناك احتمال أن يكون الباعث على السؤال الآية التي تسبقها بعشر آيات: ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾[2] وهنا يكرّر الطبرسي: أنّ السائل عمرو بن الجموح، ويصرّح بأنّه: سأل عن النفقة في الجهاد[3] فلعلّه قد تكرّر السؤال مرة أخرى عن حدّ الانفاق فأجيب ﴿قل العفو﴾.

وروى الطوسي في «التبيان» عن الباقر عليه السلام قال: العفو: ما فضل عن قوت السنة.

وروى عن الصادق عليه السلام قال: العفو هاهنا: الوسط[4].

وروى العياشي في تفسيره عنه عليه السلام أربع روايات بذلك عن يوسف، وأبي بصير، وعبد الرحمان، وجميل بن درّاج، وتلا قوله سبحانه: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ وقال: هذه هي الوسط[5].

---

(١) مجمع البيان ٢: ٥٥٨.

(٢) البقرة: ١٩٥.

(٣) مجمع البيان ٢: ٥٥٨.

(٤) التبيان ٢: ٢١٤ وعنه في مجمع البيان ٢: ٥٥٨.

(٥) تفسير العياشي ١: ١٠٦.

أمّا الآية التالية: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ فهي مناسبة مع توالي وقعة بدر وسقوط شهداء فيها وبقاء يتامى لهم بين المسلمين لأوّل مرة، فيسألون عن تكليفهم بالنسبة إليهم فأُجيبوا بأنّهم إخوانهم فليخالطوهم وليصلحوا أمرهم وشأنهم.

زكاة الفطرة وعيد الفطر:

وكأنّه لمّا تكرّر السؤال عن الإنفاق لما حصل المسلمون على ما يعتدّ به من المال من غنائم بدر وفداء الأسرى، ناسب أن يأمر رسول الله ﷺ بإخراج زكاة الفطر في هذه السنة، كما قال المسعودي[1]. وخرج بالناس إلى المصلّى في العيد ولم يخرج قبل ذلك، وذبح في المصلّى شاة أو شاتين بيده، ووُضعت العنزة ـ وهي الرمح الصغيرة ـ بين يديه، كما قال اليعقوبي[2].

وروى الواقدي في العَنَزة عن الزبير بن العوّام قال: كانت في يدي يوم بدر عنزة، إذ لقيت عُبيدة بن سعيد بن العاص على فرس وعليه لأمة كاملة لا يُرى منه إلا عيناه، فطعنت بالعنزة في عينه، فوقع، فوطأت برجلي على خدّه حتى أخرجت العنزة من حدقته فأخرجت حدقته. فأخذ رسول الله العنزة فكانت تُحمل بين يديه[3].

وروي في «الجعفريات» بسنده عن الصادق عن علي عليه‌السلام قال: كانت

---

(١) التنبيه والإشراف: ٢٠٦.

(٢) اليعقوبي ٢: ٤٦.

(٣) مغازي الواقدي ١: ٨٥ بهامشه عن نوادر الأدب: ١٢٦ قال: كان الإمام إذا صلّى جعلها بين يديه ووقف دونها، فيكون على ناحية منه، فسمّيت العنزة من قولهم: اعتنز الرجل، إذا تنحّى.

رسول الله عنزة في أسفلها عكاز يحملها في العيدين يصلي اليها ومتوكئاً عليها[1].

بينما روى بسنده عن علي عليه السلام أيضاً قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى أن يُخرج السلاح الى العيدين، الا أن يكون عدواً حاضراً[2] ولا منافاة بينهما ووجه الجمع ظاهر.

وفسّر الرسول صلى الله عليه وآله في هذا اليوم ما جاء في آيات الصيام: ﴿ ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾:

فقد روى الكليني في «أُصول الكافي» عن الريان بن الصلت وياسر خادم الرضا عليه السلام أنّ المأمون العباسيّ لمّا حضر العيد سأل الرضا عليه السلام أن يصلّي العيد ويخطب، فاستعفاه الرضا عليه السلام وقال: بل لم تعفني خرجت كما خرج رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام. فقال المأمون: اخرج كيف شئت. فلما طلعت الشمس قام فاغتسل، وتعمّم بعمامة بيضاء من قطن ألقى طرفاً منها على صدره، وطرفاً بين كتفيه. ثم أخذ بيده عُكازاً ثم خرج. فلما مشى كبّر أربع تكبيرات قال: الله اكبر الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر على ما هدانا، والله اكبر على ما أولانا[3].

وروى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: أما إنّ في الفطر تكبيراً، ولكنّه مسنون. قلت: كيف أقول؟ قال: تقول: الله اكبر الله اكبر الله اكبر، لا اله الا الله والله اكبر، الله اكبر ولله الحمد، الله اكبر على ما هدانا. ثم قال: وهو قول الله: ﴿ ولتكبروا الله على ما هداكم ﴾[4].

---

(١) الجعفريات: ١٨٤ وفي من لا يحضره الفقيه مثله خبر ١: ٥٠٩ ط طهران.

(٢) الجعفريات: ٣٨ وفي فروع الكافي ٣: ٤٦١ الحديث ٦ والتهذيب ١: ٢٩٢ مثله عن أبان.

(٣) أُصول الكافي، باب مولد الرضا عليه السلام ١: ٤٨٩ ط طهران.

(٤) فروع الكافي ٤: ١٦٦ ح ١ ورواه العياشي في تفسيره ١: ٨٢ والصدوق في الفقيه ٢: ١٦٧ ط طهران والخصال ٢: ٦٠٩ والطوسي في التهذيب ٣: ١٣٨ ح ٣١١

غزوة بني سُليم

قال الطبرسي في «إعلام الورى»: ولم تقم رسول الله بالمدينة لما رجع اليها من بدر الا سبع ليال حتى غزا بنفسه يُريد بني سُليم، حتى بلغ ماءً من مياههم يقال له: الكُدْر، فأقام عليه ثلاث ليال ولم يلق كيداً فرجع الى المدينة[2].

واختصر الخبر ابن شهر آشوب في «مناقب آل أبي طالب»[3] وأظن أن الطبرسي نقله عن نص ابن اسحاق في السيرة[4]، ولم يعين فيها يوم خروجه. ولكن الطبري بعد نقله لنص ابن اسحاق نقل عن بعضهم قال: خرج من المدينة يوم الجمعة غرّة شوال أي يوم عيد الفطر بعد ما ارتفعت الشمس من السنة الثانية للهجرة[5].

ونقل الطبري عن بعضهم قال: لم يلق النبي كيداً في غزوة الكُدْر وساق الرِّعاء والنعم فغنم وسلم، وكان قدومه منها لعشر خلون من شوّال[6].

سرية بني سُليم:

قال: ويوم الأحد ولعشر ليال مضين من شوال بعث غالب بن عبدالله الليثي في سرية الى بني سُليم وغطفان، فقتلوا فيهم وقتل منهم ثلاثة

---

(١) قرقرة الكدر على ثمانية بُرد من المدينة الى جهة مكة ـ الصحيح ٢: ١٢

(٢) اعلام الورى ١: ١٧٢

(٣) المناقب ١: ١٩٠

(٤) ابن هشام ٣: ٤٦

(٥) الطبري ٢: ٤٨٢

(٦) الطبري ٢: ٤٨٣

وأخذوا النعم وانصرفوا بالغنيمة الى المدينة يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شوال[1].

وعن سبب الغزوة والسرية الى بني سليم وغطفان قال : بلغه اجتماعهم عليه[2]. اذ كان البدء بحصار بني قينقاع يوم السبت للنصف من شوال في قول الواقدي[3] وعليه فمقدمات الغزوة وقعت في هذه الفترة (ثلاثة أيام) بين عودة الرسول من بني سُليم وحصر بني قينُقاع . وحيث يستمر حصارهم الى هلال ذي القعدة فقبل نقل خبرهم هناك خبران آخران مما وقع في شوال هذه السنة، ولعل الخبر الأول يرتبط بالآيات التالية من سورة البقرة في :

تزويج المشركين والزواج بالمشركات :

قوله سبحانه : ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أُولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبيّن آياته للناس لعلّهم يتذكّرون ﴾[4]. وقد رووا في شأن نزولها أخباراً مختلفة منها ما لا علاقة لها بأحداث ما بعد بدر، كما :

روى السيوطي في «الدر المنثور» عن مقاتل قال : بلغنا : أنها كانت أمة (لحذيفة بن اليمان) فأعتقها وتزوجها ، فطعن عليه ناس وقالوا : نكح أمةً .

---

(١) الطبري ٢ : ٤٨٣

(٢) الطبري ٢ : ٤٨٢

(٣) مغازي الواقدي ١ : ١٧٦ .

(٤) البقرة : ٢٢١

فأنزل الله فيهم ذلك[1].

وروى الواحدي في «أسباب النزول» عن السُدّي عن ابن عباس قال: إن عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء، وإنه غضب عليها فلطمها، ثم فزع، فأتى النبيّ ﷺ وأخبره خبرها، فسأله النبيّ: ما هي يا عبد الله؟ قال: تشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله، وتحسن الوضوء، وتصلي وتصوم. فقال: يا عبد الله هذه مؤمنة. فقال عبد الله: فوالذي بعثك بالحق لأعتقنّها ولأتزوّجنّها. ففعل، فطعن عليه ناس وقالوا: نكح أمة! فأنزل الله فيهم: ﴿ولأمة مؤمنة خير من مشركة﴾[2].

ومن الأخبار ما لعله يرتبط بما حدث بعد بدر، فقد قال الطبرسي في «مجمع البيان»: نزلت في مرثد بن أبي مرثد الغنوي، بعثه رسول الله الى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين، وكان قوياً شجاعاً، وكانت بينه وبين امرأة يقال لها عناق خُلّة في الجاهلية، فدعته الى نفسها فأبى، فقالت: هل لك أن تتزوّج بي؟ فقال: حتى أستأذن رسول الله ﷺ. فلما رجع استأذن في التزويج بها، فنزلت الآية[3].

ونقله الطباطبائي في «الميزان» وقال: رواه السيوطي عن ابن عباس أيضاً.

ثم قال: ولا تنافي بين هذه الروايات الواردة في أسباب النزول، لجواز وقوع عدة حوادث تنزل بعدها آية تشتمل على حكم جميعها[4].

وأقول: ولا يبعد أن يكون مرثد بن أبي مرثد الغنويّ في ارسال رسول

---

(١) الدر المنثور ١: ٢٥٦، ٢٥٧.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ٦٥.

(٣) مجمع البيان ٢: ٥٦٠، وأسباب النزول للواحدي: ٦٥، ٦٦.

(٤) الميزان ٢: ٢٠٦.

الله له الى مكة، هو الرجل الآخر مع زيد بن حارثة، حينما ـ كما ذكر ابن اسحق ـ بعثها رسول الله مع صهره أبي العاص بن الربيع لما خلّى سبيله الى مكة، وقال لها: كونا ببطن يأجج[1] حتى تمرّ بكما زينب، فتصحباها حتى تأتياني بها. وذلك بعد بدر بشهر أو قريب منه.

ثم روى عن زينب: أنها لما فرغت من جهازها قدّم لها كنانة بن الربيع أخو زوجها بعيراً فركبته، فخرج بها في هودج لها يقودها نهاراً.

وتحدث بذلك رجال من قريش، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طُوى، فكان أول من سبق اليها هبّار بن الأسود ونافع بن عبد القيس الفهري فروّعها هبّار بالرمح وهي في هودجها، وكانت المرأة حاملاً فيما يزعمون فطرحت ما في بطنها!

فبرك حموها كنانة بن الربيع وقال: والله لا يدنو مني رجل الا وضعت فيه سهماً!

وأتى أبو سفيان في جمع من قريش فقال له: أيها الرجل، كفّ عنّا نبلك حتى نكلّمك. فكفّ. فأقبل ابو سفيان حتى وقف عليه فقال: إنك لم تُصب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد! فاذا خرجت بابنته من بين أظهرنا اليه علانية على رؤوس الناس يظن الناس أن ذلك عن ذلّ أصابنا من مصيبتنا التي كانت، وأن ذلك منّا ضعف ووهن. ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة وما لنا في ذلك من ثأر، ولكن ارجع بالمرأة حتى اذا هدأت الأصوات وتحدّث الناس أن قد رددناها، فسُلّها سرّاً

---

(١) يأجج: اسم لمكانين على ثمانية أميال من مكة، والأقرب منه على موضع مسجد الشجرة، بينه وبين مسجد التنعيم ميلان = ٣كم تقريباً. ومسجد التنعيم اليوم متصل بمكة.

وألحقها بأبيها

فخرج كنانة ومعه ذلك. فأقام ليالي حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدما بها على رسول الله ﷺ[1].

وعليه، فالآية إذ نزلت كانت تأييداً لعمل الرسول من الفصل بين ابنته المسلمة وزوجها المشرك.

ومن آيات الأحكام التي لها ارتباط تام بما بعد بدر وشهادة الشهداء الأربعة عشر فيها: آية عدة المتوفى عنها زوجها أو الشهيد، وفيها آيتان هما الآية ٢٣٤ و ٢٤٠ وقبلها وبعدها آيات أحكام هي وأسباب نزولها من تاريخ صدر الإسلام، فلا بأس بالإلمام بها.

روى السيوطي في «الدر المنثور» عن أنس بن مالك قال: كان اليهود إذا حاضت امرأة منهم أخرجوها من البيت ولم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيوت. وروى عن السدّي ومقاتل قال: فسأل ثابت بن الدحداحة الأنصاري[2] فأنزل الله: ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذىً فاعتزلوا النساء

---

(1) سيرة ابن هشام ٢: ٣٠٨ - ٣١٠ وذكر السهيلي في «الروض الأنف» في شرح هذا الموضع من السيرة: أن هبّار نخس بها الراحلة فسقطت على صخرة وهي حامل، فهلك جنينها، ولم يزل يهريق الدماء حتى ماتت بالمدينة بعد إسلام بعلها أبي العاص بن الربيع. ولذلك روى ابن إسحاق عن أبي هريرة قال: بعث رسول الله سرية أنا فيهم وقال لنا: إن ظفرتم بهبّار بن الأسود أو نافع بن عبد القيس الفهري فاقتلوهما. ـ سيرة ابن هشام ٢: ٣١٢.

(2) هو الذي صاح يوم أحد: يا معشر الأنصار إن كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت فقاتلوا عن دينكم فإن الله ناصركم ومظهركم. فنهض إليه نفر من الأنصار فوقفت له كتيبة خالد بن الوليد ←

في المحيض ﴾، فقال رسول الله: جامعوهن في البيوت واصنعوا كل شيء الا النكاح. فسمع ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه[1].

وروى الطوسي عن الحسن والربيع وقتادة قالوا: إنما سألوا عن الحيض لأنهم كانوا على تجنب امور من مواكلة الحائض ومشاربتها، حتى كانوا لا يجالسونها في بيت واحد. فاستعلموا: أواجب هو أم لا[2].

ونقله عنه الطبرسي في «مجمع البيان» وبيّن أنهم كانوا في الجاهلية يجتنبون ذلك[3] فان كان فقد تأثروا في ذلك واقتبسوه من أهل الكتاب واليهود خصوصاً.

والآية أمرت باعتزالهنّ ﴿ فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ ولكنها فسّرت الاعتزال ﴿ ولا تقربوهن ﴾ وحددت ذلك بأجله: ﴿ حتى يطهرن ﴾ ثم سرعت التطهير منه ﴿ فاذا تطهّرن فأتوهنّ ﴾ أو قاربوهنّ، جوازاً، اذ هو أمر عقب الحظر، ولكن المقاربة ﴿ من حيث أمركم الله ﴾ بإحسانه، وهو الفرج.

فلو كان المسلم يقاربها ولا يعتزلها فهو الآن يشعر وكأنه كان عاصياً مذنباً، ولو كان يعتزلها اكثر من اللازم كاليهود فكذلك أيضاً فقال الله: ﴿ إن الله يحب التوابين ﴾ ثم علّل الاعتزال حتى التطهر بقوله سبحانه: ﴿ ويحب

وحمل عليه جابر فطعنه فانزع قتله شهيداً ـ مغازي الواقدي ١: ٢٨١ وهذا يليق به أن يكون منقصاً يسأل عن ذلك.

(١) الدر المنثور ١: ٢٥٨.

(٢) التبيان ٢: ٢١٩، ٢٢٠.

(٣) مجمع البيان ٢: ٥٦٢.

(٤) التبيان ٢: ٢٢٢ عن الربيع ومجاهد وقتادة عن ابن عباس.

المتطهّرين ﴾[1] الطالبين للنظافة عن الحيض والاغتسال منه ومن كل حدث وخبث، ومنه التطهير من الغائط، فالآية تشمله بإطلاقها، وقد طبّقها عليه الرسول:

فقد روى العياشي في تفسيره عن الصادق عليه‌السلام قال: كانوا يستنجون بثلاثة أحجار، لأنهم كانوا يأكلون التمر وكانوا يبعرون بعراً، فأكل رجل من الأنصار الدُّبّاء (القرع) فلان بطنه فاستنجى بالماء، ثم أتى النبيّ وقال: يا رسول الله، إني والله ما حملني على الاستنجاء بالماء الا أني أكلت طعاماً فلان بطني، فلم تُغنِ عني الحجارة شيئاً فاستنجيت بالماء.

فقال رسول الله: هنيئاً لك، فإن الله قد أنزل فيك الآية: ﴿ إن الله يحب التوّابين ويحب المتطهّرين ﴾[2] يعني التطبيق لا النزول الخاص.

وعن جريان السنة به روى الكليني في «الكافي» عنه عليه‌السلام أيضاً قال: كان الناس يستنجون بالأحجار والكُرسف (القطن) ثم أُحدث الوضوء (أي التطهير بالماء) وهو خلق كريم، فأمر به رسول الله وصنعه[3].

وعليه فالآية اشارت الى التطهير بالماء من الحيض، وسنّ الرسول الكريم الغسل منه، والتطهير من الغائط. ولعل مع تشريع الحيض والغسل منه كان وضع

---

(١) وقارن بالميزان ٢: ٢١٢.

(٢) تفسير العياشي ١: ١٠٩، ١١٠ ورواه الصدوق في الفقيه. وقال الطباطبائي في الميزان ٢: ٢١٦: والأخبار في هذا المعنى كثيرة وفي بعضها: أن أول من استنجى بالماء البراء بن عازب والنص في رواية نقل خبر عن الفقيه وقال: ولعل ابن هذا الرجل كان البراء بن معرور الأنصاري. وأقول: الصحيح هو البراء بن عازب لا ابن معرور فإن ابن معرور كان قد توفي قبيل هجرة الرسول فصلّى على قبره كما مرّ.

(٣) فروع الكافي ٣: ١٨، الحديث ١٣.

الصلاة والصيام عن الحائض مع قضاء الصيام

وكما كان اليهود مبتدعين باعتزال الحائض اكثر من اللازم، كذلك كانوا مبتدعين بالمضايقة في كيفية إتيان النساء.

فقد روى العياشي في تفسيره عن الصادق والرضا عليهما السلام قالا: ان اليهود كانت تقول: اذا أتى الرجل من خلفها خرج ولده أحول! فأنزل الله ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم ﴾ يعني من خلف أو قدام، خلافاً لقول اليهود، ولم يعن في أدبارهن[1] وهو بذلك يردّ على ما ورد في صدر الخبر، حيث نقل له معمّر بن خلّاد عن أهل المدينة أنهم كانوا لا يرون بأساً في إتيان النساء في أعجازهن. ويبدو أنهم أخذوا ذلك من فقيههم مالك بن أنس:

فقد نقل السيوطي في «الدر المنثور» عن أبي سليمان الجوزجاني قال: سألت مالك بن أنس عن وَطْء الحلائل في الدبر، قال: الساعة غسلت رأسي عنه

واستند مالك في ذلك الى ما أسنده عن نافع القارىء قال: قال لي ابن عمر: أمسك عليّ المصحف يا نافع. فأمسكت وقرأ حتى أتى على قوله سبحانه: ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم ﴾ فقال لي: يا نافع تدري فيمن نزلت هذه الآية؟ قلت: لا، قال: نزلت في رجل من الأنصار أصاب امرأته في دبرها فأعظم الناس ذلك، فأنزل الله الآية. قلت له: من دبُرها في قبلها. قال: لا، إلا في دبرها. ولذلك كان ابن عباس يأخذ ذلك على ابن عمر

ففيه عن مجاهد عن ابن عباس قال: إن ابن عمر ـ والله يغفر له ـ أوهم، انما كان هذا الحيّ من الأنصار ـ وهم أهل وثن ـ مع هذا الحيّ من يهود وهم أهل

---

(١) تفسير العياشي ١: ١١١

كتاب، وكانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان من أمر أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف، فكان هذا الحيّ من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم. بينما كان هذا الحيّ من قريش يشرحون النساء شرحاً منكراً ويتلذّذون، مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوّج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت: إنما كنّا نؤتى على حرف، فاصنع ذلك، وإلا فاجتنبني! فسرى أمرهما حتى بلغ ذلك رسول الله فأنزل الله عز وجل: ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم ﴾ أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات، يعني بذلك موضع الولد. ورواه ابن داود في سننه.

كما روى السيوطي مختصره عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كانت الأنصار تأتي نساءها مضجعة، بينما كانت قريش تشرح شرحاً كثيراً، فتزوّج رجل من قريش امرأة من الأنصار فأراد أن يأتيها فقالت: لا، إلا كما نفعل، فأخبر رسول الله بذلك فأنزل: ﴿ فأتوا حرثكم أنّى شئتم ﴾ أي قائماً وقاعداً ومضطجعاً في صمام واحد[1] أي في مدخل واحد هو القبل دون الدبر.

ولذلك روى العياشي في تفسيره عن صفوان بن يحيى عن بعض أصحابنا قال: سألت أبا عبد الله الصادق عن قول الله: ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم ﴾ فقال: من قدّامها ومن خلفها في القُبُل.

وعن زرارة قال: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن قول الله: ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم ﴾ قال: من قبل.

وعليه تحمل الرواية الأخرى عن زرارة أيضاً عن الباقر عليه السلام قال: حيث

---

(1) الدر المنثور ١: ٢٦١.

شاء، يعني من القتل[1]

وعن النظم والترتيب الطبيعي لنزول الآيات الأربع الثانية من الآية ٢٢٤ حتى الآية ٢٢٧ قال الطبرسي في «مجمع البيان»: لما بيّن سبحانه أحوال النساء وما يحل منهن عقّبه بذكر الإيلاء، وهو: اليمين التي تحرّم الزوجة، فابتدأ بذكر الأيمان أولاً تأسيساً لحكم الإيلاء فقال: ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبرّوا وتتّقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم ﴾[2] ثم بيّن سبحانه أقسام اليمين فقال: ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور رحيم ﴾[3] ثم بيّن تعالى حكم الإيلاء لأنه من جملة الأيمان والأقسام، وشريعة من شرائع الإسلام، فقال: ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربّص أربعة أشهر فإن فاؤوا فإن الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم ﴾[4] ثم بيّن سبحانه حكم الطلاق والمطلّقات ومتعلقاتها في خمس عشرة آية من الآية ٢٢٨ حتى الآية ٢٤٢، فالأولى: ﴿ والمطلّقات يتربّصن بأنفسهن ثلاثة قروء ... ﴾ في سبب نزولها في سنن أبي داود عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية أنها طُلّقت على عهد رسول الله ولم يكن للمطلّقة عدة فأنزل حين طُلّقت العدة للطلاق: ﴿ والمطلّقات يتربّصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾[5]

---

(١) تفسير العياشي ١: ١١١

(٢) مجمع البيان ٢: ٥٦٦ ونقل أن عبد الله بن رواحة حلف أن لا يصلح بين ختنه وزوجها، فكان يقول: إني حلفت بهذا فلا يحل لي أن أفعله فنزلت الآية. ولا يستقيم هذا مع الحكم الفقهي في المسألة في عقد اليمين غير المشروط بالرجحان فهو مردود. ولعله لذلك لم يذكره الطوسي في التبيان ولا العلامة في الميزان.

(٣) مجمع البيان ٢: ٥٦٨

(٤) مجمع البيان ٢: ٥٧٠

(٥) سنن أبي داود ٢: ٢٨٥

وما يتعلق منها صدقاً وانطباقاً على أزواج شهداء بدر هو ما بيّن حكم عدة المتوفى عنها زوجها، وقد نزل بهذا الشأن آيتان، احداهما الآية: ﴿ والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً الى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جُناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم ﴾[1]

وقد نقل المرتضى عن تفسير النعماني بسنده عن علي عليه السلام قال: إنّ العدة كانت في الجاهلية على المرأة سنة كاملة، كان اذا مات الرجل القت المرأة خلف ظهرها شيئاً بعرة أو ما يجري مجراها وقالت: البعل أهون عليّ من هذه، ولا اكتحل ولا أمتشط ولا أتطيّب ولا أتزوّج سنة. فكانوا لا يخرجونها من بيتها بل يجرون عليها من تركة زوجها سنة. فأنزل الله في أول الاسلام ﴿ والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً الى الحول غير إخراج ﴾ فلما قوي الاسلام أنزل الله تعالى: ﴿ والذين يتوفّون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً فاذا بلغن أجلهنّ فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف.. ﴾[2]

وقد روى العياشي في تفسيره عن ابي بصير قال: سألت ابا جعفر الباقر عليه السلام عن الآية: ﴿ متاعاً الى الحول غير اخراج ﴾ قال: هي منسوخة، نسختها: ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن اربعة أشهر وعشراً فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهنّ بالمعروف والله بما تعملون خبير ﴾ قلت: وكيف كانت ؟ قال: كان الرجل اذا مات أُنفق على امرأته من صلب المال حولاً ثم أُخرجت بلا ميراث، ثم نسختها آية الربع والثمن، فالمرأة

---

(١) البقرة: ٢٤٠

(٢) وسائل الشيعة ١٥: ٤٥٣.

يُنْفق عليها من نصيبها[1].

وقال القمي في تفسيره: كانت عدّة النساء في الجاهلية إذا مات الرجل اعتدّت امرأته سنة، فلمّا بُعث رسول الله تركهم على عاداتهم ولم ينههم عن ذلك بل أنزل الله تعالى بذلك قرآناً فقال: **﴿ والذين يُتوفّون منكم ويذرون أزواجاً وصيةً لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج ﴾** فكانت العدّة حولاً. فلمّا قوي الإسلام أنزل الله: **﴿ الذين يتوفّون منكم ويذرون أزواجاً يتربّصن بأنفسهنّ أربعة أشهر وعشراً ﴾** فنسخت قوله **﴿ متاعاً إلى الحول غير إخراج ﴾**[2].

وهنا نتوقف عن النظر في أخبار الآيات التالية من سورة البقرة، لنعرّج على الخبر الآخر الواقع في شوّال من هذه السنة قبل البدء بأخبار بني القينقاع، وهو الخبر عن:

قتل المحرّض على النبيّ غدراً:

روى الواقدي عن إسماعيل بن مُصعب بن إسماعيل بن زيد بن ثابت الأنصاري، عن أبيه عن جدّه عن زيد بن ثابت قال: كان في بني عمرو بن عوف شيخ كبير يدعى أبا عفك بلغ مئة وعشرين سنة لم يدخل في الإسلام بل كان يحرّض على عداوة النبيّ، ولمّا خرج رسول الله إلى بدر ونصره الله حسده وقال شعراً:

لقد عشت حيناً وما (إن) أرى	من الناس داراً ولا مجمعا
بأولى عقولاً وآتى إلى	مُنيبٍ سراعاً إذا ما دعا

---

(۱) تفسير العياشي ۱: ۱۲۲ و ۱۲۹ وروى مثله عن ابن أبي عمير عنه عليه السلام.

(۲) تفسير القمي ۱: ٦.

فسلّبهم أمرهم راكبٌ حراماً حلالاً لشتّى معا

فلو كان بالملك صدّقتم وبالنصر تابعتم تُبّعاً

فقال سالم بن عمير من بني النجار: عليّ نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه! وفي شوّال على رأس عشرين شهراً (من الهجرة)، كانت ليلة صائفة[1] نام فيها أبو عفك بفناء بني عمرو بن عوف، فأقبل سالم بن عمير حتى وضع السيف على كبده وحتى غرزه في الفراش وصاح الرجل، وثاب إليه ناس فقبروه في منزله[2].

غزوة قينقاع:

ويبدو أنّ حسد الرسول على نصر الله له ببدر والتحريض عليه لم يكن خاصاً بهذا الشيخ من بني عمرو بن عوف.

فقد روى الواقدي عن ابن كعب القرظي قال: لما أصاب رسول الله أصحاب بدر وقدم المدينة، بغت يهود (بني قينقاع)، وقطعت ما كان بينها وبين النبي من عهد[3]. ثمّ لم يسمّ بغيهم وقطيعتهم، ولكنه قال:

فبينا هم على ما هم عليه قد جاءت امرأة من العرب كانت تحت رجل من الأنصار إلى سوق بني قَيْنُقاع وجلست عند صائغ في حليٍّ لها، فجاء رجل من يهود قَيْنُقاع فجلس من ورائها وهي لا تشعر فربط درعها إلى ظهرها بشوكة، فلما قامت المرأة بدت عورتها فضحكوا منها

---

(١) صائفة: شديدة الحر.

(٢) مغازي الواقدي ١: ١٧٤.

(٣) مغازي الواقدي ١: ١٧٦.

فقام رجل من المسلمين واتّبع الرجل اليهودي الذي فعل ذلك بها، فقتله! فاجتمعت بنو قَيْنُقاع على المسلم، فقتلوه! وبذلك حاربوا رسول الله ونبذوا العهد بينهم وبينه[1].

قال القمي في تفسيره: فأتاهم رسول الله فقال: يا معشر اليهود، قد علمتم ما نزل بقريش، وهم اكثر عدداً وسلاحاً وكراعاً منكم، فادخلوا في الاسلام.

فقالوا: يا محمد، انك تحسب حربنا مثل حرب قومك؟! قد والله لو لقيتنا للقيت رجالاً[2] وقد تضمّنت دعوته هذه لهم انذاراً وتبشيراً: انذاراً بحرب كحرب بدر لأنهم حاربوه ونقضوا عهده، وتبشيراً بأنهم لو دخلوا في الاسلام فالاسلام يجبّ ما قبله، فلا يطالبهم بالانتقام للمسلم المقتول لا قصاصاً ولا عفواً.

وقال الواقدي: قالوا: ولقد كانوا أشجع اليهود، وقد كان عبد الله بن ابيّ ابن سلول الخزرجي معهم في حِلف سابق، وهو الذي كان قد أمرهم أن يتحصّنوا، وزعم لهم أنه سيدخل معهم ولم يدخل[3].

فروى عن عروة قال: لما رجع رسول الله من بدر واظهر اليهود البغي، نزل جبرئيل عليه‌السلام بالآيات: ﴿إن شرّ الدوابّ عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فاما تثقفنّهم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم لعلهم يذّكّرون وإمّا تخافنّ من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إنّ الله لا يحبّ الخائنين ولا يحسبنّ الذين كفروا سبقوا إنهم

(١) مغازي الواقدي ١: ١٧٦، ١٧٧. وابن هشام في السيرة ٣: ٥١.

(٢) تفسير القمي ١: ٩٧ واعلام الورى ١: ١٧٥ بلفظ آخر وبمناقب ١: ١٩٠ مختصراً بغير... وابن اسحاق في السيرة ٣: ٥٠ والواحدي في اسباب... ١: ١٧٤.

(٣) مغازي الواقدي ١: ١٧٨.

لا يحزنون ﴾ فلما فرغ جبرئيل قال له رسول الله: فأنا أخافهم[1] الى قوله ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ قال الواقدي: يعني قريظة والنضير فإنهم قالوا: نحن نسلم ونتّبعك؟[2]

فاستخلف النبيّ ﷺ على المدينة أبا لُبابة بن عبد المنذر، كما كان[3] وسار اليهم حسب الآية فحاصرهم في حصنهم خمس عشرة ليلة أشدّ الحصار[4] وهم رموا حصنهم فما رموا بسهم ولا قاتلوا[5] إذ قذف الله في قلوبهم الرعب، فقالوا: ننزل وننطلق؟ قال رسول الله: لا، الا على حكمي. فنزلوا على[6] صلح رسول الله وحكمه، على أن تكون أموالهم لرسول الله[7] وكانوا صاغة، فكانت لهم آلات صياغة وسلاح كثير، ولم تكن لهم مزارع ولا أرضون[8] فكانت أموالهم لرسول

---

(1) مغازي الواقدي ١: ١٨ و١٧٧ و١٣٥ ونقله الطوسي في تبيان ٥: ١٤٦ وعنه في مجمع البيان ٤: ٨٥٠.

(2) مغازي الواقدي ١: ١٣٥ وعنه عنه الطوسي في التبيان ٥: ١٥١ و١٥٢ وهذا هو الذي يفسّر سرّ اختلاف الحال بينهم وبين قينقاع، على أنهم كانوا حلفاء الأوس وهؤلاء حلفاء الخزرج بما بينهما من خلاف.

(3) مغازي الواقدي ١: ١٨٠ عن أبي بكر بن حزم.

(4) مغازي الواقدي ١: ١٧٧ وفي السيرة ٣: ٥٢ ولم يحدّد بداية ولا نهاية الا أن الواقدي أرّخ الغزوة: يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة ١: ١٧٦ فيكون البداية أوائل شوال.

(5) مغازي الواقدي ١: ١٧٨.

(6) مغازي الواقدي ١: ١٧٧.

(7) مغازي الواقدي ١: ١٧٨.

(8) مغازي الواقدي ١: ١٧٩.

الله، وطمع في الذرية والنساء[1]. فلما نزلوا وفتحوا حصنهم، قبض محمد بن مسلمة أموالهم[2] وأمر رسول الله المنذر بن قدامة السلمي أن يربطهم، فكانوا يُكتَّفون كِتافاً.

فوثب ابن أُبيّ إلى النبي ﷺ فأدخل يده في جيب درعه من خلفه وقال: يا محمد! أحسن إلى مواليّ!

فتغيّر وجه النبيّ وأقبل عليه مغضباً وقال له: ويلك أرسلني!

فقال: لا أُرسلك حتى تحسن في مواليّ، أربعمئة دارع وثلاثمئة حاسر[3] منعوني يوم بُعاث ويوم الحدائق من الأحمر والأسود تريد أن تحصدهم في غداة واحدة؟! إني والله امرؤ أخشى الدوائر[4]. فلما تكلم ابن أُبيّ فيهم تركهم رسول

---

(١) مغازي الواقدي ١: ١٨٠.

(٢) مغازي الواقدي ١: ١٧٨.

(٣) روى ابن هشام عن ابن إسحق: أربعمئة حاسر وثلاثمئة دارع ٣: ٥٢.

(٤) وفيه نزل بعد ذلك قوله: ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين ﴾ المائدة: ٥٢. وقد روى ابن إسحق عن أبيه عن عبادة بن الوليد ابن عبادة بن الصامت عن أبيه الوليد: أنّ بني قينقاع لمّا حاربت رسولَ الله مشى أبوه عُبادة ابن الصامت إلى رسول الله فخلعهم من حِلفه وتبرّأ إليه منه، ففيه وفي عبد الله بن أُبي نزلت من سورة المائدة ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنه منهم إنّ الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ إلى قوله ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ سيرة ابن هشام ٣: ٥٢، ٥٣ وهذا في ذيله وشموله لآية الولاية وإيتاء الزكاة في الركوع معارض بالكثير الكثير من الأحاديث بشأن نزول الآية بسبب تصدق علي أمير ←

الله من القتل، وأمرهم أن يجلوا من المدينة[1] وأمر رسول الله عُبادة بن الصامت أن يجليهم.

فجعلت قَيْنُقاع تقول له: يا أبا الوليد، تفعل بنا هذا ونحن مواليك من بين الأوس والخزرج؟! فقال عُبادة: لما حاربتم رسولَ الله جئت إليه وقلت له: إني أبرأ إليك منهم ومن حلفهم. فقال ابن أُبَيّ: تبرّأتَ من حِلف مواليك؟ ما هذه بيدهم عندك. وذكّره مواطن بلائهم. فقال عبادة: أبا الحُباب أما والله إنك لَمُصمم بأمر سترى غبّه غداً. فلقد محا الاسلام العهود.

فقالت قَيْنُقاع: يا محمد، إن لنا ديناً في الناس. وطلبوا التنفّس.

فقال عُبادة: لكم ثلاث، لا أزيدكم عليها، وهذا أمر رسول الله، ولو كنت أنا ما نفّستكم![2] فأخذوا بالخروج.

وجاء ابن أُبَي ببعضهم يريد أن يكلّم رسولَ الله أن يُقرّهم في ديارهم.

فوجد على باب النبيّ عُوَيم بن ساعدة، فذهب ليدخل فردّه عويم وقال: لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله. فدفعه ابن أُبَي، فغلظ عليه عُوَيم ودفعه فجرح وجهه وسال دمه، فأخذ يمسح الدم عن وجهه، وتصايح حلفاؤه من

---

*

المؤمنين عليه السلام بخاتمه على مسكين في ركوع صلاته في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، فلا نسمّيه. ويحوّل البحث في ذلك الى الكثير الكثير مما كتب في ذلك من التفسير والعقائد والكلام في الامامة وفضائل الامام أمير المؤمنين علي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وسورة المائدة من أواخر ما نزل وليس هنا. وقد روى خبر شفاعة ابن أُبَيّ لهم ونزول الآيات الى قوله «نادمين» اعلام الورى ١: ١٧٥ والمناقب ١: ١٩١.

[1] مغازي الواقدي ١: ١٧٨ وفي السيرة ٣: ٥١، ٥٢.

[2] مغازي الواقدي ١: ١٧٩.

اليهود؟! قالوا: يا أبا الحُباب لا نقيم بدار أصاب وجهك فيها هذا ولا نقدر أن نغيّره. فجعل ابن أُبيّ يصيح عليهم فيقول: ويحكم قرّوا! وجعلوا هم يتصايحون: لا نُقيم بدار أصاب وجهك فيها هذا ولا نستطيع تغييره!

وقبض محمد بن مَسلمة أموالهم[1] وخمّس رسول الله ما أصاب منهم (وهو أول خمس خمّسه بعد بدر الخمس، وقسّم ما بقي على أصحابه، ووهب لمحمد بن مَسلمة درعاً من دروعهم، وأعطى سعد بن مُعاذ درعاً يقال لها: السَّحْل. وأخذ هو من سلاحهم ثلاث قِسيّ: قوس تُدعى الكتوم كُسرت بأُحد، وقوس تدعى الروحاء، وقوس تدعى البيضاء. وأخذ من سلاحهم أيضاً درعين: درعاً يقال لها الصُّغْدية وأخرى فضة. وثلاثة أسياف: البتّار والقلعي (نسبة الى قلعة بالبادية) وثلاثة أرماح.

ولما مضت ثلاثة أيام خرج عُبادة في آثارهم، حتى بلغ بهم خلف ذباب سالكين طريق الشام، ثم رجع.

فلما نزلوا في يهود وادي القرى أقاموا فيهم شهراً، وكانوا قد حملوا الذريّة والنساء على الإبل وهم مشاة راجلون، فحمل يهود وادي القرى من كان راجلاً منهم، وأعانوهم، ثم ساروا حتى لحقوا بأذرعات، ولم يبقوا بها إلا قليلاً[2].

وقد روى القمي في تفسيره وابن إسحاق عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس وعنه في «التبيان» بأن الآيات التي نزلت في بني قينقاع هي الآيات من سورة آل عمران: ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد * قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة

---

(١) مغازي الواقدي ١: ١٧٨.

(٢) مغازي الواقدي ١: ١٧٨ ـ ٨٠. وأذرعات كانت أول بلدة بحدود الأردن من الحجاز.

يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لاولي الأبصار ﴾[1]

وفي الآيات بوحدة سياقها قوله سبحانه: ﴿ الم تر الى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب يُدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ﴾ مما يومىء الى وقوع دعوة الرسول لفريق من أهل الكتاب (بني قينقاع) وتولّيهم وإعراضهم. فهي نزلت بعد الواقعة.

وفي تاريخ الغزوة قال الواقدي: حاصرهم النبيّ يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً (من الهجرة) الى هلال ذي القعدة[2] وكان لواء رسول الله مع حمزة[3] وفي ذي القعدة قعد النبيّ عن القتال، ولعله كان من حوادث ما بعد بدر.

صفوان يريد اغتيال الرسول

روى ابن اسحاق عن عروة بن الزبير: أنّ عمير بن وَهب الجُمحي كان شيطاناً من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله وأصحابه، ويلقون منه عناءً وهو بمكة. وكان ممن حضر بدراً مع المشركين وأُسر ابنه وهب. وكان بعد بدر بيسير جالساً مع صفوان بن أُمية الجُمحي، في حجر الكعبة، فذكر مُصاب أهل بدر من قريش وأصحاب القليب منهم.

---

(١) تفسير القمي ١: ٩٧ وابن هشام ٣: ٥١ وعنه في التبيان ٢: ٤٠٦ وعنه في مجمع البيان ٢: ٧٠٦.

(٢) مغازي الواقدي ١: ١٧٤.

(٣) الطبري ٢: ٤٨١.

فقال صفوان: والله لا خير في العيش بعدهم!

قال له عمير: صدقت والله، أما والله لولا دَيْنٌ عليّ ليس عندي ما أقضيه وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله، ولي عندهم حجة فإن ابني أسير في أيديهم.

فقال صفوان: دينك علي أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي ما بقوا.

فأمر عميرٌ بسيفه فشُحذ وسُمّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة.

فبينا عمر بن الخطّاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، إذ بعُمير بن وهب أناخ راحلته على باب المسجد متوشحاً سيفه. فقال عمر: هذا الكلب عدوّ الله عمير بن وهب، والله ما جاء إلا لشرّ، وهو الذي حرّش بيننا يوم بدر.

ثم دخل عمر على رسول الله فقال له: يا نبيّ الله، هذا عدوّ الله عمير بن وهب قد جاء متوشّحاً سيفه. قال: فأدخله عليّ.

فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فلبّبه بها، وقال لرجال من الأنصار كانوا معه: ادخلوا على رسول الله فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون. ثم دخل به على رسول الله.

فلما رآه رسول الله قال: أرسله يا عمر. ثم قال لعمير: ادنُ يا عمير. فدنا وقال: أنعِموا صباحاً.

فقال رسول الله: قد أكرمنا الله بتحية خيرٍ من تحيّتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة.

فقال عمير: أما والله يا محمد، إنّي لحديث عهد بها.

قال: فما جاء بك يا عمير؟!

فقال: جئت في فكاك أسيري (وهب)

فقال له: كذبت! بل قلت لصفوان بن أمية وقد اجتمعتم في الحطيم وذكرتم قتلى بدر وقلتم: والله للموت أهون علينا من البقاء مع ما صنع محمد بنا! وهل حياة بعد أهل القليب؟!

فقلت أنت: لولا عيالي ودَين علي لأرحتك من محمد!

فقال صفوان: عليّ أن أقضي دينك وأن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهنّ ما يصيبهنّ من خيرٍ أو شر

فقلت أنت: فاكتمها علي وجهّزني حتى أذهب فأقتله! فجئت لتقتلني!

فقال: صدقت يا رسول الله، فأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأنك رسول الله [2]

فقال رسول الله: أطلقوا له أسيره، وفقّهوه في دينه وأقرئوه القرآن

فقال عمير: يا رسول الله، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله عزّوجل، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله تعالى وإلى رسوله وإلى الإسلام، لعلّ الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم؟

فأذن له رسول الله، فلحق بمكة.

فلما قدم عمير مكة قام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه أذىً

---

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٣١٦، ٣١٧ ومغازي الواقدي ١: ١٢٥ - ١٢٨ بطريق آخر.

(٢) الاحتجاج على أهل اللجاج ١: ٣٣٤ عن علي عليه‌السلام، ورواه في بحار الأنوار ١٩: ٣٣٦ عن المنتقى للكازروني عن ابن إسحاق، وفي ٨: ١٤٠ مختصر خبره عن مناقب آل أبي طالب للحلبي ١: ١٦٣.

شديداً، فأسلم على يديه ناس كثير[1]

وروى مثله الواقدي في «المغازي» بسنده عن عاصم بن عمر بن قتادة. ثم روى عن عبد الله بن عمرو بن أمية قال: لما قدم عمير بن وهب نزل في أهله ولم يقرب صفوان بن أمية، وأظهر الإسلام ودعا إليه، فبلغ صفوان. ووقف عليه عمير وهو في الحجر فقال: أبا وهب! فأعرض صفوان عنه، فقال عمير: أنت سيد من سادتنا، أرأيت الذي كنا عليه من عبادة حجر والذبح له؟ أهذا دين؟! أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله! فلم يجبه صفوان بكلمة[2]

زواج علي بالزهراء عليها السلام (الزفاف).

مرّ أن الزهراء عُقدت لعلي عليه السلام لليلتين بقيتا من شهر صفر بعد الهجرة، أي قبل تمام حول الهجرة، فبعضهم قال: بعد سنة من الهجرة، وبعضهم قال: في شهر صفر من السنة الثانية للهجرة وهو يقصد البدء بالسنة الثانية من المحرم، فكلاهما كان يقصد معنىً واحداً.

وأما ـ على المصطلح العربي القديم ـ بناء علي عليه السلام بها أي الزفاف فقد نقل الطبري عن الواقدي بسنده عن الباقر عليه السلام قال: إن علي بن أبي طالب بنى بفاطمة عليها السلام في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً[3] وقد روى صدره في موضع قبل هذا[4] بنفس السند والنص (تقريباً) ورواه الدولابي في «الذرية

(1) سيرة ابن هشام ٢: ٣١٦ ـ ٣١٨ بتصرف
(2) مغازي الواقدي ١: ١٢٥ ـ ١٢٨
(3) الطبري ٢: ٤٨٥، ٤٨٦
(4) الطبري ٢: ٤١٠

الطاهرة» عن الصادق عليه‌السلام، وعنه الإربلي في «كشف الغمة» وعنه المجلسي في «بحار الأنوار»(١).

أما عن اليوم فقد عيّنه المفيد في «مسارّ الشيعة»(٢) والطوسي في «المصباح» باليوم الأول منه(٣) وعليه فزفافها كان بعد قدوم أختها زينب زوجة أبي العاص بن الربيع إلى المدينة إذ كان ذلك بعد بدر بشهر أو شبهه(٤) أي قريب منه.

ومع حضور أختها الأخرى أم كلثوم، أمّا الأخرى رقية زوجة عثمان، فقد قالوا: إنها مرضت قبل بدر وماتت بعد بدر وقبل رجوع الرسول إلى المدينة، أي قبل زفاف أختها فاطمة في أول ذي الحجة بأكثر من الأربعين يوماً تقريباً. ولكن سيأتي ترجيح أنها توفيت في ذي الحجة أو محرم أي بعد زفاف فاطمة، فهي أيضاً كانت حاضرة شاهدة.

من سنن ليلة الزفاف:

من سننه صلى‌الله‌عليه‌وآله ليلة زفاف ابنته عليها‌السلام ما رواه الخوارزمي في «المناقب» والكنجي الشافعي في «كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه‌السلام» عن

---

(١) الذرية الطاهرة: ٩٣ وكشف الغمة ١: ٣٦٤ وبحار الأنوار ٤٣: ٩٢ وراجع فصل زواجها من هذا الكتاب: ١٠٤.

(٢) مسارّ الشيعة: ٥٣ ولكنه بقصد العقد لا الزفاف، وأما الزفاف فذكره في الواحد والعشرين من المحرم سنة ثلاث من الهجرة: ٦١، ٦٢ ط قم. وكذلك في حدائق الرياض له نقله في الإقبال ونقله عنه في بحار الأنوار ٤٣: ٩٢.

(٣) كما في بحار الأنوار ٤٣: ٩٢.

(٤) ابن هشام ٢: ٣٠٨.

الحافظ ابن بطة العُكبَري بسند وصفه بالحسن العالي عن ابن عباس قال:

إن رسول الله ﷺ دخل على النساء فقال لهن: إني قد زوّجت ابنتي لابن عمّي، وقد علمتنّ منزلتها مني، وإني دافعها إليه، ألا فدونكنّ ابنتكن.

فقمن فحملن في بيتها فراشاً، حشوه ليف، ووسادة، وكساءً خيبرياً، ومخضباً وهو المِرْكَن[1] وصارت أم أيمن البوّابة. وقمن إلى الفتاة فعلّقن عليها من حُليّهنّ وطيبهنّ. ودعا رسول الله بلالاً فقال له: إني قد زوّجت فاطمة ابنتي لابن عمي وأنا أُحب أن يكون من سنن أمتي الطعام عند النكاح، إذهب يا بلال إلى الغنم وخذ شاتاً وخمسة أمداد[2] شعيراً، واجعل لي قصعة[3] لعلّي أجمع عليها المهاجرين والأنصار. ففعل ذلك، وأتاه بها حين فرغ فوضعها بين يديه، فطعن في أعلاها وبرّك (من فمه) ثم قال: يا بلال أُدعُ الناس من المسجد، رفّة رفّة[4].

فجعل الناس يرفّون، كلما فرغت زفه وردت أخرى حتى فرغ الناس، وفضل منها، فعمد النبيّ إلى فضل ما فيها فبارك فيه (من فمه) ثم قال: يا بلال، احمل إلى أمّهاتك فقل لهن: كلن وأطعمن من غشيكنّ. ففعل بلال ذلك.

ثم إن رسول الله جاء إلى بيته ومعه علي عليه السلام، فهتف بفاطمة، فلما أقبلت رأت زوجها مع رسول الله! فقال لها رسول الله: ادني مني. فدنت منه، فأخذ بيدها ويد علي، فلما أراد أن يجعل كفّها في كفّ علي ضاق صدرها ودمعت عيناها! فأشفق رسول الله أن يكون بكاؤها لأن علياً لا مال له، فرفع رسول الله رأسه وقال لها:

---

(١) يُغسل فيه الثياب.

(٢) المُدّ: ثلاثة ارباع الكيلو او اقل، ولعله ٧٠٠ غراماً.

(٣) القصعة: اناء كبير يسع لعشرة اشخاص.

(٤) جماعة ثمّ جماعة.

ما يبكيك؟! فوالله ما ألوتك[1] في نفسي، ولقد أصبت بك القدر وزوّجتك خير أهلي، وأيم الله لقد زوّجتك سيّداً في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين.

فلانت وأمكنته من كفّها (فجعل كفّها في كفّ علي) وقال لهما: اذهبا إلى بيتكما[2]. بارك الله لكما، وأصلح بالكما، ولا تهيجا شيئاً حتى آتيكما.

فأقبلا حتى جلسا مجلسهما، وحولهما أمهات المؤمنين من وراء حجاب[3].

ثم أقبل النبيّ ﷺ حتى دقّ الباب فقالت أم أيمن: مَن هذا؟ فقال: أنا

---

(1) قصّرت عنك.

(2) روى الطبرسي عن علي بن إبراهيم القمي خبراً عن حوادث أوائل ما بعد الهجرة، وبناء المسجد النبوي الشريف فقال: وابتنى رسول الله منازله ومنازل أصحابه حول المسجد، وخطّ لأصحابه خططاً فبنوا فيها منازلهم ... وخطّ لعلي بن أبي طالب عليه السلام مثل ما خطّ لهم. فكانوا يخرجون من منازلهم فيدخلون المسجد. ثم روى سدّ الأبواب. ثم روى تزويج علي بالزهراء عليها السلام فقال: قال له رسول الله: اطلب منزلاً حتى تحوّل فاطمة إليه. فقال: يا رسول الله ما هاهنا منزل إلّا منزل حارثة بن النعمان. فقال رسول الله ﷺ: والله لقد استحيينا من حارثة! قد أخذنا عامة منازله!

فبلغ ذلك حارثة، فجاء إلى رسول الله فقال: يا رسول الله أنا ومالي لله ولرسوله، والله ما شيء أحبّ إليّ ممّا تأخذه، والذي تأخذه أحبّ إليّ ممّا تتركه.

فجزاه رسول الله خيراً.

وحوّلت فاطمة إلى علي عليه السلام في منزل حارثة. اعلام الورى: ١٦١ والطبقات الكبرى لابن سعد ٨: ١٤. ولكن فأين المنزل الذي خطّه لعلي عليه السلام؟ وما هي عامة منازل حارثة التي أخذها منه النبي؟ لا نعرف إلّا نزل فيه صفيّة بنت حيي بن أخطب بعد خيبر في أوائل السابعة، وكذلك مارية القبطية أم إبراهيم قبل أن ينقلها إلى المشربة، ولم نعهد منزلاً أخذه منه قبل هذا.

(3) هذا ولم يجب الحجاب بعد. وانفصال بيتها عن بيته ﷺ قليل. وليس في هذا الخبر ما نعتبر ما جاء في القصص من أراجيز النساء: سرن بعون الله جاراتي.

رسول الله فتحت له الباب وهي تقول: بأبي أنت وأمي. فقال لها رسول الله: أثمّ أخي يا أم أيمن؟ فقالت له: ومن أخوك؟ فقال: علي بن أبي طالب. فقالت: يا رسول الله هو أخوك وزوّجته ابنتك؟ فقال: نعم. فقالت: إنا نعرف الحلال والحرام منك يا رسول الله.

ثم إن النبي ﷺ دخل، فلما رآه النساء من وراء الستار وثبن وخرجن مسرعات، فلما بصرت به أسماء بنت عميس، تهيّأت للخروج، فقال لها رسول الله: على رِسلك، من أنت؟

قالت: أنا التي أحرس ابنتك، إن الفتاة ليلة تبنى بها لابدّ لها من امرأة تكون قريبة منها إن عرضت لها حاجة أو أرادت شيئاً أفضت بذلك إليها.

فقال لها رسول الله: فإني أسأل الله أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان الرجيم. ناوليني المخضب واملئيه ماء.

فنهضت أسماء، فملأت المخضب ماءً وأتته به، فغسل النبيّ منه وجهه وقدميه ومجّ فيه. ثم دعا بفاطمة فقامت إليه وعليها إزارها والنقبة[1] فأخذ كفاً من الماء فضرب به على رأسها وكفاً بين ثدييها، ثم رش منه على جلده وجلدها، ثم قال: اللهم إنها مني وأنا منها، فكما أذهبت عني الرجس وطهرتني تطهيراً فطهّرها. ثم أمرها أن تشرب من الماء وتغسل وجهها وتمضمض وتستنشق، ثم دعا بمخضب آخر ودعا علياً وصنع به كما صنع بها ودعا له كما دعا لها، ثم قال: جمع الله بينكما، وبارك في نسلكما، وأصلح بالكما، قوما إلى بيتكما.

ثم خرج وأغلق عليهما الباب وانطلق، ودخل فأغلق عليه بابه.

ثم علّق الكنجي على الخبر فقال: هكذا رواه الحافظ ابن بطة العُكبري،

---

(١) هذا ولم يجب الحجاب بعدُ.

وهو حسن. لا أن ذكر أسماء بنت عميس في هذا الحديث غير صحيح، لأن أسماء هذه امرأة جعفر بن أبي طالب عليه السلام وكانت مع زوجها جعفر بن أبي طالب بالحبشة في الهجرة الثانية، وقدم بها يوم فتح خيبر سنة سبع، وقال النبيّ: ما أدري أنا بأيهما أسرّ: بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟ وكان زواج فاطمة عليها السلام بعد وقعة بدر بأيام يسيرة، فما نرى تسميتها في هذا الحديث الا غلطاً وقع من بعض الرواة، ثم يصح أن أسماء المذكورة في هذا الحديث التي حضرت في عرس فاطمة انما هي أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصاري، وهي لها أحاديث عن النبيّ، وروى عنها شهر بن حوشب وغيره من التابعين[1].

ونقل الحديث عنه الأربلي في «كشف الغمة» ولكنه اختار وجهاً آخر: فقد نقل عن كتاب «الذرية الطاهرة» لأبي بشر بن حمّاد الأنصاري الدولابي بسنده عن (أسماء بنت عميس) قالت: رهن علي عليه السلام درعه عند يهودي فأولم لفاطمة.. وكانت وليمته آصعا[2] من شعير وتمر وحَيْس[3].

قالت: ولقد جُهِّزَتْ فاطمة بنت رسول الله الى علي بن أبي طالب عليهما السلام وما كان حشو فراشها ووسائدها الا ليفاً!

ثم علق عليه فقال: قد تظاهرت الروايات ـ كما ترى ـ بأن (أسماء بنت

---

(١) كفاية الطالب: ٣٠٧.

(٢) جمع الصاع = ٢/٧٥٠ كيلو غراماً.

(٣) يبدو أنهم أعدّوا من الشعير خبزاً ومن التمر حيساً، وعن معنى الحيس فيما رواه الخوارزمي في مناقبه بسنده عن علي عليه السلام أن النبيّ أخذ دراهم فدفعها الي وقال: اشتر سمناً وتمراً وأقطاً (لبناً مجففاً متحجراً) فاشتريت وقبلت بها الى رسول الله، فدعا بسفرة من ادم وحسر عن ذراعيه وجعل يشدخ التمر والسمن ويخلطهما بالاقط حتى اتخذه حَيْساً ـ كما في كشف الغمة ١: ٣٦١.

عميس) حضرت زفاف فاطمة. وأسماء كانت مهاجرة بأرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب (ع)، ولم تقدم هي ولا زوجها إلا يوم فتح خيبر وذلك في سنة ست من الهجرة، ولم تشهد الزفاف لأنه كان في ذي الحجة من سنة اثنتين. والتي شهدت الزفاف سلمى بنت عميس أختها وهي زوجة حمزة بن عبد المطلب، ولعلّ الأخبار عنها، ولكن كانت أسماء أشهر من أختها عند الرواة فرووا عنها، أو سها راوٍ واحد فتبعوه![1]

وقد ورد التنبيه إلى هذا في هامش النسخة المخطوطة من كتاب الدولابي المطبوع أيضاً من دون الذيل[2].

ولنا أن نجمع منقول بحضور الاثنين. وقد يقرّب توجيه الإربلي بما مرّ عن أسماء أنها أجابت رسول الله: إن الفتاة ليلة يُبنى بها لا بد لها من امرأة تكون قريبة منها[3] على أن تكون قريبة من القرابة ـ لا من القرب ـ فإن سلمى زوجة حمزة وأخت أسماء زوجة جعفر تكون قريبة من الزهراء، وليس كذلك أسماء بنت السكن الأنصارية.

ولكن محقق البحار المرحوم الزنجاني الشيرازي رجّح توجيه الكنجي الشافعي[4] لأنها كان يقال لها خطيبة النساء، وكانت تكنى بأم سلمة، فما روي في قصة زفاف الزهراء عن أم سلمة إنما هي أسماء بنت السكن لا أم سلمة التي تزوجها النبي بعد ذلك بأكثر من سنة[5]. والحق معه.

---

(١) كشف الغمة ١: ٣٦٦، ٣٦٧.

(٢) وتاريخ النسخة ٦٦٩ هـ ووفاة الإربلي ٦٩٣ هـ.

(٣) كشف الغمة ١: ٣٥١.

(٤) بحار الأنوار ٤٣: ١٨٢.

(٥) بحار الأنوار ٤٣: ١٣٢.

صباح النكاح

ومن سنّته ﷺ صباح النكاح: ما أخرجه ابن سعد في «الطبقات» بسنده عن (أسماء بنت عميس) قالت: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما أصبحنا جاء النبيّ الى الباب فقال: يا أُم أيمن، ادعي لي أخي! قالت: هو أخوك وتنكحه ابنتك؟ قال: نعم، يا أُم أيمن. وسمعن النساء صوت النبيّ فتحشّأن، واختبأت في ناحية.

فجاء علي، فنضح النبيّ عليه من الماء ودعا له، ثم قال: ادعي لي فاطمة. فجاءته تمشي على استحياء وخجل، فقال لها رسول الله: اسكني (أي اطمئني) فقد أنكحتك أحبّ أهل بيتي اليّ. ثم نضح النبيّ عليها من الماء ودعا لها. ثم رجع

فرأى سواداً بين يديه فقال: من هذا؟ قلت: أنا. قال: أسماء؟ قلت: نعم. قال: جئت تكرمين فاطمة بنت رسول الله في زفافها؟ قلت: نعم. فدعا لي[1].

وحدّث سبط ابن الجوزي في «تذكرة الأُمّة» عن ابن الخطيب القزويني صاحب «المناقب» وبسنده عن عبد الرزاق عن معمر بن راشد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد عن ابن عباس قال: لما زوّج رسول الله فاطمة من علي عليهما السلام

(١) الطبقات ٨: ٢٤ وابن حنبل في فضائل في موضعين برقمي ٩٥٨ و١٣٤٢ والدولابي في الذرية الطاهرة: ٩٦، ٩٧ وعنه في كشف الغمة ١: ٣٦٦ وعنه في بحار الانوار ٤٣: ١٣٧ والبحراني في عوالم ١١: ١٦٨. ويبدو أن هذا أصل أو الأصل فيما مرّ عن الخوارزمي في المناقب والكنجي الشافعي في كفاية الطالب عن ابن عباس. وفيه أن أُمّ أيمن كانت [illegible] النبيّ خلافاً لنسبه، وفيه تجاهل للفصل الزمني الطويل بعشرة أشهر بين عقد الزواج والزفاف بل تجاهل للعقد أصلاً وبلا انتظار من الزهراء عليها السلام. ومستبعدات أُخر أيضاً. راجع

قالت له: يا رسول الله، زوّجتني من عائل لا شيء له؟

فقال لها رسول الله: أما ترضين أن يكون الله اطلع على أهل الأرض فاختار منهم رجلين: أحدهما أبوك، والآخر بعلك؟!

ثم علّق عليه فقال: قد تكلّموا في هذا الحديث وقالوا: رواه عبد الرزاق وكان منسوباً إلى التشيع!

ثم قال: وقد ذكرنا أن عبد الرزاق هذا من كبار العلماء وأنه شيخ أحمد بن حنبل وقد أخرج عنه الشيخان في الصحيحين، فلا نلتفت إلى من تكلم فيه لغرض فاسد![1]

غزوة السويق[2]

روى ابن إسحاق بسنده عن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري: أن أبا سفيان حين رجع إلى مكة، ورجع فلول المنهزمين من قريش من بدر، نذر أن لا يمسّ رأسه ماءٌ من جنابة[3] حتى يغزو محمداً صلى الله عليه (وآله) وسلم.

فخرج في أربعين راكباً[4] أو مئتين، ليبرّ يمينه. فسلك الطريق النجدية (صحراء نجد) حتى نزل على قناة إلى جبل ثيب، على نحو بريد[5] من المدينة

---

(١) تذكرة الأمة: ٣٠٨، ٣٠٩.

(٢) السّويق: قمح أو شعير يُقلى ثم يُطحن فإذا استعمل يخلط بلبن أو بسمن أو عسل أو ماء في كله. وسميت الغزوة به لكثرة ما طرح منه المشركون في فرارهم يتخفّفون منه.

(٣) كان الاغتسال من الجنابة من بقايا الحنيفية الإبراهيمية في الجاهلية كما قاله في الروض الأنف.

(٤) كما عن محمد بن كعب القرظي في الواقدي ١ ٤٧.

(٥) تساوي ٢٢ كيلومتراً.

ثم خرج ليلاً حتى أتى حُيَيّ بن أخطب من رؤوس بني النضير، فطرق عليه بابه، فخافه وأبى أن يفتح عليه، فانصرف عنه الى سلّام بن مِشْكم صاحب كنزهم(١) فأذن له وسقاه وقراه وأعلمه بأسرار الأخبار ثم رجع الى أصحابه.

ثم بعث رجالاً من قريش الى ناحية العُرَيض من المدينة، فوجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهم، فقتلوهما وحرّقوا حرثهما أو صغار النخل، ثم رجعوا.

فاستعمل رسول الله على المدينة أبا لُبابة بشير بن عبد المنذر (كما كان من قبل) ثم خرج في طلبهم حتى بلغ قرقرة الكُدْر (بناحية المعدن تبعد عن المدينة ثمانية بُرُد)، وفاته أبو سفيان وأصحابه، فرجع. فقال أصحابه: أنطمع أن تكون لنا غزوة؟

قال: نعم. فسمّوها: غزوة السويق، لأنهم رأوا سويقاً كثيراً قد طرحه المشركون يتخفّفون منه للنجاة هرباً. وكان ذلك في ذي الحجة(٢) يوم الأحد لخمس ليال خلون من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً، فغاب خمسة أيام(٣) ومعنى هذا أنه ﷺ رجع الى المدينة ليلة عيد الأضحى.

عيد الأضحى

وفي عيد الأضحى روى الحميري البصري بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كان أول أضحى رآه المسلمون صبيحة عشر من ذي الحجة

---

(١) بيت مالهم.

(٢) ابن هشام ٣: ٤٧، ٤٨ وإعلام الورى ١: ١٧٢ والمناقب ١: ١٩٠ مختصراً.

(٣) مغازي الواقدي ١: ١٨١.

بعد ما رجعنا من بني قينقاع وذبحنا في بني سلمة، فعددت سبع عشرة أضحية

وقال اليعقوبي: وضحى رسول الله بالمدينة، وخرج بالناس إلى المصلى.. وكانت العنزة بين يديه، وذبح بالمصلى شاة أو شاتين بيده، ومضى من طريق ورجع من أخرى[2]

وفاة عثمان بن مظعون:

قال الطبري: وفي ذي الحجة من هذه السنة مات عثمان بن مظعون، فدفنه رسول الله بالبقيع وجعل عند رأسه حجراً علامة لقبره[3]

روى ابن عبد البر في «الاستيعاب» عن عائشة قالت: إن النبي قبّل عثمان ابن مظعون وهو ميت وهو يبكي وعيناه تهراقان[4].

وروى ابن شبة النمري في «تاريخ المدينة» بسنده عن عمر المخزومي قال: كان عثمان بن مظعون من أول من مات من المهاجرين. فقالوا: يا رسول الله أين ندفنه؟ قال: بالبقيع. ولحد له رسول الله وفضل حجر من حجارة لحده فحمله رسول الله فوضعه عند رجليه[5].

---

(١) تاريخ المدينة ١: ١٣٧، ١٣٨ ونقله الطبري ٢: ٤٨١ عن الواقدي. وليس في المغازي فلعله في سيرته.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٦ ومثله الطبري ٢: ٤٨١ والمسعودي في التنبيه والاشراف: ٢٠٧ وعن الطبري الجزري في الكامل ٢: ٩٨ وعنه في بحار الأنوار ٢٠: ٨.

(٣) الطبري ٢: ٤٨٥ وعنه في الكامل ٢: ٩٨ وعنه في بحار الأنوار ٢٠: ٨.

(٤) الاستيعاب ٣: ٨٥.

(٥) تاريخ المدينة ١: ١٠١، ١٠٢ وتمامه: فلما ولي مروان بن الحكم المدينة مرّ على ذلك الحجر ←

وروى بسنده عن المطّلب بن عبد الله عن رجل من الصحابة قال: لما دفن النبيّ عثمان بن مظعون قال لرجل: هلمّ تلك الصخرة أضعها على قبره حتى أُعلّمه بها، أدفن إليه من دفنت من أهلي. فقام الرجل إليها فلم يقدر عليها، فكأني أنظر إلى بياض ساعدي رسول الله احتملها حتى وضعها عند قبره(١).

وروى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: لما مات عثمان بن مظعون سمع النبيّ امرأته تقول: يا أبا السائب هنيئاً لك الجنة. فقال النبي: وما علمك؟ حسبك أن تقولي: كان يحبّ الله ورسوله(٢).

وروى النميري البصري عن قدامة بن موسى قال: كان في البقيع (شجر) غرقد، فلما مات عثمان ودُفن بالبقيع قال رسول الله: الموضع الذي دفن فيه هذه الرَّوحاء، وأشار إلى جهة الطريق من دار محمد بن زيد إلى زاوية عقيل بن أبي طالب. ثم أشار إلى ناحية أخرى وقال: وهذه من الرَّوحاء. وأشار إلى جهة الطريق من دار محمد بن زيد إلى أقصى البقيع يومئذٍ(٣).

فأمر به أن يُرمى وقال: إنه لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يُعرف به. فقالوا: عُمدت إلى حجر وضعه النبيّ فرميت به؟! أفتنسى ما عملت، فأمر به فليرد. فقال: أما والله إذ رميتُ به فلا يُرد! ولعله لأنه قتل رجلاً وأسر آخر في بدر.

(١) تاريخ المدينة ١: ١٠٢.

(٢) فروع الكافي ١: ٧٢ وأخرجه الحميري في قرب الإسناد: ٧ بسنده عن الباقر عليه السلام والصدوق في الخصال ٢: ٣٧ بسنده عن الصادق عليه السلام وروايته أن عثمان تزوج أم كلثوم فماتت ولم يدخل بها، فلما ساروا إلى بدر زوّجه رسول الله رقية. وهذا يخالف مسلّمات التاريخ والسيرة. وفي طريق الأول هارون وفي الثاني علي بن أبي حمزة البطائني فالخلل منهما. وسيأتي وفاة أم كلثوم أيضاً فيما بعد هذا.

(٣) تاريخ المدينة ١: ١٠٠.

وفاة رقيّة بنت الرسول:

روى ابن اسحاق مرسلاً عن أُسامة بن زيد قال: إنّ رسول الله بعث أبي زيد بن حارثة من بدر الى أهل السافلة (من المدينة) بشيراً بما فتح الله عليه، وكان رسول الله قد خلّفني مع عثمان بن عفان على رقيّة ابنته التي كانت عند عثمان، فأتاه الخبر حين سوّينا التراب عليها[١].

بينما روى الواقدي: أن رسول الله عرض عسكره في بيوت السُقيا حين خرج الى بدر فردّ أُسامة بن زيد فيمن ردّه لصغره، ولم يرو أنه خلّفه على ابنته رقية مع عثمان بن عفّان[٢] بل روى ردّه في أُحد أيضاً[٣] وتوفي رسول الله وأُسامة ابن تسع عشرة سنة[٤] بل كان أول ما قدم المدينة غلاماً يسيل مُخاطه على فمه فتقذّر منه عائشة حتى غسل وجهه رسول الله[٥] هذا وغزوة بدر في منتصف الثانية من الهجرة فكيف يكون قد خلّفه النبيّ مع عثمان على أمر رقيّة؟! وانما راوي الخبر الزهري عن عروة عن أُسامة بن زيد[٦] أو النميري البصري بسنده عن هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه عن جده[٧] ولم يذكروا متى خلّفه رسول الله على ابنته رُقية ولم يذكروا عثمان فيمن ردّه الرسول من الطريق بينهم الا ما رواه النُميري البصري في «تاريخ المدينة» مرسلاً: أن عبد الرحمان بن عوف غاب عن

---

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٢٩٦

(٢) مغازي الواقدي ١: ٢١

(٣) مغازي الواقدي ١: ٢١٦

(٤ و٥) مغازي الواقدي ٣: ١١٢٥

(٦) وفاء الوفاء ٢: ٨٦

(٧) تاريخ المدينة ١: ١٠٣

عثمان فذكر أنه شهد بدراً ولم يشهدها عثمان. فأرسل اليه عثمان: اني قد خرجت للذي خرجتَ له فردّني رسول الله من الطريق الى ابنته التي كانت تحتي لما بها من المرض، فوليت من بنت رسول الله الذي يحق عليّ حتى دفنتها، ثم لقيت رسول الله منصرفه من بدر فبشرني بأجري وأعطاني سهماً[1].

وقبله نقله الواقدي مرسلاً أيضاً فقال: وقال: كان بين عثمان وعبد الرحمان كلام فأرسل عبد الرحمان الى الوليد بن عقبة فدعاه وقال له: اذهب الى أخيك (من الرضاعة) فبلّغه عني ما أقول لك، فاني لا أعلم أحداً يبلّغه غيرك: اقرئه يقول لك عبد الرحمان: شهدتُ بدراً ولم تشهد. فجاءه فأخبره فقال عثمان: صدق أخي! تخلّفت عن بدر على ابنة رسول الله وهي مريضة، فضرب رسول الله بسهمي وأجري[2].

وليس فيه أن رسول الله ردّه من الطريق، ولا أنه دفنها يومئذٍ، وكذلك فيما رواه ابن حنبل عن عبد الله بن عمر في «المسند»[3] بل والبخاري في «الجامع الصحيح»[4] واذ كان ابن عوف حاضراً في بدر وقد ضرب سهامها وتقسيمها فكيف لم يعرف ذلك لعثمان؟!

وثمة رواية أخرى تقول: انه تخلف عن بدر لانه كان مريضاً بالجدري[5].

---

(١) تاريخ المدينة ١: ١٠٤

(٢) مغازي الواقدي ١: ٢٧٨

(٣) مسند أحمد ١: ٦٨ و ٢: ١٠١

(٤) صحيح البخاري ٦: ١٢٢

(٥) السيرة الحلبية ٢: ١٤١ و ١٨٥ وروى الواقدي ١: ١٣١ عن ابن جُريج في قوله سبحانه: ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقاً من المؤمنين لكارهون

وقد روى ابن سعد في «الطبقات» بسنده عن ابن عباس ـ وأهل البيت أدرى بما في البيت ـ قال: لما ماتت رقية بنت رسول الله، قال رسول الله: الحقي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون.

وبكى النساء، فجعل عمر يضربهن بسوطه! فأخذ النبيّ بيده وقال: دعهنّ يا عمر! ثم قال للنساء: إياكنّ ونعيق الشيطان، فإنه مهما يكن من العين والقلب فمن الله ومن الرحمة، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان.

فجلست فاطمة على شفير القبر وبكت، وجعل النبيّ يمسح دموعها بثوبه[1].

ومن قبله نقله شيخه الواقدي ولكنه علّق عليه بقوله: هذا وهم، لأن الثبت أن رقية ماتت ببدر. ولعلها غيرها من بناته، أو تُحمل على أنه أتى قبرها بعد بدر[2]. وفات الواقدي أن نصّ الخبر لا يحتمل هذا التأويل: لما ماتت رقية بنت رسول الله قال. وقد روى الخبر الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن أحدهما عليهما السلام قال: لما ماتت رقية ابنة رسول الله قال رسول الله: الحقي بسلفنا

يجادلونك في الحق بعد ما تبيّن كأنّما يساقون الى الموت وهم ينظرون﴾ قال: كره خروج رسول الله الى بدر أقوام من أصحابه قالوا: نحن قليل، وما الخروج برأي. وقال قبل ذلك ١: ٢١: وكان من تخلّف لم يُلَم لأنهم ما خرجوا على قتال وانما خرجوا للعير، وتخلف قوم من أهل البصائر والنيّات لو ظنوا أنه يكون قتال ما تخلفوا. فهذه وجوه ثلاثة: الجبن، وظن الغنيمة، وكراهية القتال، ولعل تخلّف عثمان من أحدها.

(١) الطبقات ٨: ٢٤، ٢٥.

(٢) الاصابة ٤: ٢٩٧ وبه قال السمهودي في وفاء الوفاء ورواه الحميري المصري في تاريخ المدينة ١: ١٠٢ عن غير ابن سعد والواقدي.

الصالح عثمان بن مظعون وأصحابه. وكانت فاطمة على شفير القبر تنحدر دموعها، ورسول الله قائم يتلقفه بثوبه ويدعو، وقفة ثم قال: سألت الله عزوجل أن يجيرها من ضمة القبر[1].

وفيه بسنده عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام: أيفلت من ضغطة القبر أحد؟ قال: نعوذ بالله منها، ما أقل من يفلت من ضغطة القبر، إن رقية لما قتلها[2] عثمان وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على قبرها فرفع رأسه إلى السماء ودمعت عيناه وقال: اللهم هب لي رقية من ضمة القبر. فوهبها الله له. فقال للناس: إني ذكرت هذه وما لقيت، فرققت لها واستوهبتها من ضمة القبر[3].

أما تاريخ وفاتها: فقد تبيّن مما مرّ أنها توفيت بعد عثمان بن مظعون، وحيث نصّوا على وفاته في ذي الحجة فهي كذلك بعده، كما نصّ عليه النووي[4] إلّا أنّ ابن قتيبة دقّق فقال: توفيت لسنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً من مقدمه المدينة[5] أي في العشرين من شهر محرم الحرام أواخر السنة الثانية للهجرة أو أول الثالثة.

وعن سبب وفاتها روى النميري البصري عن الزهري قال: أصابتها الحصبة[6].

---

(١) فروع الكافي ١: ٦٦.

(٢) وروى النميري البصري عن الزهري قال: أصابتها الحصبة ١: ١٠٤.

(٣) فروع الكافي ١: ٦٤ ويروى خبراً آخر عنه عليه السلام في منع عثمان عن الدخول في قبرها، ولم فيها: نسب رسول الله وليس فيها اسم رقية ولا أم كلثوم ولكنها تشتمل على حوادث ما بعد خيبر، ولذلك فهي واحدى عن خرائج الراوندي في أم كلثوم وليس رقية. وسيأتي فيما بعد وفاة أم كلثوم.

(٤) تاريخ الخميس ١: ٤٠٦.

(٥) ذخائر العقبى: ١٦٣.

(٦) تاريخ المدينة ١: ١٠٤.

أهم حوادث

السنة الثالثة للهجرة

وقعة ذي قار:

قال اليعقوبي: وكان يوم ذي قار بعد وقعة بدر بأشهر أربعة أو خمسة، إذ حاربت ربيعة كسرى وقالوا: عليكم بشعار التّهامي، فنادوا: يا محمد يا محمد، فقتلوا من جيوش كسرى حتى هزموهم، فلما بلغ ذلك رسول الله قال: اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نُصروا[1].

وقال المسعودي: كانت الوقعة بذي قار بين بكر بن وائل (من ربيعة) وعليهم حنظلة بن سيار، وبين الجيش الذي أرسله إليهم الملك خسرو برويز عليهم الهامرز.

وذلك لمّا امتنع هانئ بن قبيصة الشيباني من تسليم ما كان النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة أودعه إيّاه من أهله وماله وسلاحه قبل قتل كسرى إيّاه فاقتتلوا قتالاً شديداً فهُزمت الفرس ومن كان معها من العرب من تغلب

(١) اليعقوبي ٢: ٤٦.

وعليها بشر بن سوادة التميمي، وطيء وعليها إياس بن قبيصة الطائي، وضبّة وتميم وعليها عُطارد بن حاجب، والنمر وعليها أوس بن الخزرج النمري، وبهراء وتنوخ وغيرهم من العرب.

فلمّا بلغه ظهورهم على العجم قال: هذا أوّل يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نُصروا[1] وكانَ المسعودي يرى أنَّ تمجيد الرسول لهم بوفائهم وحفظهم لوديعتهم وأماناتهم، لأنّهم عرّضوا أموالهم للزوال، وأنفسهم للقتل وحُرمهم للسبي دون أن يضيعوا وديعتهم وأماناتهم[2].

وذكر الوقعة في «مروج الذهب» مرّة في أيام خُسرو برويز من ملوك الساسانيين، وفيها قال: وفي رواية أنّها كانت بعد وقعة بدر بأشهر ـ أو بأربعة أشهر ـ ورسول الله بالمدينة، وهو اليوم الذي قال فيه النبيّ ﷺ: «هذا أوّل يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نُصروا» ... «ونُصرت عليهم بي» وكانت بين بكر بن وائل والهرمزان صاحب كسرى برويز. ثمّ قال: وقد أتينا على هذه الأخبار بالشرح والإيضاح في «الكتاب الأوسط»[3].

ومرّة أخرى في ملوك الحيرة بشأن النعمان بن المنذر اللَّخمي قال: حين أراد المضيّ إلى كسرى مرّ على بني شيبان فأودعهم سلاحه وعياله عند هانئ بن مسعود الشيباني، فلمّا قتل كسرى النعمان بعث إلى هانئ بن مسعود وطالبه بتركته، فامتنع وأبى أن يخفر الذمّة. فكان ذلك السبب الذي أهاج حرب ذي قار. وقد أتينا على ذلك في «الكتاب الأوسط»[4].

---

(١) التنبيه والإشراف: ٢٠٧، ٢٠٨.

(٢) التنبيه والإشراف: ٢٠٨.

(٣) مروج الذهب ١: ٣٠٦، ٣٠٧.

(٤) مروج الذهب ٢: ٧٨.

وقد مرّ عن «التنبيه والإشراف» أن هانئاً هو ابن قبيصة الشيباني. وقد روى الطبري عن مَعْمَر بن المثنى عن فرس بن خَنْدق أنه: هانئ بن مسعود، ثم قال ابو عبيدة المثنّى: قال بعضهم: إن هانئ بن مسعود لم يدرك هذا الأمر، وإنما هو هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود، ثم قال: وهو الثبت عندي[1] والمسعودي في «التنبيه والإشراف» أشرف به على سائر كتبه السابقة ونبّه به عليها، فلعل هذا أيضاً من موارد التنبيه[2].

غزوة قرقرة الكُدْر[3]:

مرّ أن ابن اسحاق ذكرها بعد رجوع الرسول من بدر بأسبوع، والطبري نقل تحديد الخروج اليها في غرة شوال بعد الزوال، ولكن الواقدي قال: للنصف من المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهراً، وغاب فيها خمس عشرة ليلة.

ثم روى عن يعقوب بن عتبة قال: بلغ رسول الله أن بقرارة الكُدْر جمعاً من بني سُلَيم وغَطفان (على العدوان) فاستخلف على المدينة عبد الله بن أُم مكتوم يصلي بهم. ثم سار اليهم يمشي رجل حتى أخذ عليهم الطريق. فرأى آثار النعم ومواردها ولم يجد في المجال أحداً، فأرسل نفراً من أصحابه الى أعلى الوادي فوجدوا ـ كما عن أبي أروى الدّوسي ـ خمسمئة بعير يرعاها غلام يُسمّى يسار

---

(١) الطبري ٢: ٢٠٦.

(٢) ونبّه هنا الى أنه قد أورد خبر ذي قار في أوائل الكتاب، ولكني رجّحت ذكره هنا لما ترجّح عندي من العلاقة بين قولهم: نادوا بشعار التهامي فنادوا: يا محمد يا محمد، وبين قوله: وبي نُصروا، وهذا أنسب أن يكون بعد بدر لا قبله.

(٣) قرقرة الكُدْر: ناحية معدن بني سُلَيم قريب من الأُرحضية وراء سدّ معونة ثمانية بُرُد عن المدينة = ١٧٦ كيلومتراً.

فسبقوها في بطن الوادي، واستقبلهم رسول الله في بطن الوادي فسألهم عن الناس فقال يسار: اعلم أما في النَعَم والناس قد ذهبوا الى المدينة ولا علم لي بهم.

فاغتنم النعم النبيّ، واسترقّ العبد وانحدر الى المدينة. فلما صلى الصبح رأى العبد يصلي، فقتله عن سهمه في القسمة واعتقه. ولما انصرفوا الى صِرار ـ على ثلاثة أميال ـ ٥ كيلو مترات من المدينة ـ خمّس النَعَم فأخرج خُمسها مئة بعير، ثم قسّم أربعة أخماسها على المسلمين فأصاب كل رجل منهم بعيران بعيران[1].

بينما قال ابن اسحاق: لما رجع رسول الله من غزوة السَّويق اقام بالمدينة بقية ذي الحجة ثم غزا نجداً يريد غطفان[2] فأقام بها صفراً كله ولم يلق كيداً، ثم رجع الى المدينة. وقال: وهي غزوة ذي أمَرّ[3] بينما قال الواقدي:

غزوة ذي أمَرّ:

على رأس خمسة وعشرين شهراً خرج رسول الله يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع، فغاب احدى عشرة يوماً[3].

والواقدي أتمّ واكمل من ابن اسحاق في تاريخ الحوادث بصورة عامة، ولكن هذا التاريخ من التواريخ التي علينا أن نتأمّل فيها، فانه سيقول في تاريخ إرسال الرسول السرية لقتل كعب بن الاشرف: إنه مشى معهم حتى أتى البقيع ثم وجّههم في ليلة أربع عشرة من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً[4] بينما

(١) مغازي الواقدي ١: ١٨٢، ١٨٤.

(٢) ابن هشام ٣: ٤٩ وذو أمرّ: واد قرب قرية النخيل على ثلاث مراحل = بُرد = ٦٧ كيلو متراً من المدينة الى طريق فيد، كما في وفاء الوفاء ٢: ٢٤٩.

(٣) مغازي الواقدي ١: ١٩٣.

(٤) مغازي الواقدي ١: ١٨٩.

لا يمكن أن يرافق النبيّ محمد بن مسلمة في الطريق بعد خروجه لذي أمرّ، بيومين[1].

ونجده في تاريخه لغزوة بني سُليم بنجران بناحية الفُرع يقول: لثمال خلون من جُمادى الأولى. ثم يروي عن الزهري أن غيبته فيها كانت عشر ليال[2] وهذا يقرب من نص ابن اسحاق إذ قال: فأقام بها (من) شهر ربيع الآخر وجُمادى الأولى ثم رجع الى المدينة[3].

فلو كان خروجه لغزوة ذي أمرّ ـ كما قال الواقدي ـ في الثاني عشر من ربيع الأول لما تلاقى ذلك مع مشايعته لسريّة قتل ابن الأشرف في الرابع عشر منه، مع وجود التسالم على تاريخ مقتله ذلك، وعليه فلو اتبعنا تاريخ مقتل ابن الأشرف واحتملنا في تاريخ الواقدي لغزوة ذي أمرّ أن «ربيع» في نصّه هو «ربيع الآخر» لا الأول، وكانت غيبته فيها أحد عشر يوماً بعد الثاني عشر منه تقارب أو تقارن رجوعه منها مع خروجه لغزوة نجران بناحية الفُرع، مما يبعد أيضاً.

فيغلب في الظنّ أن نرجّح هنا رواية ابن اسحاق بأنّ غزوة ذي أمرّ كانت في شهر صفر، سيما مع خلوّه من ذكر غزوة غيرها فيه أو سرية سواها، ولا سيما مع سلامة روايته من المعارض. إلا أنّا نجد تفصيل الرواية من الواقدي، إذ تخلو رواية ابن اسحاق عن ذلك.

روى الواقدي عن جمع قالوا: بلغ رسول الله أنّ رجلاً من بني محارب يدعى دُعثور بن الحارث جمع جمعاً منهم ومن ثعلبة بذي أمرّ يريدون أن يصيبوا

(١) مقدمة المحقق: ٣٢.

(٢) مغازي الواقدي ١: ١٩٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٣: ٥٠.

من أطراف رسول الله، فندب رسول الله المسلمين فخرج في أربعمائة وخمسين رجلاً فأخذ على المنقى ثم مضيق الخبيت (على بريد = ٢٢ كيلومتراً من المدينة) ثم خرج الى ذي القصّة (الى جهة نجد)، فأصابوا بها رجلاً من بني ثعلبة يُدعى جبّاراً فأدخلوه على رسول الله فدعاه الى الاسلام فأسلم، فقالوا له: هل بلغك لقومك خبرٌ؟ قال: لا، إلّا أنه بلغني أنّ دُعثور بن الحارث قد اعتزل في أُناس من قومه وإنهم إن سمعوا بمسيرك هربوا في رؤوس الجبال وبن ملاقوك، وأنا سائر معك ودالّك على عوراتهم.

فضمّه النبيّ الى بلال، وخرج بهم فأخذ طريقاً أهبطهم من كثب، فلما رآه أولئك الأعراب هربوا منه فوق الجبال، فلم يلاق النبيّ منهم أحداً، إلّا أنه يراهم ويرونه من فوق الجبال[1].

ونزل رسول الله وعسكر في مُعسكرهم، ثم ذهب لحاجته فأصابه مطر فبلّ ثوبه فنزع ثيابه ونشرها على شجرة لتجفّ واضطجع تحتها ينتظر جفافها.

فقال الاعراب لسيدهم دُعثور: قد انفرد محمد من أصحابه بحيث إذا استغاث بهم لا يغيثوه حتى تدركه فتقتله! فقد أمكنك محمد!

فاختار من سيوفهم سيفاً صارماً واشتمل عليه وأقبل حتى قام على رأس النبيّ شاهراً سيفه وقال: يا محمد، من يمنعك مني اليوم؟! قال رسول الله: الله. واندفع ووقع السيف من يده، فأخذه رسول الله وقام به عليه وقال: وأنت من يمنعك مني؟ قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، والله لا أُكثّر عليك جمعاً أبداً! فأعطاه رسول الله سيفه فأخذه وأدبر حتى أتى قومه،

---

(1) ونقل قريباً منه ابن الاثير في الكامل ٢: ٩٩ وعنه في بحار الأنوار ٢٠: ٩ وقال: وكان مقامه ثنتي عشرة ليلة.

فقالوا: قد أمكنك وسيف في يدك فأين ما كنت تقول؟ قال: والله كان ذلك، ولكنّي نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري، فعرفت أنه ملك، وشهدت أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، والله لا أُكثّر عليه، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام[1].

ومن الحوادث في هذا الشهر ربيع من هذه السنة الثالثة: أنّ عثمان خطب من عمر ابنته حفصة ـ بعد وفاة زوجها خُنيس بن حُذافة السهمي[2] ـ فأبى عمر أن يزوّجه فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فخطبها فتزوجها[3]، وعوّض عثمان عنها وعن ابنته رقية بابنته الأخرى أم كلثوم فزوجها إياه[4] بعد أن كان عمر وأبو بكر قد خطباها فلم يزوّجها[5] ولعله لكبرهما، ولعله زوّجها عثمان لتكون لابن أختها عبد الله بن عثمان من رقية كأُمّه[6].

سريّة قتل ابن الأشرف:

مرّ أنّ كعب بن الأشرف اليهودي الطائي لمّا رأى سراة قريش صرعى أسرى بأيديهم لم يحتمل ذلك دون أن خرج إلى قريش بمكة ليبكي قتلاهم ويحثّهم بذلك

---

(1) مغازي الواقدي 1: 193 ـ 196 ونقله الطبرسي في إعلام الورى 1: 173، 174 بلفظ الواقدي بلا إسناد، ومصدره في مناقب آل أبي طالب 1: 190.

(2) هو أخو خارجة بن حذافة مدير شرطة عمرو بن العاص السهمي والذي قُتل بدلاً عنه بيد الخوارج المتآمرين على علي عليه السلام ومعاوية وعمرو.

(3) وسيأتي التفصيل عن زواجه بها قبل شهر رمضان.

(4) ذخائر العقبى: 165 والمواهب اللدنية 1: 197 عن الخجندي.

(5) مستدرك الحاكم 4: 49.

(6) تاريخ المدينة المنورة لابن شبة 3: 952.

ليحرضهم للانتقام من المسلمين فيخرج معهم، فخرج حتى قدم مكة على أبي وداعة بن ضُبيرة السَّهمي، وزوجته عاتكة بنت أُسيد بن أبي العيص بن اُمية بن عبد شمس، فجعل يُنشد الأشعار ويبكي للذين أُصيبوا من قريش ببدر ويحرّض على رسول الله[1].

فدعا رسول الله حسّان بن ثابت[2] فأخبره بنزول كعب على عاتكه بنت أُسيد وأن يهجوها، فقال حسّان:

ألا أبلغوا عني أُسيداً رسالةً ... فخالك عبدٌ بالسراب مجرَّبُ
لعمرك ما أوفى أُسيد بجاره ... ولا خالد، لا والمفاضة زينبُ[3]
وعتّاب عبدٌ غير موفٍ بذمةٍ ... كذوبٌ، شؤون الرأس، قِردٌ مدرَّبُ!

فلما بلغها هجاؤه قالت لزوجها: ما لنا ولهذا اليهودي؟! ألا ترى ما يصنع بنا حسّان؟! ونبذت رحله! فتحوّل عنهم إلى غيرهم. وكلما كان يتحوّل الى قوم كان رسول الله يدعو حسّان فيخبره بنزول كعب على فلان، فلا يزال حسّان يهجوهم حتى يخرجوه من عندهم، وحتى لم يجد مأوى في مكة، فرجع الى المدينة.

فلما بلغ النبيّ قدوم ابن الأشرف قال: اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت في إعلانه الشرّ وقوله الأشعار[4].

---

(١) ابن هشام ٣: ٥٥ ومغازي الواقدي ١: ١٨٧.

(٢) وهذا أول مورد ورد فيه ذكر حسّان شاعراً للرسول بالمدينة.

(٣) أُسيد أبو عاتكة، وخالد أخوه عمّ أبي العيص، وزينب أمه أو أم عاتكة، والمفاضة: المرأة الضخمة البطن!

(٤) مغازي الواقدي ١: ١٨٦، ١٨٧.

ثم روى ابن اسحاق عن عبد الله بن المغيث بن أبي بُرده الظَفري (عن أبيه عن جده) قال: رجع ابن الأشرف الى المدينة فشبَّب بنساء المسلمين حتى آذاهم.

فقال رسول الله لأصحابه: مَن لي بابن الأشرف؟

فقال محمد بن مَسلمة (الأوسي) وكان أخا ابن الاشرف من الرضاعة: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله.

قال: فافعل ان قدرت على ذلك.

فرجع محمد بن مَسلمة فمكث ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب الاّ ما يعلق به نفسه، فذُكر ذلك لرسول الله، فدعاه فقال له: لِمَ تركت الطعام والشراب؟ فقال: يا رسول الله قلتُ قولاً لا أدري هل أفينَّ لك به أم لا؟ فقال: إنما عليك الجهد[1]، وشاوِر سعد بن مُعاذ في أمره.

فاجتمع محمد بن مَسلمه ونفر من الأوس منهم عبّاد بن بشر بن وقش وأخوه سِلْكان بن سلامة بن وقش، وكان أخا ابن الأشرف من الرضاعة، والحارث بن أوس، وابو عبس بن جَبْر، فقالوا: يا رسول الله، نحن نقتله، فأْذَنْ لنا فنقل[2] فانه لابدّ لنا منه[3] قال: قولوا ما بدا لكم فانتم في حلّ من ذلك[4].

وقبل أن يذهبوا الى كعب قدّموا اليه أخاه من الرضاعة سلكان بن سلامه أبا نائلة وكان يقول الشعر، فخرج اليه وهو في نادي قومه وجماعتهم وبه كان

---

(١) ابن هشام ٣: ٥٨

(٢) يعني القول الكذب والباطل حيلةً.

(٣) مغازي الواقدي ١: ١٨٧

(٤) ابن هشام ٣: ٥٨

سيكان يريد أن يجعل كعباً لا ينكرهم إذا هم جاؤوا بالسلاح، فقال له: حدثت لي حاجة إليك. فقال كعب: ادنُ منّي فخبّرني بحاجتك. فحدثا ساعة وتناشدا الأشعار. ثم قال كعب: لعلك تحب أن يقوم من عندنا؟ فلما سمع القوم ذلك قاموا.

فقال أبو نائلة: إني كرهتُ أن يسمع القوم بعض كلامنا فيظنّون بنا. كان قدومُ هذا الرجل من البلاء علينا، عادتنا به العرب وحاربتنا ورمتنا عن قوس واحدة وتقطّعت السبل عنا حتى جُهدت الأنفس وضاع العيال!

فقال كعب: أنا ابن الأشرف، أما والله لقد كنت أخبرك ـ يا ابن سلامة ـ أن الأمر سيصير إلى ما أقول.

فقال أبو نائلة: ومعي رجال من أصحابي على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم فنبتاع منك طعاماً وتمراً ونُحسن في ذلك إليك، ونرهنك ما يكون لك فيه ثقة.

قال كعب: أما والله ما كنت أُحب ـ يا أبا نائلة ـ أن أرى بك هذه الخصاصة[1] وأنت أخي ومن أكرم الناس عليّ. فماذا ترهنوني، أبناءكم ونساءكم؟[2]

قال أبو نائلة: لقد أردت أن تفضحنا وتُظهر أمرنا! ولكنّا نرهنك من الحلْقة[3] ما ترضى به. فقال كعب: إنّ في الحلْقة لوفاءً؟ وعنى بالحلقة الأسلحة فواعده وخرج من عنده.

---

(١) الجوع.

(٢) يُعلم منه أنه كان أمراً معروفاً لديهم غير منكر عندهم!

(٣) أصله في حلقات الدروع ثم كناية عن كل سلاح.

ورجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره، فأجمعوا أمرهم أن يذهبوا إليه على ميعاده. ثم أتوا النبيّ عشاءً في ليلة أربع عشرة من ربيع الأول، وبعد أن صلوا العشاء أخبروه، فمشى معهم حتى البقيع ثم قال لهم: امضوا على بركة الله وعونه. ورجع رسول الله إلى بيته[1].

وروى ابن إسحق عن عكرمة عن ابن عباس عن محمد بن مسلمة قال: ثم أقبلوا حتى انتهوا إلى حصن ابن الأشرف، فهتف به أبو نائلة

فنزل في ملحفة[2] من الحصن، فتحدث معهم وتحدثوا معه، ثم قال له أبو نائلة: هل لك - يا ابن الأشرف - أن نتماشى إلى شعب العجوز[3] فنتحدث فخرجوا يتماشون[4].

وكان كعب حديث عهد بعرس، وكان جميلاً ويتطيّب بالمسك والعنبر، وكان شعره جعداً[5] فأدخل أبو نائلة يده في مقدم رأسه ثم شمّ يده وقال: ما رأيت طيباً أعطر قط! ثم مشوا، ثم عاد لمثلها، ثم مشوا، ثم عاد لمثلها وأمسك به وقال: اضربوا عدوّ الله، فضربوه فاختلفت أسيافهم عليه فلم تغن شيئاً، وأصاب بعض أسيافنا الحارث بن أوس فجرحه في رجله.

قال محمد: فحين رأيت أسيافنا لم تغن شيئاً ذكرت مغولاً[6] في سيفي فأخرجته فوضعته قرب سُرّته ثم تحاملت عليه فوقع عدوّ الله

---

(١) مغازي الواقدي ١ : ١٨٩.

(٢) ما يلتحف به من شملة واسعة شاملة، وكأنهم كانوا في غير صيف.

(٣) موضع بظهر المدينة.

(٤) ابن هشام ٣ : ٦٠.

(٥) مغازي الواقدي ١ : ١٨٩.

(٦) سكين صغير.

فخرجنا على بني أمية بن زيد، ثم على بني قريظة، ثم على بُعاث، فصعدنا في حَرّة العُريض (من وادي المدينة) فوقفنا لصاحبنا الحارث بن أوس فأتانا يتبع آثارنا، فاحتملناه فجئنا به رسول الله آخر الليل، فخرج إلينا وتفل على جُرح صاحبنا[1] فلم يؤذه[2] فأخبرناه بقتل عدوّ الله.

وأصبحنا وقد خافت اليهود لوقعتنا بعدوّ الله، فلم يبق بها يهودي إلّا خاف على نفسه[3]. ففزعت اليهود ومن معها من المشركين فجاؤوا إلى النبيّ حين أصبحوا فقالوا: قد طُرق صاحبنا كعب بن الأشرف الليلة [البارحة]، وهو سيد من ساداتنا، قُتل غيلة بلا جُرم ولا حدث علمناه!

فقال رسول الله ﷺ: إنه لو قرّ كما قرّ غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل، ولكنّه هجانا بالشعر ونال منا الأذى، ولم يفعل هذا أحد منكم إلّا كان له السيف.

ودعاهم رسول الله إلى أن يكتب بينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه
فكتبوا بينهم وبينه كتاباً تحت العذق في دار رملة بنت الحارث
فحذرت اليهود وخافت وذلّت من يوم قتل ابن الأشرف[4]

---

(1) ابن هشام ٣: ٦٠.

(2) مغازي الواقدي ١: ١٩٠.

(3) ابن هشام ٣: ٦٠ وعنه في الكامل ٢: ١٠٠ والمنتقى: ١١٦ وعنهما في بحار الأنوار ٢٠: ١٠ ـ ١٢.

(4) مغازي الواقدي ١: ١٩٢ ولم يذكر الكتاب. وروى: أن يهودياً يُدعى ابن يامين النضري من بني النضير، كان يرد على مروان بن الحكم وهو والٍ على المدينة من قبل يزيد أو معاوية فكان عنده يوماً ومحمد بن مسلمة جالس وهو شيخ كبير، إذ قال مروان لابن يامين: يا ابن

وكتابة الكتاب .

غزوة بُحران من الفُرع

روى الواقدي عن الزهري قال : بلغ رسولَ الله أن جمعاً كثيراً قد اجتمع عليه ، من بني سُلَيم في بُحران فتهيّأ رسولُ الله لذلك ، ولم يُبد وجهاً خاصاً ، واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم

ثم خرج في ثلاثمئة رجل من أصحابه ، فأسرعوا السير حتى اذا كانوا دون بُحران بليلة لقوا رجلاً من بني سليم فاستخبروه عن اجتماع القوم فأخبرهم : أنهم قد افترقوا ورجعوا إلى مائهم

فسار النبيّ حتى ورد بُحران فاذا ليس به أحد ، فأقام أياماً ولم يلق كيداً فرجع . وكانت غيبته عشر ليال .

قال الواقدي : كانت الغزوة لليال خلون من جمادى الاولى[1]

يامين كيف ترى كان قتل ابن الأشرف ؟ قال ابن يامين : كان غدراً ! فلم ينكر عليه مروان ! فقال محمد بن مسلمة : يامروان ! أيغدر رسولُ الله عندك ؟ والله ما قتلناه الا بأمر رسول الله ، والله لا يؤويني وإياك سقف بيت الا المسجد . ثم التفت الى ابن يامين وقال له : وأما أنت يابن يامين فلله عليّ إن أفلتّ وقدرت عليك وفي يدي السيف الا ضربت به رأسك !

وفي يوم من الأيام كان محمد بن مسلمة في تشييع جنازة بالبقيع ، وبالبقيع ابن يامين بعصاً ورآه محمد بن مسلمة فقام الى نعش عليه جرائد رطبة فأخذه وقام الى ابن يامين فلم يزل يضربه بها وكلما تنكسر جريدة يضربه بجريدة أخرى حتى كسّر تلك الجرائد على رأسه ووجهه ثم قال : والله لو قدرت على السيف لضربتك به ، ثم أرسله ولا قدرة به !

(١) مغازي الواقدي ١ : ١٩٦ ، ١٩٧ وفي نسخة اخرى : جمادى الآخرة ، ويرجح الاولى ما

سرية القردة[1]:

قال الواقدي: خرج فيها زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله أميراً، لهلال جمادى الآخرة. ثم حدّث بحديثها عن محمد بن الحسن بن أُسامة بن زيد عن أبيه عن جده قال:

قدم من مكة إلى المدينة نُعيم بن مسعود الأشجعي وهو على دين قومه، فنزل على كنانة بن أبي الحُقيق من بني النضير. وكان سليط بن النعمان بن أسلم يذهب إليه، فشربوا عنده ـ ويومئذٍ لم تُحرّم الخمر ـ فذكر نُعيم خروج صفوان بن أُمية الجُمحي بعير قريش وما معه من الأموال: ثلاثة مثقال ذهب وقطع نُقَر من الفضة وآنية فضة بوزن ثلاثين ألف درهم وبضائع أخرى، في رجال من قريش منهم حُويطب بن عبد العزّى وعبد الله بن أبي ربيعة، وأنهم خرجوا على ذات عرق[2].

فخرج سليط بن النعمان بن أسلم من ساعته إلى النبيّ فأخبره خبره، فأرسل رسول الله زيد بن حارثة في مئة راكب، فاعترضوا لها، فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم وأسروا رجلاً هو فرات بن حيّان العجلي،

في ابن هشام ٣: ٥٠ وأن الواقدي بعد نجران يذكر سرية القردة في أول هلال جمادى الآخرة. وعنهما في الكامل ٢: ٩٩ وعنه في بحار الأنوار ٢٠: ٩.

(١) القردة: طريق نجد إلى العراق إلى ناحية ذات عرق بعد الربذة، وقيل: لعمرة، كما في الطبقات ٢: ٢٤.

(٢) ذات عرق: من منازل الطريق إلى العراق وهو الحد بين نجد وتهامة كما في معجم البلدان ٦: ١٥٤.

وكان من حديثه :

أن صفوان بن أمية قال يوماً لأصحابه : نحن في دارنا هذه ان أقمنا نأكل من رؤوس أموالنا فما لنا بها من نفقات ، وإنما نزلناها على التجارة في الصيف الى الشام وفي الشتاء الى أرض الحبشة ، وإن محمداً وأصحابه قد عوّروا علينا طريق تجارتنا على الساحل الى الشام لا يبرحونه وقد وادعوا أهله ودخل عامتهم معهم ، فما ندري أين نسلك ؟

فقال له الأسود بن المطّلب : فنكّب عن الساحل وخذ طريق العراق

قال صفوان : لست عارفاً بها

قال الأسود : فأنا أدلك على أخبر دليل بها يسلكها وهو مغمض العين !

وهو فرات بن حيّان العجلي ، فرضي به صفوان ، فأرسل اليه فجاءه .

فقال له صفوان : اني اريد الشام ، وطريق عيرنا على محمد وقد عوّره علينا محمد ، فاردت طريق العراق ؟

قال فرات : فأنا أسلك بك في طريق العراق ، وليس يطأها أحد من أصحاب محمد . فتجهّزوا وخرجوا

فلما أصابوهم ، وقدموا بالعير على النبيّ خمّسها فكان خمسها قيمة عشرين ألف درهم ، وقسم ما بقي على أهل السرية .

وقيل لفرات بن حيان : إن تُسلم نتركك من القتل ، فأسلم ، فتركوه [1] .

---

(١) مغازي الواقدي ١ : ١٩٧ ـ ١٩٨ ومختصر الخبر ابن اسحاق وذكر أن فيها أبو سفيان بن حرب ٣ : ٥٣ ونقل الطبري مختصر خبر الواقدي عنه وذكر فيه صفوان وأبا سفيان كليهما ٢ : ٤٩٢ ، ٤٩٣ ويبدو أنه نقله عن سفر الواقدي لا المغازي . واختصر خبرها الطبرسي في اعلام الورى ١ : ١٧٤ ـ ١٧٥ .

زفاف أمّ كلثوم إلى عثمان:

وفي حوادث هذه السنة الثالثة في شهر جمادى الثانية نقل الطبري عن الواقدي قال: إن أمّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ زُفّت الى عثمان بن عفان، وكان قد تزوّجها بعد وفاة اختها رقية بثلاثة أشهر في ربيع الأول من هذه السنة[1].

أمّ شريك تهب نفسها للنبي:

وفي شهر رجب الحرام لم يذكر عنه ﷺ أمرٌ من قتال وغيره. وفي أزواج رسول الله بعد خديجة ثم سودة ثم عائشة عدّ اليعقوبي:

أمّ شريك غُزَيّة بنت دودان العامرية وقال: وهبت نفسها للنبيّ. ثم عدّ حفصة بنت عمر[2].

وقال الطوسي في «التبيان»: روي عن علي بن الحسين: أن المرأة التي وهبت نفسها للنبيّ هي امرأة من بني أسد يقال لها أم شريك[3].

ونقله في «مجمع البيان» بزيادة قال: عن علي بن الحسين عليه السلام والضحاك وقتادة قالوا: هي امرأة من بني أسد يقال لها أم شريك بنت جابر. وقيل: إنها لما وهبت نفسها للنبيّ ﷺ قالت عائشة: ما بال النساء يبذلن أنفسهن بلا مهر؟! فنزلت الآية: ﴿يا أيها النبيّ انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما

---

(١) الطبري ٢: ٤٩١ عن الواقدي وليس في مغازي الواقدي فلعله عن السيرة. وعن الطبري في الكامل ٢: ١٠٠ والمنتقى ١١٦ وعنه في بحار الأنوار ٢٠: ١٢.

(٢) اليعقوبي ٢: ٨٤.

(٣) التبيان ٨: ٣٥٢.

ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عمّاتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأةً مؤمنةً إن وهبت نفسها للنبيّ إن أراد النبيّ أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكي لا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ [1].

فقالت عائشة: ما أرى الله إلا يُسارع في هواك؟!

فقال رسول الله: وإنك إن أطعتِ الله سارع في هواك [2].

ولكن في رواية «الكافي» ما يدل على أن ذلك كان بعد زواجه بحفصة وأن ذلك القول كان من حفصة، فقد روى بسنده عن الباقر عليه السلام قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله فقالت: يا رسول الله، إن المرأة لا تخطب الزوج، وأنا امرأة أيّم لا زوج لي منذ دهر ولا ولد، فهل لك من حاجة؟ فإن تك فقد وهبت نفسي لك إن قبلتني. فقال لها رسول الله: يا أخت الأنصار، جزاكم الله عن رسول الله خيراً، فقد نصرني رجالكم ورغبت فيّ نساؤكم!

فقالت لها حفصة: ما أقل حياءك وأجرأك وأنهمك للرجال!

فقال رسول الله: كفّي عنها يا حفصة فإنها خير منك، رغبت في رسول الله ولُمتِها وعبتِها.

ثم قال للمرأة: انصرفي رحمك الله، فقد أوجب الله لك الجنة لرغبتك فيّ وتعرضك لمحبّتي وسروري، وسيأتيك أمري إن شاء الله.

فأنزل الله عزّوجلّ: ﴿ وامرأةً مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيّ إن أراد النبيّ أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ فأحلّ الله عزّوجلّ هبة امرأة نفسها

---

(١) الأحزاب: ٥٠.

(٢) مجمع البيان ٨: ٥٨١ وفي الدر المنثور ٥: ٢٠٩ روى عن علي بن الحسين أنها أم شريك الأزدية.

للنبيّ ولا يحلّ ذلك لغيره[1]. ومُفاد هذا الخبر هو أنه ﷺ كان متزوجاً بحفصة ثم وهبت المرأة نفسها له.

وجعل الطبرسي في «إعلام الورى» الرابعة من أزواجه: أُمّ شريك غُزيّة بنت دودان التي وهبت نفسها للنبيّ ﷺ وكانت قبله عند أبي العكر بن سُمَيّ الأزدي فولدت له شريكاً. وهذا غريب وعليه فلا يصحّ الخبر السابق، ولكنه لم يذكر سنداً ولا مصدراً.

وجعل الخامسة: حفصة بنت عمر بن الخطاب وقال: تزوّجها بعدما مات زوجها خُنيس بن حُذافة السهمي[2].

وابن شهرآشوب في «المناقب» ذكر أُمّ شريك فيمن لم يدخل بهن وسمّاها غُزيّة بنت جابر من بني النجار. وذكر حفصة فيمن تزوّجها بعد بدر في السنة الثانية[3].

بينما قال الطبري: في هذه السنة (الثالثة) في شعبان تزوّج النبيّ ﷺ حفصة بنت عمر، وكانت قبله تحت خُنيس بن حُذافة السهمي[4] وكان ممن شهد

---

(1) فروع الكافي ٥: ٥٦٨، الحديث ٥٣.

(2) إعلام الورى ١: ٢٢٧ وقال: وكان رسول الله وجّهه إلى كسرى فمات. ومفاد هذا أنّه ﷺ تزوّجها بعد عام الحديبية في السنة السابعة، وهذا غريب مردود. وخنيس بن حذافة هو أخو خارجة بن حذافة السهمي صاحب شرطة عمرو بن العاص السهمي على مصر، وهو الذي قتل بدلاً عنه كما مرّ.

(3) مناقب آل أبي طالب ١: ١٦٠، ١٦١.

(4) الطبري ٢: ٤٩٩ وفي المنتقى ١١٧ وعنه في بحار الأنوار ٢٠: ١٢.

بدراً مع رسول الله من بني سهم وقالوا: ... ثم خرج فمات عنها بالمدينة (١)
وأصدقها رسول الله أربعمئة درهم (٢)

زواج النبيّ من بنت نفيل ثم من بنت خُزيمة

قال اليعقوبي: ثم بنت نُفيل بن عبد العُزّى العدوي.
ثم زينب بنت خُزيمة بن الحارث، أمّ المساكين (٤).

وقال ابن إسحاق: كانت تسمى أم المساكين لرحمتها ورقتها عليهم، زوّجه إياها قَبيصة بن عمرو الهلالي (وهي هلالية، وأصدقها رسول الله أربعمئة درهم وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث بن المطلب (٥) ولعبيدة بن الحارث منها بنات (٦)

وقال المسعودي: وفيه (النصف من شهر رمضان للسنة الثالثة) تزوج

---

(١) ابن هشام ٢: ٣٤٩ والمغازي ١: ١٥٦ والغريب: عمري فقال: كانت تحت خُنيس بن حُذافة في الجاهلية هكذا عنه ٢: ٤٩٩ وتسد في المنتق: ١١٧ وعنه في بحار الأنوار ٢٠: ١٢

(٢) ابن هشام ٢: ٦ في الهامش، وعليه فهي أرملة شهيد أكرمها النبيّ لزوجها فتزوّجها

(٣) ابن هشام ٤: ٢٩٤.

(٤) اليعقوبي ٢: ٨٤، هذا، ولا نعرف نفيل بن عبد العزى العدوي إلا أنه جدّ عمر بن الخطاب، فهل تزوّج النبيّ جدّته؟ إلا أن يكون في الأصل «كالا» لنسب حفصة المذكوره قبل ذلك، ثم وقع الالتباس والغلط!

(٥) ابن هشام ٤: ٢٩٦، ٢٩٧ فهي أيضاً زوج شهيد زوّجها إكراماً لزوجها الشهيد ابن عمه فكان أبا للأرامل والأيتام.

(٦) ابن هشام ٣: ٣٦٦

رسول الله زينب بنت خزيمة المعروفة بام المساكين أي بعد شهادة زوجها بسنة، واكراماً له.

وعدّها الطبرسي التاسعة من أزواجه[2] وهو غريب، ولم يذكر مصدره وعدّها ابن شهر آشوب ممن لم يدخل بها[3].

ميلاد الحسن عليه السلام:

نقل الدولابي في «الذرية الطاهرة» عن الليث بن سعد قال: ولدت فاطمة بنت رسول الله الحسن بن علي في شهر رمضان سنة ثلاث[4].

قال الطبري: في سنة ثلاث من الهجرة في النصف من شهر رمضان ولد الحسن بن علي بن أبي طالب[5] ومن قبل قال:

وقيل: إن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ولد في هذه السنة (الثانية) ثم نقل عن الواقدي بسنده عن الباقر عليه السلام: بأن علي بن أبي طالب بنى بفاطمة في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً ثم قال: فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول (في السنة الثانية) باطل[6] وقد مرّ تقرير ذلك وتثبيته. فهو كما قال.

---

(١) التنبيه والاشراف: ٢١٠ ومناقب ١: ١٧٧ وعنه في بحار الأنوار ٢٠: ١٢ وقال: وتوفيت بعد ثمانية أشهر. وقال المسعودي في مروج الذهب ٢: ٢٨٨: توفيت بعد شهرين.

(٢) إعلام الورى ١: ٢٧٨.

(٣) مناقب ١: ١٦٠.

(٤) الذرية الطاهرة: ١٠١، ١٠٢ وعنه في كشف الغمة ١: ٥١٤ وعنه في بحار الأنوار ٤٤: ١٣٦. ونقل الدولابي قبله عن قتادة قال: ولدت حسناً بعد أحد بسنتين. ولا يصح وفي المناقب ٤: ٢٨.

(٥) الطبري ٢: ٥٣٧.

(٦) الطبري ٢: ٤٨٥، ٤٨٦.

وقال المسعودي في السنة الثالثة: وفي النصف من شهر رمضان كان مولد الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام[1].

وفي «مروج الذهب» والإصفهاني في «مقاتل الطالبيين» إنما ذكر السنة الثالثة[2] وفي «الإرشاد» روى المفيد بسنده عن الصادق عليه السلام: أنه ولد ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة[3].

تسمية الحسن وبعض السنن:

روى الطوسي في «الأمالي» بسنده عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن علي بن الحسين عليه السلام عن أسماء (بنت عميس)[4] قالت: إن فاطمة لما حملت بالحسن عليه السلام

---

(١) التنبيه والإشراف: ٢١٠ وعليه قال في عمره: توفي في سنة ٤٩ وله ٤٦ سنة: ٢٦٠ وكذلك نقل الإربلي في كشف الغمة ٢: ١٤٠ عن ابن طلحة في مطالب السؤول، وعن الكنجي الشافعي في كفاية الطالب.

(٢) مروج الذهب ٢: ٢٨٨ ومقاتل الطالبيين: ٣٦ وقال الكاتب: وفاته سنة خمسين. ومع ذلك تردد في مبلغ سنّه وقت وفاته بين خبرين عن الصادق عليه السلام أحدهما ٤٨ والآخر ٤٦ وهو خمسين. ولكنه في ٥٢ قال: إن الحسن بن علي ولد سنة ثلاث من الهجرة وتوفي سنة إحدى وخمسين ولا خلاف في ذلك، ونسبه على هذا ثمان وأربعون سنة أو نحوها.

(٣) الإرشاد ٢: ٥ ويؤيده ما رواه الكليني في أصول الكافي ١: ٤٦١ بسنده عنه عليه السلام قال: قبض الحسن وهو ابن سبع وأربعين سنة في عام خمسين. ومع ذلك سبق الخبر فقال: ولد الحسن في شهر رمضان في سنة بدر، وروي في سنة ثلاث. وفي الإرشاد ٢: ١٥ قال: مضى لسبيله في شهر صفر سنة خمسين وله ٤٨ سنة. وفي إعلام الورى ١: ٤٠٢ و ٤٠٣ تبع الإرشاد في الميلاد وتبع خبر الكليني في الوفاة. والمناقب ٤: ٢٨ و ٢٩ كذلك في الميلاد والوفاة.

(٤) فيه الإشكال بعدم حضور أسماء بنت عميس، والجواب بأنها هي بنت يزيد بن السكن الأنصارية الولّادة المطّلعة، وإنما الاشتباه والغلط من الرواة.

ولدته جاء النبيّ ﷺ فقال: يا أسماء، هلمّي ابني

فدفعته إليه في خرقة صفراء فرمى بها النبيّ ﷺ وأذّن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى، ثم قال لعليّ عليه السلام: بأي شيء سمّيت ابني؟

قال: ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله[1].

فقال النبيّ: ولا أنا أسبق باسمه ربّي.

فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد، العليّ الأعلى يقرؤك السلام ويقول: عليّ منك بمنزلة هارون من موسى، ولا نبيّ بعدك، سمّ ابنك هذا باسم ابن هارون.

فقال النبيّ: وما اسم ابن هارون؟ قال: شبّر. قال النبيّ: لساني عربي. قال جبرئيل: سمّه الحسن. فسمّاه الحسن.

فلما كان يوم سابعه عقّ النبيّ عنه بكبشين أملحين وأعطى القابلة فخذاً وديناراً، ثم حلق رأسه وتصدّق بوزن الشعر ورقاً (فضة)، وطلى رأسه بالخلوق ثم قال: يا أسماء، الدم فعل الجاهلية[2].

وروى الخبر الصدوق في «الأمالي» بسنده عن زيد بن علي عن أبيه علي بن الحسين ـ بلا إسناد عن أسماء ـ قال: لما ولدت فاطمة الحسن قالت لعليّ عليه السلام: سمّه. قال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله. فجاء رسول الله فأخرج إليه في خرقة صفراء فقال: ألم أنهكم أن تلفّوه في صفراء؟! ثم رمى بها، وأخذ خرقة بيضاء

---

(1) ورواه الخبر الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٥ بسنده عنه عليه السلام أيضاً، وفيه هنا زيادة: «قد كنت أحبّ أن أسمّيه حرباً» وليس هذا في خبر الطوسي، وهو الأرى، فمن المستبعد جداً أن يحبّ علي عليه السلام التسمية بحرب!

(2) عيون أخبار الرضا ٢: ٢٥ ونعلم منه بعض شأن العرب: كانوا يطلون رأس المولود بالدم ليصبح دموياً حربياً! فنسخه الإسلام.

فلفّه فيها، ثم قال لعليّ عليه السلام: هل سمّيته؟ قال: ما كنت لأسبقك باسمه. فقال: وما كنت لأسبق باسمه ربي عزّ وجلّ.

فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل: أنه قد ولد لمحمد ابن فاهبط فأقرئه السلام وهنّئه وقل له: إنّ عليّاً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون.

فهبط جبرائيل فهنّأه من الله عزّ وجلّ ثم قال: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تسمّيه باسم ابن هارون. قال: وما كان اسمه؟ قال: شُبّر. قال: لساني عربي. قال: سمّه الحسن. فسمّاه الحسن[1].

قضاء وشفاعة:

ومن الحوادث بعد بدر وقبل أُحد ما رواه الواقدي قال: خاصم إلى رسول الله قبل أُحد يتيم من الأنصار أبا لبابة (ابن عبد المنذر) في عَذْق نخل بينهما، فقضى رسول الله لأبي لبابة، فجزع اليتيم على العَذْق، فطلب رسول الله العذق من أبي لبابة لليتيم فأبى أبو لبابة! فجعل رسول الله يقول له: ادفعه إليه ولك به عذق في الجنة! فأبى أبو لبابة.

فتقدم ثابت بن الدحداحة فقال: يا رسول الله أرأيت إن أعطيتُ اليتيم عذقه ما لي؟ قال: عَذْق في الجنة!

فذهب ثابت بن الدَّحداحة فاشترى من أبي لبابة ذلك العذق بحديقة نخل، ثم ردَّ العذق على الغلام (اليتيم).

فقال رسول الله: ربّ عَذْق مذلَّل لابن الدحداحة في الجنة![2].

---

(١) أمالي الصدوق: ١١٦.

(٢) قُبيل بأُحد ـ مغازي الواقدي ١: ٢٨١.

ابو عامر إلى مكة :

مرّ في أخبار مواجهة كفّار المدينة للرسول ﷺ : رواية ابن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة : أنه كان يشارك عبد الله بن أبي بن سلول العوفي الخزرجي في شرفه في قومه ابو عامر عبد عمرو بن صيفي الأوسي، فانه كان في الأوس شريفاً مطاعاً، وكان قد ترهّب في الجاهلية ولبس المسوح فكان يقال له الراهب .

وروى عن جعفر بن عبد الله : أنه حين قدم رسول الله المدينة واجتمع قوم أبي عامر على الاسلام فارق قومه وأتى رسول الله وجادله في الحنيفية دين ابراهيم ﷺ ، واتّهم رسول الله بأنه قد أدخل في الحنيفية ما ليس منها ؛ فقال ﷺ : ما فعلت بل جئت بها بيضاء نقيّة . فقال ابو عامر : أمات الله الكاذب (منّا) طريداً غريباً وحيداً، وهو يعرّض بذلك برسول الله . فقال النبيّ : أجل، من كذب فعل الله تعالى به ذلك .

فحين اجتمع قومه على الاسلام أبى ابو عامر الا الفراق لقومه فخرج ببضعة عشر رجلاً منهم مفارقاً للاسلام ولرسوله إلى مكة . منهم علقمة بن عُلاثة الكلابي وكنانة بن عبد ياليل الثقفي[1] .

وقال الواقدي : دعا قومه فقال لهم : إنّ محمداً ظاهرٌ (منتصر)، فاخرجوا بنا إلى قوم نؤازرهم (عليه)، فخرج إلى قريش يحرّضها ويعلمها أنها على الحق وما جاء به محمد باطل ![2]

---

(١) ابن هشام ٢ : ٢٣٤، ٢٣٥

(٢) مغازي الواقدي ١ : ٢٠٥، ٢٠٦ وتقدم كلامه . فسارت قريش إلى بدر ولم يسر معها

←

فروى ابن إسحاق عن بعض آل أبي عامر: أن رسول الله لما سمع عنه هذا قال: لا تقولوا: الراهب ولكن قولوا: الفاسق[1].

وبقي ابنه حنظلة بن أبي عامر وصاهر عبد الله بن أُبيّ بن سلول[2] ولكنه أسلم وآمن وقُتل في أُحد وهو غسيل الملائكة[3].

غزوة أُحُد:

قال القمي في تفسيره: كان سبب غزوة أُحد: أن قريشاً لمّا رجعت من بدر الى مكة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، فقد قتل منهم سبعون وأُسر منهم سبعون، قال أبو سفيان: يا معشر قريش، لا تدعوا النساء يبكين على قتلاكم، فإن البكاء والدمعة إذا خرجت أذهبت الحُزن والحُرْقة والعداوة لمحمد، ويشمت بنا هو وأصحابه[4].

وعند مسلم أنه لم يكن معهم في بدر ولكن الصحيح أنه لم يسر إليهم قبل بدر بل بعده مثل كعب بن الأشرف، إلا أن كعباً رجع قبل أُحد وأبو عامر لم يرجع.

(1) ابن هشام ١: ٢٣٥.

(2) تفسير القمي ١: ١١٨.

(3) ابن هشام ٢: ٢٣٤.

(4) تفسير القمي ١: ١١٠، ١١١ وروى ابن إسحاق بسنده عن ابن الزبير قال: فناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ٢: ٢٠٢ ورواه الواقدي بسنده عن عائشة ١: ١٢٣ وفصّل فقال: قام فيهم أبو سفيان بن حرب فقال: يا معشر قريش لا تبكوا على قتلاكم ولا تنح عليهم نائحة ولا يبكيهم شاعر، واظهروا الجلَد والعزاء، فإنكم إذا نُحتم عليهم وبكيتموهم بالشعر أذهب ذلكم غيظكم فأكلكم ذلك عن

عداوة محمد وأصحابه، مع أنه إن سمع محمد وأصحابه شمتوا بكم فيكون أعظم المصيبتين عليكم، ولعلكم تدركون ثأركم. والدُّهن والنساء عليّ حرام حتى أغزو محمداً. فمكثت قريش شهراً لا يبكيهم شاعر ولا تنوح عليهم نائحة (١٢١). ولكنه بعد مضي ذلك أن كعب بن الأشرف اليهودي لما خرج إلى مكة بعد بدر فنزل على أبي وداعة بن ضُبيرة جعل ينظم شعراً في رثاء قتلى بدر من قريش، ومن يلقاه من الصبيان والجواري ينشدهم الأبيات، فأخذها الناس منه، ورثوا بها وأظهروا المراثي وناحت قريش على قتلاها شهراً، ولم تبق دار بمكة إلا فيها نوح، وجزّ النساء شعر الرؤوس، وكان يؤتى براحلة الرجل منهم أو بفرسه فتوقف بين أظهرهم فينوحون حولها، وخرجن إلى السكك في الأزقة وقطعن الطرق يبكين! (١٢٢) ثم قال: قالوا: ومشى نساء قريش إلى هند بنت عتبة فقلن: ألا تبكين على أبيك وأخيك وعمك وأهل بيتك؟ فقالت: أنا أبكيهم فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه ونساء بني الخزرج فيشمتوا بنا؟ لا والله حتى أثأر محمداً وأصحابه، والدُّهن عليّ حرام إن دخل رأسي حتى نغزو محمداً. والله لو أعلم أن الحزن يذهب من قلبي لبكيت، ولكن لا يذهبه إلا أن أرى ثأري بعيني من قتلة الأحبة. فمكثت على حالها.

وبلغ نوفل بن معاوية الديلي أن قريشاً بكت على قتلاها فقدم مكة وقال لقريش: يا معشر قريش لقد خفّت أحلامكم وسفه رأيكم وأطعتم نساءكم! ومثل قتلاكم يُبكى عليهم؟! هم أجلّ من البكاء، مع أن ذلك يذهب غيظكم عن عداوة محمد وأصحابه ولا ينبغي أن يذهب الغيظ عنكم إلا أن تدركوا ثأركم من عدوّكم.

فلما سمع أبو سفيان كلامه قال: يا أبا معاوية، والله ما ناحت امرأة من بني عبد شمس على قتيل لها إلى اليوم، ولا بكاهن شاعر إلا نهيته حتى ندرك ثأرنا من محمد وأصحابه، وإني لأنا الموتور الثائر، قُتل ابني حنظلة وسادة أهل هذا الوادي (١٢٤، ١٢٥).

إذن فهي أبي سفيان أنا كان باعثاً في بني عبد شمس، ... قريش فهم يقاتلوا الكفر

فلما أرادوا أن يغزوا رسولَ الله ﷺ في أُحد ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها، فجمعوا الجموع والسلاح[1].

وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف[2]، ألف فارس وألفي راجل. وأخرجوا معهم النساء يذكّرنهم ويحثّنهم على حرب رسول الله. وخرجت معهم هند بنت

=

من شهر ثم باعوا شهراً ولم يتمكن أبو سفيان من منعهم ثم منعهم نوفل بن معاوية وكان قريباً من موسم الحج بعد بدر.

(1) القمي ١: ١١٠ وروى الواقدي بإسناده: أن قريشاً كانوا إذا قدموا بالعير مكة وأهل العير غائبون أوقفوها في دار الندوة حتى يحضر أهلها فلما قدم أبو سفيان مكة في أيام بدر أوقفها في دار الندوة ولم يحرّكها لغيبة أهلها. فلما رجع من حضر بدراً من المشركين إلى مكة مشى أشرافهم إلى أبي سفيان فقالوا: يا أبا سفيان، انظر هذه العير فإنها أموال أهل مكة ولطيمة قريش، وهم طيّبوا الأنفس أن يجهّزوا بهذه العير جيشاً إلى محمد، وقد ترى من قُتل من آبائنا وأبنائنا وعشائرنا، فاحتبس العير لذلك.

قال أبو سفيان: وقد طابت أنفس قريش بذلك؟ قالوا: نعم. قال: فأنا أول من أجاب إلى ذلك وبنو عبد مناف معي، فأنا والله الموتور الثائر، قد قُتل ابني حنظلة ببدر وأشراف قومي.

وكانت العير ألف بعير، والمال خمسين ألف دينار. وكانوا يربحون للدينار ديناراً فيقال: فقالوا له: يا أبا سفيان بِع العير ثم اعزل أرباحها. فأخرج القوم أرباح العير، وما أحد من لا عشيرة له ولا منعة كل ما كان لهم في العير ١: ١٩٩ - ٢٠٠ ولعله باعها في الموسم.

(2) وكذلك في ابن هشام ٣: ٧٠ وقال الواقدي: خرجت قريش وهم ثلاثة آلاف بمن ضمّوا إليهم، وكان فيهم من ثقيف مئة رجل ... على ثلاثة آلاف بعير وفيهم سبعمئة دارع وقادوا مئتي فرس ١: ٢٠٣ وفي إعلام الورى ١: ١٧٦ والمشركون في ألفين. وفي المناقب ١: ١٩١ في ثلاثة آلاف. وقال في القمي: لهم سبعمئة درع ومعهم مئتا فرس وألف بعير، وكـ

عتبة بن ربيعة، وعمرة بنت علقمة الحارثية[1].

فلما بلغ رسولَ الله ذلك جمع أصحابه وأخبرهم: أن الله قد أخبره أن قريشاً قد تجمعت تريد المدينة[2].

(1) وهي الكنانية التي رفعت لواءهم بعد مقتل حملة الألوية التسعة من بني عبد الدار، وأضاف ابن إسحاق: وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد، وخرج صهره عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام، وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج، وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود الثقفي، وخرج طلحة بن عبد الله (حامل اللواء) بسلافة بنت سعد الأوسي، وخرج ابو عزيز بن عمير اخو مصعب بن عمير العبدري بأُمه خُنَاس بنت مالك ٣: ٦٦. وأضاف الواقدي: خرج ابو سفيان بامرأتيه هند وأُميمة الكنانية، وخرج صفوان بن امية بامرأتيه برزة والبَغوم الكنانية، وخرج الحارث بن سفيان بامرأته رملة بنت طارق، وخرج كنانة بن علي بامرأته أم حكيم بنت طارق، وخرج النعمان بن مسك الذئب وأخوه جابر بأُمهما الدُغُينة، وخرج سفيان بن عويف (حامل اللواء) بامرأته قُتيبة بنت عمرو مع عشرة من ولده منهم ابنه غراب بن سفيان ومعه امرأته عمرة بنت الحارث بن علقمة (الكنانية) التي رفعت لواء قريش حين سقط حتى تراجعت قريش الى لوائها ١: ٢٠٢، ٢٠٣ وسبق عن ابن إسحاق أنه نسبها الى جدها علقمة.

(2) تفسير القمي ١: ١١١. وقال ابن إسحاق: فأقبلوا حتى نزلوا بجبل ببطن السبخة على قناة عينين على شفير الوادي مقابل المدينة، فلما سمع بهم رسول الله والمسلمون أنهم نزلوا حيث نزلوا، قال للمسلمين: إني قد رأيت بقراً (أي تذبح) ورأيت في ذُباب سيفي ثَلْماً، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة. وزاد ابن هشام: فأما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون، وأما الثلم في ذُباب سيفي فهو رجل يُقتل من أهل بيتي، وأما الدرع الحصينة فأوّلتها المدينة. فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مُقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ٣: ٦٧

وروى الواقدي بسنده عن ابن أبي حُكَيمة الأسلمي قال : لما أصبح أبو سفيان بالأبواء أُخبِر أن عمرو بن سالم الخزاعي وأصحاباً له مرّوا بهم راجعين إلى مكة.

فقال أبو سفيان : أحلف بالله أنهم قد ذهبوا إلى محمد فأخبروه بمسيرنا وعددنا فهم الآن يلزمون صياصيهم، فما أرانا نُصيب منهم شيئاً في وجهنا !

فقال صفوان بن أُمية : إن يُصحِروا لنا فعددنا أكثر من عددهم، وسلاحنا أكثر من سلاحهم ولنا خيل ولا خيل لهم، ونقاتل على وِتر ولا وِتر لهم. وإن لم يُصحروا عمدنا إلى نخل الأوس والخزرج فقطعناه فتركناهم ولا أموال لهم ولا يجبرونها أبداً !

وبمكة نقل قبل ذلك : أنهم لما أجمعوا المسير كتب العباس بن عبد المطلب كتاباً إلى رسول الله يخبره فيه : أن قريشاً قد أجمعت المسير إليك فما كنت صانعاً إذا حلّوا بك فاصنعه، وقد توجهوا إليك وهم ثلاثة آلاف ومعهم ثلاثة آلاف بعير وقادوا مئتي فرس وفيهم سبعمئة دارع. وختمه واستأجر رجلاً من بني غفار وشرط عليه أن يسير إلى رسول الله ثلاثاً.

فقدم الغفاري فلم يجد رسول الله بالمدينة ووجده بقُباء، فخرج حتى وجده على باب مسجد قباء يركب حماره فدفع إليه الكتاب.

فدعا رسول الله أُبيّ بن كعب فقرأه عليه، فاستكتم رسول الله أُبيّاً ما في الكتاب. وكان قد دخل منزل سعد بن الربيع فقال له : في البيت أحد؟ قال سعد : لا، فتكلم بحاجتك، فكان قد أخبره بكتاب العباس بن عبد المطلب، واستكتم سعداً الخبر ثم خرج إلى المدينة.

فلما خرج خرجت امرأة سعد فقالت له : ما قال لك رسول الله ؟ قال : ما لك ولذلك ؟ ! فأخبرت سعداً بالخبر، فأخذ بلُمّتها ثم خرج يعدو بها حتى أدرك النبيَّ عند الجسر (جسر بطحان) وقد أعيت، فقال : يا رسول الله، إن امرأتي سألتني عمّا قلت فكتمتها، فجاءت بالحديث كله، فخشيت أن يظهر شيء فتظن أني أفشيت سرك ! فقال رسول الله : خلِّ سبيلها. وشاع الخبر في الناس بمسير قريش ١ : ٢٠٤، ٢٠٥.

قال الطبرسي: واستشار أصحابه، وكان رأيه أن يقاتل الرجالُ على أفواه السكك، ويرمي الضعفاءُ من فوق البيوت[1].

قال القمي: فقال عبد الله بن أُبي (الخزرجي): يا رسول الله، لا تخرج من المدينة حتى نقاتل في أزقّتها، فيقاتل الرجل الضعيف، والمرأة والعبد والأمة على السطوح، فما أرادنا قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا، وما خرجنا إلى أعدائنا قط إلا كان الظفر لهم[2].

ويُظن أن هذا الخبر كان يتدرج تقرباً لبني العباس فيما بين تاريخ ابن إسحاق بأمر المنصور لوليّ عهده المهدي، وبين عهد الواقدي المعاصر للمأمون والقاضي له ببغداد. وتدرج مع تدرج الكذب من بين جوانحه، ولا نجد ما يمنعنا من أن يكون كذباً مرتين.

وفي علل الشرائع خبر عن البرقي عن بعض أصحابه عن الصادق عليه السلام قال: كان مما منّ الله عزوجل به على رسوله صلى الله عليه وآله أنه كان يقرأ (كذا) ولا يكتب، فلما توجه أبو سفيان إلى أُحد كتب العباس إلى النبيّ فجاءه الكتاب وهو في بعض حيطان المدينة فقرأه (كذا) ولم يخبر أصحابه، وأمرهم أن يدخلوا المدينة، فلما دخلوا المدينة أخبرهم ـ علل الشرائع: 53 كما في بحار الأنوار 20: 111 والخبر عن البرقي عن بعض أصحابه، فهو مرسل، ثم يكفيه أنه خلاف المتفق عليه من أنه صلى الله عليه وآله لم يكن يقرأ ولا يكتب.

(1) إعلام الورى 1: 176 وقصص الأنبياء: 340 ومناقب آل أبي طالب 1: 191 بينما قال القمي في تفسيره: وحثّ أصحابه على الجهاد والخروج 1: 111.

(2) وقال ابن إسحاق: وكان عبد الله بن أُبيّ بن سلول يرى رأي رسول الله في ذلك أن لا يخرج إليهم فقال: يا رسول الله، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوّ لنا قطّ إلا أصاب منّا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فدعهم يا رسولَ الله، فإن أقاموا أقاموا بشرّ محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا 3: 67.

فقام سعد بن معاذ من الأوس فقال: يا رسول الله، ما طمع فينا أحد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام، فكيف يطمعون فينا وأنت فينا؟! لا، حتى نخرج إليهم فنقاتلهم، فمن قُتل منا كان شهيداً، ومن نجا منّا كان قد جاهد في سبيل الله (1).

وقال الواقدي: ورأى رسول الله أن لا يخرج من المدينة، وكان يحب أن يوافق على مثل ما رأى وعبّر عليه من رؤيا. وقال: أشيروا عليّ. فقام عبد الله بن أُبيّ فقال: يا رسول الله، كنا نقاتل في الجاهلية فيها ونجعل النساء والذراري في هذه الصياصي ونجعل معهم الحجارة، وترمي المرأة والصبيّ من فوق الصياصي والآطام، ونقاتل بأسيافنا في السكك.

يا رسول الله، إن مدينتنا عذراء، ما فُضّت علينا قط، وما خرجنا إلى عدو قط إلا أصاب منا، وما دخل علينا قط إلا أصبناه، فدعهم يا رسول الله، فإنهم إن أقاموا أقاموا بشرّ محبس، وإن رجعوا رجعوا خائبين مغلولين لم ينالوا خيراً.

يا رسول الله، أطعني في هذا الأمر واعلم أني ورثت هذا الرأي من أكابر قومي وأهل الرأي منهم، فهم كانوا أهل الحرب والتجربة. وكان ذلك رأي أكابر أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار ١: ٢٠٩، ٢١٠.

(1) تفسير القمي ١: ١١١. وفي مغازي الواقدي ١: ٢١٠: وقال رجال من أهل السنّ وأهل النية منهم سعد بن عُبادة: إنا نخشى ـ يا رسول الله ـ أن يظنّ عدوّنا أنا كرهنا الخروج إليهم جبناً عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا، وقد كنتَ يوم بدر في ثلاثمئة رجل فظفّرك الله عليهم، ونحن اليوم بشر كثير، قد كنا نتمنّى هذا اليوم وندعو الله به، فقد ساقه الله إلينا في ساحتنا.

وقال مالك بن سنان الخُدري أبو (أبي سعيد): يا رسول الله، نحن والله بين إحدى الحسنيين: إما أن يظفّرنا الله بهم فهذا الذي نريد، فيذلّهم الله لنا فتكون هذه وقعة مع وقعة بدر فلا يبقى منهم إلا الشريد، والأخرى ـ يا رسول الله ـ يرزقنا الله الشهادة، والله ـ يا

رسول الله ـ ما أبالي أيهما كان، فإن كلاً لفيه الخير.

هذا ورسول الله لما يرى من إلحاحهم كاره، ولكنّه سكت ولم يرد عليهم قولاً. فقال حمزة بن عبد المطلب: والذي أنزل عليك الكتاب، لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارجاً من المدينة. وكان صائماً.

وقال النعمان بن مالك: يا رسول الله، أنا أشهد أن البقر المذبّح قتلى من أصحابك وأنا منهم، فلِمَ تحرمنا الجنة؟ فوالذي لا إله إلا هو لأدخلنّها.

قال رسول الله: بِمَ؟ قال: إني أحب الله ورسوله، ولا أفرّ يوم الزحف. فقال: صدقت.

وقال إياس بن أوس: يا رسول الله، نحن بنو عبد الأشهل من البقر المذبّح، نرجو أن نذبّح في القوم ويذبّح فينا فنصير إلى الجنة ويصيرون إلى النار، مع أني ـ يا رسول الله ـ لا أحب أن ترجع قريش إلى قومها فيقولون: حصرنا محمداً في صياصي يثرب وآطامها، فيكون هذا جرأة لقريش، وقد وطئوا سعفنا، فإذا لم نذبّ عن عرضنا لم نزرع، وقد كنا ـ يا رسول الله ـ في جاهليتنا والعرب يأتوننا ولا يطمعون بهذا منّا حتى نخرج إليهم بأسيافنا حتى نذبّهم عنّا، فنحن اليوم أحق ـ إذ أيّدنا الله بك وعرفنا مصيرنا ـ أن لا نحصر أنفسنا في بيوتنا. وقال أنس بن قتادة: يا رسولَ الله، هي إحدى الحسنيين: إمّا الشهادة وإما الغنيمة والظفر في قتلهم.

فقال رسول الله: إني أخاف عليكم الهزيمة.

فقام أبو (سعد) خيثمة (من شهداء بدر) قال: يا رسول الله، إن قريشاً مكثت حولاً تجمع الجموع وتستجلب العرب في بواديها ومن تبعها من أحابيشها، ثم جاءونا قد قادوا الخيل وامتطوا الإبل حتى نزلوا بساحتنا، فيحصروننا في بيوتنا وصياصينا ثم يرجعون وافرين لم يُكلَموا؟! فيجرّئهم ذلك علينا حتى يشنّوا الغارات علينا ويصيبوا أطرافنا، ويضعوا العيون والأرصاد علينا، مع ما قد صنعوا بحروثنا، ويجترئ علينا العرب من

قال الطبرسي: فلما صار على الطريق قالوا: نرجع، فقال ﷺ: ما كان لنبيٍّ إذا قصد قوماً أن يرجع عنهم[1].

حولنا حتى يطمعوا فينا، ولو لم نخرج إليهم لم نمنعهم عن جوارنا، وعسى الله أن يظفرنا بهم فتلك عادة الله عندنا، أو تكون الأخرى فهي الشهادة. لقد أخطأتني وقعة بدر وقد كنت عليها حريصاً، لقد بلغ من حرصي أن ساهمت ابني في الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة، وقد كنت حريصاً على الشهادة. وقد رأيت ابني البارحة في النوم في أحسن صورة، يسرح في ثمار الجنة وأنهارها وهو يقول: الحق بنا ترافقنا في الجنة، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً! وقد ـ والله يا رسول الله ـ أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته في الجنة، وقد كبرت سني ورقّ عظمي وأحببت لقاء ربي، فادع الله ـ يا رسول الله ـ أن يرزقني الشهادة ومرافقة سعد في الجنة. فدعا له رسول الله بذلك ١: ٢١٠ ـ ٢١٣.

(1) إعلام الورى ١: ١٧٦ وقصص الأنبياء: ٣٣٤ ومناقب آل أبي طالب ١: ١٩١. وقال ابن إسحاق: وكان ذلك يوم الجمعة، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له: مالك بن عمرو من بني النجار، فصلى عليه رسول الله ثم دخل بيته فلبس لأمته ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا: استكرهنا رسول الله ولم يكن لنا ذلك. فلما خرج عليهم رسول الله قالوا: يا رسول الله استكرهناك ولم يكن لنا ذلك، فإن شئت فاقعد. فقال رسول الله: ما ينبغي لنبيّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل ٣: ٦٨.

وقال الواقدي: فلما أبوا إلا الخروج، صلى رسول الله الجمعة بالناس، ثم وعظ الناس (في خطبة بعد الصلاة؟!) وأمرهم بالجدّ والاجتهاد وأخبرهم أنّ لهم النصر ما صبروا، وأمرهم بالتهيّؤ لعدوّهم فعمّهم بذلك بالشخوص إلى عدوّهم، ففرح الناس بذلك، وكره ذلك كثير من أصحابه. وحشد الناس وحضر أهل العوالي ورفعوا النساء في الآطام. وحضر بنو عمرو بن عوف وحلفاؤهم والنبيت وحلفاؤهم وقد لبسوا السلاح. الصلاة العصر فصلى بهم رسول الله ثم دخل بيته، واصطفّ له الناس ما بين حجرته إلى

وفي تاريخ معالم المدينة : ان من معالمها مسجد تسمى مسجد الدرع عن يسار طريق أُحد قبله بكيلو متر ونصف تقريباً ، تسمى بالدرع لأنه ﷺ وضع فيه درعه لخلاص به في حربه. والظاهر أنه كان في حرب أُحد.

وبين أُحد بكيلومتر وثلاثمئة متر كانت أجمة فيها أُطمان لليهود، سمعها النبي ﷺ المغرب فصلى والعشاء واستراح فيها حتى صلى فيها الصبح

ثم استعرض عسكره فرد من استصغره منهم.

وفيها عرض عليه جمع ممن حالفه من يهود المدينة نصرتهم له، فقال ﷺ : لا نستعين بمشركين على المشركين !

وعندها رجع عبد الله بن أُبي بن سلول بمن أطاعه من المنافقين وهم ثلاثمئة ثلث عسكر المسلمين، متذرعاً بأن النبي ﷺ أخذ برأي غيره .

منتظرون خروجه

فقال لهم أُسيد بن حضير وسعد بن معاذ : قلتم لرسول الله ما قلتم واستكرهتموه على الخروج والأمر ينزل عليه من السماء ! فردوا الأمر اليه فما أمركم به فافعلوه، وما رأيتم له فيه هوى أو رأي فأطيعوه. وكان بعضهم كارهاً للخروج فقالوا : رسول الله ما كان لنا أن نلحّ على رسول الله أمراً يهوى خلافه . وبعضهم مصرٌّ على الشخوص . اذ خرج رسول الله قد لبس لامته ودرعين ظاهر بينهما (أي جعل ظهر أحدهما بوجه الآخر) وحزم وسطه بمنطقة من حمائل سيف من أدم واعتم وتقلد سيفه.

فقالوا : يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك.

فقال : قد دعوتكم الى هذا فأبيتم ولا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه . انظروا ما أمركم به فاتبعوه، امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم . ١ : ٢١٣، ٢١٤.

(١) معالم المدينة : ١٣٤ انظر طبقات ابن سعد ٢ : ٣٩ وتحقيق النصرة : ١٥٤ والدر الثمين : ١٧٤ ومجلة الميقات ٤ : ٢٦١

أبو البنين وأبو البنات

روى ابن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار، عن بعض بني سلمة قالوا: لما كان يوم أُحد، كان لعمرو بن الجموح أربعة بنين كليوث العرين، وكان أبوهم ابن الجموح أعرج شديد العرج، فقالوا له: إن الله عزوجل قد عذرك، وأرادوا حبسه.

فأتى رسول الله، فقال عمرو: يا رسول الله، إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج فيه معك، ووالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة!

فقال له رسول الله: أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك

وقال لبنيه: لا تمنعوه، لعل الله يرزقه الشهادة. فخرج[1] وكان صهر عمرو ابن حرام[2].

وكان لعبد الله بن عمرو بن حرام أبي جابر بن عبد الله سبع بنات سوى عبد الله. فقال لعبد الله: يا بني، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولستُ بالذي أُوثرك بالجهاد مع رسول الله على نفسي، فتخلّفْ على أخواتك. فتخلّف عبد الله، وخرج أبوه[3].

قال الطبرسي في «إعلام الورى»: وكانوا ألف رجل، فلما كانوا في بعض الطريق انخذل عنهم عبد الله بن أُبيّ بثلث الناس، وقالوا: والله ما ندري على ما نقتل أنفسنا ولقوم قومه؟ وهمّت بنو حارثة وبنو سلمة بالرجوع ثم

(١) ابن هشام ٣: ٩٦ ومغازي الواقدي ١: ٢٦٤.

(٢) مغازي الواقدي ١: ٢٦٥.

(٣) ابن هشام ٣: ١٠٧.

عصمهم الله عزّ وجلّ[1].

---

(1) إعلام الورى ١: ١٧٦ وقصص الأنبياء: ٣٤١ ومناقب آل أبي طالب ١: ١٩١. وقال ابن إسحاق: فخرج رسول الله في ألف من أصحابه، حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأُحد انخزل عنه عبد الله بن أُبيّ بن سلول بثلث الناس وقال: أطاعهم وعصاني، لا ندري علام نقتل أنفسنا أيها الناس! فرجع بمن اتّبعه من قومه من أهل النفاق والريب.

فاتّبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر يقول لهم: يا قوم أُذكّركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيّكم عندما حضر من عدوّهم! فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال. فقال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيّه ٣: ٦٨.

وقال الواقدي: سلك على البدائع ثم زقاق الحِسْني (ببطن الرمة) ثم توجّه إلى الشيخين حتى انتهى إلى رأس الثنية فالتفت فنظر إلى كتيبة خشناء خمعه لها صوت مرتفع فقال: ما هذه؟ قالوا: هؤلاء حلفاء ابن أُبيّ من اليهود! فقال: لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك. ومضى حتى أتى على أُطمي الشيخين فعسكر به. وانخزل ابن أُبيّ فنزل ناحية من العسكر.

فجعل من معه من المنافقين وحلفاؤه اليهود يقولون له: أشرت عليه بالرأي ونصحته فأبى أن يقبله وأطاع هؤلاء الغلمان الذين معه! فرأوا فيه غشّاً ونفاقاً.

وغابت الشمس فأذّن بلال المغرب، فصلّى رسول الله بأصحابه ثم أذّن بالعشاء فصلّى بأصحابه. وبات بالشيخين. ونام حتى أدلج، فلما كان السحر قال النبيّ: من رجل يدلّنا يخرج بنا على القوم من كثب؟ فسلك به في بني حارثة ثم مرّ بحائط المنافق مربع بن قيظي ومضى رسول الله حتى انتهوا إلى موضع بني عامر، فلما انتهى إلى موضع القنطرة اليوم من أُحد حانت الصلاة، فأمر بلالاً فأذّن وأقام فصلّى بأصحابه الصبح صفوفاً.

وانخزل ابن أُبيّ من ذلك المكان في كتيبته يقدمهم كأنه ذكر النعام.

فاتّبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر فقال: أُذكّركم الله ودينكم ونبيّكم وما شرطتم له أن تمنعوه مما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم ونساءكم.

←

وقال القمي: وقعد عبد الله بن أُبي وتبع رأيه قومه من الخزرج، وعدّ رسول الله أصحابه فكانوا سبعمئة رجل. وفي رواية أبي الجارود عن الباقر عليه السلام: هم ثلاثمئة منافق رجعوا مع عبد الله بن أُبيّ بن سلول، فقال لهم أبو جابر بن عبد الله: أُنشدكم الله في نبيكم ودينكم ودياركم! فقالوا: والله لا يكون اليوم قتال، ولو نعلم أنه يكون قتال لاتبعناكم[2].

قال القمي: فضرب رسول الله معسكره مما يلي طريق العراق[3].

اللواء والراية

قال الطبرسي: وأصبح رسول الله متهيئاً للقتال، وجعل على راية

فقال ابن أُبيّ: لئن أطعتني يا أبا جابر لترجعن، فإن أهل الرأي والحجى قد رجعوا، ونحن ناصرون في مدينتنا، وقد أشرت عليه بالرأي فأبى إلا طواعية الغلمان، وما أرى أن يكون بينهم قتال.

فلما أبى على عبد الله أن يرجع قال لهم أبو جابر: أبعدكم الله، إن الله سيغني النبيّ والمؤمنين عن نصركم. وانصرف عبد الله بن عمرو يعدو حتى لحق برسول الله وهو يسوّي الصفوف ١: ٢١٧ _ ٢١٩.

(1) تفسير القمي ١: ١١١.

(2) تفسير القمي ١: ١٢٢.

(3) تفسير القمي ١: ١١١. وقال ابن إسحاق: ونزل الشعب من أُحد في عُدوة الوادي إلى الجبل ٢: ٦٦. وقال الواقدي: يقال: استدبر النبيّ الشمس وجعل عينين خلف ظهره، فوجه المشركون الشمس، والأثبت عندنا أنه جعل أُحداً خلف ظهره واستقبل المدينة، فاستقبل المشركون أُحداً واستدبروا المدينة. وقال: من قبل إلى موضع القنطرة اليوم في أرض ابن عامر اليوم ١: ٢١٩، ٢٢٠.

المهاجرين علياً عليه السلام وعلى راية الأنصار سعد بن عبادة، وقعد رسول الله في راية الأنصار[1].

وقال القمي: عبّأ رسول الله أصحابه ودفع الراية إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه[2].

---

(1) إعلام الورى ١: ١٧٦ وقصص الأنبياء: ٣٤١ ومناقب آل أبي طالب ١: ١٩١ و ١٩٢ وقال ابن إسحاق: دفع اللواء إلى مصعب بن عمير من بني عبد الدار ٢: ٢٧٠ فلما قُتل أعطى رسول الله اللواء لعلي بن أبي طالب... وجلس رسول الله تحت راية الأنصار (ولم يعيّن بيد سعد) وأرسل رسول الله إلى علي أن: قدّم الراية، فتقدم علي وهو يقول: أنا أبو القُصَم ٣: ٧٨.

وقال الواقدي: ثم دعا رسول الله بثلاثة أرماح فعقد ثلاثة ألوية: للأوس والخزرج والمهاجرين، فدفع لواء الأوس إلى أُسيد بن حضير، ودفع لواء الخزرج إلى سعد بن عبادة أو الحُباب بن المنذر بن الجموح، ودفع لواء المهاجرين إلى مصعب بن عمير أو علي بن أبي طالب عليه السلام. ثم دعا النبيّ بفرسه فركبه، وأخذ بيده قناة زُجّ رمحها من شَبَه (من النحاس الأصفر)، وأخذ قوساً عربياً وفي المسلمين منه دارع ١: ٢١٥ و ٢٢٥.

وقد جمع مقاتل بن إسحاق اللواء والراية فذكر اللواء فصارت بيده عليه السلام بعد مقتل مصعب وأما الراية فكانت بيده من الأول. ولعل هذا هو وجه التردد عند الواقدي وهو حسنٌ. وبهذا قال الشيخ المفيد إذ قال في الإرشاد ١: ٧٨ وكانت راية رسول الله فيها بيد أمير المؤمنين كما كانت بيده يوم بدر، فصار إليه اللواء يومئذٍ دون غيره، فكان هو صاحب الراية واللواء جميعاً، وكان الفتح له كما كان له ببدر سواء. ثم استشهد لذلك بأخبار ثلاثة عن أبي البختري القرشي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود.

وعليه فلا يصح ما نقله ابن أبي الحديد عن ابن أبي مَعشر وابن عمر قولاً: لما قُتل مُصعب أخذ اللواء مَلك على صورته، فكان رسول الله يقول له في آخر النهار: تقدم يا مُصعب، فالتفت إليه المَلك فقال: لست بمصعب، فعرف النبيّ أنه مَلك أُيِّد به!

(2) تفسير القمي ١: ١١٢.

الرُّماة على الشعب:

ووضع ﷺ عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب، أشفق أن يأتي كمين المشركين من ذلك المكان، وقال رسول الله لعبد الله بن جُبير وأصحابه: إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان، وإن رأيتموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم [1].

وقال: اتقوا الله واصبروا، وإن رأيتمونا يخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم. وأقامهم عند رأس الشعب [2].

وقال: لا تبرحوا مكانكم هذا وإن قتلنا عن آخرنا، فإنما نؤتى من موضعكم هذا [3].

(١) تفسير القمي ١: ١١٢.

(٢) إعلام الورى ١: ١٧٦، ١٧٧ وقصص الأنبياء: ٣٤١.

(٣) الإرشاد ١: ٨٠ ومناقب آل أبي طالب ١: ١٩٢. وقال ابن إسحاق: وتعبّأ رسول الله للقتال... وأمّر على الرماة عبد الله بن جبير من بني عمرو بن عوف، وهو في ثياب بيض، والرماة خمسون، فقال له: انضح [ادفع] الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتينّ من قبلك ٣: ٧٠. وقال الواقدي: وجعل رسول الله يصفّ أصحابه... فجعل الرماة خمسين رجلاً على جبل عينين، وعليهم عبد الله بن جبير ١: ٢١٩ وأقبل المشركون قد صفّوا صفوفهم... على الميمنة خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل، وعلى الخيل صفوان بن أمية، وعلى الرماة عبد الله بن أبي ربيعة وكانوا مئة رام ١: ٢٢٠.

الألوية في قريش:

روى المفيد في «الارشاد» بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: كانت ألوية قريش في بني عبد الدار، مع طلحة بن أبي طلحة وكان يُدعى كبش الكتيبة فجاء أبو سفيان إلى أصحاب اللواء فقال: يا أصحاب الألوية، إنكم تعلمون أنما يؤتى القوم من قبل ألويتهم، وإنما أُتيتم يوم بدر من قبل ألويتكم، فإن كنتم ترون أنكم قد ضعفتم عنها فادفعوها إلينا نكفكموها.

فغضب طلحة بن أبي طلحة وقال: ألنا تقول هذا؟! والله لأوردنّكم بها اليوم حياض الموت[1].

وتقدم رسول الله إلى الرماة فقال لهم: «احموا لنا ظهورنا فإنا نخاف أن نؤتى من ورائنا، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه، وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا، وارشقوا خيلهم بالنبل، فإن الخيل لا تُقدم على النبل. اللهم إني أُشهدك عليهم! ١: ٢٢٤.

(١) الارشاد ١: ٨٠ وقال ابن إسحاق: وتعبّأت قريش، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ٣: ٧ وأعطت اللواء من بني عبد الدار فأقبل عليهم أبو سفيان وقال لهم: يا بني عبد الدار، إنكم قد وُليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواءنا، وإما أن تخلّوا بيننا وبينه فنكفيكموه!

فهمّوا به وقالوا: نحن نسلّم إليك لواءنا؟! ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع! ٣: ٧٢. وقال الواقدي: ودفعوا اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة... وصاح أبو سفيان: يا بني عبد الدار نحن نعرف أنكم أحق باللواء منا، وإنا أُتينا يوم بدر من اللواء، وإنما يؤتى القوم من قبل

خطبة الرسول :

قال الواقدي : وجعل رسول الله ـ صلى الله عليه [وآله] وسلم ـ يمشي على رجليه يسوّي تلك الصفوف ، و« يبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال » يقول : تقدّم يا فلان ، وتأخّر يا فلان ، حتى إنه ليرى منكب الرجل خارجاً فيؤخّره .

ثم قام رسول الله فخطب الناس فقال :

يا أيها الناس ، أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته والتناهي عن محارمه . ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه ثم وطّن نفسه على الصبر واليقين ، والجدّ والنشاط ، فإن جهاد العدوّ شديد كَرْبُه ، قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله رشده ، فإن الله مع من أطاعه وإن الشيطان مع من عصاه ، فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد ، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله ، وعليكم بالذي أمركم به ، فإني حريص على رَشَدكم ، فإن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف مما لا يحبّه الله ولا يعطي عليه النصر ولا الظفر .

يا أيها الناس قُذف في صدري : أنّ من كان على حرام فرّق الله بينه وبينه ، ومن رغب عنه غفر الله ذنبه . وإنه نفثَ في روعي الروح الأمين : أنه لن تموت

لوائهم ، فالزموا لواءكم وحافظوا عليه ، أو خلّوا بيننا وبينه فإنا قوم موتورون مستميتون نطلب ثأراً حديث العهد ، وإذا زالت الألوية فما قوام الناس وبقاؤهم بعدها ؟ .

فغضب بنو عبد الدار وقالوا : نحن نسلّم لواءنا ؟ ! لا كان هذا أبداً ! فأما المحافظة عليه فسترى ! وأغلظوا لأبي سفيان بعض الإغلاظ ، وأحدقوا باللواء وأسندوا إليه الرماح . فقال أبو سفيان : فنجعل لواءً آخر ؟ قالوا : نعم ، ولا يحمله إلا رجل من بني عبد الدار ، لا كان غير ذلك أبداً ـ ١ : ٢٢١ .

نفس حتى تستوفي أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله ربكم وأجملوا في طلب الرزق، ولا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية ربكم، فإنه لا يقدر على ما عنده إلا بطاعته، وقد بين لكم الحلال والحرام، غير أن بينهما شبهاً من الأمر لم يعلمها كثير من الناس إلا من عصم، فمن تركها حفظ عرضه ودينه، ومن وقع فيها كان كالراعي الى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه. وليس ملك إلا وله حمى، ألا وإن حمى الله محارمه.

والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد، إذا اشتكى تداعى له سائر الجسد، ومن أحسن من مسلم (أو كافر) وقع أجره على الله في عاجل دنياه أو آجل آخرته ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة الا صبياً أو امرأة أو مريضاً أو عبداً مملوكاً، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه، والله غني حميد.

ما أعلم من عمل يقربكم الى الله الا وقد أمرتكم به ولا أعلم من عمل يقربكم الى النار إلا وقد نهيتكم عنه. ومن صلى عليّ (مرة) صلى الله عليه وملائكته عشراً. والسلام عليكم.

مشوب الحرب:

ثم روى بسنده عن المطّلب بن عبد الله قال: إن أوّل من أنشب الحرب أبو عامر عبد عمرو (ابن صيفي الراهب الفاسق) اذ طلع في خمسين من قومه ومعه عبد قريش، فنادى: يا آل أوس، أنا أبو عامر! (وكان رسول الله سماه الفاسق)، فلما سمعه قومه، قالوا: لا مرحباً بك ولا أهلاً يا فاسق! (فلما سمع ردّهم عليه) قال: لقد أصاب قومي بعدي شرٌّ. ثم تراموا فيما بينهم وبين المسلمين بالحجارة، ثم

ولّوا مدبرين[1].

وكانوا قد حفروا حُفراً للمسلمين ليقعوا فيها، ومنها الحفيرة التي وقع فيها الرسول[2].

وتقدم نساء المشركين أمام صفوفهم قبل القتال يضربن بالدفوف والطبول الكبار، ثم رجعن فكنّ في أواخر الصفوف[3] خلف الرجال وبين أكتافهم يذكّرن من أُصيب ببدر ويحرّضن بذلك الرجال ويضربن بالدفوف ويقلن:

نحن بنات طارقْ   نمشي على النمارقْ

إن تُقبلوا نعانقْ   أو تُدبروا نفارقْ

فراق غير وامق[4]

وكان في المدينة في بني ظفر رجل غريب لا يُدرى ممن هو يقال له قزمان،

---

(1) مغازي الواقدي ١: ٢٢١ – ٢٢٣.

(2) مغازي الواقدي ١: ٢٥٢.

(3) مغازي الواقدي ١: ٢٢٥، وسيرة ابن هشام ٣: ٧٢.

(4) وفي الطبري ٢: ٢٠٨ في وقعة ذي قار: أن امرأة من عجل كانت تحرّضهم تقول:

إن تهزموا نعانقْ   ونفرش النمارقْ

أو تهربوا نُفارقْ   فراق غير وامقْ

وعن أنساب الأشراف ٢: ١٢٩ أن الرجز لهند بنت طارق بن بياضة الإيادي في حرب ذي قار، وبذلك قالت: نحن بنات طارق. ولا يُعرف وجه لنسبة هند بنت عتبة إلى طارق فلعلها تمثلت به بعد أن سمعته من هند بنت طارق.

وروى الحميري في قرب الإسناد: ١١ بسنده عن الصادق عن الباقر عليه السلام قال: أمر رسول الله يوم الفتح بقتل فرتنا وأم سارة، وكانتا قينتين تزنيان وتغنيان بهجاء النبيّ وتحضّضان يوم أُحد على رسول الله ﷺ، كما في بحار الأنوار ٢٠: ١١١، ١١٢.

وكان ذا بأس معروفاً بالشجاعة، ولم يخرج معهم الى أُحد، فعيّره نساء بني ظفر وقلن له: يا قُزمان قد خرج الرجال وبقيت؟! يا قُزمان ألا تستحيي مما صنعت؟! ما أنت الا امرأة، خرج قومك وبقيت في الدار. فدخل بيته وأخرج سيفه وقوسه وجعبته، وخرج يعدو الى أُحد حتى انتهى الى الصف الأول فكان فيه، فكان هو أول من رمى من المسلمين[1].

المتلحقون بأُحد

قُزمان وإن اختلف عن اولئك المنافقين المخاذلين عن النبيّ والمسلمين، حيث خاذل اولئك والتحق هذا، لكنه لم يختلف معهم في عاقبة النفاق، كما سيأتي على خبره.

وإن تخلّف عن رسول الله اولئك فقد التحق به عدد مذكورون، أولهم حنظلة بن أبي عامر الراهب الفاسق وصهر ابن أُبيّ بن سلول المنافق! وقد مرّ أن الرسول سمّى أباه بالفاسق وسيأتي أن النبيّ يصف الولد بغسيل الملائكة!

قال القمي في تفسيره: كان حنظلة بن أبي عامر رجلاً من [الأوس][2] وفي تلك الليلة التي كان في صبيحتها حرب أحد تزوّج بنت عبد الله بن أُبيّ بن سلول، واستأذن رسول الله أن يقيم عندها، فأنزل الله: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن

---

(١) سيرة ابن هشام ٣: ٩٣ ومغازي الواقدي ٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) في المطبوع: الخزرج، وهو وهم، فإنه كان من الأوس كما مرّ في أبيه، ولعل مصاهرته لابن أُبيّ الخزرجي كان من التقارب المقرّر بين الأوس والخزرج.

﴿... لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1] فأذن له رسول الله

فدخل حنظلة بأهله ووقع عليها فأصبح وهو جنب. فلما أراد حنظلة أن يخرج من عندها ليحضر القتال بعثت امرأته إلى أربعة نفر من الأنصار فأشهدت عليه: أنه قد واقعها

فقيل لها: لِمَ فعلتِ ذلك؟

قالت: رأيت في هذه الليلة في نومي كأن السماء قد انفرجت فوقع فيها حنظلة ثم انضمّت، فعلمتُ أنها الشهادة، فكرهت أن لا أُشهد عليه

وخرج وهو جنب فحضر القتال[2].

هذا شأن حنظلة بن أبي عامر وأبيه الراهب المتنصر الفاسق.

وهناك من الملحقين بالمسلمين يوم أحد يهودي من أحبارهم بالمدينة يُدعى مُخيريق من بني ثعلبة. قال ابن إسحاق: قال (لأصحابه): يا معشر يهود، والله لقد علمتم أن نصر محمد لحقّ عليكم! ثم أخذ عُدّته وسيفه فقال: إن أُصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء. ثم غدا (صباحاً) إلى النبيّ ـ صلى الله عليه [وآله] وسلم ـ فأسلم وكان معه حتى قتل. فقال رسول الله فيه: مخيريق خير يهود[3] فكانت صدقات النبيّ منها[4].

---

(1) النور: ٦٢ وقال القمي: وهذه الآية في سورة النور، وأخبار أُحد في سورة آل عمران، فهذا دليل على أن التأليف على خلاف ما أنزل الله.

(2) تفسير القمي ١: ١١٨ وكرر مختصر الخبر في تفسير الآية من سورة النور ٢: ١١٠ ونقل الخبر الواقدي في مغازي الواقدي ١: ٢٧٣ من دون الآية. ومن المظنون ـ وليس من سوء الظن ـ أن ابن أُبيّ أبى إلاّ أن يقف في تلك الليلة يعوق حنظلة عن القتال، فلم يفلح.

(3) ابن هشام ٣: ٩٤.

(4) مغازي الواقدي ١: ٢٦٣.

ومن الداخلين في الاسلام يومئذٍ والملتحقين بالمسلمين بأُحد: عمرو بن ثابت بن وَقْش من بني عبد الأشهل، وكان قومه قد أسلموا وهو يأبى ذلك، ثم بدا له في الاسلام إذ خرج رسول الله إلى أُحد فأسلم، ثم أخذ سيفه فعدا حتى التحق بهم ودخل في عرضهم[1].

ومثل هذا الموقف من عمرو بن ثابت هو ما أثر في أبيه ثابت بن وقش حيث كان مع صاحبه العدوي حسيل بن جابر أبي حذيفة بن اليمان وهما شيخان كبيران كانا في الآطام مع النساء والصبيان. فقال أحدهما لصاحبه: لا أبا لك ما ننتظر؟ فوالله ما بقي لواحد منّا من عمره إلّا ظِمْء حمار (ظِمْء حمار) إنما نحن هامة اليوم أو غد، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله؟!

ثم أخذا أسيافهما وخرجا حتى دخلا في الناس، ولم يُعلم بهما[2].

وكان عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر بن عبد الله قد رأى في النوم قبل أُحد بأيام المبشر بن عبد المنذر ـ وهو من شهداء بدر ـ يقول له: أنت قادم علينا في أيام. فقال عبد الله: فقلت له: وأين أنت؟ قال: في الجنة نسرح منها حيث نشاء. قلت له: ألم تقتل يوم بدر؟ قال: بلى. فذكر ذلك لرسول الله فقال: هذه الشهادة يا أبا جابر. وكان عبد الله رجلاً أحمر أصلع غير طويل[3].

وكان له سبع بنات فقال لابنه جابر: إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذي أُوثرك بالجهاد مع رسول الله على نفسي

---

(١) ابن هشام ٣: ٩٥ والواقدي ١: ٢٦٢ وتفسير القمي ١: ١١٧ مع تغيير يسير.

(٢) ابن هشام ٣: ٩٢ وذكره الواقدي في المغازي ١: ٢٢٣: رفاعة بن وقش، وهو عمه.

(٣) مغازي الواقدي ١: ٢٦٦، ٢٦٧.

فتخلّفتُ على أخواتك فخلّف جابر عليهن وحضر أبوه القتال، فكان أول من قتل قبل طريقة فصلّى عليه رسول الله[2].

أداء حقّ السيف.

قال ابن اسحاق: ومدّ رسول الله سيفاً وقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام اليه رجال ـ منهم الزبير بن العوام ـ[3] فأمسكه عنهم حتى قام اليه أبو دجانة سماك بن خرشة من بني ساعدة، فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني! قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه! فأعطاه إياه فلما أخذ السيف من يد رسول الله أخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، ثم أخذ يمشي متبختراً[4].

وروى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: إن أبا دجانة الأنصاري اعتم يوم أحد بعمامة، وأرخى عذبة العمامة بين كتفيه، وجعل يتبختر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ هذه لمشية يبغضها الله عزوجل إلا عند القتال في سبيل الله[5].

---

(1) ابن هشام ٣: ١٠٧.

(2) مغازي الواقدي ١: ٢٦٦.

(3) ابن هشام ٣: ٧٢ ـ ٧٣ وقال الواقدي: قالوا: وما حقه؟ قال: يضرب به العدو، فقال عمر: أنا، فأعرض عنه رسول الله، ثم عرضه بذلك الشرط فقام الزبير فقال: أنا، فأعرض عنه حتى وجد عمر والزبير في أنفسهما، ثم عرضه الثالثة فقال أبو دجانة: أنا يا رسول الله آخذه بحقه! فدفعه إليه ١: ٢٥٩. ولعل ابن اسحاق او ابن هشام اختصر الخبر على ما قاله في مقدمته أنه يحذف ما يشنع او يسوء بعض الناس ذكره ١: ٤.

(4) ابن هشام ٣: ٧ ومغازي الواقدي ١: ٢٥٩.

(5) فروع الكافي ١: ٣٢٩ كما في بحار الأنوار ٢٠: ١١٦.

قال ابن إسحاق: وكان يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي	ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهرَ بالكبول	أضرب بسيف الله والرسول

تقدّم البراز بأحد

قال القمي في تفسيره: كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدوي (أي) من بني عبد الدار، فبرز ونادى:

يا محمّد تزعمون أنكم تُجهزونا بأسيافكم إلى النار، ونُجهزكم بأسيافنا إلى الجنّة، فمن شاء أن يلحق بجنّته فليبرُز إليّ!

فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام يقول[2]:

يا طَلْحُ إن كنت كما تقول	لنا خيول ولكم نصولُ
فاثبت لننظر أيّنا المقتول	وأيّنا أولى بما تقول
فقد أتاك الأسد الصؤول	بصارم ليس به فلولُ

ينصره القاهر والرسول

فقال طلحة: من أنت يا غلام؟ قال: أنا علي بن أبي طالب

قال طلحة: قد علمتُ يا قضم[3] أنّه لا يجسر عليّ أحد غيرُك!

---

(١) ابن هشام ٣: ٧٣

(٢) ثم حدّث القمي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام قال: سُئل الصادق عليه السلام عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة لمّا بارزه علي عليه السلام: يا قضيم؟ فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان لا يجسر عليه أحد بمكّة لموضع أبي طالب، فأغروا به الصبيان، فكانوا إذا خرج رسول الله يرمونه بالحجارة والتراب، فشكى ذلك إلى علي عليه السلام فقال: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله
←

فشدّ عليه طلحة، فاتقاه أمير المؤمنين بالحجفة (الترس)، ثم ضربه أمير المؤمنين عليه السلام على فخذيه فقطعهما جميعاً، فسقط على ظهره وسقطت الراية، فذهب علي عليه السلام ليجهز عليه فحلّفه بالرحم فانصرف عنه، فقال المسلمون: ألا أجهزت عليه؟ قال: قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً.

وأخذ الراية ابو سعيد بن أبي طلحة، فقتله علي عليه السلام وسقطت الراية الى الارض.

فأخذها مسافع بن طلحة، فقتله علي عليه السلام فسقطت الراية الى الأرض

→

اذا خرجت فأخرجني معك. فخرج رسول الله ومعه علي عليه السلام فتعرض الصبيان لرسول الله كعادتهم، فحمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام وكان يقضمهم في وجوههم وآنافهم وآذانهم، فكانوا يرجعون باكين الى آبائهم ويقولون: قضمنا علي. قضمنا علي. فلذلك سمّي القضيم ١ : ١١٤.

وروى ابن هشام ٣ : ٧٨ : أن ابا سعيد بن أبي طلحة لما خرج بين الصفّين فنادى: أنا قاصمٌ من يبارزني، فمن يبارز براز؟ فلم يخرج اليه أحد! فقال: يا أصحاب محمد! زعمتم أن قتلاكم في الجنة وأن قتلانا في النار! كذبتم واللات، لو تعلمون ذلك حقاً لخرج الي بعضكم!

فخرج اليه علي بن أبي طالب ـ فتقدم وقال: أنا أبو القصم.

فقال: ابو سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين، فقال: هل لك ـ يا أبا القصم ـ من حاجة في البراز؟ قال: نعم. فبرزا بين الصفّين فاختلفا بضربتين فضربه علي فصرعه ثم لم يقتله، وقيل: انه انصرف عنه ولم يجهز عليه، فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟! فقال: انه استقبلني بعورته! وقيل: إن سعد بن أبي وقاص طعنه فقتله ٣ : ٧٨.

والقصم: الكسر البين، ويبدو ان ابا القصم تصحيف عن القضم بمعنى القاضم أي الذي كان يقضم الآذان والأنوف، وإن رغمت انوف!

فأخذها عثمان بن أبي طلحة، فقتله علي عليه السلام فسقطت الراية الى الأرض

فأخذها الحارث بن أبي طلحة، فقتله علي عليه السلام فسقطت الراية الى الأرض

فأخذها أبو عزيز بن عثمان، فقتله علي عليه السلام فسقطت الراية الى الأرض

فأخذها عبد الله بن جُميل فقتله علي عليه السلام فسقطت الراية الى الأرض

وقتل أمير المؤمنين التاسع من بني عبد الدار أرطاة بن شرحبيل فسقطت الراية الى الأرض

فأخذها مولاهم صواب، فضربه أمير المؤمنين على يمينه فقطعها فأخذها بشماله فضربه أمير المؤمنين على شماله فقطعها، فاحتضنها بيديه المقطوعتين ثم قال: يا بني عبد الدار، هل أُعذرت فيما بيني وبينكم؟ فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله، وسقطت الراية

فأخذتها عمرة بنت علقمة (عمرة بنت الحارث بن علقمة الكنانية) فقبضتها[1]

---

(١) تفسير القمي ١: ١١٢، ١١٣. وروى المفيد في الارشاد ١: ٨٥، ٨٦ بالاسناد عن ابن عباس: أن طلحة بن أبي طلحة خرج يومئذ فوقف بين الصفين فنادى: يا أصحاب محمد، إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة، فأيكم يبرز الي؟

فبرز اليه أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: والله لا أفارقك اليوم حتى أعجلك بسيفي الى النار، فاختلفا بضربتين فضربه علي بن أبي طالب عليه السلام على رجليه فقطعهما فسقط فانكشفت عورته، فانصرف عنه الى موقفه فقال له المسلمون: ألا أجهزت عليه؟ فقال: ناشدني الله والرحم، ووالله لا عاش بعدها أبداً. ومات طلحة في مكانه، وبُشّر به النبيّ فسرّ

وقال: هذا كبش الكتيبة.

وروى عنه (١: ٨) بالإسناد إلى عبد الله بن مسعود قال: تقدم طلحة بن أبي طلحة وتقدم علي بن أبي طالب، فقال علي له: من أنت؟ قال: أنا طلحة بن أبي طلحة أنا كبش الكتيبة! فمن أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب. ثم تقاربا فاختلفت بينهما ضربتان فضربه علي بن أبي طالب ضربة على مقدم رأسه فبدرت عينه وصاح صيحة لم يُسمع مثلها قط، وسقط اللواء من يده.

فأخذه أخ له يقال له مصعب، فرماه عاصم بن ثابت الأنصاري بسهم فقتله ثم أخذ اللواء أخ له يقال له عثمان، فرماه عاصم أيضاً بسهم فقتله. فأخذه عبد لهم يقال له صؤاب، وكان من أشد الناس، فضرب علي عليه السلام يده اليمنى فقطعها فأخذ اللواء بيده اليسرى فضربه علي عليه السلام على يده اليسرى فقطعها، فأخذ اللواء على صدره وجمع يديه ـ وهما مقطوعتان ـ فضربه علي عليه السلام على أمّ رأسه فسقط صريعاً فانهزم القوم.

وقال ابن إسحاق: وقتل علي بن أبي طالب (٣: ٧٧) وعاصم بن ثابت (٣: ٧٩) ثم لم يذكر لعلي عليه السلام شيئاً! اللهم إلا ما سيذكره ابن هشام كما مر. وقال عن عاصم بن ثابت أنه قتل مسافع بن طلحة وأخاه الجلاس بن طلحة بسهم، وعثمان بن أبي طلحة قتله حمزة بن عبد المطلب (٣: ٧٩) ثم قال: وكان اللواء مع صؤاب غلام حبشيّ لهم وهو آخر من أخذه منهم فقاتل به حتى قُطعت يداه فأخذ اللواء بصدره حتى قُتل عليه. ولم يعين هنا من قتله. وقال: ولم يزل لواؤهم صريعاً (كذا) حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا به (٣: ٨٣) وفي ذكر قتلى المشركين ذكر طلحة بن أبي طلحة قتله علي عليه السلام، ومسافع والجلاس وعثمان كما مر، وأرطاة بن شرحبيل قتله حمزة، وعبد الله بن حميد بن زهير قتله علي عليه السلام، وأبو سعد بن أبي طلحة قتله سعد بن أبي وقاص، وصؤاب قتله قزمان، وقال ابن هشام: ويقال قتله علي بن أبي طالب (٢: ١٢٤). هذا على النسخة المطبوعة من سيرة ابن

معصية الرّماة.

حمل الأنصار على مشركي قريش فانهزموا هزيمة قبيحة، ووقع أصحاب رسول الله في سوادهم. واعترض خالد بن الوليد في مئتي فارس فلقي عبد الله بن جُبير (وأصحابه) فاستقبلوهم بالسهام (فردّوا).

ونظر أصحاب عبد الله بن جُبير الى أصحاب رسول الله ينتهبون سواد القوم، فقالوا لعبد الله بن جُبير: تقيمنا ههنا وقد غنم أصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة؟!

هشام. وبينا للشيخ المفيد في «الارشاد» بعض سند الكتاب: ابن هشام عن البكّائي عن ابن اسحاق، رواية تختلف عن هذه، فهي: بعد قتل طلحة بن أبي طلحة: وقتل ابنه أبا سعيد بن طلحة، وقتل أخاه خالد (كلدة) بن أبي طلحة، وقتل عبد الله بن حميد بن زهرة، وقتل أبا الحكم بن الأخنس بن شريق، وقتل الوليد بن أبي حذيفة بن المغيرة، وقتل أخاه أمية بن أبي حذيفة، وقتل أرطاة بن شرحبيل، وقتل هشام بن أمية، وعمرو بن عبد الله الجُمحي، وبشر بن مالك وقتل صوأب مولى بني عبد الدار. وكان الفتح له ورجوع الناس من هزيمتهم الى النبيّ بمقامه يذبّ عنه دونهم، وتوجه العتاب من الله الى كافتهم لهزيمتهم يومئذ سواه ومن ثبت معه من رجال الأنصار، وكانوا ثمانية، وقيل: أربعة أو خمسة. الارشاد ١: ٩١. والله أعلم بحقيقة الحال وما أجرم! أما الواقدي فقال: طلحة بن أبي طلحة قتله علي عليه السلام، وعثمان بن أبي طلحة قتله حمزة، وأبو سعد بن أبي طلحة قتله سعد بن أبي وقاص، ومسافع ابن طلحة قتله عاصم، وكلاب بن طلحة قتله الزبير بن العوام، والجلاس بن طلحة قتله طلحة بن عبيد الله، وأرطاة بن شرحبيل قتله علي عليه السلام، وصوأب قتله علي عليه السلام أو سعد أو قزمان. مغازي الواقدي ١: ٢٢٦ ـ ٢٢٨.

فقال لهم عبد الله: اتّقوا الله، فإن رسول الله قد تقدم إليّ أن لا نبرح!
فلم يقبلوا منه، وأقبل ينسلّ رجل فرجل حتى أخلوا مراكزهم، وبقي عبد الله
ابن جبير في اثني عشر رجلاً[1].

---

(1) تفسير القمي ١: ١١٢. وقال الواقدي: كان ضرار بن الخطّاب الفهري يحدث عن وقعة أُحد يقول: لما التقينا ما أقمنا لهم شيئاً حتى هزمونا فانكشفنا مولّين، فقلت في نفسي: هذه أشد من وقعة بدر، وجعلت أقول لخالد بن الوليد: كُرّ على القوم! فجعل يقول: وترى وجهاً نكرّ فيه؟! حتى نظرت إلى الجبل الذي عليه الرماة خالياً، فقلت: أبا سليمان، انظر وراءك! فعطف عنان فرسه، فكرّ وكررنا معه، فانتهينا إلى الجبل فلم نجد عليه أحداً له بال، وجدنا نفراً فأصبناهم، ثم دخلنا العسكر والقوم غارّون ينتهبون العسكر فأقحمنا الخيل عليهم فتطايروا في كل وجه ووضعنا السيوف فيهم حيث شئنا ١: ٢٨٣.

وقال الواقدي: وقد روى كثير من الصحابة ممن شهد أُحداً، قال كل واحد منهم: والله إني لأنظر إلى هند وصواحبها منهزمات ما دون أخذهن شيء لمن أراد ذلك! ولكن كان خالد يأتي من قبل ميسرة النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلم ليتجوّز حتى يأتي من قبل السفح كان يردّه الرماة، وفعل ذلك مراراً وفعلوا.

وانهزم المشركون وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاؤوا حتى أجهضوهم عن معسكرهم وأخذوا ينتهبونه. فقال بعض الرماة لبعض: لم تقيمون هاهنا في غير شيء؟! قد هزم الله عدوّه، وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم، فادخلوا عسكر المشركين فاغنموا مع إخوانكم! فقال لهم بعضهم: ألم تعلموا أن رسول الله قال لكم: احموا ظهورنا ولا تبرحوا من مكانكم، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا؟! فقال الآخرون: لم يُرد رسول الله هذا، وقد أذلّ الله المشركين وهزمهم، فادخلوا العسكر فانتهبوا مع إخوانكم.

فلما اختلفوا خطبهم أميرهم عبد الله بن جبير وأمرهم بطاعة الله وطاعة رسوله وأن لا يخالفوا أمر رسول الله، فعصوه وانطلقوا حتى لم يبق منهم مع أميرهم عبد الله بن جبير إلّا

←

وعطف خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير وقد فرّ أصحابه وبقي في نفر قليل، فقتلوهم على باب الشِّعب، ثم أتوا المسلمين فوضعوا فيهم السيف

←

نفر ما يبلغون العشرة

ثم روى عن سمعان مولى صفوان بن أمية قال: دنا القوم بعضهم من بعض واقتتلوا ساعة، ثم إذا أصحابنا منهزمون، ودخل أصحاب محمد عسكرنا، فأحدقوا بنا وأسروا ونهبوا العسكر ... ووضعت الثغور التي كان بها الرماة وخرجوا إلى النهب، فأنا أنظر إليهم متأبطين قسيّهم وجعابهم كل رجل منهم في يديه أو في حضنه شيء قد أخذه ١: ٢٣١

ثم روى عن رافع بن خديج قال: لما انصرفت الرماة إلا من بقي، نظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله، فكرّ بالخيل، وتبعه عكرمة في الخيل، فانطلقا إلى بقية الرماة فحملوا عليهم، فراموا القوم حتى أصيبوا، ورامى عبد الله بن جبير حتى فنيت نبله، ثم طاعن بالرمح حتى انكسر، ثم كسر جفن سيفه فقاتلهم حتى قتل (قصة عكرمة ١: ٣٠١، ٣٠٢)

وكان أبو بردة بن نيار وجُعال بن سراقة آخر من انصرف من الجبل بعد مقتل عبد الله ابن جبير ١: ٢٣٢

قال سمعان: فدخلت خيلنا على قوم غارّين آمنين، فوضعوا فيهم السيوف فقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً، وتفرق المسلمون في كل وجه وتركوا ما انتهبوا وخلّوا عسكرنا، وخلّوا أسراءنا، ورجعنا متاعنا وما فقدنا منه شيئاً، حتى الذهب وجدناه في المعركة ١: ٢٢١

١٠ تفسير القمي ١: ١١٣ وروى المفيد في الإرشاد ١: ٨١ بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: انهزم القوم وأكبّ المسلمون على الغنائم، ولما رأى أصحاب الشعب الناس يغنمون قالوا: يذهب هؤلاء بالغنائم ونبقى نحن؟! فقالوا لعبد الله بن عمرو بن حزم الذي كان رئيساً عليهم: نريد أن نغنم كما غنم الناس، فقال: إن رسول الله أمرني أن لا أبرح من موضعي هذا، فقالوا له: إنه أمرك بهذا وهو لا يدري أن الأمر يبلغ إلى ما ترى! ومالوا إلى الغنائم وتركوه ولم يبرح هو من موضعه، فحمل عليه خالد بن الوليد فقتله، ثم جاء من ظهر رسول الله يريده

←

ونظرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رُفعت، فلاذوا بها.

هزيمة المسلمين:

وانهزم أصحاب رسول الله هزيمةً قبيحة، وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كلّ وجه.

فلما رأى رسول الله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال: إنّي أنا رسول الله، فإلى أين تفرّون عن الله وعن رسوله؟(١)

وقال الطبرسي في إعلام الورى ١: ١٧٧: وكانت الهزيمة على المشركين وحسّتهم المسلمون بالسيوف حسّاً، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟! فقال عبد الله: أنسيتم قول رسول الله؟! أمّا أنا فلا أبرح موقفي الذي عهد إليّ فيه رسول الله ما عهد. فتركوا أمره وعصوه بعد ما أراهم ما يحبّون من بعد ثم وانصبّوا غنائم.

فخرج كمين المشركين عليهم خالد بن الوليد فانتهى إلى عبد الله بن جبير فقتله، ثم أتى الناس من أدبارهم، ووضع السلاح فيهم فانهزموا ٨١. وقال الواقدي ١: ٢٠٣ قتله عكرمة.

وروى ابن إسحاق عن يحيى بن عبّاد عن أبيه عبّاد بن عبد الله، عن أبيه عبد الله بن الزبير، عن أبيه الزبير بن العوّام قال: والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمّرات هوارب ما دون أخذهنّ قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة إلى العسكر (للغنيمة) وخلّوا ظهورنا للخيل فأُتينا من خلفنا. ابن هشام ٣: ٨٢ ولا يذكر من أتاهم من خلفهم؟! بل لا يذكر خالد بن الوليد في أُحد إلا أنّه كان على ميمنة خيل قريش ٣: ٧٠. اللهم إلا أن يكون من حذف ابن هشام لقوله في مقدمته إنّه حذف ما يشنع ويسوء بعض الناس ذكره ١: ٤.

(١) تفسير القمي ١: ١١٤.

موقف علي عليه السلام وسائر الصحابة :

قال القمّي : وحمل عليّ عليه السلام كفاً من الحصى فرمى به في وجوههم ثمّ قال : شاهت الوجوه وقُطّت وبُطّت (أي قُطعت وشُقّت وضربت) إلى أين تفرّون ؟! إلى النار ؟! فلم يرجعوا ، فكرّ عليهم ثانية وبيده صحيفة يقطر منها الموت فقال لهم : بايعتم ثمّ نكثتم ؟! فوالله لأنتم أولى بالقتل ممّن قُتل . وكأنّ عينيه فنجانان مملوءان دماءً أو زيتان تتوقدان ناراً !

ولم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أمير المؤمنين وأبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري ، وكلّما حملت طائفة على رسول الله استقبلهم أمير المؤمنين فيدفعهم عن رسول الله ويقتل فيهم حتى انقطع سيفه ؟

فلمّا انقطع سيف أمير المؤمنين عليه السلام جاء إلى رسول الله ، فقال : يا رسول الله إنّ الرجل يقاتل بالسلاح ، وقد انقطع سيفي ! فدفع إليه رسول الله سيفه « ذا الفقار » وقال : قاتل بهذا

فلم يكن يحمل على رسول الله أحد إلّا يستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فإذا رأوه رجعوا .

وانحاز رسول الله إلى ناحية أُحد فوقف ، وكان القتال من وجه واحد وقد انهزم أصحابه فلم يزل أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم حتى أصابه في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة .

وسمعوا منادياً ينادي من السماء : « لا سيف إلّا ذو الفقار ، ولا فتى إلّا علي » .

---

(١) تفسير القمّي ١ : ١١٥

ونزل جبرئيل على رسول الله وقال: هذه والله المواساة يا محمد.

فقال رسول الله: لأني منه وهو مني!

فقال جبرئيل: وأنا منكما[1].

قال: ولم يبق مع رسول الله إلا أبو دجانة سماك بن خرشة وأمير المؤمنين عليه‌السلام.

موقف نُسيبة الخزرجية

وبقيت معه نُسيبة بنت كعب المازنية، وكانت تخرج مع رسول الله في غزواته تداوي الجرحى، وكان ابنها معها، فأراد أن ينهزم ويتراجع فحملت عليه وقالت: يا بني إلى أين تفرّ عن الله وعن رسوله؟! فردّته!

فحمل عليه رجل فقتله فأخذت سيف ابنها وحملت على الرجل فضربته على فخذه فقتلته!

فقال رسول الله: بارك الله عليكِ يا نُسيبة. وكانت تقي رسول الله بصدرها ويديها حتى أصابتها جراحات كثيرة.

---

(1) تفسير القمي ١: ١١٦، ومثله روضة الكافي عن الصادق عليه‌السلام: ٣٢٠ وفي بحار الأنوار ٢٠: ١٠٧ و١٠٨، وفي علل الشرائع عن كتاب أبان بن عثمان الأحمر البجلي عن الصادق عليه‌السلام أيضاً، وفي بحار الأنوار ٢٠: ٧٠ و٧١، وفي الخصال ٢: ٥٥٦ عن علي عليه‌السلام، وفي عيون أخبار الرضا ١: ٨٥ عن الكاظم عليه‌السلام، وفي تفسير فرات الكوفي عن حذيفة بن اليمان: ٢٤ ـ ٢٦، وفي بحار الأنوار ٢٠: ١٠٣ ـ ١٠٥، وعن ابن عباس: ٢٢، وفي بحار الأنوار ٢٠: ١١٣، وشرح الأخبار للقاضي النعمان ٣: ٢٨٦ برقم ٢٨٠ عن أبي رافع، وشرح النهج للمعتزلي ١٤: ٢٥٠ عن أمالي محمد بن حبيب، وقال: رواه جماعة من المحدّثين ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي ابن إسحاق ورأيت بعضها خالياً عنه.

ونظر رسول الله إلى رجلٍ من المهاجرين وقد ألقى تُرسه خلف ظهره وهو منهزم، فناداه: يا صاحب الترس ألقِ تُرسك ومُرّ إلى النار! فرمى بتُرسه، فقال رسول الله: يا نُسيبة خذي الترس. فأخذت الترس وكانت تقاتل المشركين، فقال رسول الله: لَمقامُ نُسيبة أفضل من مقام فلان وفلان!

وحمل ابن قميئة على رسول الله فقال: أروني محمداً، لا نجوتُ إن نجا محمّد! فضربه على حبل عاتقه ونادى: قتلت محمّداً واللات والعزّى!

وروي أنّ المغيرة بن العاص كان رجلاً أعسر، فحمل في طريقه إلى أُحد ثلاثة أحجار وقال: بهذه الأحجار أقتل محمّداً! فلمّا حضر القتال نظر إلى رسول الله وبيده السيف، فرماه بحجر فأصاب به يد رسول الله فسقط السيف من يده، ثمّ رماه بحجرٍ آخر فأصاب جبهته فقال: قتلته واللات والعزّى! فقال رسول الله: اللّهم حيّره[1].

مقام علي عليه السلام

وروى الكليني في «روضة الكافي» بسنده عن أبان بن عثمان بن الأحمر البجلي الكوفي، عن نعمان الرازي، عن الصادق عليه السلام قال: انهزم الناس عن رسول الله فغضب غضباً شديداً، ونظر فإذا عليّ إلى جنبه فقال له: ما لك لم تلحق (بهم)؟ فقال عليّ عليه السلام: يا رسول الله، أكفراً بعد إسلام؟! إنّ لي بك أُسوة. فقال: أما إذاً لا (أي لا تنصرف)، فاكفني هؤلاء. فحمل علي عليه السلام فضرب أوّل من لقي منهم.

(١) تفسير القمّي ١: ١١٥ ـ ١١٩، وتمامه: فلمّا انكشف الناس تحيّر فلحقه عمّار بن ياسر فقتله. وسلّط الله على ابن قميئة الشجر فكان يمرّ بالشجر فتأخذ من لحمه! وظلّ كذلك حتى مات.

فقال جبرئيل: إنّ هذه لهي المواساة يا محمّد.

قال: إنّه منّي وأنا منه. قال جبرئيل: وأنا منكما[1]. ورواه الطبرسي في «إعلام الورى»[2].

وروى المفيد في «الإرشاد» بالإسناد إلى زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود[3] قال: جاء خالد بن الوليد من خلف رسول الله برجاله، حتى نظر إليه وهو في قلّة من أصحابه، فقال لمن معه: دونكم هذا الذي تطلبون فشأنكم به! فحملوا عليه حملة رجلٍ واحد ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح ورمياً بالنبال ورضخاً بالحجارة.

وثبت أمير المؤمنين عليه السلام وأبو دجانة وسهل بن حنيف يدفعون عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وكثر عليهم المشركون وأُغمي على النبيّ من نكبته، وفتح عينيه ونظر إلى عليّ عليه السلام فقال له: ما فعل الناس؟ فقال: نقضوا العهد وولّوا الدبر (وقصده عدّة منهم لقتاله) فقال: اكفني هؤلاء الذين قد قصدوا قصدي، فحمل عليهم أمير المؤمنين فكشفهم. ثم عاد إليه وقد حملوا عليه من ناحيةٍ أُخرى فكرّ عليهم فكشفهم، وأبو دجانة وسهل بن حنيف قائمان على رأسه بيد كلّ واحدٍ منهما سيفه يذبّ عنه[4].

قال زيد بن وهب: فقلت لابن مسعود: انهزم الناس عن رسول الله حتى لم يبق معه إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأبو دجانة وسهل بن حنيف؟! فقال

(١) روضة الكافي: ١١٠، وفي بحار الأنوار ٢٠: ٧ ، ومرّ بعض مصادره الأُخرى، ومنها عن أبان عن الصادق عليه السلام في علل الشرائع ١: ٧ وعنه في بحار الأنوار ٢: ٧٠.

(٢) إعلام الورى ١: ١٧٧، ١٧٨.

(٣) الإرشاد ١: ٨٠ ـ ٨٤.

(٤) الإرشاد ١: ٨٢.

ولحقهم طلحة بن عبيد الله.

فقلت: وأين كان أبو بكر وعمر؟ قال: كانا ممّن تنحّى![1]

قلت: وأين كان عثمان؟ قال: جاء بعد ثلاثة أيام من الوقعة! فقال له رسول الله: لقد ذهبت فيها عريضة!

فقلت له: وأنت أين كنت؟ قال: كنت ممّن تنحّى.

فقلت: من حدّثك بهذا الحديث؟ قال: عاصم وسهل بن حنيف.

فقلت له: إنّ ثبوت عليّ في ذلك المقام لعجب!

فقال: وإن تعجب من ذلك فقد تعجّبت منه الملائكة. أما علمت أنّ جبرئيل عليه‌السلام قال في ذلك اليوم وهو يعرج إلى السماء: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ!

قلت: فمن أين عُلم أنّ ذلك من جبرئيل عليه‌السلام؟ قال: سمع الناس صائحاً يصيح في السماء بذلك، فسألوا النبيّ عنه فقال: ذاك جبرئيل[2].

ثمّ روى عن عكرمة مولى ابن عباس قال: سمعت عليّاً يقول: لمّا انهزم الناس عن رسول الله يوم اُحد لحقني من الجزع عليه ما لم يلحقني قطّ ولم أملك نفسي. وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه، فرجعت أطلبه فلم أره! فقلت (في نفسي): ما كان رسول الله ليفرّ، وما رأيته في القتلى، وأظنّه رُفع من بيننا إلى السماء! فكسرت جفن سيفي وقلت في نفسي: لأُقاتلنّ به عنه حتى اُقتل! وحملت على القوم فأفرجوا عنّي فإذا أنا برسول الله قد وقع على الأرض مغشيّاً عليه، فوقفت عليه فإذا به حيّ مغشيّ عليه، فقمت على رأسه، فنظر إليّ فقال: ما صنع الناس يا علي؟ فقلت: كفروا يا رسول الله وولّوا الدّبر من العدوّ وأسلموك! ونظر النبيّ إلى

---

(١) وكذا في بحار الأنوار أيضاً ٢٠: ٧٠ و ٧١.

(٢) الارشاد ١: ٨٢ ـ ٨٥.

كتيبة قد أقبلت إليه فقال لي: ردّ عنّي هذه الكتيبة يا عليّ. فحملت عليها أضربها بسيفي يميناً وشمالاً حتّى ولّوا الأدبار. فقال لي: يا علي، أما تسمع مديحك في السماء؟ إنّ ملكاً يقال له رضوان ينادي: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ! فبكيت سروراً وحمدت الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ على نعمته[1].

ثمّ روى بسنده عن الصادق عليه السلام قال: لمّا انهزم الناس عن النبيّ صلى الله عليه وآله في يوم أُحُد وثبت أمير المؤمنين عليه السلام قال له النبيّ: مالَكَ لا تذهب مع القوم؟ قال أمير المؤمنين عليه السلام: أذهب وأدعك يا رسول الله؟! والله لا برحت حتى أُقتل أو ينجز الله لك ما وعدك من النصر!

فقال له النبيّ: أبشر يا عليّ، فإنّ الله منجز وعده، ولن ينالوا منّا مثلها أبداً.

ثمّ نظر إلىٰ كتيبة قد أقبلت إليه، فقال له: إحمل على هذه يا عليّ. فحمل أمير المؤمنين عليه السلام عليها فقتل منها هشام بن أُميّة المخزومي وانهزم القوم.

ثمّ أقبلت كتيبةٌ أُخرى فقال له النبيّ: احمل علىٰ هذه. فحمل عليها فقتل منها عمرو بن عبد الله الجُمحي وانهزمت أيضاً.

ثمّ أقبلت كتيبة أُخرىٰ فقال له النبيّ: احمل علىٰ هذه، فحمل عليها فقتل منها بشر بن مالك العامري وانهزمت الكتيبة[2].

وأقبل أُميّة بن أبي حذيفة (المخزومي) وهو يقول: يوم بيوم بدر، فعرض له رجل من المسلمين فقتله أُميّة. فصمد له علي بن أبي طالب فضربه بالسيف علىٰ هامته فنشب في بيضة مغفره، وضرب أُميّة بسيفه فاتّقاها أمير المؤمنين عليه السلام بدرقته فنشب فيها، ونزع عليّ عليه السلام سيفه من مغفر أُميّة، وخلص أُميّة سيفه من

---

(١) الإرشاد ١: ٨٦، ٨٧.

(٢) الإرشاد ١: ٨٩.

درقة عليّ أيضاً ثمّ تناوشا، فنظر عليّ إلى فتق تحت إبط اُميّة فضربه بالسيف فقتله وانصرف عنه[1].

ولم يعد بعدها أحد منهم، وتراجع المنهزمون من المسلمين إلى النبيّ ﷺ[2].

وروى عن عمران بن حُصين قال: لمّا تفرّق الناس عن رسول الله في يوم اُحُد، جاء عليّ عليه‌السلام متقلّداً سيفه حتى قام بين يديه، فرفع رسول الله رأسه إليه فقال له: ما بالك لم تفرّ مع الناس؟! فقال: يا رسول الله، أرجع كافراً بعد إسلامي؟! فأشار له إلى قوم انحدروا من الجبل فحمل عليهم فهزمهم، ثمّ أشار إلى قوم آخر فحمل عليهم فهزمهم، ثمّ أشار إلى قوم آخر فحمل عليهم فهزمهم.

فجاء جبرئيل عليه‌السلام فقال: يا رسول الله، لقد عجبت الملائكة من حسن مواساة عليّ لك بنفسه! فقال رسول الله: وما يمنعه من هذا وهو منّي وأنا منه! فقال جبرئيل: يا رسول الله وأنا منكما[3].

وروى الطبرسي في «اعلام الورى» خبر أبان بن عثمان عن الصادق عليه‌السلام ثمّ قال: وثاب إلى رسول الله جماعة من أصحابه.

وأقبل اُبيّ بن خلف (الجُمحي)، وهو دارع على فرس له وهو يقول: هذا ابن أبي كبشة! لا نجوتُ إن نجوت! ورسول الله بين سهل بن حنيف والحارث بن الصمّة يعتمد عليهما، فحمل عليه، فوقاه مصعب بن عمير بنفسه فطعن مصعباً فقتله[4] فأخذ رسول الله ﷺ عنزة كانت في يد سهل بن حنيف فطعن به اُبيّاً في

(١) الإرشاد ١: ٨٨.

(٢) الإرشاد ١: ٨٩.

(٣) الإرشاد ١: ٨٥، ومرّ بعض مصادره الاُخرى.

(٤) وقال ابن إسحاق: وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله حتى قتله ابن قمئة الليثي وهو ←

يحسبه رسول الله، فرجع فقال: قتلت محمداً. ولمّا قُتل مصعب بن عمير أعطى النبيّ اللواء عليّ بن أبي طالب، وقاتل عليّ بن أبي طالب ورجال من المسلمين (٣: ٧٧). هذه الجملة غير الكاملة هي كلّ ما نقله عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام من موقف عليّ ﷺ. اللّهم إلّا ما أضافه ابن هشام هنا من ذكر مبارزته لأبي سعد بن طلحة، ثمّ نقل عن ابن إسحاق أنّ سعد ابن أبي وقّاص قتله (٣: ٧٨)، ويروي عن الزبير قوله: أُتينا من خلفنا فانكفأنا وانكفأ القوم علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء، حتى ما يدنو منه أحد من القوم (٣: ٨٢)، ولا يذكر من أصاب أصحاب اللواء؟

وقال ابن إسحاق: وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدوّ حتى خلص إلى رسول الله حتى دُثّ بالحجارة ووقع لجانبه فأُصيبت رَباعيتُه وشُجّ وجهه، وجُرحت شفته.

ثمّ روى ابن هشام: عن أبي سعيد الخُدري: أنّ الذي جرح شفته السفلى وكسر رباعيته السفلى اليمنى هو عتبة بن أبي وقّاص الزهري أخو سعد، والذي شجّه في جبهته عبد الله بن شهاب الزهري، والذي جرح وجنته هو ابن قمئة حتى دخلت حلقتا المغفر في وجنته.

ووقع رسول الله في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر (الراهب الفاسق) ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون، فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله ورفعه طلحة بن عبيد الله التيمي حتى استوى قائماً (٣: ٨٥).

بينما روى ابن إسحاق بسنده عن سعد بن مُعاذ: أنّ رسول الله لمّا غشيه القوم نادى: من يشري لنا نفسه؟ فقام إليه زياد بن السكن أو عمارة بن يزيد بن السكن، ومعه خمسة نفر من الأنصار، فقاتلوا رجلاً رجلاً دون رسول الله حتى قتلوا دونه، ثمّ فاءت إليه فئة من المسلمين فدفعوهم عنه.

ثمّ روى عن سعيد بن زيد الأنصاري: عن أم سعد بنت سعد بن الربيع عن أم عُمارة نسيبة بنت كعب المازنية: أنها لما انهزم المسلمون انحازت إلى رسول الله، وباشرت القتال

=

وذبّت عنه بالسيف ورمت عنه بالقوس، وأقبل ابن قمئة يقول: دلّوني على محمد! فلا نجوتُ إن نجا. فاعترضت له أنا ومُصعب بن عمير وأُناس ممّن ثبت مع رسول الله، فضربها على عاتقها ضربة غائرة.

قال: وترّس دونه سعد بن أبي وقاص، وترّس دونه بنفسه أبو دجانة فكان يقع النبل في ظهره وهو منحن على رسول الله حتى كثر فيه النبل.

ثم روى عن القاسم بن عبد الرحمان من بني النجار قال: كان عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا بأيديهم (مستسلمين للأمر الواقع) فانتهى إليهم أنس بن النضر ـ عم أنس بن مالك ـ فقال لهم: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتل رسول الله، قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله! ثمّ استقبل القوم فقاتل حتى قتل ووجد به يومئذ سبعون ضربة حتى ما عرفته إلّا أخته ببنانه.

ثم روى عن ابن شهاب الزهري وعن كعب بن مالك: أنّه أوّل من عرف رسول الله بعد الهزيمة، قال: عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، أبشروا، هذا رسول الله! فأشار إليّ رسول الله: أن أنصت!

قال: فلما عرف المسلمون رسول الله نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب، معه ابو بكر وعمر وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، والحارث بن الصمّة، ورهط من المسلمين ٣: ٨٧ و ٨٨

نعم، هذا ما يذكره ابن اسحاق عن موقف علي عليه السلام وسائر الصحابة، ولا يذكر نداء المنادي، فاستدركه ابن هشام عن ابن أبي نجيح قال: نادى منادٍ يوم أُحُد: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي ٣: ١٠٦

ولم يروه الواقدي أيضاً فاستدركه عليه ابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي بروايته عن

←

أمالي محمد بن حبيب، وأبي عمرو غلام ثعلب النحويّ الزاهد: أن رسول الله ﷺ لما فرّ معظم أصحابه عنه يوم أُحد كثرت عليه كتائب المشركين وقصدته كتيبة من بني كنانة فيها بنو سفيان بن عُويف وهم: خالد بن سفيان، وأبو الشعثاء بن سفيان، وأبو الحمراء بن سفيان، وغراب بن سفيان.

فقال رسول الله: يا عليّ، اكفني هذه الكتيبة. وهي تقارب خمسين فارساً، فحمل عليها وهو راجل فما زال يضربها بالسيف فتتفرق عنه ثم تتجمع عليه مراراً حتى قتل بني سفيان الأربعة وتمام العشرة ممن لا يُعرف. فقال جبرئيل ﷺ لرسول الله: يا محمد، إنّ هذه المواساة ولقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى! فقال رسول الله: وما يمنعه وهو مني وأنا منه! فقال جبرئيل ﷺ: وأنا منكما. وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء، لا يُرى شخص الصارخ به ينادي مراراً: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي. فسُئل رسول الله عنه فقال: هذا جبرئيل. ثم قال: وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين، ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن اسحاق ورأيت بعضها خالياً عنه!

وسألت شيخي عبد الوهاب بن سكينة، عن هذا الخبر فقال: خبرٌ صحيح. فقلت: فما بالُ الصحاح لم تشتمل عليه؟ قال: أوكلما كان صحيحاً تشتمل عليه كتب الصحاح؟! كم قد أُهمل جامعو الصحاح من الأخبار الصحيحة (١٤: ٢٥٠ و٢٥١) ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢٠: ١٢٨ و١٢٩.

والواقدي لم ينقل هذا لعلي ﷺ، ولكنه نقل لسعد بن أبي وقاص ما يضاهيه عن ابنته عائشة عنه قال: لقد رأيتني أرمي بالسهم يومئذ فيردّه عليّ رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه. فبعد ذلك ظننت أنه ملك (١: ٢٣٤) فهلّا سأل عنه النبيّ ﷺ؟!

وكأنّ حفيده ابراهيم بن سعد رأى أن عمته عائشة ادّعت عن أبيها سعد ما يُبقيه ملكاً له دون رسول الله، فحاول ذلك تأخيراً عنه أيضاً فقال: لقد رأيت رجلين عليهما ثياب بيض

أحدهما عن يمين رسول الله والآخر عن يساره، يقاتلان أشدّ القتال، ما رأيتهما قبلُ ولا بعدُ (١: ٢٣٤).

بينما روى الواقدي أيضاً بسنده عن عبيد بن عمير قال: لم تقاتل الملائكة يوم أُحد، وبما رجعت قريش من أحد جعلوا يقولون: لم نر الخيل البُلْق ولا الرجال الذين كنا نراهم في بدر.

وتابع عكرمة (عن ابن عباس) وعمر بن الحكم إذ قال: لم يمد رسول الله يوم أُحد بملك واحد.

وذكر روايتين عن مجاهد (عن ابن عباس) قال في إحداهما: لم تقاتل الملائكة إلّا يوم بدر، واعتمد الأخرى بدقة أكثر فقالت: حضرت الملائكة يومئذٍ ولم تقاتل.

وفصّلت رواية عن أبي هريرة قال: كان الله وعدهم لو صبروا أن يمدّهم، فلما انكشفوا لم تقاتل الملائكة يومئذٍ (١: ٢٣٥). فلا يبعد أن تكون الملائكة قد أمدّت علياً عليه السلام بالصبر والجهد بمعنى ما يُساعده من القول، والأمثل عندنا بالأخذ بالبعد.

ثم روى بسنده عن عبد الله بن شداد قال: انكشف المسلمون ذلك اليوم فلم يلووا على شيء ولا فئة ولا جمع، وإن كتائب المشركين لتحوسهم مقبلة ومدبرة في الوادي يلتقون ويفترقون ما يرون أحداً من الناس يردّهم، فتبعت رسول الله أنظر إليه وهو يقصد أصحابه وما معه إلّا نُفير من المهاجرين والأنصار وانطلقوا به إلى الجبل (١: ٢٣٨).

ثم روى بسنده عن المقداد بن عمرو قال: لما هُزم المشركون الهزيمة الأولى ثم كرّوا على المسلمين فأتوا من خلفهم فتفرّق الناس ولقيتنا باختلاط الصفوف، ونادى المشركون بشعارهم: يا للعزى يا لهُبل، فأوجعوا والله فينا قتلاً ذريعاً، ونالوا من رسول الله ما نالوا، ولا والذي بعثه بالحق ما رأيت رسول الله زال شبراً واحداً، إنه لفي وجه العدو وتثوب إليه طائفة من أصحابه مرة وتتفرق عنه مرة، فربما رأيته قائماً يرمي عن قوسه أو يرمي بالحجر

حتى تحاجزوا.

وبايعه يومئذٍ ثمانية على الموت: ثلاثة من المهاجرين وخمسة من الأنصار: علي والزبير وطلحة، وأبو دجانة والحارث بن الصمة، والحباب بن المنذر، وعاصم بن ثابت، وسهل بن حُنيف. فلم يُقتل منهم أحد.

وقالوا: ثبت رسول الله في أربعة عشر رجلاً وسمّوهم، فأضافوا إلى هؤلاء ستة.

وقالوا: ثبت بين يديه ثلاثون رجلاً، ولم يسمّوهم (١: ٢٤٠).

وقالوا: كان مالك بن زهير الجُشمي وحبان بن العرقة مستترين بصخرة يرميان المسلمين قد أصعدوا المسلمين بالرمي (١: ٢٤٢) ورمى مالك بسهم يريد رسول الله فتلقاه طلحة فأصاب خنصره فشلّ خنصره (١: ٢٥٤). فبينا هم على ذلك إذ أبصر سعد بن أبي وقاص مالك بن زهير وقد أطلع رأسه من وراء الصخرة يرمي، فرماه سعد فأصاب عينه حتى خرج من قفاه فنزا ثم سقط فمات (١: ٢٤٣).

وكانت أم أيمن جاءت تسقي الجرحى فرماها حبان بن العرقة بسهم فأصاب ذيلها فسقطت وانكشف عنها، فاستغرق حبان ضحكاً، فشق ذلك على رسول الله، فدفع إلى سعد بن أبي وقاص سهماً لا نصل له وقال: ارم، فرماه فوقع السهم في ثُغرة نحر حبان فوقع وبدت عورته، فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه (١: ٢٤١).

ولكن في (١: ٢٧٧) يقول: وقد صاح إبليس: إن محمداً قد قُتل، تفرّق الناس فمنهم من ورد المدينة ... وكان ممن ولّى فلان وفلان، ولقيتهم أم أيمن تحثي في وجوههم التراب وتقول: هاك المغزل فاغزل به وهلمّ سيفك، ثم توجهت هي ونسوة معها إلى أُحد. وعليه فلا يستقيم قوله السابق: كانت تسقي الجرحى. وبينهما تهافت ظاهر، والظاهر أنّ الثاني هو الراجح الصحيح وفيه ما يكذّب الأول. ويبدو لي أنّ في أخبار مغازي الواقدي تأكيداً متحمساً على دور سعد بن أبي وقاص الزهري، ولعلها من أخبار الزهري أو بعض بني زهرة.

جريبين درعه ، فاعتنق فرسه ، فانتهى إلى عسكره وهو يخور خوار الثور ! فقال له أبو سفيان : ويلك ما أجزعك ، إنما هو خدش ليس بشيء ! فقال أُبيّ : ويلك يا ابن حرب ، أتدري من طعنني ؟ إنما طعنني محمد ، وهو قال لي بمكة : إني سأقتلك ، فعلمت أنه قاتلي ! والله لو أن ما بي بجميع أهل الحجاز لقضى عليهم ، ثم مات .

ونقل الطبرسي عن كتاب أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي عن الصباح

قال : وكان أبو طلحة يوم أُحد قد نثر كنانته بين يدي النبيّ وكان رامياً صيّتاً ، وكان في كنانته خمسون سهماً ، فلم يزل يرمي بها سهماً سهماً ، فكان النبيّ قد يأخذ العود من الأرض فيقول : إرم يا أبا طلحة فيرمي بها سهماً جيداً ١ : ٢٤٣ .

ورمي يومئذ أبو رُهم الغفاري بسهم فوقع في نحره فجاء إلى رسول الله ، فبصق عليه فبرأ فكان أبو رُهم يسمّى المنحور ١ : ٢٤٤ .

وأُصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته ، فأخذها رسول الله فردّها فأبصرت وعادت كما كانت ١ : ٢٤٤ .

وباشر رسول الله الرمي بالنبل حتى تقطّع وتَرُه وبقيت في سية القوس قطعة منه تكون شبراً ، فأخذ القوس عُكاشة بن محصن يوتره له فقال : يا رسول الله لا يبلغ الوَتَر ، فقال : مدّه يبلغ ، فمدّه حتى بلغ وطوى منه ليّتين أو ثلاثاً على سية القوس ، ثم أخذ رسول الله قوسه فما زال يرمي القوم ، وأبو طلحة يتترّس عنه ، حتى فني نبله وتكسّرت سية قوسه ، وحتى صارت شظايا ، فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده ١ : ٢٤٢ .

وروى الواقدي ١ : ٢٣٦ خبر الزهري عن كعب بن مالك ، ثم روى بسنده عن محمّد بن مسلمة قال : أبصرت عيناي رسول الله وقد انكشف الناس إلى الجبل وهم لا يلوون عليه وهو يقول : إليّ يا فلان ! إليّ يا فلان ! أنا رسول الله ! فما عرّج عليه واحد منهما ومضيا ! ١ : ٢٣٧

ثم روى بسنده عن خالد بن الوليد قال : حين انهزموا يوم أُحُد رأيت عمر بن الخطّاب وهو متوجّه إلى الشعب وما معه أحد ، فعرفته ونكبت عنه لئلّا يصمدوا له ! ١ : ٢٣٧

أبي سيابة عن الصادق عليه‌السلام قال : ورمى رسول الله ابنُ قميئة بقذافة فأصاب كفّه حتى ندر السيف من يده، فقال : أذلّك الله وأقماك. ورماه عبد الله بن شهاب بقُلاعة فأصاب مرفقه. وضربه عتبة بن أبي وقاص حتى أدمى فاه[1]. قال :

---

(١) وقال الواقدي : ورمى عتبة بن أبي وقاص رسول الله بأربعة أحجار، فكسر رَباعيته اليمنى السفلى.

وكان أبو عامر الراهب الفاسق قد حفر حُفَراً للمسلمين كالخنادق، وكان رسول الله واقفاً لدى بعضها وهو لا يشعر به، وأقبل ابن قميئة (الفهري) وهو يقول : دلّوني على محمد ! فوالذي يُحلف به لئن رأيته لأقتلنّه ! وعرفه فقصده وعلاه بالسيف، ورماه عتبة بن أبي وقاص في الحال التي جلّله ابن قميئة فيها بالسيف، وكان عليه الصلاة والسلام فارساً وعليه درعان، فوقع في الحفرة التي أمامه فجُرحت ركبتاه.

فروى بسنده عن أبي بشير المازني قال : رأيت ابن قميئة علا رسول الله بالسيف فرأيته وقع على ركبتيه في حفرة أمامه حتى توارى، فجعلت أصيح، حتى رأيت الناس ثابوا إليه، ونهض رسول الله وعلي آخذ بيده وطلحة يحمله من ورائه حتى استوى قائماً ١ : ٢٤٤.

ثم روى بسنده عن كعب بن مالك : أن ابن أُبيّ بن كعب كان قد أُسر في بدر وافتداه أبوه، فأقبل يوم أحد يعدو على رسول الله، فقتله النبي بطعنة بالحربة ١ : ٢٥٠ و٢٥١.

ثم قال : وكان عثمان بن عبد الله المخزومي مأسوراً في سرية بطن نخلة، وافتدي ورجع إلى مكّة، وأقبل يوم أُحد على فرس له أبلق يريد رسول الله وهو متوجه إلى الشعب، ويصيح : لا نجوتُ إن نجوتَ ! فوقف له رسول الله، وعثر الفرس بعثمان في بعض تلك الحفر التي كان أبو عامر (الراهب الفاسق) قد حفرها، فوقع الفرس لوجهه وخرج فنفر أصحاب رسول الله ومشى الحارث بن الصمّة إلى عثمان فتضاربا بالسيف، حتى ضرب الحارث رجله فبرك، فأجهز عليه. فقال النبي : الحمد لله الذي أحانه (أي أهلكه).

ورأى مصرعه عبيد بن حاجز العامري، فأقبل يعدو حتى ضرب الحارث بن الصمّة على عاتقه فجرحه، وأقبل أبو دجانة على عبيد فتناوشا ثم حمل عليه أبو دجانة فاحتضنه ثم

←

جلد به الأرض ثم دعه بسيفه ثم انصرف إلى رسول الله ١: ٢٥٢ و٢٥٣

وأقبل رجل من بني عامر بن لؤي يجرّ رمحاً له على فرس كميت أغر مدجّجاً بالحديد يصيح: أنا أبو ذات الوَدَع، دلوني على محمد! فضرب طلحة بن عبيد الله عُرقوب فرسه فانكسع الفرس ثم تناول برمحه عينه فوقع خوار يصيح كما يخور الثور. وضرب ضرار بن الخطاب الفهري طلحة بن عبيد الله على رأسه ضربتين: إقبالاً وإدباراً، ونزف منهما الدم حتى غشي عليه. فروي عن أبي بكر قال: جئت إلى النبيّ يوم أُحد فقال لي: عليك بابن عمك، فأتيت طلحة وقد نزف منه الدم حتى غُشي عليه فجعلت أنضح على وجهه الماء حتى أفاق ١: ٢٥٥

إذن فلم يكن أبو بكر حاضراً لدى رسول الله، ولا لم كان يغفل عن حال ابن عمّه طلحة، وإنّما هو ابن عمّه لأنّهما تيميّان، وليس ابن عمّه [illegible].

ثمّ نقل عن عليّ عليه السلام قال: كنت يومئذ أذبّهم في ناحية، وأبو دجانة في ناحية يذبّ طائفة منهم، وسعد بن أبي وقّاص يذبّ طائفة منهم، وانفردت منهم فرقة خشناء فيها عكرمة ابن أبي جهل فدخلت وسطها بالسيف فضربت به واشتملوا عليّ حتى أفضيت إلى آخرهم، ثم كررت فيهم الثانية حتى رجعت من حيث جئت، واستأخر الأجل، ويقضي الله أمراً كان مفعولاً، وحتى فرّج الله ذلك كله ١: ٢٥٦

قالوا: وكانت أُمّ عمارة نُسيبة بنت كعب الخزرجية امرأة غزية بن عمرو شهدت أُحداً هي وزوجها وابناها، وخرجت من أول النهار معها قربة تسقي منها الجرحى، فقاتلت يومئذ وأبلت بلاءً حسناً فجُرحت اثني عشر جُرحاً بين طعنة برمح أو ضربة بسيف.

قالت: وأقبل ابن قميئة وقد ولّى الناس عن رسول الله يصيح: دلّوني على محمّد فلا نجوت إن نجا، فاعترض له مُصعب بن عمير وناس معه فكنت فيهم، فضربني هذه الضربة وأشارت لأم سعد بنت سعد بن الربيع فرأت على عاتقها ضربة جرحاً أجوف له غور، ونعم

الرسول يقول: «لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان» وهو يراها تقاتل يومئذ أشدّ القتال، وهي حاجزة ثوبها على وسطها حتى جُرحت ثلاثة عشر جُرحاً (١: ٢٧٠). ونقله في شرح نهج البلاغة للمعتزلي ١٤: ٢٦٦ وقال: من أمانة المحدث أن يذكر الحديث على وجهه ولا يكتم منه شيئاً، فما باله كتم اسم هذين الرجلين؟ ليت الراوي لم يكنّ هذه الكناية وكان يذكرهما باسمهما حتى لا تترامى الظنون إلى أُمور مشتبهة...! ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢٠: ١٣٢ ثم علق عليه تعليقاً دقيقاً فراجعه.

ثم روى عنها قالت: انكشف الناس عن رسول الله فما بقي إلّا نُفير ما يتمّون عشرة، وأنا وابناي (عمارة وعبد الله)، وزوجي (غزية بن عمرو) بين يديه نذبّ عنه، والناس يمرّون به منهزمين، ورآني لا ترس معي، ورأى رجلاً مولّياً معه ترس فقال له: يا صاحب الترس ألقِ تُرسك إلى من يقاتل! فألقى تُرسه، فأخذتُه فجعلت أترّس عن رسول الله به. فأقبل رجل على فرس فضربني فترّستُ له فلم يصنع سيفه شيئاً وولّى، وأضرب عرقوب فرسه فوقع على ظهره، وصاح النبيّ ـ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ـ: يا ابن أم عمارة، أمّك أمّك! فعاونني عليه حتى أوردته الموت (١: ٢٧٠).

ثم روى بسنده عن ابنها عبد الله بن زيد أن رجلاً طويلاً ضربه على عضده اليسرى ومضى عنه، فجرح ولم يرقأ الدم، فناداه الرسول: اعصب جُرحك! فأقبلت إليه أمه ومعها عصائب في حقويها قد أعدّتها للجراح، فربطت جُرحه ثم قالت له: انهض بنيّ فضارب القوم، والنبي واقف ينظر، فقال لها: ومن يُطيق ما تطيقين يا أمّ عمارة!

وعاد الرجل الضارب فقال لها رسول الله: هذا ضارب ابنك! فاعترضت له فضربت ساقه فبرك، فتبسّم رسول الله حتى بدت نواجذه! وعلوه بالسلاح حتى مات، فقال لها النبيّ: الحمد لله الذي ظفّرك وأقرّ عينك من عدوّك وأراك ثأرك بعينك (١: ٢٧١).

ثم روى بسنده عنه أيضاً قال: لما تفرّق الناس عن النبيّ دنوت أنا وأمّي نذبّ عنه ←

معه لذلك ورميت بين يديه رجلاً من المشركين بحجر وهو على فرس فأصبت عين الفرس، فاضطرب الفرس حتى وقع هو وصاحبه، والنبيّ ينظر ويتبسّم، ونظر إلى جُرح بعاتق امّي فقال لي: اعصب جُرحها، بارك الله عليكم من أهل بيت، مقام أُمّك خير من مقام فلان وفلان ومقامك لخير من مقام فلان وفلان، رحمكم الله أهل البيت. فقالت له أُمي: ادعُ الله أن نرافقك في الجنة فقال: اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة. فقالت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا ١: ٢٧٢ و٢٧٣.

وروى عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله يوم أُحد يقول: ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً إلّا وأراها نُسيبة تقاتل دوني ١: ٢٧١.

إذن فلم يكن عمر حاضراً يومذاك، وإلّا لكان بامكانه أن يشهد هنا بذلك شهادة مباشرة، ولم يكن بحاجة إلى أن يروي ذلك عن النبيّ رواية وحكاية.

ثمّ روى أن وهب بن قابوس المزني لمّا جاءت الخيل من خلف المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل، واختلطوا، قاتل المزني أشد القتال ... فما زال كذلك وهم محدقون به حتى اشتملت عليه أسيافهم ورماحهم فقتلوه ومُثّل به أقبح المثلة ... فكان عمر ابن الخطّاب يقول: إنّ أحب ميتة أموت عليها لما مات عليه المزني ١: ٢٧٥ هذا ولم يرو عنه طعنة برمح ولا ضربة بسيف ولا رميٌ بسهم ولا رشق بنبل ولا رضخ بحجر فكيف كان يتمنّى ذلك؟

ثم قال: وكان ممّن ولّى عمر وعثمان (في النسخة المطبوعة: فلان، وفي أنساب الأشراف ١: ٣٢٦، عن الواقدي: عثمان، وفي شرح النهج لابن أبي الحديد ١٥: ٢٤ عن الواقدي: عمر وعثمان)، ثمّ عدّ سبعة سواهما.

ثم قال: ويقال: كان بين عبد الرحمان (بن عوف) وعثمان كلام، فأرسل عبد الرحمان إلى الوليد بن عُقبة فدعاه فقال له: اذهب إلى أخيك فبلّغه عنّي ما أقول لك، قل: يقول لك عبد

قلت: كُسرت رَباعيته كما يقول هؤلاء؟ قال: لا والله ولكنّه شجّ في وجهه.. وقيل له: ألا تدعو عليهم؟! قال: اللهم اهد قومي فإنّهم لا يعلمون. قلت: فالغار في أُحد الذي يزعمون أنّ رسول الله صار إليه؟ قال: والله ما برح مكانه

وروى الصدوق في «معاني الأخبار» بسنده عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يروى لنا أنّه صلى الله عليه وآله كُسرت رَباعيته؟ فقال: لا، ولكنّه شُجّ في وجهه[1].

الرحمن: شهدتُ بدراً ولم تشهد، وثبتُّ يوم أُحد وولّيت عنه ١: ٢٧٨

ونظر عمر إلى عثمان فقال: هذا ممّن عفا الله عنه ... كان تولّى يوم التقى الجمعان ١: ٢٧٩

وحضر عند عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي الشافعي البغدادي (ت ٦٥٦) عند السيّد محمد بن معدّ العلوي الموسوي الفقيه على رأي الشيعة الإمامية في داره بدرب الدواب ببغداد سنة ٦٠٨ وقارئ يقرأ عنده (مغازي الواقدي) فقرأ روايته بسنده عن محمد بن مسلمة: أنّه رأى رسول الله يوم أُحد وقد انكشف الناس عنه إلى الجبل وهو يدعوهم وهم لا يلوون عليه وهو يقول: إليّ يا (فلان)، إليّ يا (فلان) أنا رسول الله! فما عرّج عليه واحد منهما ومضيا. فأشار ابن معد إلى ابن أبي الحديد: أن اسمع! قال: فقلت: وما في هذا؟! قال: هذه كناية عنهما! فقلت: ويجوز أن لا يكون عنهما، لعلّه عن غيرهما. فقال: ليس في الصحابة من يحتشم ويُستحيا من ذكره بالفرار وما شابهه من العيب فيضطر القائل إلى الكناية إلّا هما! قلت له: هذا وَهْم مَنوع! فقال: دعنا من جدلك ومنعك! ثمّ حلف أنّه ما عنى الواقدي غيرهما، وأنّه لو كان غيرهما لذكره صريحاً. شرح نهج البلاغة ١٥: ٢٣ و٢٤

(١) معاني الأخبار: ١١٥، كما في بحار الأنوار ٢٠: ٧٤٠

صرخة إبليس ؟!

أمّا عن سبب الهزيمة، ففي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إنّ الله لمّا أخبر المؤمنين بما فعل بشهدائهم يوم بدر ومنازلهم في الجنة، رغبوا في ذلك فقالوا: اللّهم أرنا القتال نستشهد فيه! فأراهم الله إيّاه في يوم أُحُد، فلم يثبت إلّا من شاء الله منهم، وذلك قوله: ﴿ولقد كنتم تمنَّون الموت من قبل أن تلقوه﴾[1]، وكسبب هذا الانقلاب على الأعقاب قال: خرج رسول الله ﷺ يوم أُحُد وعهد العاهد به على تلك الحال، فجعل الرجل يقول لمن لقيه: النجاة، فإنّ رسول الله قد قُتل![2]

أمّا عن صرخة إبليس، فإنّ القمّي بعد ذكره أمره ﷺ بجمع القتلى وصلاته عليهم ودفنهم قال: وصاح إبليس بالمدينة: قُتل محمّد! فلم يبق أحدٌ من نساء المهاجرين والأنصار إلّا خرجن، وخرجت فاطمة بنت رسول الله تعدو على قدميها حتى وافت رسول الله ﷺ[3].

وأرشدنا المفيد في «الإرشاد» إلى روايته بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: ثبت أمير المؤمنين وأبو دجانة وسهل بن حنيف، وأبو دجانة وسهل بن حنيف قائمان على رأس النبيّ ﷺ بالسيف يذبّان عنه، وكثر عليهم المشركون، فحمل عليهم أمير المؤمنين فكشفهم ثمّ عاد إليه وقد حملوا عليه من ناحية أُخرى فكرّ عليهم فكشفهم، وثاب إليه من أصحابه المنهزمين أربعة عشر رجلاً منهم طلحة بن عبيد الله وعاصم بن ثابت، وصعد الباقون في الجبل

---

(١) آل عمران: ١٤٣.

(٢) تفسير القمّي ١: ١١٩.

(٣) تفسير القمّي ١: ١٢٣ و ١٢٤.

وصاح صائح بالمدينة: قُتل رسول الله، فخلعت لذلك القلوب، وتحيّر المنهزمون فأخذوا يميناً وشمالاً»[1].

وعليه فالصحابة كانوا منهزمين من كرّة عِكرمة بن أبي جهل وخالد بن الوليد المخزوميين، وإنما سببت صيحة الصائح أن تحيّر أولئك المنهزمون من قبل فأخذوا يميناً وشمالاً. وقال الطبرسي: وصاح إبليس ـ لعنه الله ـ: قتل محمد، رسول الله في أخراهم. وذهبت صيحة إبليس حتى دخلت بيوت المدينة، فصاحت فاطمة، وخرجت تصرخ ولم تبق هاشمية ولا قرشية إلّا وضعت يدها على رأسها وخرجت[2] فهو جمعٌ بين أمرين: بين صيحة في أُحُد وسماعها في المدينة، ولكنّها كانت والرسول في أُخراهم فهم منهزمون من قبل.

وقال في تفسيره «مجمع البيان»: ورمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجّه في وجهه وثقل يريد قتله، فذبّ مصعب بن عمير عن رسول الله حتى قتله ابن قميئة. فرجع وهو يرى أنّه قتل رسول الله وقال: إنّي قتلت محمّداً!

وصاح صائح: ألا إنّ محمّداً قد قُتل!

ويُقال: إنّ ذلك الصائح كان إبليس لعنه الله، فانكشف الناس!

وفشا في الناس: أنّ رسول الله قد قُتل، فقال بعض المسلمين: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أُبيّ فيأخذ لنا أماناً من أبي سفيان!

---

(1) الإرشاد ١: ٨٢.

(2) إعلام الورى ١: ١٧٧، ومختصر الخبر ابن شهرآشوب في مناقب آل أبي طالب ١: ١٩٢ قال: وصاح إبليس من جبل أُحُد: ألا إنّ محمّداً قد قُتل، فصاحت فاطمة ووضعت يدها على رأسها وخرجت تصرخ وكلّ هاشمية وقرشية.

وبعضهم جلسوا وألقوا بأيديهم (أي استسلموا للحادث)

وقال أناس من أهل النفاق: إن كان محمّد قد قُتل فالحقوا بدينكم الأوّل!

فقال أنس بن النضر ـ عمّ أنس بن مالك ـ: يا قوم إن كان قد قُتل محمّد فربّ محمّد لم يُقتل، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله؟! فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله، وموتوا على ما مات عليه؛ ثمّ قال: اللّهم إنّي أعتذر إليك ممّا يقول هؤلاء، وأبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء! ثمّ شدّ بسيفه فقاتل حتى قُتل.

ثمّ إنّ رسول الله انطلق إلى صخرة (الجبل) وهو يدعو الناس (يقول: إليّ عباد الله).

فأوّل من عرف رسول الله كعب بن مالك قال: عرفت عينيه تحت المغفر تزهران فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا فهذا رسول الله! فأشار إليّ: أن اسكت!

فانحازت إليه طائفةٌ من أصحابه (حتى اجتمع إليه ثلاثون رجلاً) فلامهم النبيّ على الفرار فقالوا: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا، أتانا الخبر بأنّك قُتلت فرُعبت قلوبنا فولّينا مدبرين [1].

فالطبرسي هنا بدأ بصرخة ابن قميئة ثمّ رجل آخر من المشركين بناءً على نداء ابن قميئة، وفي آخر الخبر قال: أتانا الخبر بأنّك قتلت، ولم يذكر صرخة إبليس إلّا قولاً قيل كجملة معترضة بين الخبر، وهو وإن جعل من أثر الصرخة انكشاف الناس، لكنّه قدّم هذه الخبر عن الهزيمة قبل الصرخة.

وابتدأ الطبرسي الخبر بالاسناد إلى الزبير، ونجد بعض الخبر من دون الجملة المعترضة عند ابن اسحاق بسنده عن الزبير أيضاً قال: لقد رأيت خدم هند

---

(١) مجمع البيان ٢: ٨٤٩

بنت عتبة وصواحبها، مشمّرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة الى العسكر وخلّوا ظهورنا للخيل فأتينا من خلفنا. وصرخ صارخ: ألا إنّ محمداً قد قُتل! فانكفأنا وانكفأ القوم علينا، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم.

ثمّ قال ابن هشام: الصارخ هو الشيطان (أزبّ العقبة)[1].

فابن اسحاق من دون أن يصرّح بأن الصارخ هو الشيطان جمع بين إتيان القوم من خلف المسلمين وصرخة الصارخ فجعلهما السبب معاً في تراجع المسلمين ثم تراجع المشركين عليهم.

ولم يذكر ابن اسحاق الشيطان (وإنما ابن هشام) بل صرّح بأنّ القائل هو ابن قمئة: لقول ابن قمئة لهم: إنّي قد قتلت محمداً[2]. وروى عن القاسم بن عبد الرحمان من بني النجّار: أنّ رجالاً من المهاجرين والأنصار منهم عمر بن الخطّاب وطلحة بن عبد الله اعتذروا عن جلوسهم واستسلامهم للأمر الواقع لمّا قال لهم أنس بن النضر: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتل رسول الله. وهو قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله[3]، ممّا يفيد أنّهم اتّخذوا الصرخة ذريعة للقعود عن القتال.

ولكنّ الواقدي قد كرّر الخبر عن صرخة إبليس في أربعة مواضع بدأها بالرواية عن رافع بن خديج قال: لمّا انصرف الرماة وبقي من بقي، نظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلّة أهله، فكرّ عليهم بالخيل وتبعه عكرمة في الخيل، فانطلقا إلى بعض الرماة فحملوا عليهم، فراموا القوم حتى أُصيبوا، ورامى عبد الله

---

(١) ابن هشام ٣: ٨٢، وفي أزبّ العقبة قال ابن الأثير في النهاية ١: ٢٨: من أسماء الشياطين.

(٢) ابن هشام ٣: ٩٩.

(٣) ابن هشام ٣: ٨٨.

ابن جُبير حتى فَنيت نبله، ثمّ طاعن بالرمح حتى انكسر، ثمّ كسر جفن سيفه فقاتلهم حتى قُتل ﷺ. وكان جُعال بن سُراقة وأبو بردة بن نيار آخر من انصرف من الجبل بعد أن قُتل عبد الله بن جُبير، حتى لحقا بالقوم، فإنّه ليقاتل مع المسلمين أشدّ القتال إلى جنب أبي بُردة بن نيار وخوّات بن جُبير (أخي عبد الله بن جُبير) إذ بُلي يومئذٍ جُعال بن سراقة بلية عظيمة: إذ تصوّر إبليس بصورته ونادى ثلاث مرّات: إنّ محمّداً قد قُتل! هذا وجُعال يقاتل مع المسلمين أشدّ القتال! فوالله ما رأينا أسرع من انتقال الدولة للمشركين علينا، فأقبل المسلمون على جُعال بن سُراقة يقولون: هذا الذي صاح: إنّ محمّداً قد قُتل! وهم يريدون قتله لذلك! حتى شهد له أبو بردة بن نيار وخوّات بن جُبير بأنّه حين صاح الصائح كان إلى جنبهما فالصائح غيره [1].

إذن فالمسلمون أقبلوا على جُعال بن سُراقة يقولون: هذا الذي صاح، وحتى أنّهم أرادوا قتله لذلك! ولكن إذ شهد له أبو بردة وخوّات بن جبير أنّه ليس هو الذي صاح تركوه، ولكنّهم حيث رأوا الصائح في صورة جُعال، ونفى جُعال ذلك، وشهد له الشاهدان، وبنوا على قبول الشهادة بالنفي، قالوا: إذن فالصائح المتصوّر بصورة جُعال هو إبليس، كما في هذا الخبر.

ثمّ روى الواقدي بسنده عن أبي بشر المازني قال: لمّا صاح الشيطان (أزبُّ العقبة): إنّ محمّداً قد قُتل ـ لما أراد الله من ذلك؟! ـ سُقط في أيدي المسلمين وتفرّقوا في كلّ وجه وأصعدوا في الجبل [2].

وواضح على هذا الخبر عن المازني أنّه ينسب الصيحة إلى الشيطان (وليس إبليس) رأساً دون القول بتصوّره بصورة جُعال، وعليه يبتني فيُعلّل ذلك

---

(١) مغازي الواقدي ١: ٢٣٢

(٢) مغازي الواقدي ١: ٢٣٥

بأنّ الله أراد أموراً من وراء تلك الصيحة؛ إذ تفرّق المسلمين كان خارجاً عن أيديهم، فسقط في أيدي المسلمين! فكان جبراً لا اختياراً! وهذا صريح في تبرئة من النسبة في الخبر.

ثمّ روى الواقدي بسنده عن الأعرج قال: لمّا صاح الشيطان (وليس إبليس) إنّ محمّداً قد قُتل، قال أبو سفيان بن حرب: يا معشر قريش أيّكم قتل محمّداً؟! قال ابن قَمِيئة: أنا قتلته! قال: سنفعل بك كما تفعل الأعاجم بأبطالها نسوّرك[1].

وفي هذا الخبر صرّح الأعرج فأفاد الخبر أنّ الصيحة لم تشرّد بالمسلمين فحسب، بل إنّ أبا سفيان أخذ بمفادها وأخذ يسأل عن القاتل، فادّعاها حينئذٍ ابن قميئة، دون أن يكون هو الصائح الصارخ. ثمّ يبيّن له كذب ابن قميئة.

ثمّ قال الواقدي: قالوا: ولمّا صاح إبليس (وليس الشيطان مطلقاً): إنّ محمّداً قد قُتل، تفرّقوا في كلّ وجه، وجعل الناس يمرّون على النبيّ لا يلوي عليه أحد منهم، ورسول الله يدعوهم في أُخراهم ... ووجّه رسول الله إلى الشعب يريد أصحابه فيه[2].

وهذا قول الواقدي نقلاً لمعنى الخبر الأوّل عن رافع بن خديج، نعم زاد إليه ذيله: وجّه رسول الله إلى الشعب بعد ما قال: ورسول الله يدعوهم في أُخراهم. وكأنّ الرسول ﷺ حينما دعاهم وهم لا يلوون عليه ولا أحد منهم! يئس منهم فتبعهم بدل أن يتبعوه! اللّهمّ إلّا أن يكون الكلام اختُزل لأجل الاختصار.

---

(1) مغازي الواقدي ١: ٢٣٦. ونسوّرك: أي نُلبسك سُواراً ـ الصحاح ٢: ٦٦٠ أو نجعلك سَوّاراً أي قائداً.

(2) مغازي الواقدي ١: ٢٩٣.

ثمّ نقل الواقدي عن عمر قال: كان عمر يقول: لمّا صاح الشيطان: قُتل محمّد، أقبلت أرقى في الجبل كأنّي أُرويّة[1] فانتهيت إلى النبيّ وهو يقرأ: ﴿ وما محمّد إلّا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل ... ﴾[2].

وفي هذا عكس الأمر فكأنّ النبيّ كان قد سبق أصحابه إلى الجبل قبل الصيحة! فلمّا صاح الشيطان أقسم إلّه فنزلت عقبه الآيات من آل عمران ثمّ انتهوا إليه وهو يقرأ بها! لكنّهم لم يكن لهم أن يكتشفوا عن نبيّك من سفح الجبل حتى يعلوه بحجّة أنّ نبيّك قد سبقهم إليه فأقبلوا حتى انتهوا إليه، ولهم الحجّة أيضاً: أنّ الشيطان أو إبليس من الشياطين صاح أو صرخ بقتل رسولك، وأنّك أردت من ذلك أموراً، كما قالوها[3].

هذا، وقبل أن ننتقل إلى عرض أخبار الصيحة أو الصرخة عرضنا لكثير من أخبار النكسة أو الهزيمة ولم تصرّح بصرخة ولا صيحة إلّا قول ابن قمئة بأنّه قتل محمّداً، مع أنّها لو كانت لكانت من أكبر أسباب الإنكشاف عنه ﷺ وأهمّ عوامل القلاقل، فكيف يخلو خبرٌ من علل انكسار الكثرة وبقاء القلّة عن أكبر أسبابه وأهمّ علله؟!

ثمّ كيف يصيح الشيطان ويريد الرحمان من ذلك أموراً كما قالوا[4]، ثمّ هو يذكر ذلك في آيات من كتابه تُتلى آناء الليل وأطراف النهار إلى يوم الخلود، يخلّد فيها ذلك يلومهم بها ويؤنّبهم ويقرّعهم ويوبّخهم؟! عفوك اللّهم أنت أعدل من ذلك وأفضل، وهيهات! ما ذلك الظنّ بك، ولا المعروف من فضلك، ولا مُشبه لما

---

(١) الأُرويّة: الأنثى من الوَعْل، أي حمار الوحش، ويشبّه بها في سرعة العدو والمشي.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

(٣) انظر مغازي الواقدي ١: ٢٣٥

(٤) مغازي الواقدي ١: ٢٣٥.

عاملت به عبادك من فضلك وكرمك وعطفك ولطفك ورأفتك ورحمتك

ثمّ كيف يصيح الشيطان ويريد الرحمان من ذلك أموراً، ثمّ يسألهم علىٰ ذلك ويتلو الرسول آياته تلك عليهم وهم لا يحيرون جواباً يعتذرون به إليه، بل هم يستمعون فينصتون وينكصون ويسكتون؟!

ثمّ كيف يصيح الشيطان، ويصرّح المغازي بأنّ الله أراد من ذلك أُموراً[1] ولا ينقل مثل ذلك أو شيء منه عن النبيّ وآله ولا أنّهم سألوهم عنه؟

ويكفينا هذا الغرض لردّ مثل هذه المزعمة المجربيّة، وقالوا قديماً: توجيه الغلط غلط آخر، بل أكبر.

ولذلك لم يعتمد علىٰ ذلك المحقّقون في السيرة والمغازي:

قال ابن أبي الحديد: قرأت هذه الغزاة (أُحُد) من كتاب الواقدي على النقيب أبي يزيد، وقلت له: إنّي أستعظم ما جرى لهؤلاء في هذه الوقعة! فكيف جرىٰ ذلك؟

قال: بعد قتل أصحاب الألوية حمل قلب المسلمين على قلب المشركين فكسره، فلو ثبت مجنّبتا رسول الله اللتان فيهما أُسيد بن حُضير والحباب بن المنذر بإزاء مجنّبتي المشركين لم ينكسر عسكر الإسلام، ولكن مجنّبتا المسلمين أطبقت إطباقاً واحداً على قلب المشركين مضافاً إلى قلب المسلمين، فصار عسكر رسول الله قلباً واحداً وكتيبة واحدة. فلمّا رأت مجنّبتا قريش أن ليس بإزائها أحد استدارت المجنّبتان من وراء عسكر المسلمين، وصعد كثير منهم للرماة الذين كانوا يحمون ظهر المسلمين فقتلوهم عن آخرهم لأنّهم لم يكونوا ممّن يقومون بخالد وعكرمة وهما في ألفي رجل وإنّما كانوا خمسين رجلاً، لا سيّما وقد تبعه كثير

---

(١) مغازي الواقدي ١ : ٢٣٥

منهم إلى الغنيمة فترك مركزه، وأكبّ على النهب! وأدّى كسر المسلمين يومئذٍ ونال منهم كلّ منال خالد بن الوليد، وكان فارساً شجاعاً ومعه خيل كثيرة ورجال أبطال موتورون، وقد دار خلف الجبل فدخل من الثغرة التي كان الرماة عليها فأتى من وراء المسلمين، وتراجع قلب المشركين بعد هزيمته فصار المسلمون بينهم في مثل الحلقة المستديرة واختلط الناس، فلم يعرف المسلمون بعضهم بعضاً وضرب الرجل منهم أخاه وأباه بالسيف وهو لا يعرفه لشدّة النقع والغبار، ولما اعتراهم من الدهشة والعجلة والخوف، فكانت الدبرة عليهم بعد أن كانت لهم ومثل هذا يجري دائماً في الحرب[1] وليست الصرخة ولا الصيحة، اللّهم إلّا تبريراً وتوجيهاً للغلطة، وتخفيفاً لدور ابن الوليد! ولم يذكر الصرخة النقيب أبو يزيد، ولا استدرك بها عليه ابن أبي الحديد!

وينبّه ابن أبي الحديد في كتابه بعد هذا إلى مسامحة وتهافت في أخبار الصيحة، فيقول: سألت المحدّث ابن النجّار عن هذا الموضع فقلت له: قصّة أُحُد تدلّ على أنّ الدولة بادىء الحال كانت للمسلمين، فلمّا صاح الشيطان: قُتل محمّد انهزم أكثرهم ثمّ ثاب أكثرهم فحاربوا حرباً كثيرة طالت مدّتها حتى صار آخر النهار، ثمّ اصعدوا في الجبل ورسول الله معهم فتحاجزوا. إلّا أنّ بعض روايات الواقدي يقتضي غير ذلك، نحو روايته: أنّه لمّا صاح الشيطان: إنّ محمّداً قد قُتل، كان رسول الله ينادي المسلمين فلا يعرّجون عليه فتوجّه نحو الجبل فانتهى إليهم وهم أوزاع يتذاكرون القتلى، فهذه الرواية تدلّ على أنّه أصعد في الجبل حيث صاح الشيطان، وصياح الشيطان كان حال غشيان خالد بن الوليد المسلمين من وراء الجبل وهم مشتغلون بالنهب، فكيف هذا؟

---

(١) شرح النهج ١٤: ٢٤٤ و٢٤٥.

فكان ابن النجّار لا يرى حلّاً للمشكل إلّا أن يدّعي: أنّ الشيطان صاح دفعتين: في أوّله وآخره لمّا تصرّم النهار، وما اعتصم بالجبل في الصرخة الأُولى، بل ثبت ولم يفارق عرصة الحرب، وإنّما فارقها في صرخته الثانية حيث علم أنّه لم يبق له وجه مُقام[1].

وإذ لم يُذكر حمزة في الثابتين علم أنّه قُتل في الحملات قبل النكسة، وقد يكون مقتله من عوامل التراجع عند المسلمين والتحرّز لدى المشركين، فلننتقل إلى:

مقتل حمزة عليه السلام

قال القمّي في تفسيره: كان حمزة بن عبد المطّلب يحمل على القوم فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له واحدٌ منهم.

وكان وحشيّ عبداً حبشيّاً لجبير بن مطعم.

وكانت هند بنت عُتبة قد أعطت وحشيّاً عهداً: لئن قتلت محمّداً أو عليّاً أو حمزة لأعطينّك رضاك!

فقال وحشي: أمّا محمد فلا أقدر عليه، وأمّا عليّ فرأيته رجلاً حذراً كثير الالتفات فلم أطمع فيه. فكمنت لحمزة فرأيته يهدّ الناس هدّاً، فمرّ بي فوطأ على حرف نهر فسقط، فأخذت حربتي فهززتها ورميته بها فوقعت في خاصرته وخرجت مغمّسة بالدم[2].

وروى المفيد في «الإرشاد» بسنده عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال: كانت هند بنت عتبة جعلت لوحشيّ جُعلاً على أن يقتل رسول الله

---

[1] شرح النهج ١٥: ٢٨ و٢٩، مختصراً، ولا مسند لدعوى النجّار.

[2] تفسير القمّي ١: ١١٦.

أو أمير المؤمنين أو حمزة بن عبد المطّلب ـ سلام الله عليهم ـ. فقال: أمّا محمّد، فلا حيلة لي فيه لأنّ أصحابه يطيفون به، وأمّا عليّ فإنّه إذا قاتل كان أحذر من الذئب، وأمّا حمزة فإنّي أطمع فيه، لأنّه إذا غضب لم يبصر بين يديه. وكان حمزة يومئذٍ قد أعلم بريشة نعامة في صدره.

فكمن له وحشيّ في أصل شجرة، فرآه حمزة فبدر إليه.

قال وحشيّ: وهززت حربتي حتى إذا تمكّنت منه رميته فأصبته في أربيته فأنفذته، وتركته حتى إذا برد صرت إليه فأخذت حربتي، وشغل عنّي وعنه المسلمون بهزيمتهم.

وجاءت هند فأمرت بشقّ بطن حمزة وقطع كبده والتمثيل به، فجدعوا أنفه وأذنيه ومثّلوا به، ورسول الله مشغول عنه لا يعلم بما انتهى إليه أمره[1].

وقال الطبرسي في «إعلام الورى»: كان وحشيّ يقول: كنت عبداً لجبير بن مطعم فقال لي: إنّ عليّاً قتل عمّي (طعيمة) يوم بدر، فإن قتلت محمّداً فأنت حرّ، وإن قتلت عمّ محمّد فأنت حرّ، وإن قتلت ابن عمّ محمّد فأنت حرّ.

قال: وكنت لا أخطئ في رمي الحراب، تعلّمته من الحبشة عندهم. فخرجت مع قريش بحربةٍ لي إلى أُحد أُريد بها العتق لا أُريد غيره، ولا أطمع في محمّد، ولكنّي قلت: لعلّي أُصيب من عليّ أو حمزة فأرزقه. وكان حمزة يحمل حملاته ثمّ يرجع إلى موقفه[2].

---

(١) الإرشاد ١: ٨٣.

(٢) رواه ابن إسحاق بسنده عن جعفر بن عمرو الضمري عن وحشي قال: كنت غلاماً لجبير بن مُطعِم، وكان عمّه طُعيمة بن عديّ قد أُصيب يوم بدر، فلمّا سارت قريش إلى أُحُد قال لي جبير: إن قتلت حمزة عمّ محمّد بعمّي فأنت عتيق.

قال: وكنت رجلاً حبشيّاً أقذف بحربة قذف الحبشة قلّ أُخطئ بها شيئاً، فخرجت

←

مع الناس، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصّره حتى رأيته في عُرْض الناس مثل
الجمل الأَوْرَق يهدّ الناس بسيفه هدّاً ما يقوم له شيء، وأنا أريده وأستتر منه بشجرةٍ أو
حجرٍ ليدنو منّي، إذ تقدّمني إليه سِباع بن عبد العزّى (وكانت أمّه أمّ أنمار مولاة شريق بن
الأخنس الثقفي وكانت ختّانة بمكّة) ٢: ٧٤ فلما رآه حمزة قال له: هلمّ إليّ يا ابن
مقطِّعة البظور! فضربه ضربةً ما أخطأ رأسه، وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها
عليه فوقعت في ثُنّته (قرب عانته) حتى خرجت من بين رجليه، وقام متثاقلاً نحوي فسقط،
فتركته حتى مات، ثمّ أتيته فأخذت حربتي ورجعت إلى المعسكر.

فلما رجعت إلى مكّة أُعتقت فأقمت بها حتى فتح رسول الله مكّة فهربت إلى الطائف
فمكثت بها، فلما أراد وفد الطائف أن يخرج إلى رسول الله ليسلموا تعيّت في مسعى أُلحق ببعض
البلاد التي لم تسلم؟ إذ قال لي رجل: إنّه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل دينه وتشهّد
شهادته. فلما قال لي ذلك خرجت معهم، حتى قدمت على رسول الله المدينة وقمت على
رأسه أشهد شهادة الحقّ فلما رآني قال: أوحشيّ؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: اقعد
فحدّثني كيف قتلت حمزة؟ فحدّثته، فلما فرغت من حديثي قال: ويحك غيّب عنّي وجهك
فلا أُرينّك. فكنت أتنكّب طريق رسول الله حيث كان لئلّا يراني حتى قبضه الله. ٣: ٧٦.
وكان بحمص ٢: ٧٥ ولم يزل يُحدّ في شرب الخمر حتى أُخرج اسمه من ديوان العطاء، ومات
بحمص. وكان عمر يرى ذلك من سوء توفيقه فقال: علمت أنّ الله لم يكن ليدع قاتل حمزة
أي حتى يجعله من أهل النار ٣: ٧٧

ولم يذكر ابن إسحاق هنا شيئاً عمّا صنعت هند بحمزة، وذكر ذلك في موضع آخر قال:
حدّثني صالح بن كيسان قال: وقعت هند والنسوة اللاتي معها يمثّلن بالقتلى من أصحاب
رسول الله يجدّعن الآذان والأنف، حتى اتّخذت هند من آذان الرجال وآنُفهم خَدَماً
وقلائد، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطها لوحشيّ غلام جبير بن مطعم، وبقرت عن كبد

حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها، ثمّ علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سُعْر

ما كان عن عتبة لي من صبرٍ ولا أخي وعمّه، وبكري

شفيت نفسي وقضيت نذري شفيت وحشيُّ غليل صدري

فشكر وحشي عليّ عمري حتى ترمّ أعظمي في قبري

ومرّ الحُلَيس بن زبّان بأبي سفيان وهو يضرب بزجّ الرمح في شدق حمزة بن عبد المطّلب ويقول: ذق يا عُقَقُ (أي عاقّ). فقال الحليس: يا بني كنانة هذا سيّد قريش يصنع بابن عمّه ما ترون! فقال أبو سفيان: ويحك اكتمها عنّي فإنّها كانت زلّة!

وقالت هند أيضاً:

شفيت من حمزة نفسي بأُحُدْ حتى بقرتُ بطنه عن الكبدْ

أذهبَ عنّي ذاك ما كنت أجد من لَذْعة الحزن الشديد المعتمد

فأنشد عمر بن الخطّاب بعض ما قالت لحسّان بن ثابت، فقال حسّان:

أشِرت لَكاعُ وكان عادتُها لؤماً إذا أشرت مع الكفر

وأقذع فيها فتركناها ٣: ٩٢ ـ ٩٣.

وروى الواقدي بسنده عن وحشيّ قال: كنت عبداً لجبير بن مطعم بن عدي، فلما خرج الناس إلى أُحُد دعاني فقال: قد رأيت مقتل طعيمة بن عديٍ قتله حمزة بن عبد المطّلب يوم بدر فلم نزل نساؤنا في حزن شديد إلى يومي هذا، فإن أنت قتلت حمزة فأنت حرٌّ.

قال: فخرجت مع الناس ولي مزاريق (رماح قِصار) وكنت أمرّ بهند بنت عتبة فتقول: إيه أبا دَسْمَه، اشفِ واشتفِ! فلمّا وردنا أُحُداً نظرت إلى حمزة يقدم الناس يهدّهم هدّاً، فرآني وأنا قد كمنت له تحت شجرة فأقبل نحوي، واعترض له سُباع الخزاعي (وكانت أمّه

ختّانة للنساء) فأقبل عليه حمزة وهو يقول: وأنت أيضاً يا ابن مقطّعة البظور ممّن يكثّر علينا، هلمّ إليّ! فاحتمله ثمّ ضرب به الأرض ثمّ قتله وأقبل نحوي سريعاً، فيعترض له جُرُف فوقع فيه، فزرقته بزرقي فوقع في ثُنّته (ما بين السرّة والعانة) حتى خرج من بين رجليه، فقتلته، ومرّت بي هند بنت عتبة فأعطتني ثيابها، وكان في ساقيها خلخالان من جزع ظفار، ومسكتان (سواران = معضدان) من ورق (فضّة) وخواتيم منها كنّ في أصابع رجليها، فأعطتني ذلك ١: ٢٨٦ ـ ٢٨٨.

وقيل قبل ذلك: قالوا: كان وحشيّ عبداً لجبير بن مطعم أو لابنة الحارث بن عامر، فقالت له: إنّ أبي قُتل يوم بدر، فإن أنت قتلت أحد الثلاثة فأنت حرّ: إن قتلت محمّداً أو حمزة، أو علي بن أبي طالب، فإنّي لا أرى في القوم كفؤاً لأبي غيرهم.

قال وحشيّ: وقد علمت أنّ رسول الله لا أقدر عليه وأنّ أصحابه لن يُسلموه، وأمّا حمزة فوالله لو وجدته نائماً ما أيقظته من هيبته، وأمّا عليّ فالتمسته. فبينا أنا في الناس ألتمسه إذ طلع عليّ فكان رجلاً حارساً حذراً كثير الالتفات! فقلت في نفسي: ما هذا صاحبي الذي ألتمس. ورأيت حمزة يفري الناس فرياً، فكمنت إلى صخرة (أو شجرة)، فاعترض له سباع بن أمّ أنمار ـ وكانت أمّه مولاة لشريق بن علاج الثقفي ختّانة بمكّة ـ فقال له حمزة: وأنت أيضاً يا ابن مقطّعة البظور ممّن يكثّر علينا؟! هلمّ إليّ! ثمّ احتمله فرمى به وبرك عليه وشحطه شحط الشاة! ثمّ أقبل إليّ مكبّاً فلمّا بلغ المسيل وقع على جرفه فزلّت قدمه، فهززت حربتي حتى رضيت منها فضربت بها في خاصرته حتى خرجت من مثانته وكرّ عليه طائفة من أصحابه فسمعتهم يقولون: أبا عُمارة! فلا يجيب فعلمت أنّه قد مات! وانكشف عنه أصحابه حين أيقنوا موته.

وذكرت هنداً وما لقيت من مصابها على أبيها وعمّها وأخيها (ويكرّرها)، فكررت عليه فشققت بطنه فأخرجت كبده، فجئت بها إلى هند بنت عتبة فقلت لها: ماذا لي إن قتلت قاتل

ثمّ روى عن الصادق عليه السلام قال: وزرقه وحشيّ فوق الثدي، فسقط، وشدّوا عليه فقتلوه[1]. فأخذ وحشي الكبد فشدّ بها إلى هند بنت عتبة، فأخذتها وطرحتها في فيها فصارت مثل الداغصة (عظم الركبة) فلفظتها!

وجاء أبو سفيان على فرس وبيده رمح حتّى وقف على حمزة فوجأه في شدق حمزة وقال: ذُق! يا عقق! (أي يا عاقّ الرحم) فنظر إليه الحُليس ابن علقمة فقال: يا معشر بني كنانة انظروا إلى من يزعم أنّه سيّد قريش ما يصنع بابن عمّه الذي صار لحماً! فقال أبو سفيان: صدقت! إنّما كانت زلّة منّي، فاكتمها عليّ[2].

وقال القمّي في تفسيره: وجاءت إليه هند فقطعت مذاكيره وقطعت أذنيه

---

*

أبيك؟ قالت: سبّني! فقيل: فهذه كبد حمزة! فأخذتها إلى فيها فمضغتها ثم لفظتها فلا أدري أقدرتها أم لم تُسِغها! ثمّ نزعت حُليّها وثيابها! فأعطتنيه ثم قالت: إذا جئت مكّة فلك عشرة دنانير. ثمّ قالت: أرني مصرعه. فأريتها مصرعه، فقطعت مذاكيره وجدعت أنفه وقطعت أذنيه ثمّ جعلتها مِسكتين وخلخالين ١: ٢٨٥ و٢٨٦.

وقال قبل ذلك: وكانت هند أوّل من مثّل بأصحاب النبيّ وأمرت النساء بالمثل: جدع الأنوف والآذان! فلم تبق امرأة إلّا عليها مِعضدان ومسكتان وخلخالان، ومُثّل بهم كلّهم إلّا حنظلة ابن أبي عامر الراهب الفاسق لأنّه نادى فيهم: يا معشر قريش حنظلة لا يُمثّل به وإن كان خالفكم وخالفني. فمُثّل بالناس وترك فلم يُمثّل به ١: ٢٧٤.

(١) قيل: أُصيب حمزة عليه السلام في الركن الجنوبي الشرقي من جبل الرُماة ثم سقط شهيداً في الجهة الشرقية منه ودفن في موضعه كما في مقال عبد الرحمن خويلد في مجلة الميقات ٤: ٢٦٣.

(٢) إعلام الورى ١: ١٨١. وفي مناقب آل أبي طالب ١: ١٩٢ و١٩٣.

وجعلتها حرصين (حلقتين) وشدّتهما في عنقها، وقطعت يديه ورجليه[1].

مقتل حنظلة غسيل الملائكة

ووقع إلى جانب حمزة حنظلة بن أبي عامر، وقال القمّي في تفسيره عنه:

لمّا حضر القتال نظر حنظلة إلى أبي سفيان على فرس يجول بين العسكرين، فحمل عليه فضرب عرقوب فرسه فاكتسعت الفرس وسقط أبو سفيان إلى الأرض وصاح: يا معشر قريش، أنا أبو سفيان وهذا حنظلة يريد قتلي! وعدا أبو سفيان، وحنظلة في طلبه، فعرض له رجل من المشركين فطعنه. فمشى حنظلة مع طعنته إلى طاعنه فضربه فقتله، وسقط حنظلة إلى الأرض بين حمزة وعمرو بن الجموح وعبد الله بن حرام (أبي جابر) وجماعة من الأنصار.

فقال رسول الله ﷺ: رأيت الملائكة يغسّلون حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صحائف من ذهب! فكان يسمّى: غسيل الملائكة[2].

---

(١) تفسير القمّي ١: ١١٧.

(٢) تفسير القمّي ١: ١١٨، الفقيه ١: ١٥٩ ح ٤٤٥ ط طهران و ١: ٩٧ ح ٤٦ ط نجف.

وقال ابن إسحاق: والتقى حنظلة بن أبي عامر الغسيل وأبو سفيان، فلمّا استعلاه حنظلة بن أبي عامر رآه شدّاد بن الأسود بن شعوب، فضربه فقتله. فقال رسول الله: إنّ صاحبكم (حنظلة) لتغسّله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه؟ فسُئلت صاحبته (جميلة بنت عبد الله بن أبي سلول) عنه فقالت: خرج حين سمع (الصيحة) وهو جُنُب ٣: ٧٩.

وقال الواقدي: لمّا انكشف المشركون اعترض حنظلة بن أبي عامر لأبي سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه فاكتسعت الفرس ووقع أبو سفيان إلى الأرض فجعل يصيح: يا معشر قريش، أنا أبو سفيان بن حرب، وحنظلة يريد ذبحه، حتّى عاينه الأسود

←

وقال الطبرسي في «إعلام الورى»: قال ﷺ: من ذلك الرجل الذي تغسله الملائكة في سفح الجبل؟ فسألوا امرأته، فقالت: إنّه خرج وهو جنب[1].

مقتل جمع من الشهداء

أمّا عمرو بن الجموح فإنّه كان في الرعيل الأوّل ممّن ثاب من المسلمين بعد الانكشاف، كان أعرج وهو يقول: والله أنا مشتاق إلى الجنّة، وأحد ابنيه يعدو في أثره حتى قُتلا جميعاً[2].

أمّا عبد الله بن جحش فإنّه قبل يوم أُحُد بيوم قال لرسول الله: يا رسول الله، إنّ هؤلاء قد نزلوا حيث ترى، وقد سألت الله ـ عزّ وجلّ ـ فقلت: اللّهم إنّي

ابن شعوب فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه فيه، فمشى حنظلة إليه بالرمح فجرحه ثمّ ضربه الثانية فقتله. وهرب أبو سفيان يعدو على قدميه فلحق ببعضهم فردفه على فرسه 1: 273.

وقال رسول الله: إنّي رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضّة (لا الذهب) ثمّ أرسل إلى امرأته فسألها فأخبرته أنّه خرج وهو جنب! (بدون ذكر الصيحة).

ولمّا قُتل حنظلة مرّ عليه أبوه أبو عامر وهو مقتول إلى جنب حمزة بن عبد المطّلب وعبد الله بن جحش، فقال: والله إن كنت لبرّاً بالوالد شريف الخلق في حياتك، وإنّ مماتك لمع سراة أصحابك وأشرافهم، وإن كنت أحذّرك هذا الرجل من قبل هذا المصرع. ثمّ نادى: يا معشر قريش حنظلة لا يمثّل به وإن كان خالفني وخالفكم، فشُغل بالناس وتُرك فلم يمثّل به 1: 274.

(1) إعلام الورى 1: 182.

(2) مغازي الواقدي 1: 264 و265.

أقسم عليك أن نلقى العدوّ غداً فيقتلوني ويبقروا بطني ويمثّلوا بي. فألقاك مقتولاً قد صُنع بي ذلك فتقول: فيم صُنع بك هذا؟ فأقول: فيك. وأنا أسألك ـ يا رسول الله ـ أخرى، وهي أن تلي تركتي بعدي. فقال رسول الله: نعم.

فبرز يوم أُحُد فقاتل حتى قُتل، ومُثّل به كلّ المثل[1].

وقال الواقدي: قالوا: مرّ مالك بن الدُّخْشُم على خارجة بن زيد بن أبي زهير وهو قاعد وبه ثلاثة عشر جُرحاً كلّها قد خلصت إلى مقتل ـ فقال له: أما علمت أنّ محمّداً قد قُتل! فقال خارجة: فإن كان قد قُتل فإنّ الله حيّ لا يموت فقد بلّغ محمّد، فقاتل عن دينك!

ومرّ على سعد بن الربيع ـ وبه اثنا عشر جُرحاً كلها قد خلصت إلى مقتل ـ فقال له: أما علمت أنّ محمّداً قد قُتل. فقال سعد بن الربيع: أشهد أنّ محمّداً قد بلّغ رسالة ربّه. فقاتل عن دينك. فإنّ الله حيّ لا يموت.

ومرّ أنس بن النضر بن ضمضم ـ عم أنس بن مالك ـ على رهط من المسلمين قعود وفيهم عمر بن الخطّاب. فقال لهم: ما يُقعدكم؟ قالوا: قُتل رسول الله، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه. ثمّ قاتل حتى قُتل.

وأقبل ثابت بن الدَّحْداحة والمسلمون أوزاع متفرّقون، قد سُقط في أيديهم، فجعل يصيح: يا معشر الأنصار، إليّ إليّ أنا ثابت بن الدَّحْداحة، إن كان محمّد قد قُتل فإنّ الله حيّ لا يموت، فقاتلوا عن دينكم، فإنّ الله مُظهركم وناصركم! فنهض إليه نفرٌ من الأنصار فجعل يحمل بمن معه من المسلمين على المشركين، فوقفت لهم منهم كتيبة خشناء فيها رؤساؤهم: خالد بن الوليد،

---

(١) مغازي الواقدي ١: ٢٩١.

وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطّاب (أخو عمر)، فحملوا يناوشونهم حتى قُتل من مع ثابت من الأنصار، وحمل خالد على ثابت بالرمح فطعنه فأنفذه فوقع ميتاً. فهؤلاء آخر من قُتل من المسلمين. ولم يكن بعدهم قتال.

ووصل حينئذٍ رسول الله مع أصحابه إلى الشعب فتوقّف القتال[1].

نهايات الحرب

وتراجع المنهزمون من أصحاب رسول الله فصاروا على الجبل. وصعدت جماعة من قريش على الجبل فيهم أبو سفيان، فنادى: أعْلُ هُبَلُ (أي أعلِ دينك يا هُبَل).

قال القمّي في تفسيره: فقال رسول الله لأمير المؤمنين عليه السلام: قل له: الله أعلى وأجلّ. فقال عليّ ذلك، فقال أبو سفيان: يا عليّ، إنّه قد أنعَمَ علينا. فقال عليّ عليه السلام: بل الله أنعم علينا.

ثمّ قال أبو سفيان: يا عليّ، أسألك باللات والعُزّى هل قتل محمّد؟

فقال له عليّ عليه السلام: لعنك الله ولعن الله اللات والعُزّى معك، والله ما قُتل محمّد، وهو يسمع كلامك[2] ثمّ نادى أبو سفيان: موعدنا وموعدكم في عام قابل. فقال رسول الله لعليّ عليه السلام: قل: نعم[3].

وروى الطوسي في «التبيان» عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: لمّا أصاب

---

(١) مغازي الواقدي ١: ٢٨٠ و٢٨١.

(٢) تفسير القمّي ١: ١١٧.

(٣) تفسير القمّي ١: ١٢٤.

المسلمين ما أصابهم وصعد النبيّ الجبل وجاء أبو سفيان وقال : يا محمّد، يومٌ لنا ويومٌ لكم. فقال رسول الله : أجيبوه . فقال المسلمون : لا سواء، لا سواء، قتلانا في الجنّة وقتلاكم في النار ! فقال أبو سفيان : عزّىٰ لنا ولا عُزّىٰ لكم ! فقال النبيّ : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم . قال أبو سفيان : أُعلُ هُبَل . قال النبيّ : قولوا له : الله أعلى وأجلّ . فقال أبو سفيان : موعدنا وموعدكم بدر الصفراء[1]

وقال الطبرسي في «إعلام الورى» : نادى أبو سفيان : أحيٌّ ابن أبي كبشة ؟

فقال عليّ عليه السلام : أي والذي بعثه بالحقّ وإنّه ليسمع كلامك .

فقال أبو سفيان : إنّ ابن قميئة أخبرني أنّه قتل محمّداً، وأنت أبرّ عندي وأصدق .

ثمّ قال : إنّه قد كانت في قتلاكم مُثلة، ووالله ما أمرت ولا نهيت .

ثمّ قال : إنّ ميعادنا بيننا وبينكم موسم بدر في قابل، هذا الشهر .

فقال رسول الله لعليّ : قل : نعم . فقال له عليّ : نعم . فولّى إلى أصحابه وقال لهم : اتّخذوا الليل جملاً وانصرفوا[2].

---

(١) التبيان ٣ : ٣١٤، ونحوه في مجمع البيان ٣ : ١٦٠ ، وفيهما : بدر الصغرى، وفي الواقدي ١ : ٢٩٧ بدر الصفراء ، وهو الصحيح ، لأنها إنّما وصفت بالصغرى بعد وقوعها .

(٢) إعلام الورى ١ : ١٨١ . وقال ابن إسحاق : ثمّ إنّ أبا سفيان بن حرب حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثمّ صرخ بأعلى صوته فقال : أنعمت فعال (أي أنعمت فعلت فارتفع بفعلك يخاطب نفسه) إنّ الحرب سجال، يوم بيوم ، أُعلُ هُبَلُ (أي : أظهر دينك)، سيرة ابن هشام ٣ : ٩٩

فقال رسول الله : قم يا عمر فأجبه فقل : الله أعلى وأجلّ ، لا سواء ، قتلانا في الجنّة

←

وقتلاكم في النار. فلمّا أجاب عمر أبا سفيان، قال له أبو سفيان: هلمّ إليّ يا عمر

فقال رسول الله لعمر: إئته فانظر ما شأنه؟ فذهب إليه

فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمّداً؟

قال عمر: اللّهم لا، وإنّه ليسمع كلامك الآن

فقال أبو سفيان: أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبرّ

ثمّ قال أبو سفيان: إنّه قد كان في قتلاكم مثل، والله ما رضيتُ وما سخطتُ وما نهيتُ وما أمرتُ. ثمّ نادى: إنّ موعدكم بدر، للعام القابل.

فقال رسول الله لرجل من أصحابه: قل: نعم، هو بيننا وبينكم موعد ٣: ٩٩ ر ١

وقال الواقدي: وتوجّه رسول الله يريد أصحابه في الشعب...

ويقال: إنّه كان متوكّئاً على طلحة بن عبيد الله وكان قد جُرح، فما صلّى الظهر إلّا جالساً. فقال له طلحة: يا رسول الله، إنّ بي قوّة، فحمله حتى انتهى إلى الصخرة على طريق أُحُد إلى شعب الجزّارين، ثمّ حمله حتى ارتفع عليها، ثم مضى إلى غيرها، فمضى إلى أصحابه ومعه النفر الذين ثبتوا معه (من دون أن يحمله طلحة).

ويقال: إنّه لمّا صعد في النفر الأربعة عشر الذين ثبتوا معه ـ سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار ـ فلمّا نظر المسلمون إلى من مع رسول الله ظنّوا أنّهم من المشركين فجعلوا يولّون في الشعب، فما جعلوا يولّون في الجبل جعل رسول الله يتبسّم إلى أبي بكر وهو إلى جنبه ويقول له: ألِحْ إليهم، فجعل أبو بكر يلوّح لهم ولا يرجعون، حتى نزع أبو دجانة عصابة حمراء على رأسه وصعد على الجبل فجعل يصيح ويلوّح لهم، فوقفوا حتى لحقوا بهم

قال: وطلع رسول الله على أصحابه في الشعب بين السعدين: سعد بن عُبادة، وسعد بن مُعاذ يتكفّأ في الدرع.

وروى عن كعب بن مالك الأنصاري قال: كنت ـ وأنا في الشعب ـ أوّل من عرف رسول الله

←

وعليه المغفر، فحسبت أصيح، هذا رسول الله حياً سوياً. فجعل رسول الله يومئ إليّ بيده على فمه أن اسكت. ثمّ دعا بلأمتي ـ وكانت صفراء ـ فنزع لأمته ولبسها (٤/٢٩٤).

وانتهى رسول الله إلى الشعب وأصحابه في الجبل أوزاع متفرّقون، يذكرون مقتل من قُتل منهم ويذكرون ما جاءهم عن رسول الله ﷺ (١/٢٩٣).

فروى عن رافع بن خديج قال: كنت إلى جنب أبي مسعود الأنصاري وهو يذكر مَن قُتل من قومه ويسأل عنهم فيخبر برجال منهم، منهم: سعد بن الربيع وخارجة بن زهير، وهو يسترجع ويترحّم عليهم، وبعضهم يسأل بعضاً عن حميمه فهم يخبر بعضهم بعضاً.

قال أبو أُسيد الساعدي: لقد رأيت أنفسنا وإنّا لسلمٌ لمن أرادنا ما من حرز إذ أُلقي علينا النعاس فنمنا حتى تتناطح الجحف (التروس من الجلود).

وقال أبو اليسر: لقد رأيتني يومئذٍ في أربعة عشر رجلاً من قومي إلى جنب رسول الله وقد أصابنا النعاس ﴿أمنةً منه﴾، ما منهم رجلٌ إلّا يغطّ غطيطاً، حتى تتناطح الجحف، ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده وما يشعر به، وتثلّم.

وقال أبو طلحة: أُلقي علينا النعاس حتى سقط سيفي من يدي، وإنّما أصاب أهل الإيمان واليقين، ولم يصب أهل النفاق والشكّ، فكانوا يتكلّمون بما في أنفسهم.

وقال الزبير بن العوام: غشينا النعاس فسمعت معتّب بن قُشير ـ وإنّي كالحالم ـ يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ههنا (١/٢٩٦) وفيه نزلت الآية ١٥٤ من سورة آل عمران ﴿ثمّ أنزل عليكم من بعد الغمّ أمنةً نعاساً يغشى طائفةً منكم وطائفةٌ قد أهمّتهم أنفسهم يظنّون بالله غير الحقّ ظنّ الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إنّ الأمر كلّه لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيءٌ ما قُتلنا ههنا﴾.

فبينما هم على ذلك إذ ردّ الله كتائب المشركين فدنا عدوّهم قد علوا فوقهم، فذهب الله

قريش إلى أين ؟

قال القمي في تفسيره : وقال رسول الله ﷺ : من رجلٌ يأتينا بخبر القوم ؟ فلم يجبه أحد . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أنا آتيك بخبرهم . قال : اذهب ، فإن ركبوا الخيل وجنّبوا الإبل فهم يريدون المدينة ، والله لئن أرادوا المدينة لا يأذن الله فيهم . وإن كانوا ركبوا الإبل وجنّبوا الخيل فإنّهم يريدون مكّة .

فمضى أمير المؤمنين عليه السلام على ما به من ألم الجُرحات ، حتى كان قريباً من القوم فرآهم قد ركبوا الإبل وجنّبوا الخيل . فرجع أمير المؤمنين إلى رسول الله

بذلك الخبر عنهم ، فنسوا ما كانوا يذكرون (١ : ٢٩٥) .

قالوا : وأقبل أبو سفيان يسير على فرس له شقّ حوّاء (أي حمراء سوداء) فنادى بأعلى صوته : أُعْلُ هُبَل ! ثمّ صاح : أين ابن أبي كبشة ؟ يوم بيوم بدر ، ألا إنّ الأيّام دُوَل ، وإنّ الحرب سِجال ، وحنظلة بحنظلة (حنظلة بن أبي عامر بحنظلة بن أبي سفيان) .

فقال عمر : يا رسول الله ، أُجيبه ؟ قال : أجبه . فقال عمر : لا سواء ، قتلانا في الجنّة وقتلاكم في النار ! قال أبو سفيان : إنّكم لتقولون ذلك ، لقد خِبنا إذن وخسرنا . ثمّ قال : قم إليّ يا ابن الخطّاب أُكلّمك . فقام عمر إليه ، فقال أبو سفيان : أُنشدك بدينك هل قتلنا محمّداً ؟ قال عمر : اللّهم لا ، وإنّه ليسمع كلامك الآن . قال : أنت أصدق عندي من ابن قمئة ، لأنّه أخبرهم أنّه قتل محمّداً .

ثمّ رفع أبو سفيان صوته قال : إنّكم واجدون في قتلاكم عَبَثاً ومَثْلاً ، ألا إنّ ذلك لم يكن عن رأي سَراتنا ، أما إذا كان ذلك فلم نكرهه . ثمّ نادى : ألا إنّ موعدكم بدر الصفراء على رأس الحول ! فوقف عمر وقفة ينتظر ما يقول رسول الله ، فقال رسول الله : قل : نعم . فقال عمر : نعم . فانصرف أبو سفيان إلى أصحابه وأخذوا في الرحيل (١ : ٢٩٦ و ٢٩٧) .

مما مرّ عن ابن إسحاق : أنّه ﷺ قال لرجلٍ من أصحابه : قل : نعم ، ولم يقل : عمر

فأخبره، فقال رسول الله: أرادوا مكّة[1].

وقال الطبرسي في «إعلام الورى»: ثمّ دعا رسول الله عليّاً عليه السلام فقال له: اتبعهم فانظر إلى أين يريدون، فإن كانوا ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنّهم يريدون المدينة، وإن كانوا ركبوا الإبل وساقوا الخيل فهم متوجّهون إلى مكّة ـ وقيل: إنّه بعث لذلك سعد بن أبي وقّاص ـ فرجع فقال: رأيت خيلهم تضرب بأذنابها مجنوبة مدبرة، ورأيت القوم قد تحمّلوا سائرين. فطابت أنفس المسلمين بذهاب العدوّ[2].

---

(١) تفسير القمي ١: ١٢٤.

(٢) إعلام الورى ١: ١٨١. وقال ابن إسحاق: ثمّ دعا رسول الله عليّ بن أبي طالب فقال له: اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وما يريدون؟ فإن كانوا قد جنّبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنّهم يريدون مكّة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنّهم يريدون المدينة. والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها ثمّ لأناجزنّهم.

قال عليّ عليه السلام: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فجنّبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجّهوا إلى مكّة ٣: ١٠٠.

وقال الواقدي: وأشفق رسول الله والمسلمون واشتدّت شفقتهم من أن يغيروا على المدينة فتهلك الذراري والنساء!

فقال رسول الله ـ لسعد بن أبي وقّاص ـ: ائتنا بخبر القوم، فإن ركبوا الإبل وجنّبوا الخيل فهو الظعن، وإن ركبوا الخيل وجنّبوا الإبل فهي الغارة على المدينة، والذي نفسي بيده لئن ساروا إليها لأسيرنّ إليهم ثمّ لأناجزنّهم ١: ٢٩٨. وروى بسنده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: فإن رأيت القوم يريدون المدينة فأخبرني فيما بيني وبينك ولا تفتّ في أعضاد المسلمين! فذهب فرآهم قد امتطوا الإبل، فرجع فما ملك نفسه أن جعل يصيح سروراً بانصرافهم ١: ٢٩٩. وهذا إن صحّ عن الباقر عليه السلام فإنّه يدلّ على أنّ الرسول بعث سعداً وعليّاً فبدا ما بينهما من تفاوت في حكمة التصرّف والعمل.

تفقّد الجرحى والقتلى:

قال الطبرسي في «إعلام الورى»: وطابت أنفس المسلمين بذهاب العدوّ فانتشروا يتتبّعون قتلاهم، فلم يجدوا قتيلاً إلّا وقد مثّلوا به إلّا حنظلة بن أبي عامر، كان أبوه مع المشركين فتُرك له. ووجدوا حمزة وقد شُقّ بطنه وجُدع أنفه وقُطعت أُذناه وأُخذ كبده[1].

وقال الواقدي: قال رسول الله: من له علمٌ بذكوان بن عبد قيس؟ فقال عليّ عليه السلام: أنا ـ يا رسول الله ـ رأيت فارساً يركض في أثره حتّى لحقه وهو يقول: لا نجوتُ إن نجوتَ! فحمل عليه بفرسه وذكوان راجل، فضربه وهو يقول: خذها وأنا ابن علاج! فأهويت إليه وهو فارس، فضربت رجله بالسيف حتّى قطعتها عن نصف الفخذ ثمّ طرحته من فرسه فذفّفتُ عليه، وإذا هو أبو الحكم بن الأخنس بن شريق بن علاج الثقفي[2].

وقال القمي في تفسيره: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من له علمٌ بسعد بن الربيع؟ فقال رجل: أنا أطلبه. فأشار رسول الله إلى موضع فقال: اطلبه هناك، فإنّي قد رأيته في ذلك الموضع قد شُرعت حوله اثنا عشر رمحاً[3].

---

(1) إعلام الورى ١: ١٨١، ١٨٢.

(2) مغازي الواقدي ١: ٢٨٣، وروى المفيد في الإرشاد ١: ٨٨ بسنده عن الصادق عليه السلام قال: وبارز عليّ عليه السلام الحكم أبا الحكم بن الأخنس فضربه فقطع رجله من نصف الفخذ فهلك.

(3) تفسير القمي ١: ١٢٢. وقد روى الواقدي عن ضرار بن الخطّاب الفهري قال: لمّا كررنا مع خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل فحملنا حملة عليهم تطايروا في كلّ وجه ←

وروى الصدوق في «معاني الأخبار» بسنده عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: بعثني رسولُ الله في طلب سعد بن الربيع وقال لي: إن رأيته فاقرأه منّي السلام وقل له: كيف تجدك؟

فجعلت أطلبه بين القتلى حتى وجدته بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم. فقلت له: إنّ رسول الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: كيف تجدك؟ فقال: سلّم على رسول الله، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن وُصِل إلى رسول الله وفيكم شُفْر يَطْرِف. وفاضت نفسه[1] فجئت إلى رسول الله فأخبرته، فقال: رحم الله سعداً نصرنا حيّاً وأوصى بنا ميتاً[2].

وهربوا حتى أنّي جعلت أطلب الأكابر من الأوس والخزرج لأقتلهم بأحبّتي في بدر فلا أرى أحداً ... وما كان طلب بغيته حتى تداعت الأنصار بينها فأقبلوا وخالصونا راجلين وعلى فرسان، فصبروا لنا وبذلوا أنفسهم حتى عقروا فرسي وترجّلت ولقيت من رجل منهم الموت الناقع وعاصيني فما فارقني حتى طعنته برمح من كلّ ناحية فوقع ١: ٢٨٣ فيبدو أنّه هو سعد بن الربيع، ولذلك افتقده الرسول.

(١) بحار الأنوار ٢٠: ٧٤ و٧٥ عن معاني الأخبار: ٢٠... وروى الخبر ابن إسحاق في سيرته ٣: ١٠٠ عن محمّد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني من بني النجّار (عن أبيه عن جدّه) قال: وفرغ الناس لقتلاهم فقال رسول الله: من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد. ٣: ١٠٠.

وقال الواقدي: وقالوا: وقال رسول الله: من يأتيني بخبر سعد بن الربيع؟ فإنّي قد رأيته وقد شُرع فيه اثنا عشر سناناً، وأشار بيده إلى ناحية من الوادي. قال: فخرج محمّد ابن مَسلمة، ويقال: أُبيّ بن كعب، فخرج نحو تلك الناحية قال ... ١: ١٠٠.

(٢) تفسير القمي ١: ١٢٣. وقال الواقدي: فاستقبل رسول الله القبلة رافعاً يديه يقول: اللّهم الق سعد بن الربيع وأنت عنه راضٍ. ١: ٢٩٣.

مصرع حمزة

ثمّ قال رسول الله: مَن له علمٌ بعمّي حمزة؟ فقال الحارث بن الصِمّة: أنا أعرف موضعه. فجاء حتى وقف على حمزة فكره أن يرجع إلى رسول الله فيخبره.

فقال رسول الله لأمير المؤمنين عليه السلام: يا علي، اطلب عمّك. فجاء عليّ عليه السلام فوقف على حمزة فكره أن يرجع إليه.

فجاء رسول الله حتى وقف عليه[1].

فروى العيّاشي في تفسيره عن الحسين بن حمزة عن الصادق عليه السلام قال: لمّا رأى رسول الله ما صُنع بحمزة بن عبد المطّلب قال: اللّهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان على ما أرى. ثمّ قال: لئن ظفرت لأُمثّلنّ ولأُمثّلنّ فأنزل الله: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خيرٌ للصابرين﴾[2].

---

(١) تفسير القمي ١: ١٢٢، وفيه الحارث بن سمّة مصحّفاً.

وقال الواقدي: سمعت الأصبغ بن عبد العزيز قال: وجعل رسول الله يقول: ما فعل عمّي؟ ما فعل عمّي حمزة؟ فخرج الحارث بن الصمّة فأبطأ، فخرج عليّ بن أبي طالب وهو يرتجز ويقول:

يا ربِّ إنّ الحارث بن الصمّةْ	كان رفيقاً وبنا ذا ذمّةْ
قد ضلّ في مهامهٍ مهمّةْ	يلتمس الجنّة فيما ثمّةْ

حتى انتهى إلى الحارث ووجد حمزة مقتولاً فرجع فأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله فخرج النبيّ يمشي حتى وقف عليه فقال: ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ إليّ من هذا الموقف ١: ٢٨٩ وابن إسحاق في السيرة ٣: ١٧٤ و ١٧٥ نقل الشعر أبياتاً ثلاثة.

(٢) النحل: ١٢٦.

فقال رسول الله: أصبر، أصبر[1]

---

(1) تفسير العياشي ٢: ٢٧٤ و٢٧٥ وعن الطوسي في التبيان ٦: ٤٤٠ عن الشعبي وقتادة وعطاء (عن ابن عبّاس) أنّ المشركين لمّا مثّلوا بقتلى أُحد من المسلمين قال المسلمون: إن أظهرنا الله عليهم لنمثّلنّ بهم أعظم ممّا مثّلوا بنا. ونقله الطبرسي في مجمع البيان ٧: ٦٠٥ وقال في إعلام الورى: ٨٤ فلمّا انتهى إليه رسول الله خنقته العبرة وقال: لأمثّلنّ بسبعين من قريش. فأنزل الله ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ فقال رسول الله ﷺ: بل أصبر. واختصره في المناقب ١: ١٩٣.

وقال القمّي في تفسير الآية: ذلك أنّ المشركين يوم أُحُد مثّلوا بأصحاب النبيّ الذين استشهدوا منهم حمزة، فقال المسلمون: أما والله لئن أولانا الله عليهم لنمثّلنّ بأخيارهم، فذلك قول الله ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا ...﴾ ١: ٣٩٢ وفي حرب أُحُد قال: فجاء رسول الله حتى وقف عليه، فلمّا رأى ما فُعل به بكى ثمّ قال: والله ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ عليّ من هذا المكان، لئن أمكنني الله من قريش لأمثّلنّ بسبعين رجلاً منهم، فنزل عليه جبرئيل فقال: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا ...﴾ فقال رسول الله: بل أصبر. ثمّ قال القمّي: فهذه الآية في سورة النحل (١٢٦) وكان يجب أن تكون في هذه السورة (آل عمران) التي فيها أخبار أُحُد ١: ١٢٣.

هذا، والآية من سورة النحل التي تحمل رقم السبعين في السور المكيّة والتي هي تربو على الثمانين، فهي من السور النازلة قبل الهجرة بأكثر من عشرة. وفي سبب نزول الآية نقل الطوسي القول الأوّل الذي نقلناه، والثاني: عن إبراهيم وابن سيرين ومجاهد (عن ابن عبّاس أيضاً) قال: إنّه في كل ظالم بغصب ونحوه، فإنّما يجازى بمثل ما عمل (اقتصاصاً) ٦: ٤٤٠ ونقله الطبرسي في مجمع البيان وقال: قال الحسن: نزلت الآية قبل أن يؤمر النبيّ بقتال المشركين، على العموم ٧: ٦٠٥ وعن ابن إسحاق في السيرة ٣: ١٠٢ نزول الآية في مقتل حمزة بسنده عن ابن عبّاس ومحمّد بن كعب القرظي. وقال الواقدي: ورأى رسول الله مثلاً شديداً فأحزنه فقال: لئن ظفرت بقريش لأمثّلنّ بثلاثين منهم! فنزلت هذه

فى القمي : فألقى رسول الله على حمزة بُردة كانت عليه، فكانت إذا مدّها على رأسه بدت رجلاه، وإذا مدّها على رجليه بدا رأسه، فمدّها على رأسه وألقى على رجليه الحشيش

وأمر رسول الله أن يجمع القتلى فصلّى عليهم (مع حمزة) وكبّر على حمزة سبعين تكبيرة، ودفنهم في مضاجعهم [1].

→

الآية ... فعفا رسول الله فلم يمثّل بأحد ١ : ٢٩٠ وعن جبرئيل نزل بالآية مذكرة بها لا ابتداءً.

(١) وروى ابن إسحاق في السيرة ٣ : ١٠٢ بسنده عن ابن عباس قال : أمر رسول الله بحمزة فسُجّي ببردة، ثم صلّى عليه فكبّر سبع تكبيرات، ثم أُتي بالقتلى (واحداً واحداً) يوضعون إلى جانب حمزة فكان يصلّي عليه وعليهم (في كل مرة) حتى صلّى عليه اثنتين وسبعين صلاة ٣ : ١٠٢

وروى عن الزهري عن العذري قال : إنّ رسول الله أشرف على القتلى يوم أُحد فقال : أنا شهيد على هؤلاء أنه ما من جريح يجرح في الله إلّا والله يبعثه يوم القيامة يُدمي جُرحه، اللون لون دم والريح ريح مسك

ورواه كذلك عن عمه موسى بن يسار عن أبي هريرة ٣ : ١٠٤ وكأنه كان في مقام الاكتفاء بدمائهم عن غُسلهم. فقد روى الخبر الواقدي قال : ولم يُغسّل رسول الله الشهداء يومئذ مما يوهم غسلهم قبل ذلك، وقال : لفّوهم بدمائهم وجراحهم فإنّه ليس احد يُجرح في سبيل الله إلّا جاء يوم القيامة لونُ جُرحه لون الدم وريحه ريح المسك، ثم قال : ضعوهم فأنا الشهيد على هؤلاء يوم القيامة

قال : وكان حمزة أوّل من جيء به إلى النبيّ فصلّى عليه رسول الله .. ثم جمع إليه الشهداء فكان كلّما أُتي بشهيد وضع إلى جنب حمزة فصلّى عليه وعلى الشهيد حتى صلّى عليه سبعين مرة، لأنّ الشهداء سبعون. ويقال : كان يؤتى بتسعة وحمزة عاشرهم فيصلّي

←

عليهم وترفع النسعة ويترك حمزة مكانه ويؤتى بتسعة آخرين فيوضعون إلى جنب حمزة فصلّى عليه وعليهم، حتى ذلك سبع مرّات.

قال: وكان ابن عباس وجابر بن عبد الله وطلحة بن عبيد الله يقولون: صلّى رسول الله على قتلى أُحُد وقال: أنا شهيد على هؤلاء. فقال أبو بكر: ألسنا إخوانهم أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا. قال: بلى، ولكنّ هؤلاء لم يأكلوا من أُجورهم شيئاً، ولا أدري ما تُحدثون بعدي! فبكى أبو بكر وقال: إنّا لكائنون بعدك ١: ٣٠٩، ٣١٠.

ونقل ابن إسحاق ـ أيضاً ـ عن آل عبد الله بن جحش، وهو ابن أُميمة بنت عبد المطّلب أُخت حمزة، فحمزة خاله، قالوا: إنّ رسول الله دفنه مع حمزة في قبره. وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد.

ثمّ روى عن بني سلمة قالوا: إنّ رسول الله حين أمر بدفن القتلى قال: انظروا إلى عمرو ابن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام (أبي جابر بن عبد الله) فاجعلوهما في قبر واحد فإنّهما كانا متصافيين في الدنيا ٣: ١٠٣ و١٠٤.

وقال الواقدي في عبد الله بن جحش: دفن هو وحمزة في قبر واحد ١: ٢٩١.

وقال: قال جابر (بن عبد الله الأنصاري): كان أبي (عبد الله بن عمرو بن حرام) أوّل قتيل قُتل يوم أُحُد من المسلمين، قتله سفيان بن عبد شمس السُلَمي فصلّى عليه رسول الله قبل الهزيمة ١: ٢٦٦.

وقال أبو طلحة: كان عمرو بن الجموح في الرعيل الأوّل حين ثاب المسلمون (بعد الهزيمة) ولكأنّي أنظر إلى ضلعه (عرج في رجله) حنقة، وهو يقول: أنا والله مشتاق إلى الجنّة. وابنه يعدو في أثره حتى قتلا جميعاً ١: ٢٦٥.

فوجد (هو وعبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر) وقد مُثّل بهما كلّ المُثَل قد قُطعت أعضاؤهما حتى لا يعرف أبدانهما، فقال النبيّ: ادفنوا هذين المتحابّين في الدنيا في قبر

واحد. وكان عبد الله بن عمرو رجلاً أحمر أصلع، وكان عمرو بن الجموح طويلاً

فلما أراد معاوية أن يُجري عين كِظامة (القناة من أُحُد إلى المدينة) نادىٰ مناديه: من كان له قتيل بأُحُد فليشهد. فخرج الناس إلىٰ قتلاهم فوجدوهم طراباً يتثنّون. وأصابت المسحاة رجلاً منهم فانبعث دماً! وكلّما حفروا التراب فاح عليهم المسك ١: ٢٦٨ وحُفر عنهما وعليهما نمرتان [illegible]. وكانت يد عبد الله على جرح وجهه فأُميطت يده فانبعث الدم فردّت إلى مكانها فسكن الدم. وما تغيّر من حاله قليلٌ ولا كثير، كأنّه نائم وبين ذلك وبين دفنه ست وأربعون سنة ١: ٢٦٧ وكانت القناة مرّ على قبر حمزة فحوّل إلىٰ مكانٍ آخر ١: ٢٦٨.

قال الواقدي: قال رسول الله للمسلمين يومئذ: احفروا وأوسعوا وأحسنوا، وادفنوا الاثنين والثلاثة في القبر وقدّموا أكثرهم قرآناً. فكان المسلمون يقدّمون في القبر أكثرهم قرآناً.

وكان ممّن يُعرف أنّه دفن في قبر واحد: خارجة بن زيد وسعد بن الربيع، والنعمان بن مالك وعبدة بن الحسحاس في قبرٍ واحد ١: ٣١٠.

وقال: وقد كان رسول الله يزورهم في كلّ حول، فإذا صار بفم الشعب رفع صوته، يقول: السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبىٰ الدار.

ومرّ رسول الله علىٰ مصعب بن عمير فوقف عليه وقرأ: ﴿ رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضىٰ نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً ﴾ (الأحزاب: ٢٣) ثمّ قال لأصحابه: أشهد أنّ هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم وسلّموا عليهم. والذي نفسي بيده لا يسلّم عليهم أحدٌ إلىٰ يوم القيامة إلّا ردّوا عليه.

وكان يقول: ليت أنّي غودرت مع أصحاب الجبل (شهداء أُحُد)

وكانت أُم سلمة زوج النبيّ تذهب فتسلّم عليهم في كلّ شهر فتظلّ يومها عندهم،

وخرجت فاطمة بنت رسول الله تعدو على قدميها حتى وافت رسول الله[1].

ونقل الطبرسي في «إعلام الورى» عن كتاب أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي قال: لمّا انتهت فاطمة وصفيّة إلى رسول الله ونظرتا إليه (ونظر إليهما) قال لعليّ: أمّا عمّتي فاحبسها عنّي، وأمّا فاطمة فدعها.

فلمّا دنت فاطمة من رسول الله ورأته قد شُجّ في وجهه وأُدمي فوه إدماءً، صاحت وجعلت تمسح الدم وتقول: اشتدّ غضب الله على من أدمى وجه رسول الله[2]. وقال القمي: وقعدت بين يديه فكان إذا بكى رسول الله بكت لبكائه وإذا

→

فجاءت يوماً ومعها غلامها تبعن فلم يسلّم، فقالت له: يا لكع اللئيم، ألا تسلّم عليهم؟! والله لا يسلّم عليهم أحد إلّا ردّوا إلى يوم القيامة.

وكانت فاطمة بنت رسول الله تأتيهم بين اليومين والثلاثة فتبكي عندهم وتدعو.

وعدّ من الزائرين: سلمة بن سلامة، ومحمّد بن مسلمة، وأبا سعيد الخدري وأبا هريرة وأبا بكر وعمر وعثمان وسعد بن أبي وقّاص ومعاوية ١: ٣١٣ و٣١٤.

(١) تفسير القمي ١: ١٢٣ و١٢٤.

(٢) إعلام الورى ١: ١٧٩. وقال ابن إسحاق: وبلغني أنّ صفيّة بنت عبد المطّلب أقبلت لتنظر إليه (حمزة) ـ وكان أخاها لأبيها وأُمّها ـ فقال رسول الله لابنها الزبير بن العوّام: القها فارجعها لا ترى ما بأخيها. فقال لها: يا أُمّه، إنّ رسول الله يأمرك أن ترجعي. قالت: ولِمَ؟ وقد بلغني أن قد مُثّل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان في ذلك، لأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله!

فلمّا جاء الزبير إلى رسول الله فأخبره بذلك قال: خلّ سبيلها. فأتته فنظرت إليه فصلّت واسترجعت واستغفرت له ٣: ١٠٢ و١٠٣.

←

انتحب انتحبت (١)

→

وحدّث الواقدي عن صفيّة قالت: عرفت انكشاف أصحاب رسول الله فخرجت والسيف في يدي حتى إذا كنت في بني حارثة أدركت نسوة من الأنصار ومعهنّ أُم أيمن، يعدون حتى انتهين إلى رسول الله وأصحابه أوزاع منفرّقون، فأوّل من لقيت عليّاً ابن أخي، فقال: ارجعي يا عمّة، فإنّ في الناس تكشّفاً فقلت: ورسول الله؟ قال: صالح بحمد الله. قلت: أدلّني عليه حتى أراه، فأشار إليه إشارة خفيّة من المشركين، فانتهيت إليه وبه جراحة.

ولمّا وقف النبيّ على حمزة وحُفر له طلعت صفيّة، فقال رسول الله للزبير: يا زبير أغنِ عنّي أُمّك. فقال الزبير لأُمّه: يا أُمّه، إنّ في الناس تكشّفاً (فارجعي) فقالت: ما أنا بفاعلة حتى أرى رسول الله. فلمّا رأت رسول الله قالت: يا رسول الله أين ابن أُمّي حمزة؟ فقال رسول الله: هو في الناس. قالت: لا أرجع حتى أنظر إليه. فجعل الزبير يلطّفها إلى الأرض حتى دُفن حمزة ١: ٢٨٨ و٢٨٩.

وقال: فقال رسول الله: دعوها (فجاءت) حتى جلست عند النبيّ على قبر حمزة، فجعلت تبكي ويبكي رسول الله، وينشج فينشج رسول الله، وفاطمة ابنته تبكي فيبكي رسول الله، ويقول: لن أُصاب بمثل حمزة أبداً!

ثمّ قال لهما رسول الله: أبشرا، فقد أتاني جبرئيل فأخبرني أنّ حمزة مكتوب في أهل السماوات السبع: حمزة بن عبد المطّلب أسد الله وأسد رسوله ١: ٢٩٠ وابن هشام ٣: ١٠٢ هذا الحديث الأخير فقط.

(١) تفسير القمي ١: ١٢٤ وقال الواقدي: قالوا: وخرجت فاطمة في نساء... كنّ يحملن الطعام والشراب على ظهورهنّ ويسقين الجرحى ويداوينهم، وهنّ أربع عشرة امرأة منهنّ فاطمة بنت رسول الله... وأُم سليم بنت ملحان وعائشة على ظهورهما... حملا... وحمنة بنت جحش بنت أُميمة بنت عبد المطّلب أُخت حمزة، تسقي العطشى وتداوي

←

الجرحى، وأم أيمن تسقي الجرحى.

ورأت فاطمة الذي بوجه رسول الله فاعتنقته وجعلت تمسح الدم عن وجهه، ورسول الله يقول: اشتدّ غضب الله على قوم أدموا وجه رسوله! وقال علي عليه السلام لفاطمة: أمسكي هذا السيف غير ذميم، وذهب يأتي بماء من المهراس (صخرٌ منقّر كبار وصغار فيجتمع فيها ماء المطر في أقصى شعب أُحُد، كما في وفاء الوفاء ٢: ٧٩ص أ مبرّد) فأتى بماء في مِجَنّه (الترس) فمضمض منه فاه ليغسل به الدم من فيه، وغسلت فاطمة الدم عن أبيه، وعليٌّ يصبّ عليها الماء بالمجن (الترس) ... وجعل النبيّ يقول: لن ينالوا منّا مثلها حتى تستلموا الركن!

ولمّا رأت فاطمة أنّ الدم لا يرقأ أخذت قطعة حصير، أو صوفة، فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم (١: ٢٤٩ و٢٥٠).

ولكنّ المفيد في الإرشاد قال: لمّا انصرف النبيّ إلى المدينة استقبلته فاطمة عليها السلام ومعه أمير المؤمنين وقد خضّب الدم يده إلى كتفه ومعه ذو الفقار، فناوله فاطمة وقال لها: خذي هذا السيف فقد صدقني اليوم ... وقال رسول الله: خذيه يا فاطمة فقد أدّى بعلك ما عليه، وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش (الإرشاد ١: ٨٩، ٩٠).

اللهم إلّا أن تكون قد حضرت أُحُداً مع النساء ثم رجعت قبل انصراف المسلمين فاستقبلتهم.

وقد قال الواقدي قبل ذلك: وكان سالم مولى أبي حذيفة (ابن المغيرة المخزومي) يغسل الدم عن وجه رسول الله وهو يقول: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله (١: ٢٤٥).

وكأنّ الرواة رأوا مولى أبي حذيفة أولى برسول الله من بنته فاطمة عليها السلام!

هذا بالإضافة إلى ما رووه أنّه قال لعليّ عليه السلام: إن كنت أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت والحارث بن الصمّة وسهل بن حنيف وسيف أبي دجانة غير مذموم (١

وقال القمي: ومرّ رجلٌ من الأنصار بعمرو بن وقش فرآه صريعاً بين القتلى (المسلمين) وكان قد تأخّر إسلامه، فقال له: يا عمرو، أنت على دينك الأوّل؟ فقال: معاذ الله، والله إنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، ثمّ مات.

فسأل رجل رسول الله: يا رسول الله إنّ عمرو بن وقش قد أسلم، فهو شهيد؟

فقال: إي والله إنّه لشهيد، وما رجل لم يصلّ لله ركعة دخل الجنّة غيره![1]

---

٢٤٩ وذلك من أخلاق الرسول الكريم بعيد جدّاً بعد أن يهوّن من شأن عليّ وسيفه ذي الفقار في ذلك اليوم!

(١) تفسير القمي ١: ١١٧. وروى ابن إسحاق في السيرة ٣: ٩٥ عن محمود بن لبيد قال: كان (عمرو بن ثابت بن وقش) يأبى الاسلام على قومه، فلما كان يوم خرج رسول الله إلى أُحد بدا له في الاسلام فأسلم ودخل في عُرض الناس وقاتل حتى أثبتته الجراحة، فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: ما جاء به؟ وسألوه فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أحدبٌ على قومك؟ أم رغبة في الاسلام؟ قال: بل رغبة في الاسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ثم أخذت سيفي فغدوت مع رسول الله ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم.

فذكروه لرسول الله فقال: إنّه لمن أهل الجنة ٣: ٩٥.

وقال الواقدي: وجد في القتلى جريحاً فدنوا منه وهو في آخر رمق فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ قال: آمنت بالله ورسوله ثم أخذت سيفي وحضرت، ومات في أيديهم. فقال رسول الله: انه لمن أهل الجنة ١: ٢٦٢ وفيه: ضرار بن الخطاب وأخوه سلمة بن ثابت قتله أبو سفيان بن حرب ورفاعة بن وقش قتله خالد بن الوليد ١: ٣٠١ وقد ذكرنا عمرو بن ثابت وأباه ثابت بن وقش مع المتحققين صدراً وإنما ذكرناهم هنا مع المستشهدين.

قال ابن إسحاق: وكان ممن قُتل يوم أُحد، مخيريق اليهودي، من بني ثعلبة بن الفطيون (أسلم) وغدا إلى رسول الله فقاتل معه حتى قتل، فبلغنا أن رسول الله قال: مخيريق خير يهود[1].

وبعض النفل:

روى الواقدي بسنده عن عمر بن الحكم قال: ما بقي شيء مع أحد من أصحاب رسول الله الذين أغاروا على النهب فأخذوا ما أخذوا من الذهب، إلّا رجلين:

أحدهما: عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، والآخر: عباد بن بشر، فإنهما أتيا رسول الله بأُحد، فجاء عباد بصرّة فيها ثلاثة عشر مثقالاً كان قد ألقاها في جيب قميصه وفوقها الدرع قد حزم وسطه، وجاء عاصم بمنطقة وجدها في العسكر فيها خمسون ديناراً فشدّها على حقويه من تحت ثيابه. فنفّلهما رسول الله ولم يخمّسه[2].

بعض النساء المفجوعات:

روى القمي في تفسيره قال: واستقبلته حَمْنةُ[3] بنت جحش، فقال لها

---

(1) وكان قد قال لقومه: يا معشر يهود، والله لقد علمتم أنّ (محمداً نبي) وأنّ نصره عليكم لحقّ... وأخذ عُدّته وسيفه وقال لهم: إن أُصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء ـ ٣: ٩٤ وقال الواقدي: يضعها حيث أراه الله، فهي عامة صدقات النبيّ صلى الله عليه وآله ـ ١: ٢٦٣ وقد ذكرناه مع الملتحقين ببدر ورأينا ذكره هنا مع المستشهدين.

(2) مغازي الواقدي ١: ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(3) في الأصل المطبوع: زينب، وهي أخت حمنة، وكانت زوج النبيّ ولم تكن زوج مصعب،

رسول الله: حتسبي. فقالت: مَن يا رسول الله؟ قال: أخاك (عبد الله بن جحش) قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، هنيئاً له الشهادة. ثم قال لها: احتسبي. قالت: مَن يا رسول الله؟ قال: حمزة بن عبد المطلب (خالك) قالت: إنا لله وإنّا إليه راجعون، هنيئاً له الشهادة. ثم قال لها: احتسبي. قالت: مَن يا رسول الله؟ قال: زوجك مصعب بن عمير. قالت: واحزناه!

فقيل لها: لم قلت ذلك في زوجك (دون سواه)؟

قالت: ذكرتُ يُتم ولده.

وقال رسول الله: إنّ للزوج عند المرأة لحدّاً ما لأحد مثله![1].

=

وأما زوج مصعب فهي أخته حمنة، كما في ابن هشام ٣: ١٠٤ والواقدي ١: ٢٩١ وتزوجها بعد مصعب طلحة بن عبيد الله التيمي كما في الواقدي ١: ٢٩٢.

(١) تفسير القمي ١: ١٢٤ وقال ابن إسحاق في السيرة ٣: ١٠٤: ذُكر لي أنّ حمنة بنت جحش استقبلت رسول الله لما انصرف راجعاً إلى المدينة، فلما لقيها الناس نعوا إليها أخاها عبد الله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له. ثم نعوا لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له. ثم نعوا لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت!

فلما رأى رسول الله تثبّتها عند ذكر أخيها وخالها وصياحها على زوجها قال: إنّ زوج المرأة منها لبمكان! ـ ٣: ١٠٣.

وقال الواقدي: وأقبلت حمنة بنت جحش فقال لها رسول الله: يا حَمْنَ احتسبي! قالت: مَنْ يا رسول الله؟ قال: خالك حمزة، فقالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون غفر الله له ورحمه، هنيئاً له الشهادة! ثم قال لها: احتسبي. قالت: مَن يا رسول الله؟ قال: أخوك. قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، غفر الله له ورحمه، هنيئاً له الجنة! ثم قال لها: احتسبي! قالت: مَن يا رسول الله؟ قال: بعلك مصعب بن عمير! قالت: واحزناه! فقال لها رسول

←

ونصّ الطبرسي في «إعلام الورى» عن كتاب أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي قال:

ودنت امرأة من بني النجار قد قتل أبوها وأخوها وزوجها مع رسول الله، دنت من رسول الله والمسلمون قيام على رأسه فقالت لرجل منهم: أحيٌّ رسول الله؟ قال: نعم، قالت: أستطيع أن أنظر إليه؟ قال: نعم. فأوسعوا لها فدنت منه وقالت: كل مصيبة بعدك جَلَل! وانصرفت[1].

الله، لِمَ تلبّثتِ هذا؟ قالت: يا رسول الله ذكرتُ يُتم بنيه فراعني. فدعا رسول الله لولده أن يحسن عليهم الخلف. وقال: إنّ للزوج من المرأة مكاناً ما هو لأحد! ١: ٢٩١ - ٢٩٢

(١) إعلام الورى ١: ١٨٣ وروى ابن إسحاق في السيرة ٣: ١٠٥ بسنده عن سعد بن أبي وقّاص قال: إن امرأة من بني دينار قد أُصيب أبوها وأخوها وزوجها مع رسول الله بأُحد، فلما نُعوا لها قالت: ما فعل رسول الله؟ قالوا: خيراً يا أُم (فلان) هو بحمد الله كما تحبّين. قالت: أرونيه أنظر إليه. فأشاروا إليه، فلما رأته قالت له: كل مصيبة بعدك جلَل، تريد: صغيرة. ٣: ١٠٥

وقال الواقدي: إن السُميراء (وفي شرح النهج ١٥: ٣٧ السُمَيرة) بنت قيس من بني دينار أُصيب ابناها (من زوجيها): سليم بن الحارث والنعمان بن عبد عمرو، أُصيبا مع النبيّ بأُحد، فلما خرجت ونُعيا لها قالت: ما فعل رسولُ الله؟ قالوا: هو بحمد الله صالح على ما تحبّين. قالت: أرونيه أنظر إليه. فأشاروا لها إليه، فلما رأته قالت له: يا رسول الله، كل مصيبة بعدك جَلَل.

ثُمّ خرجت [illegible] إلى أُحد فحملت ابنيها إلى المدينة، فلقيتها عائشة فقالت لها: ما وراءك؟ قالت: أما رسول الله فبخير بحمد الله، واتّخذ الله من المؤمنين شهداء! فقالت لها عائشة: فمن هؤلاء معك؟ قالت: ابناي ١: ٢٩٢

وقال: وكانت عائشة قد خرجت مع نسوة تستروح الخبر، ولم يُضرب الحجاب يومئذ،

فلما هبطت من بني حارثة الى الوادي حتى اذا كانت بآخر الحرّة (أرض الحجارة السود) لقيت هند بنت عمرو بن حرام اخت عبد الله بن عمرو بن حرام وزوج عمرو بن الجموح، وكانت تسوق بعيراً عليه أخوها عبد الله وزوجها عمرو وابنها خلّاد بن عمرو. فقالت لها عائشة: عندك الخبر فما وراءك؟ فقالت هند: أما رسول الله فصالح، وكل مصيبة بعده جلَلٌ واتخذ الله من المؤمنين شهداء. قالت: فمن هؤلاء؟ قالت: أخي وزوجي وابني خلّاد. قالت: فأين تذهبين بهم؟ قالت: الى المدينة أقبرهم فيها... ثم قالت لبعيرها: حَلْ حَلْ، تزجره فبرك (ولم يتحرك) فزجرته اخرى فقام فوجّهته الى المدينة فبرك، فوجّهته راجعة الى أُحد فأسرع! فرجعت الى النبيّ فأخبرته بذلك فقال رسول الله: ان الجمل مأمور. يا هند، ما زالت الملائكة مظلّة على أخيك من لدن قتل الى الساعة ينظرون أين يُدفن! ثم مكث رسول الله حتى قبرهم، ثم قال: يا هند، ترافقوا في الجنة جميعاً: عمرو بن الجموح وابنك خلاد وأخوك عبد الله. فقالت هند: يا رسول الله فادع الله عسى أن يجعلني معهم! ١: ٢٦٥ ـ ٢٦٦

هذا وقد مرّ عنه ان عائشة خرجت مع أربع عشرة امرأة على ظهورهن قرب الماء يسقين الجرحى، وان عائشة على ظهرها قربة ١: ٢٤٩، فلعلهن من هذه أيهن كن متأخرات في ذلك، ولعلهن خرجن بعد خروج ابنة خديجة الكبرى: فاطمة الزهراء وعمة النبيّ صفية بنت عبد المطلب وأم أيمن حاضنة النبيّ، وكان خروجهن حين وصل إلى المدينة المنهزمون فلقيتهم أمّ أيمن تحثي في وجوههم التراب وتقول لهم: هاك المغزل فاغزل به وهلمّ سيفك! ١: ٢٧٨

وأما مأمورية الجمل فلعله هو ما قاله ابن اسحاق في السيرة ٣: ١٠٣: أن رسول الله لما سمع أن أناساً من المسلمين قد احتملوا قتلاهم الى المدينة نهى عن ذلك وقال: ادفنوهم حيث صُرعوا ٣: ١٠٣ ولعل الشهداء مرّت بوالديهم الى المدينة قبل نهي الرسول عن

رجوع الرسول من أحد

قال الواقدي: فلمّا فرغ رسول الله من دفن أصحابه دعا بفرسه فركبه، وخرج المسلمون حوله، عامتهم جرحى، وأكثرهم في بني سَلَمة وبني عبد الأشهل. فلمّا كانوا بأصل الحَرّة (أول الحجارة السود) قال: اصطفّوا فنثني على الله. فاصطفّ الناس... فرفع يديه فدعا:

«اللهم لك الحمد كلّه، اللهم لا قابض لما بسطت ولا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا هادي لمن أضللت ولا مضلّ لمن هديت، ولا مقرّب لما باعدت ولا مُباعد لما قرّبت!

اللهم إنّي أسألك من بركتك ورحمتك وفضلك وعافيتك.

اللهم إنّي أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول!

اللهم إنّي أسألك الأمن يوم الخوف، والغناء يوم الفاقة. عائذاً بك اللهم من شرّ ما أعطيتنا وشرّ ما منعت منّا. اللهم توفّنا مسلمين.

اللهم حبّب إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين.

اللهم عذّب كفرة أهل الكتاب الذين يكذّبون رسلك ويصدّون عن سبيلك.

ذلك. وقال الواقدي: ثم إن الناس حملوا قتلاهم الى المدينة، فنادى منادي رسول الله: رُدّوا القتلى الى مضاجعهم! وكان الناس قد دفنوا قتلاهم في البقيع وغيره فلم يرد أحد أحداً إلّا شماس بن عثمان المخزومي مات عند أم سلمة بعد يوم وليلة ولم يدفن بعد فأمر رسول الله أن يرد الى أُحد فدفن هناك كما هو في ثيابه التي مات فيها ـ شرح النهج ١٥: ٣٩ عن الواقدي وليس فيه

اللهم أنزل عليهم رجسك وعذابك، إله الحقّ آمين»[1]

قال: وكان أبو سعيد الخُدْري يحدّث يقول: كنت من الذين ردّهم رسول الله ولم يُجزهم مع المقاتلين من موضع الشيخين (في طريق أُحد) فلما كان نهار أُحد وبلغنا مصابُ رسول الله وتفرّق الناس عنه، جئت مع غِلمان من بني خُدْرة (عشيرته) ننظر إلى سلامة رسول الله فنرجع بذلك إلى أهلنا، فلقيناهم بوادي بطن قناة، فلما نظر إليّ رسول الله قال: سعد بن مالك؟ قلت: نعم، بأبي وأُمّي! ودنوت منه فقبّلت ركبته وهو على فرسه. فقال: آجرك الله في أبيك.

ثمّ نظرت إلى وجهه فإذا في كلّ وجنة من وجنتيه موضع (حلقة المغفر) مثل الدرهم، وإذا شجّة عند أُصول الشعر (في جبهته) وإذا شفته السفلى تُدْمى وإذا رَباعيته اليمنى شظية، وعلى جُرح (جبهته) شيء أسود، فسألت: ما هذا على وجهه؟ قالوا: حصير محترق، وسألت: من دمّى وجنتيه؟ قيل: ابن قمئة. قلت: من شجّه في جبهته؟ قيل: ابن شهاب. قلت: من أصاب شفته؟ قيل: عتبة ابن أبي وقاص الزهري أخو سعد) فجعلت أعدو بين يديه[2].

ونقل الطبرسي في «إعلام الورى» عن كتاب أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي قال:

وانصرف رسول الله إلى المدينة، فمرّ بدور بني الأشهل وبني ظفر فسمع بكاء النوائح على قتلاهنّ، فترقرقت عينا رسول الله وبكى ثمّ قال: لكنّ حمزة لا بواكي له اليوم! فلمّا سمعها سعد بن مُعاذ وأُسيد بن حُضير قالا: لا تبكينّ امرأة

(١) مغازي الواقدي ١: ٣١٤ و٣١٥

(٢) مغازي الواقدي ١: ٢٤٧ و٢٤٨

حميتها حتى تأتي فاطمة فتسعدها [1].

قال الواقدي: وخرج النساء ينظرن إلى سلامة رسول الله

فروى عن أم عامر من بني عبد الأشهل قالت: كنّا في نوح على قتلانا إذ قيل لنا: قد أقبل النبيّ، فخرجنا ننظر إليه، فنظرت إليه والدرع عليه فقلت له: كلّ مصيبة بعدك جلل!

وكان رسول الله على فرسه وسعد بن معاذ آخذ بعنان فرسه، إذ خرجت أمّه تعدو نحوه، فقال سعد: يا رسول الله أمّي! فقال رسول الله: مرحباً بها! فدنت حتىٰ تأمّلت رسول الله فقالت: أمّا إذ رأيتك سالماً فقد أشوت [2] المصيبة

معزّاها رسولُ الله بابنها عمرو بن مُعاذ (أخي سعد) فقال لها:

يا أمّ سعد أبشري وبشّري أهليهم أنّ قتلاهم قد ترافقوا في الجنّة جميعاً، وقد شُفّعوا في أهليهم (وكانوا اثني عشر رجلاً)

فقالت: رضينا يا رسولَ الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟ يا رسول ادعُ لمن خُلّفوا.

فقال: اللهم أذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم، وأحسن الـ خلّفوا.

ثمّ قال لسعد بن مُعاذ: خَلِّ يا أبا عمرو الدابّة. فخلّى الفرس الناس. فقال رسول الله له: يا أبا عمرو، إنّ الجراح في أهل دارك فاش فيهم مجروح إلّا يأتي يوم القيامة جُرحُه كأغزر ما كان، اللونُ لونُ دم والريح ريح

---

(١) إعلام الورى ١: ١٨٣، وصدر الخبر عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام، ورواه الصدوق في الفقيه: فإلى أهل المدينة أن لا ينوحوا على ميّت ولا يبكوه حتى يبدأوا بحمزة فينوحوا ويبكوه، فهم إلى اليوم على ذلك ١: ١٨٢ ح ٥٥٣.

(٢) أشوت: قلّت.

المسك، من كان مجروحاً فليقرّ في داره وليداوِ جُرحه، ولا يبلغ معي بيتي، عزمةً مني.

فنادى فيهم سعد: عَزْمة رسولِ الله، ألّا يتبع رسول الله جريح من بني عبد الأشهل! فتخلّف كلّ مجروح، وإنّ فيهم لثلاثين جريحاً. ولكن سعد بن مُعاذ مضى معه إلى بيته[1].

وروى عن أبي سعيد الخدري قال: حملت أعدو بين يديه حتّى أُنزل بابه يتّكئ على السعدين: سعد بن عُبادة وسعد بن مُعاذ، ورأيت ركبتيه مجروحتين[2].

وروى المفيد في «الإرشاد» قال: فاستقبلته فاطمة عليها السلام ومعها إناء فيه ماء، فغسل به وجهه. ولحقه أمير المؤمنين وقد خضّب الدم يده إلى كتفه، ومعه ذو الفقار، فناوله فاطمة عليها السلام وقال لها: خذي هذا السيف فقد صدقني اليوم، وأنشأ يقول:

أفاطمُ هاكِ السيفَ غيرَ ذميم	فلستُ برعديد ولا بلئيم
لعمري لقد أعذرتُ في نصر أحمد	وطاعة ربّ بالعباد عليم
أميطي دماء القوم عنه فإنّه	سقى آلَ عبد الدار كأس حميم

فقال رسول الله: خذيه يا فاطمة، فقد أدّى بعلك ما عليه، وقتل الله بسيفه صناديد قريش[3].

---

(١) مغازي الواقدي ١: ٣١٥ و ٣١٦.

(٢) مغازي الواقدي ١: ٢٤٨.

(٣) الإرشاد ١: ٩٠. وقد مرّ عن الطبْرسي والواقدي حضور الزهراء إلى أحد، فلعلّها رجعت قبل رجوعهم فاستقبلته. وقد روى البيتين الأوّلين عن محمّد بن إسحاق، المعتزلي في شرح النهج ١٥: ٣٥، وليس في المطبوع من ابن هشام.

وقال ابن إسحاق: فلمّا رجع سعد بن مُعاذ وأُسيد بن حُضير إلى دور بني عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزّمن ويذهبن (؟) فيبكين على عمّ رسول الله.

وقال الواقدي: ورجع (سعد بن مُعاذ) إلى نسائه فساقهنّ إلى بيت رسول الله[1] ويقال: وجاء مُعاذ بن جبل بنساء بني سلمة، وجاء عبد الله بن رواحة بنساء بني الحارث بن الخزرج[3].

وروى عن أبي سعيد الخُدري قال: فلمّا غربت الشمس وأذّن بلال بالصلاة خرج رسول الله على مثل تلك الحال يتوكّأ على السعدين، ثمّ انصرف إلى بيته[4].

قال: فبكين النساء بين المغرب والعشاء[5] وبين الناس في المسجد يوقدون النيران يكمّدون بها الجروح.

ثمّ أذّن بلال بالعشاء حين غاب الشفق، وكان رسول الله نائماً فلم يخرج، فجلس بلال عند بابه حتى ذهب ثلث الليل ثمّ ناداه: الصلاة يا رسول الله[6].

قال: وقام رسول الله حين فرغ من النوم لثلث الليل فسمع البكاء فقال: ما هذا؟ فقيل: نساء الأنصار يبكين على حمزة. فقال لهنّ رسول الله: رضي الله عنكنّ وعن أولادكنّ. وأمر النساء أن يرجعن إلى منازلهنّ. قالت أُمّ سعد بن مُعاذ: فرجعنا إلى بيوتنا معنا رجالنا[7].

---

(١) ابن هشام ٣: ١٠٥.

(٢) مغازي الواقدي ١: ٣١٦ مكان حاضراً للصلاة.

(٣) مغازي الواقدي ١: ٣١٧.

(٤) مغازي الواقدي ١: ٢٤٨.

(٥) مغازي الواقدي ١: ٣١٦.

(٦) مغازي الواقدي ١: ٢٤٨.

(٧) مغازي الواقدي ١: ٣١٦ و٣١٧.

وقال الطبرسي: فلمّا سمع رسول الله الواعية على حمزة على باب المسجد ـ وهو عند فاطمة ـ قال لهنّ: ارجعن ـ رحمكنّ الله ـ فقد آسيتنّ بأنفسكنّ[1]. ورواه ابن إسحاق بسنده عن بعض رجال بني عبد الأشهل، ورواه ابن هشام عن أبي عبيدة[2].

وروى الواقدي بسنده قال: لمّا كان ليلة الأحد ... وبلال جالس على باب النبيّ وقد أذّن، وهو ينتظر خروج النبيّ ـ صلّى الله عليه [وآله] وسلم ـ فلمّا خرج نهض إليه عبد الله بن عمرو بن عوف المُزَنيّ فقال له: يا رسول الله، أقبلت من أهلي حتّى إذا كنت بمَلَل، فإذا قريش قد نزلوا، فقلت (في نفسي): لأدخلنّ فيهم ولأسمعنّ من أخبارهم، فجلست معهم، فسمعت أبا سفيان وأصحابه يقولون: ما صنعنا شيئاً، أصبتم شوكة القوم وحدّهم، فارجعوا نستأصل من بقي! وصفوان يأبى ذلك عليهم[3].

أمّا عن كيفية خروجه لصلاة العشاء ففي رواية عن أبي سعيد الخُدري قال: فخرج (للعشاء) فإذا هو يُحَفّ في مشيته منذ حين دخل بيته، فصلّيت معه العشاء، ثمّ رجع إلى بيته يمشي وحده، وقد صفّ له الرجال ما بين مُصلاه إلى بيته حتّى دخل بيته، وبقي وجوه الأوس والخزرج على باب النبيّ يحرسونه، خوفاً من

---

(1) إعلام الورى ١: ١٨٣.

(2) ابن هشام ٣: ١٠٥.

(3) مغازي الواقدي ١: ٣٢٦ ضمن تفسيره لآيات آل عمران بشأن غزوة حمراء الأسد. ولكن نصّ هكذا: «لمّا كان في المحرّم (؟) ليلة الأحد» وليلة الأحد بعد يوم أُحد لم تكن في عشر شوّال، ولم يعلّق على هذا بشيء. وفيه أنّه «لمّا سلّم أمر بلالاً فنادى في الناس بطلب عدوّهم» أي بعد صلاة العشاء ليلاً.

أن نكرّ عليهم قريش، وهم: سعد بن عبادة وسعد بن مُعاذ، وحُباب بن المنذر، وأوس بن خَوْليّ، وقتادة بن النعمان، وعبيد بن أوس[2].

ونقل الطبرسي فيه عن كتاب أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال: وكان قُزمان قد قتل ستّة أو سبعة من المشركين وقاتل قتالاً شديداً حتى أثخنته الجراح فاحتُمل إلى دور بني ظفر، فقال له المسلمون: أبشر يا قُزمان! فقد أُبليت اليوم! فقال: بم تبشّروني؟! فوالله ما قاتلت إلّا عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلت! ولمّا اشتدّت عليه الجراحة أخذ من كنانته مِشقصاً فقتل به نفسه!

فأتى رسول الله وقيل: إنّ قُزمان استشهد، وذكر لرسول الله حسن معونته لإخوانه، فقال: يفعل الله ما يشاء، إنّه من أهل النار! فقيل: إنّه قتل نفسه![3]

---

(١) رجعت إلى أهلي فأخبرتهم بسلامة رسول الله فحمدوا الله على ذلك وناموا ١: ٢٤٨ و٢٤٩.

(٢) مغازي الواقدي ١: ٣٣٤.

(٣) إعلام الورى ١: ١٨٢، ١٨٣. وروى ابن إسحاق في السيرة ٣: ٩٣ عن عاصم بن عمر بن قتادة الظَّفري من بني ظفر، قال: لمّا كان يوم أُحد كان فينا رجل دخيل يقال له قُزمان لا يدرى ممّن هو، قاتل قتالاً شديداً حتى قتل وحده سبعة أو ثمانية من المشركين، فأثبتته الجراحة، فاحتُمل إلى دور بني ظفر، وجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قُزمان، فأبشر، فقال: ماذا أُبشر؟! فوالله إن قاتلت إلّا عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلت. ولمّا اشتدّت عليه جراحته أخذ من كنانته سهماً فقتل به نفسه ـ ٣: ١٠٣ و١٠٤.

وقال الواقدي: وكان قُزمان لا يدرى ممّن هو معدوداً في بني ظفر مملّاً لا زوجة له ولا ولد، وكان شجاعاً. وشهد أُحداً فقاتل قتالاً شديداً فقتل ستّة أو سبعة

←

فقال: أشهد أنّي رسول الله.

وروى ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري الظفري (من بني ظفر) عن أبيه عن جدّه قال: كان منهم رجلٌ يُدعى يزيد بن حاطب بن أُميّة، أصابته جراحة يوم أُحد، فأُتي به إلى دار قومه وهو في سكرات الموت، فاجتمع إليه المسلمون من أهل بيته: أبشر يا ابن حاطب بالجنّة!

وكان أبوه حاطب منافقاً فأظهر يومئذٍ نفاقه فقال: بأي شيء تبشّرونه؟ بجنّة من حرمل (حول قبره)؟ والله غررتم هذا الغلام عن نفسه![1]

وقال الواقدي: لمّا رجع به قومه إلى منزله، رأى أبوه أهل الدار يبكون عنده، ولم يكن يقرّ بالإسلام فقال لهم: والله أنتم صنعتم به هذا! قالوا له: وكيف؟ قال: غررتموه من نفسه حتى خرج فقُتل، ثم صرتم تعدونه جنّة يدخل فيها؟! (أجل) جنّة من حرمل (حول قبره)[2].

قال: ويقال: إنّ عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ رجع وهو جريح وبات يكوي جرحه بالنار وجعل أبوه يقول: ما كان خروجك معه إلى هذا الوجه برأي! عصاني محمّد وأطاع الولدان، والله لكأنّي كنت أنظر إلى هذا! وابنه يقول: صنع

وأصابته الجراح فقيل له: يا أبا الغيداق هنيئاً لك الشهادة! قال: بمَ تبشّرون؟ قالوا: بشّرناك بالجنّة، قال: والله ما قاتلت على جنّة ولا نار إنّما قاتلت على الأحساب. ثمّ أخرج من كنانته سهماً فجعل يتوجّأ به نفسه، ولمّا أبطأ عليه أخذ السيف فاتّكأ عليه حتى خرج من ظهره. فذكر ذلك للنبيّ فقيل: قزمان قد جاءته الجراح، فهو شهيد؟ قال: هو من أهل النار ـ ١: ٢٦٣ و٢٦٤

(١) ابن هشام ٣: ٩٣.

(٢) مغازي الواقدي ١: ٢٦٣.

الله لرسوله وللمسلمين خيراً[١]

قال: وقال: إنّ أبا سلمة بن عبد الأسد (زوج أم سلمة) أصابه جُرح بأُحد، فلم يزل جريحاً حتى مات به بعد ذلك (بسنة)[٢].

غزوة حمراء الأسد[٣]:

نقل الطبْرسي في «إعلام الورىٰ» عن كتاب أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي قال: خرج أبو سفيان (بالمشركين) حتى إذا انتهى إلى الرّوحاء[٤] فأقام بها وهو يَهمّ بالرجعة على رسول الله ويقول: قد قتلنا صناديد القوم، فلو رجعنا استأصلناهم[٥].

وقال في «مجمع البيان»: لمّا انصرف أبو سفيان وأصحابه من أُحد فبلغوا الرّوحاء، ندموا على انصرافهم عن المسلمين وتلاوموا فقالوا: لا محمّداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتم! قتلتموهم حتى إذا لم يبق منهم إلّا الشريد تركتموهم، فارجعوا فاستأصلوهم[٦].

وقال القمي في تفسيره: نزلت قريش بالروحاء، فقال عكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام، وعمرو بن العاص، وخالد بن الوليد: نرجع فنغير على المدينة فقد قتلنا سراتهم وكبشهم[٧].

---

(١) مغازي الواقدي ١: ٣١٧

(٢) مغازي الواقدي ١: ٣٠٠

(٣) حمراء الأسد: وهي من المدينة على ثمانية أميال إلى مكّة ـ مجمع البيان ٢: ٨٨٦

(٤) الرّوحاء: كانت لعديّ بن حاتم الطائي وهي على أربعين ميلاً من المدينة إلى مكّة

(٥) إعلام الورىٰ ١: ١٨٤

(٦) مجمع البيان ٢: ٨٨٦

(٧) تفسير القمي ١: ١٢٥

قال: ونزل جبرئيل على رسول الله فقال له: إنّ الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم، ولا يخرج معك إلّا من به جراحة![1]

وقال الطبرسي: فبلغ ذلك الخبر رسول الله فأراد أن يُرهب العدوّ ويريهم من نفسه وأصحابه قوّة، فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال: «ألا عصابة تشدّد لأمر الله تطلب عدوّها؟ فإنّها أنكى للعدو وأبعد للسمع»[2].

وقال القمي: فأمر رسول الله منادياً ينادي: يا معشر المهاجرين والأنصار، من كانت به جراحة فليخرج، ومن لم يكن به جراحة فليقم![3]

---

(1) تفسير القمي ١: ١٢٤.

(2) مجمع البيان ٢: ٨٨٦.

(3) تفسير القمي ١: ١٢٥. وقبل أن نخرج بالجرحى من صحابة الرسول إلى حمراء الأسد، حادث حدث صباحاً:

كان ممّن انهزم من المشركين يوم أُحد في الحملة الأولى وقبل النكسة: معاوية بن المغيرة ابن أبي العاص (ابن عمّ عثمان بن عفّان بن أبي العاص) ولكنّه ضلّ الطريق.

قال الواقدي: فنام قريباً من المدينة، فلمّا أصبح دخل المدينة فأتى منزل عثمان بن عفّان فضرب بابه، فقالت امرأته أُمّ كلثوم بنت رسول الله: ليس هو هاهنا هو عند رسول الله. فقال معاوية: فأرسلي إليه فإنّ له عندي ثمن بعير اشتريته منه عام أوّل فجئته بثمنه، وإلّا ذهبت.

فأرسلت إلى عثمان فجاء، فلمّا رآه قال: ويحك أهلكتني وأهلكت نفسك، ما جاء بك؟! قال: يا ابن عمّ لم يكن لي أحد أقرب إليّ ولا أحقّ منك. فأدخله عثمان في ناحية البيت.

وقال الرسول لأصحابه: إنّ معاوية (ابن المغيرة) قد أصبح بالمدينة فاطلبوه ←

فطلبوه فلم يجدوه.

وخرج عثمان إلى النبيّ يريد أن يأخذ له أماناً. وقال بعض أصحابه لبعض: خبّئوه في بيت عثمان، فدخلوا بيت عثمان وسألوا عنه أم كلثوم فأشارت إلى حجرة فيها ثلاثة أعواد مربوط رؤوسها ويخالف بين أرجلها وتعلّق بها الإداوة ليبرد ماؤها، فاستخرجوه من تحتها وانطلقوا به إلى النبيّ وعثمان جالس عند رسول الله، فلما رآه عثمان قال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحقّ ما جئته إلّا أن أسألك أن تؤمّنه، فهبه لي يا رسول الله. فوهبه له وأمّنه مؤجّلاً ثلاثة أيام فإن وُجد بعدهنّ قُتل. فخرج عثمان فاشترى له بعيراً وجهّزه وقال له: ارتحل. وخرج عثمان مع المسلمين إلى حمراء الأسد، فأقام معاوية حتى كان اليوم الثالث ثمّ ارتحل وخرج ـ ١ : ٣٣٣.

واختصر خبره ابن هشام في السيرة ٣ : ١١١ فقال: وقال: كان معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، لجأ إلى عثمان بن عفّان (ابن أبي العاص)، فاستأمن له رسول الله فأمّنه على أنّه إن وجد بعد ثلاث قتل، فأقام ثلاثاً وتوارى ـ ٣ : ١١١.

وروى خبره الكليني في الجزء الأوّل من فروع الكافي: ٦٩ كما في بحار الأنوار ٢٢ : ١٦٠ عن عليّ بن إبراهيم القمي بسنده عن يزيد بن خليفة الحارثي الخولاني قال: كنت حاضراً عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام وسأله عيسى بن عبد الله (القمي الأشعري) عن خروج النساء للجنازة فقال عليه السلام: كان المغيرة بن أبي العاص (كذا) ممّن هدر رسول الله دمه، فآوى (عثمان) عمّه وقال لابنة رسول الله: لا تخبري أباك بمكانه، وكأنه لا يوقن أنّ الوحي يأتي محمّداً! فقالت: ما كنت لأكتم عن رسول الله عدوّه. فجعله بين مشجب له ولحفه بقطيفة. وأتى رسول الله الوحي فأخبره بمكانه.

وروى الخبر القطب الراوندي في الخرائج أخرجه من طريق آخر عن يزيد بن خليفة كما مرّ، إلّا أنّ فيه: أنّ عثمان خرج إلى رسول الله فاستأمنه عمّه، بينما في الكافي أنّه أخذ

وفي خبر الطبرسي عن كتاب ابان بجلي الكوفي قال: فلمّا كان الغد من يوم أُحد، نادى منادي رسول الله في المسلمين: (أن يخرجوا على علّتهم) فخرجوا على علّتهم وما أصابهم من القرح والجرح وقدّم عليّاً بر به المهاجرين حتى انتهوا إلى حمراء الأسد[1].

وقال الطبرسي في «مجمع البيان»: ونادى منادي رسول الله: ألا لا يخرجنّ أحدٌ إلّا من حضر يوما بالأمس فاسندت عصابة منهم مع ما بهم من القُراح والجراح التي أصابهم يوم أُحد فخرج في سبعين رجلاً، حتى بلغ حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال[2].

قال القمي فوافقهم رجلٌ خرج من المدينة، فسألوه الخبر فقال: تركت محمّداً وأصحابه بحمراء الأسد يطلبونكم جدّ الطلب[3].

وفي خبر الطبرسي عن كتاب أبان البجلي الكوفي قال: والتقى بأبي سفيان معبد الخُزاعي فقال له: ما وراءك يا معبد؟ فقال معبد: قد والله تركت محمّداً وأصحابه وهم يحرّقون عليكم وهذا عليّ بن أبي طالب قد أقبل على مقدّمته في الناس، وقد اجتمع عليه من كان تخلّف عنه وقد دعاني ذلك إلى أن قلت شعراً في ذلك.

قال أبو سفيان: وما قلت؟ قال: قلت

بيد عمّه وأتى به النبيّ وستأمنه له. وفي خبر الخرائج أنّه كان هذا يوم الخندق دون أُحد ـ كما في بحار الأنوار ٢٢: ١٥٨.

(١) إعلام الورى: ١٨٣، ١٨٤.

(٢) مجمع البيان ٢: ٨٨٦.

(٣) تفسير القمي ١: ١٢٥.

كادت تُهدّ من الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرضُ بالجُرد الأبابيل

تَردي بأُسدٍ كرامٍ لا تنابلةٍ ... عند اللقاء ولا ميلٍ معازيل[1]

فظلت عَدْواً أظنّ الأرضَ مائلةً ... لمّا سَمَوا برئيسٍ غير مخذول

وقلت: ويل ابن حربٍ من لقائكم ... إذا تغطمطت البطحاء بالجيل[2]

إني نذيرٌ لأهل البَسْل ضاحيةً ... لكل ذي إربةٍ منهم ومعقول[3]

من جيش أحمد لا وخشٍ تنابلةٍ ... وليس يوصف ما أُنذرتُ بالقيل[4]

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه[5].

---

(١) تَردي: تُسرع. التنابلة: القصار الضعاف. معازيل: الأعزل من السلاح.

(٢) تغطمطت: ماجت. الجيل: الخيل.

(٣) البسل: الشجاعة.

(٤) الوخش: الأوباش.

(٥) إعلام الورى ١: ١٨٤ وروى بيتين من الشعر. وروى ابن إسحاق في السيرة ٣: ١٠٨ خبر معبد الخزاعي هنا، وكرّر ذكره ومروره بالرسول والمسلمين في بدر الصغرى (الموعد) وبيتين من شعر آخر له ٣: ٢٢١. وكذلك الواقدي في المغازي ١: ٣٣٩ و٣٨٩ فهل تكرّر دوره المشابه؟

وروى ابن إسحاق في السيرة ٣: ١٠٨ عن عبد الله بن أبي بكر قال: إنّ أبا سفيان ومن معه لمّا كانوا بالروحاء قالوا: أصبنا حدّ أصحابه وأشرافهم وقادتهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم! لنكرّنّ على بقيتهم فلنفرغنّ منهم. وأجمعوا على الرجعة إلى رسول الله وأصحابه ـ ٣: ١٠٨.

قال ابن إسحاق: وكان يوم أُحد يوم السبت للنصف من شوّال، فلمّا كان الغد يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوّال، أذّن مؤذّن رسول الله في الناس بطلب العدوّ، وأن لا يخرجنّ معنا أحد إلّا أحد حضر يومنا بالأمس. فخرج رسول الله حتى انتهى إلى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال (= ١٤ كيلومتراً تقريباً) فأقام بها الاثنين ←

والثلاثاء والأربعاء.

ومرّ به معبد بن أبي معبد الخزاعي وهو مشرك فقال لرسول الله: يا محمّد، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك، ولوددنا أن الله عافاك فيهم.

ثمّ خرج ورسول الله بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالرّوحاء.

فلمّا رأى أبو سفيان معبداً قال له: ما وراءك يا معبد؟

قال: محمّد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرّقون عليكم تحرّقاً، قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه في يومكم، وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط!

قال أبو سفيان: ويحك ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصي الخيل!

قال: لقد أجمعنا الكرّة عليهم لنستأصل بقيّتهم! قال: فإنّي أنهاك عن ذلك! ولقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم شعراً. قال: وما قلت؟ قال: قلت: (الأبيات). فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه ٣: ١٠٦ ـ ١٠٩.

وروى ابن هشام عن أبي عبيدة: أنّ أبا سفيان لمّا انصرف من أُحد وأراد الرجوع إلى المدينة ليستأصل بقيّة أصحاب رسول الله، قال له صفوان بن أُميّة: إنّ القوم قد حربوا، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان، فارجعوا، فرجعوا ٣: ١١٠.

ومرّ به ركب من عبد القيس، فقال لهم: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: ولِمَ؟ قالوا: نريد الميرة. قال: فهل أنتم مبلّغون عنّي محمّداً رسالة أُرسلكم بها إليه؟ وأُحمّل لكم هذه العير غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتموه فأخبروه: أنّا قد أجمعنا المسير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيّتهم.

فمرّ الركب برسول الله وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل. وقال: والذي نفسي بيده لقد سُوّمت لهم حجارة لو صبحوا بها لكانوا

كأمس الذاهب ـ ٣ . ١٠٧ ـ ١١٠

وقال الواقدي: كان وجوه الأوس والخزرج: سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وحُباب ابن المنذر وأوس بن خَوْليّ، وقتادة بن النعمان وعبيد بن أوس في عدّة منهم، كانوا قد باتوا في المسجد على باب رسول الله عن سوبه (ليلة الأحد لثمانٍ خلون من شوّال)

فلمّا صلّى صلاة الصبح وانصرف منها أمر بلالاً أن ينادي: إنّ رسول الله يأمركم بطلب عدوّكم، ولا يخرج معنا إلّا من شهد القتال بالأمس!

فخرج سعد بن معاذ راجعاً إلى داره يأمر قومه بالمسير قال: والجُراح فاشية في الناس عامّة! فجاء سعد بن مُعاذ فقال: إنّ رسول الله يأمركم أن تطلبوا عدوّكم

وجاء سعد بن عُبادة قومه بني ساعدة فأمرهم بالمسير فتلبّسوا ولحقوا

وجاء (أبو) قتادة أهل خُربى وهم يداوون الجراح فقال لهم: هذا منادي رسول الله يأمركم بطلب عدوّكم. فوثبوا إلى سلاحهم وما عرّجوا على جراحاتهم.

واستأذنه رجال لم يحضروا القتال فأبى ذلك عليهم، فلم يخرج معه أحد لم يشهد القتال بالأمس غير جابر بن عبد الله الأنصاري فإنّه قال لرسول الله: يا رسول الله، إنّ منادياً نادى: أن لا يخرج معنا إلّا من حضر القتال بالأمس، وقد كنت حريصاً على الحضور بالأمس، ولكنّ أبي خلّفني على أُخوات لي وقال: يا بُنيّ لا ينبغي لي ولك أن ندعهنّ ولا رجل عندهن، وأخاف عليهنّ وهنّ نُسيّات ضعاف، وأنا خارج مع رسول الله لعلّ الله يرزقني الشهادة، فتخلّفت عليهن، فاستأثره الله عليّ بالشهادة وقد كنت رجوتها، فأذن لي يا رسول الله أن أسير معك! فأذن له رسول الله صلّى الله عليه [وآله]

ودعا رسول الله ـ صلّى الله عليه [وآله] ـ بلوائه وهو معقود لم يُحلّ من الأمس فدفعه إلى عليّ عليه السلام. وخرج رسول الله وهو مجروح في وجهه أثر الحلقتين، ومشجوج في جبهته في أصول الشعر، وقد انكسرت رباعيته، وجُرحت شفته من باطنها، وهو متوهّن منكبه

لأُبيّ بضربة ابن قميئة، وركبتاه مجحوشتان، فدخل المسجد فركع ركعتين والناس قد حشدوا، ثمّ دعا بفرسه على باب المسجد فركب وعليه الدرع والمغفر ما يُرى منه إلّا عيناه!

ثمّ قال لطلحة بن عبيد الله: ترى (أين) القوم الآن؟ قال: هم بالسيّالة. فقال رسول الله: ذلك (هو) الذي ظننت، أما إنّهم يا طلحة لن ينالوا منّا مثل أمس حتى يفتح الله مكّة علينا!

وبعث رسول الله ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم: سليطاً ونعمان ابني سفيان السهمي الدارمي، ومعهما ثالث لم يُسمّ. ولحقت القوم بحمراء الأسد فبصروا بهما فأصابوهما ـ ١: ٣٣٧.

فروى عن بكير بن مسمار قال: إنّما نزل المشركون حمراء الأسد في أوّل الليل ساعة ثمّ رحلوا وتركوا أبا عزّة (عمرو بن عبد الله الجُمحي) نائماً مكانه، حتى لحقه المسلمون نهاراً وهو مستنبه يتلفّت يميناً وشمالاً، فأخذه عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري ـ ١: ٣٠٩.

فروى عن سعيد بن المسيّب أنّه قال للنبيّ: يا محمّد، إنّما خرجت مُكرهاً ولي بنات فامنن عليّ!

فقال رسول الله: أين ما أعطيتني من العهد والميثاق؟ لا والله لا تمسح عارضيك بمكّة تقول: سخرت بمحمّد مرّتين! ١: ١١١ وقال: إنّ المؤمن لا يُلدغ من جحر مرّتين! ثمّ أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه ١: ٣٠٩.

وعسكر هناك وأقبرو (الأخوين الرسولين) في قبر واحد فقيل لهما: القرينان. وكان عامّة زاد المسلمين التمر حمل معه سعد بن عبادة ثلاثين بعيراً، وساق جُزراً فنحروا في يوم الاثنين والثلاثاء. وكان رسول الله يأمرهم في النهار بجمع الحطب فإذا أمسوا أمرهم أن يوقدوا النيران فكانوا يوقدون خمسمئة نار، حتى ذهب ذكر نيرانهم ومعسكرهم في كلّ

وجه، وكان ذلك مما كبت الله به عدوّهم ١ . ٣٣٨

قال: وكان مما ردّ الله به أبا سفيان وأصحابه كلام صفوان بن أميّة، إذ قال لهم: يا قوم لا تفعلوا، فإنّ القوم قد حَرِبوا وأخشى أن يجمعوا عليكم من تخلّف من الخزرج، فارجعوا والدولة لكم، فإني لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة لهم عليكم ـ ١ ٣٣٩ وقال لهم: قد أصبتم القوم، فانصرفوا، ولا تدخلوا عليهم وأنتم كالّون، ولكم الظفر، وإنكم لا تدرون ما يغشاكم، وقد ولّيتم يوم بدر فلا تبعوكم والظفر لهم عليكم ١ : ٢٩٨

وانتهى معبد بن أبي معبد الخزاعي إلى النبيّ وهو مشرك ولكنّه سلْم للإسلام، فقال له: يا محمّد، لقد عزّ علينا ما أصابك في نفسك وما أصابك في أصحابك، ولوددنا أنّ الله أعلى كعبك (شرفك) وأنّ المصيبة كانت بغيرك ! ١ . ٣٣٨

ثمّ مضى معبد حتى وجد أبا سفيان وقريشاً بالرَّوحاء وهم مجمعون على الرجوع وعكرمة بن أبي جهل يقول: ما صنعنا شيئاً أصبنا أشرافهم ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم من قبل أن يكون لهم وفْر ! فلمّا رأى معبد قال أبو سفيان: هذا مَعبد وعنده الخبر، ما وراءك يا معبد ؟

قال معبد: تركت محمّداً وأصحابه خلفي يتحرّقون عليكم بمثل النيران، وقد أجمع معه من تخلّف عنه بالأمس من الخزرج والأوس، وتعاهدوا أن لا يرجعوا حتى يلحقوكم فيثأروا منكم ! وغضبوا لقومهم ومن أصبتم من أشرافهم غضباً شديداً . قالوا: ويلك ما تقول ؟ قال: والله ما أرى أن ترتحلوا حتى تروا نواصي الخيل . ولقد حملني ما رأيت منهم أن قلت شعراً:

كادت تُهدُّ من الأصوات راحلتي	إذ سالت الأرض بالجُرد الأبابيل
تعدو بأُسْدٍ كرامٍ لا تنابلةٍ	عند اللقاء، ولا ميلٍ معازيل
فقلت: ويلَ ابن حربٍ من لقائهم	إذا تغطمطت البطحاء بالجيل

فانصرف القوم سراعاً خائفين من الطلب لهم. ومرّ بأبي سفيان نفرٌ من عبد القيس يريدون المدينة، فقال لهم: هل أنتم مبلغو محمد وأصحابه ما أرسلكم به على أن أوقر لكم أباعركم (غداً) زبيباً غداً بعكاظ إذا جئتموني؟ قالوا: نعم. قال: حيثما لقيتم محمداً وأصحابه فأخبروهم: أنّا قد أجمعنا (على) الرجعة إليهم! وانطلقوا.

وقدم الركب على النبيّ وأصحابه بالحمراء فأخبروهم بالذي أمرهم أبو سفيان. فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

وأرسل معبد رجلاً من خزاعة إلى رسول الله يعلمه: أن قد انصرف أبو سفيان وأصحابه خائفين وجلين. فانصرف رسول الله راجعاً إلى المدينة ١: ٣٤٠. فقال: إنّ رسول الله قال فيهم صفوان بن أُمية ١: ٢٩٨ أو قال: أرشدهم صفوان وما هو برشيد. ثمّ قال: والذي نفسي بيده! لقد سُوّمت لهم الحجارة، ولو رجعوا لكانوا كأمس الذاهب! ١: ٣٣٩.

وقال ابن إسحاق في السيرة ٣: ١١٦: وأخذ رسول الله قبل رجوعه إلى المدينة معاوية ابن المغيرة بن أبي العاص بن أُمية ـ وهو أبو عائشة أمّ عبد الملك بن مروان ـ بعث عليه زيد بن حارثة وعمّار بن ياسر وقال لهما: إنّكما ستجدانه بمكان كذا وكذا، فوجداه فقتلاه ـ ٣: ١١٠ و١١١.

وقال الواقدي: وأقام معاوية بن المغيرة بالمدينة حتى كان اليوم الثالث، فجلس على راحلته وخرج، حتى كان في أوائل وادي العقيق (وكان رسول الله قريباً منه) فقال: إنّ معاوية قد أصبح قريباً فاطلبوه.

فخرج الناس في طلبه حتى أدركوه في اليوم الرابع، أدركه عمّار بن ياسر وزيد بن حارثة بالجمّاء ... ويقال: أدركاه بثنية الشريد على ثمانية أميال من المدينة (وغيره فهو قريب من حمراء الأسد) فاتخذاه غرضاً فلم يزالا يرميانه بالنبل والحجارة حتى مات ١: ٣٣٣ و٣٣٤.

قال القمي: وقال أبو سفيان: هذا النكد والبغي، قد ظفرنا بالقوم وبغينا، والله ما أفلح قوم قطّ بغوا!

ووافاهم نُعيم بن مسعود الأشجعي، فقال أبو سفيان: أين تريد؟ قال: المدينة لأمتار لأهلي طعاماً. قال: هل لك أن تمرّ بحمراء الأسد وتلقى أصحاب محمّد وتعلمهم أنّ حلفاءنا وموالينا من الأحابيش قد وافوا حتى يرجعوا عنّا، ولك عندي عشرة قلائص (من الإبل) أملؤها زبيباً (وتمراً؟!). قال: نعم.

فوافى من غد ذلك اليوم حمراء الأسد فقال لأصحاب محمّد: أين تريدون؟ قالوا: قريشاً. قال: ارجعوا، فإنّ قريشاً قد اجتمعت إليهم حلفاؤهم ومن كان تخلّف عنهم، وما أظنّ [إلّا أنّ] أوائل القوم قد طلعوا عليكم الساعة! فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل [1].

---

*

ووجدنا في الخبرين عن «فروع الكافي» و«الخرائج» اللذين مرّ مصدرهما اسم المدركين لهذا الرجل، مع الاختلاف في اسمه واسمهما: فاسم الرجل جاء ـ كما مرّ ـ المغيرة بن أبي العاص (عم عثمان لا معاوية بن المغيرة، ابن عمّه) وجاء اسم الرجلين المدركين له: زيد بن حارثة وعمّار، ولكن في الخبرين: ففي خبر «الكافي»: فانتهى إلى شجرة مثمرة فاستظلّ بها. فأتى رسول الله الوحي فأخبره بذلك، فدعا علياً عليه‌السلام فقال له: خذ سيفك فانطلق أنت وعمّار فأت المغيرة بن أبي العاص تحت شجرة كذا وكذا. وفي خبر «الخرائج»: فأتى شجرة فجلس تحتها فجاء الملك فأخبر رسول الله بمكانه، فبعث إليه رسول الله زيداً والزبير وقال لهما: ائتياه في مكان كذا وكذا فاقتلاه. وكان رسول الله قد آخى بين زيد والحمزة، فقال زيد للزبير: إنّه ادّعى أنّه قتل أخي حمزة فاتركني أقتله فتركه الزبير فقتله زيد.

الخرائج والجرائح ١: ٩٤ ـ ٩٦ وفروع الكافي ٣: ٢٥١ ح ٨ وفي التهذيب ٣: ٣٣٣ ح ٦٩.

(١) تفسير القمي ١: ١٢٥ و١٢٦. ويذكر له دور مثل هذا في بدر الأخيرة وفي حرب الأحزاب: الخندق. فهل تكرّر دوره المشابه أيضاً؟

وفي خبر الطبرسي عن كتاب أبان الأحمر البجلي الكوفي قال: فمرّ به ركب من عبد القيس يريدون الميرة من المدينة، فقال لهم أبو سفيان: أبلغوا محمّداً أنّي أردت الرجعة إلى أصحابه لأستأصلهم، وأُوقر لكم ركابكم زبيباً إذا وافيتم عُكاظ!

فأبلغوا ذلك إلى رسول الله وقد بلغ حمراء الأسد، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل[1].

قال القمي: ونزل جبرئيل على رسول الله فقال: ارجع يا محمّد، فإنّ الله قد أرعب قريشاً ومرّوا لا يلوون على شيء!

فرجع رسول الله إلى المدينة. وأنزل الله عليه (الآيات من آل عمران)[2].

وفي خبر الطَبرسي عن كتاب أبان البجلي الكوفي قال: ورجع النبيّ إلى المدينة يوم الجمعة[3].

---

(١) إعلام الورى ١: ١٨٤.

(٢) تفسير القمي ١: ١٢٦.

(٣) وروى ابن إسحاق في السيرة ٣: ١١١ عن ابن شهاب الزُهري قال: كان لعبد الله بن أُبيّ ابن سلول مقام يقومه كلّ جمعة، بين يدي رسول الله إذا جلس يوم الجمعة يخطب الناس، قام فقال: أيّها الناس، هذا رسول الله بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزّكم به، فانصروه وعزّروه، واسمعوا له وأطيعوا. ثمّ يجلس. فلمّا صنع يوم أُحد ما صنع إذ رجع بالناس، وقام (يوم الجمعة) يفعل ذلك كما كان يفعله! أخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا له: اجلس أيّ عدوّ الله! لست أهلاً لذلك وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطّى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنّما قلت بجراً (هجراً) أن قمت أُشدّد أمره!

وبباب المسجد لقيه رجل من الأنصار فقال له: ويلك ما لك؟ قال: قمت أُشدّد أمره فوثب عليّ رجال من أصحابه يجذبونني ويعنّفونني لكأنّما قلت بجراً أن قمت أُشدّد أمره! فقال

←

قتل سابّة النبيّ (فاسقة بني خَطْمة).

ونقل الطبرسي عن كتاب أبان البجلي الكوفي قال: لمّا غزا رسول الله ﷺ حمراء الأسد وثبت فاسقة من بني خَطْمة يقال لها العصماء أُمّ المنذر تمشي في مجالس الأوس والخزرج وتقول شعراً تحرّض على النبيّ ﷺ.

ولم يكن يومئذٍ في بني خَطْمة مسلم إلّا واحد يقال له: عُمير بن عديّ.

فلمّا رجع رسول الله (من حمراء الأسد) غدا إليها عمير فقتلها ثمّ أتى رسول الله فقال له: إنّي قتلت أُمّ المنذر لما قالته من هجرٍ؟ فضرب رسول الله على كتفه وقال: هذا رجل نصر الله ورسوله بالغيب! أما إنّه لا ينتطح فيها عنزان!

قال عمير بن عديّ: فأصبحت فمررت ببنيها وهم يدفنونها فلم يَعرِض

الأنصاري له: ارجع يستغفر لك رسول الله! فقال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي. ٣: ١١١

وقال الواقدي: قالوا: لمّا رجع رسول الله من (بدر) إلى المدينة جلس على المنبر يوم الجمعة فقام ابن أُبيّ فقال: هذا رسول الله بين أظهركم قد أكرمكم الله به فانصروه وأطيعوه! فكان له هذا المقام يقومه كلّ جمعة، وكان شرفاً له لا يريد تركه. فلمّا كان يوم أُحد وصنع ما صنع وقام ليفعل ذلك قام إليه المسلمون فقالوا له: اجلس يا عدوّ الله! ووثب إليه أبو أيّوب وعُبادة بن الصامت، فأخذ أبو أيّوب بلحيته وجعل عُبادة يدفع في رقبته ويقولان له: لست أهلاً لهذا المقام حتّى أرسلاه! فخرج يتخطّى رقاب الناس ويقول: قمت لأشدّ أمره فكأنّما قلت هجراً

فلقيه معوّذ بن عفراء الأنصاري فقال له: ارجع فيستغفر لك رسول الله!

قال: والله ما أبتغي يستغفر لي! أخرجني محمّد من ويريد تسهيل وسهيل!

هذا، وابنه (عبد الله الجريح يوم أُحد) جالس في الناس ما يشدّ الطرف إليه!

ونزلت فيه الآيات من سورة «المنافقون» ١: ٣١٨ و٣١٩

إلى أحد منهم[١].

---

(١) إعلام الورى ١: ١٨٥ وعليه فيكون مقتلها ليلة السبت مساء يوم الجمعة يوم رجوع الرسول من حمراء الأسد. وعبّر الواقدي عن هذه العمليّة لعُمير بن عديّ بأنّها سريّة وقال: كان قتلها لمرجع النبيّ من بدر لخمس ليالٍ بقين من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهراً أي في السنة الثانية. وكذلك ذكرها الكازروني في «المنتقى» قال: وفي هذه السنة كانت سريّة عمير بن عديّ بن خرشة إلى عصماء بنت مروان اليهودي. ونقله المجلسي (بحار الأنوار ٢٠: ٧) وعبارة الرسول صبيحة يوم السبت بعد الصلاة حيث دلّ: عدا إليها فقتلها. وكان دفنها كذلك صبيحة السبت حيث قال: فأصبحت فرأيت بنيها وهم يدفنونها.

ووافقت في أكثر ذلك رواية الواقدي، وقال: كانت تقول شعراً تحرّض على النبيّ وتؤذيه وتعيب الإسلام، فبلغ قولها ذلك إلى عمير بن عدي الخطمي، ورسول الله يومئذ ببدر فقال عمير: اللهمّ إنّ لك عليّ نذراً لئن رددت رسول الله إلى المدينة لأقتلنّها (ونلاحظ أنّ صيغة النذر شرعيّة).

قال عمير: فلمّا رجع رسول الله من بدر جئتها في جوف الليل حتّى دخلت عليها في بيتها وحولها نفر من ولدها نيام، فجسستها بيدي فوجدت صبيّاً ترضعه فنحّيته عنها، ثمّ وضعت سيفي في صدرها حتّى أنفذته من ظهرها، ثمّ خرجت حتّى صلّيت الصبح مع النبيّ بالمدينة، فلمّا انصرف النبيّ نظر إليّ فقال: أقتلت بنت مروان؟

قلت: نعم، بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، فهل عليّ في ذلك شيء يا رسول الله؟

قال: لا، لا ينتطح فيها عنزان. (فذهب مثلاً) ثمّ التفت النبيّ إلى من حوله فقال: إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا إلى عُمير بن عديّ!

فقال عمر بن الخطّاب: انظروا إلى هذا الأعمى الذي تشدّد في طاعة الله!

فقال النبيّ: لا تقل الأعمى ولكنّه البصير.

فلمّا رجع عمير من عند النبيّ وجد بنيها في جماعة يدفنونها، فلمّا رأوه مقبلاً من المدينة

←

فجئوا إليه فقالوا له: يا عمير أنت الذي قتلتها؟ فقال: نعم، فكيدوني جميعاً ثم لا تُنظرون، فوالذي نفسي بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم.

فيومئذٍ ظهر الإسلام في بني خطْمة.

ومن شعرها:

فباست بني مالك والنبيت	وعوفٍ، وباست بني الخزرج
أطعتم أتاويَّ من غيركم	فلا من مُرادٍ ولا مذحِج
تُرجّونه بعد قتل الرؤوس	كما يُرتجى مَرَقُ المنضج

والأُتاوي: الغريب. وقولها هذا يقتضي أن يكون بعد مقتل الكثير منهم في أحد لا في بدر.

فقال حسّان يمتدح فعله ويخصّ عمير بن عديّ:

بني وائلٍ وبني واقفٍ	وخطمةَ، دون بني الخزرج
متى ما دعت أختكم ويحها	بعولتها، والمنايا تجي
فهزّت فتىً ماجداً عرقه	كريم المداخل والمخرج
فضرّجها من نجيع الدما	ء قُبيل الصباح، ولم يحرَج
فأوردكَ الله بَرْدَ الجنا	ن، جذلانَ في نعمة المَولج

مغازي الواقدي ١ : ١٧٢ ـ ١٧٤. هذا عن يوم السبت بعد مرجعه من حمراء الأسد.

وفي يوم الأحد بعده كان ما جاء في خبر «فروع الكافي» عن الصادق عليه السلام بشأن أم كلثوم بنت رسول الله قال: رجع عثمان من عند النبيّ فقال لامرأته: إنّك أرسلت إلى أبيك فأعلمته بمكان عمّي (المغيرة بن أبي العاص أخي عفّان بن أبي العاص)؟ فحلفت له بالله ما فعلت فلم يصدّقها، فأخذ خشبة القتب فضربها ضرباً مُبرحاً!

فأرسلت إلى أبيها تشكو ذلك وتخبره بما صنع، فأرسل إليها: إنّي لأستحيي للمرأة أن لا تزال تجرّ ذيولها تشكو زوجها! فقال: أقيمي عند زوجك. فما أقبح بامرأة ذات حسب ودين في كلّ يوم تشكو زوجها! فأرسلت إليه مرّات، كلّ ذلك يقول لها ذلك! فلمّا كان في الرابعة أرسلت إليه: إنّه قد قتلني! فلمّا كان ذلك دعا عليّاً عليه السلام وقال له: خذ السيف واشتمل عليه، ثمّ ائت بنت ابن عمّك فخذ بيدها، فإن حال بينك وبينها فاضربه بالسيف، فدخل عليّ عليها فأخذ بيدها وجاء بها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فلمّا نظرت إليه رفعت صوتها بالبكاء! فاستعبر رسول الله وبكى وأدخلها منزله فكشفت عن ظهرها فأرته ظهرها! فلمّا أن رأى ما بظهرها قال ـ ثلاث مرّات ـ: ما له قتلك؟! قتله الله!

وكان ذلك يوم الأحد، وبات عثمان ملتحفاً بجاريتها! فمكثت الاثنين والثلاثاء، وماتت في اليوم الرابع. فلمّا حضر أن يخرج بها (للخروج بها) أمر رسول الله فاطمة عليها السلام فخرجت ومعها نساء المؤمنين. وخرج عثمان يشيّع جنازتها! فلمّا نظر إليه النبيّ قال: من أطاف البارحة بأهله أو بفتاته فلا يتبعنّ جنازتها. أو قال: من ألمّ بجاريته الليلة فلا يشهد جنازتها. قال ذلك ثلاثاً، فلم ينصرف، فقال في الرابعة: لينصرفنّ، أو لأسمّينّ باسمه! أو ليقومنّ أو لأسمّينّ باسمه واسم أبيه. فأقبل عثمان متوكّئاً على (مهين) مولى له ممسكاً ببطنه فقال: يا رسول الله إنّي أشتكي بطني فإن رأيت أن تأذن لي أن أنصرف؟ فقال: انصرف!

وخرجت فاطمة ونساء المؤمنين والمهاجرين فصلّين على جنازتها ـ الخرائج والجرائح ١: ٩٤ ـ ٩٦. وفروع الكافي ٣: ٢٥١ وفي التهذيب ٣: ٣٣٣. ولم يعلم الخبر عن اسمها ولكنّها أمّ كلثوم التي تزوّجها عثمان بعد وفاة أختها السابقة رقيّة، ولم يسمّها المجلسي ولكنّه أورد الخبرين ضمن أخبار رقيّة، وليست هي.

وقد تعرّض العلّامة الأميني لأخبار زواج عثمان برقيّة وأمّ كلثوم ووفاتهما ومنع النبيّ إيّاه من تشييعها أو النزول في قبرها لدفنها، من أرادها فليراجعها بعنوان: الحقيقة في ليلة وفاة

أمّ كلثوم. بدأه بخبر البخاري بسنده عن أنس بن مالك قال: شهدنا بنت رسول الله ورسول الله جالس على القبر فرأيت عينيه تدمعان، ثمّ قال: هل فيكم أحد لم يقارف الليلة؟ فقال أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري: أنا. قال: فانزل في قبرها. قال: فنزل في قبرها فقبرها.

وقد جاء الخبر في لفظ أحمد: أنّها رقيّة، وعلّقه السهيلي قال: هو وهم بلا شكّ. الروض الأنف ٢: ١٠٧ ـ الغدير ٨: ٢٣١ ـ ٢٣٤.

وروى خبر أنس بن مالك: الدولابي في الذرّيّة الطاهرة: ٨٨ برقم ٧٧ في أخبار أمّ كلثوم. ثمّ روى بسنده عن فاطمة الخزاعية عن أسماء بنت عميس قالت: أنا غسلت أمّ كلثوم مع صفيّة بنت عبد المطّلب. وفيه ما في خبر حضور أسماء بنت عميس في زفاف الزهراء عليها السلام.

ثمّ روى بسنده عن أمّ عطية قالت: توفيت (إحدى بنات النبيّ) فقال: اغسلنها ثلاثاً ... واغسلنها بالسدر، واجعلن في الآخرة شيئاً من كافور، فإذا فرغتنّ فآذنّني. فلمّا فرغنا آذنّاه، فطرح إلينا حقواً فقال: أشعرنها إيّاه.

وروى بسنده عن ليلى بنت قانف الثقفية قالت: كنت فيمن غسل أمّ كلثوم بنت رسول الله عند وفاتها، ورسول الله جالس على الباب معه كفنها يناولناه ثوباً ثوباً، فكان أوّل ما أعطانا رسول الله الحقو (الحقوة: معقد الإزار) ثمّ الدرع، ثمّ الخمار، ثمّ الملحفة، ثمّ أُدرجت بعد في الثوب الآخر. وروى أنّه جلس على حفرتها عليّ والفضل وأُسامة بن زيد، ولكنّه نقل عن محمّد بن عمر (؟) قال: ماتت أمّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ في شعبان في سنة تسع؟. الذرّيّة الطاهرة: ٨٧ برقم ٧٦. ولعلّ التسع محرّف عن الأربع، وشعبان عن شوّال.

وعلى أيّ حال، فالأخبار هذه تحتوي على تأريخ الأغسال الثلاثة للميّت وقطع الأكفان للنسوان.

موقف اليهود والمنافقين:

ولو كانت عصماء يهوديّة فهي من مفردات ما قال الواقدي: وأظهرت اليهود القول السيّء فقالوا: ما محمّدٌ إلّا طالب مُلك، أُصيب في أصحابه وأُصيب في بدنه! وما أُصيب هكذا نبيٌّ قطّ!

وجعل المنافقون يقولون لأصحاب رسول الله: لو كان من قُتل منكم عندنا ما ماتوا وما قُتلوا[1] فيخذّلون بذلك عن رسول الله أصحابه ويأمرونهم بالتفرّق عنه.

قال: حتّى سمع ذلك عمر بن الخطّاب في أماكن، فمشى إلى رسول الله يستأذنه في قتل مَن سَمع ذلك منه من اليهود والمنافقين!

فقال رسول الله: يا عمر، إنّ الله مُظهر دينه ومُعزّ نبيّه، ولليهود ذمّةٌ فلا أقتلهم.

فقال عمر: فهؤلاء المنافقون يا رسولَ الله؟!

فقال رسول الله: أليس يُظهرون شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله؟

قال: بلى يا رسول الله ولكنهم إنّما يفعلون ذلك تعوّذاً من السيف، فقد بان لهم أمرهم وأبدى الله أضغانهم عند هذه النكبة.

فقال رسول الله: نُهيت عن قتل من قال: لا إله إلّا الله وإنّ محمّداً رسول الله. يا بن الخطّاب إنّ قريشاً لن ينالوا منّا مثل هذا اليوم حتّى نستلم الركن[2]

---

(١) وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزّىً لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير﴾ آل عمران: ١٥٦

(٢) مغازي الواقدي ١: ٣١٧ و٣١٨ وكأنّه يريد أن يستدرك ما فاته من قوله في عمر بن

قصاص الحارث بالمجذّر

قال ابن هشام: كان المجذَّر بن ذياد قتل سويد بن الصامت في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج، فلمّا كان يوم أحد طلب الحارث بن سويد غِرّة المجذَّر بن ذياد ليقتله بأبيه فقتله[1].

قال: فبينا رسول الله في نفر من أصحابه إذ خرج الحارث بن سويد من بعض حوائط المدينة، فأمر رسول الله عثمان بن عفّان - أو بعض الأنصار - فضرب عنقه[2].

→

عديّ وردّ الرسول جيئه عليه، فيجيب بهذه كسرة مدلت، ولعلّه يدرك كذلك فضل ما وسم به الرسول عمير بن عدي. بل رقّ هذا أيضاً رقّت عليه لأنّه إذ قال: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ وإذا كان المشيرون والمشاورون هؤلاء فليس لهم العزم بل ﴿فإذا عزمت فتوكّل على الله إنّ الله يحبّ المتوكّلين﴾. آل عمران: ١٥٩، وقال الواقدي: أُمر أن يشاورهم في الحرب وحده، وكان لا يشاور أحداً إلّا في الحرب - مغازي الواقدي ١: ٣٣٤

(١) ابن هشام ٣: ٦٧

(٢) ابن هشام ٣: ٩٥ وعن الواقدي تفصيل قصّة قتل مجذّر بن ذياد لسويد بن الصامت قال: جاء حُضيرُ الكتائب إلى أبي لبابة بن عبد المنذر وخوّات بن جُبير وسُويد بن الصامت فقال لهم: تزوروني فأسقيكم وأطعمكم وتقيمون أياماً. فقالوا: نأتيك يوم كذا وكذا.

فلمّا كان ذلك اليوم جاؤوه فنحر لهم جزوراً فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى تغيّر اللحم فقالوا: نرجع إلى أهلنا. وكان سويد شيخاً كبيراً وكان حُضير قد سقاهم خمراً فخرج أبو

←

لبابة وحوّات يحملان سويداً من الثَّقَل حتى كانوا قريباً من بني غصينة تجاه بني سالم، فجلس سويد يبول وهو سكران، فبصر به إنسان من الخزرج، فذهب إلى المجذّر بن ذياد وقال له: هذا سويد ثمل أعزل لا سلاح معه! وكان سويد قد قتل مُعاذ بن عفراء! فخرج المجذّر مصلتاً سيفه فلما رآه أبو لبابة وحوّات وهما أعزلان لا سلاح معهما فانصرفا سريعين، وثبت سويد لا حراك به، فوقف عليه المجذّر وقال: قد أمكن الله منك! فقال: ما تريد منّي؟ فقال: أقتلك، فقتله، فكان قتله هو الذي هيّج وقعة بُعاث

فلما قدم رسول الله المدينة أسلم مجذّر والحارث بن سويد وشهدا بدراً وجعل الحارث يطلب مجذّراً ليقتله بأبيه فلم يقدر عليه يومئذ

فلمّا كان يوم أُحد وجال المسلمون تلك الجولة أتاه الحارث من خلفه فضرب عنقه ونظر إليه خُبيب بن يساف فجاء إلى النبيّ فأخبره.

ولمّا رجع الرسول من حمراء الأسد أتاه جبرئيل عليه السلام فأخبره أنّ الحارث بن سويد قتل مجذّراً غيلة وأمره بقتله

وكان رسول الله يأتي قُباء كلّ سبت وإثنين، فركب إليه في اليوم الذي أخبره جبرئيل ـ وكان يوماً حارّاً لا يذهب فيه إلى قُباء ـ فلمّا دخل رسول الله مسجد قُباء، صلّى فيه، وسمعت الأنصار فجاءت تسلّم عليه. فجلس رسول الله يتحدّث ويتصفّح الناس حتى طلع الحارث بن سويد في ملحفة مورّسة (أي مصبوغة بالورس وهو نبت أصفر كان يصبغ به)، فلمّا رآه رسول الله دعا عويم بن ساعدة فقال له: قدّم الحارث بن سويد إلى باب المسجد فاضرب عنقه بمجذّر بن ذياد فإنّه قتله يوم أُحد

فأخذه عويم، فقال الحارث: دعني أكلّم رسول الله. ونهض رسول الله يريد أن يركب ودعا بحماره، فجعل الحارث يقول: قد والله قتلته يا رسول الله، والله ما كان قتلي إيّاه رجوعاً عن الإسلام ولا ارتياباً فيه، ولكنّه حميّة الشيطان وأمرٌ وُكلت فيه إلى نفسي، وإنّي

أحكام الإرث :

روى الواقدي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : لمّا قُتل سعد بن الربيع بأُحد جاء أخو سعد بن الربيع فأخذ ميراثه ، وكان لسعد ابنتان وكانت امرأته حاملاً . وكان المسلمون يتوارثون على ما كان في الجاهلية ولم تنزل الفرائض

وكانت امرأة سعد امرأة حازمة ، فدعت رسول الله وطبخت لحماً و خبزاً ، وكانت بموضع الأسواق .

فبينا نحن جلوس عند النبيّ ونحن نذكر وقعة أُحد ومن قُتل من المسلمين ، إذ قال لنا رسول الله : قوموا بنا ، فقمنا معه ونحن عشرون رجلاً ـ بينها أعدّت طعاماً بقدر ما يأكل رجل واحد أو اثنان ـ حتى انتهينا إلى الأسواق . فوجدناها قد رشّت ما بين نخلتين أو نخيل صفار وطرحت خَصَفَة [1] بلا بساط ولا وسادة ، فجلسنا .

وعاد رسول الله يحدّثنا عن سعد بن الربيع ويترحّم عليه ويقول : لقد رأيت الأسنّة شُرعت إليه يومئذٍ حتى قتل . وسمعن النسوة فبكين ، ودمعت عينا

→

أتوب إلى الله وإلى رسوله ممّا عملت ، وأُخرج ديته ، وأصوم شهرين متتابعين وأُعتق رقبة وأُطعم ستين مسكيناً (ممّا يدلّ على تشريع هذه من قبل) وجعل يمسك بركاب رسول الله ، وكان بنو المجذّر حضوراً لا يقولون شيئاً ولا يقول لهم رسول الله شيئاً ، حتى إذا استوعب الحارث كلامه فقال لعويم : قدّمه يا عُويم فاضرب عنقه ، وركب رسول الله .

وقدّمه عُويم على باب المسجد فضرب عنقه ـ ١ : ٣٠٣ ـ ٣٠٥

وهو أوّل قصاص بين المسلمين قُصّ خبره في السيرة

(١) خصفة : حصير من الخوص

رسول الله وما بها من... ثمّ قال: يطلع عليكم رجل من أهل الجنّة. فنظرنا من خلال السّعف فإذا عليّ عليه السلام قد طلع. فقمنا فبشّرناه بالجنّة فسلّم ثمّ جلس. ثمّ أُتي بالطعام، بقدر ما يأكل رجل واحد أو اثنان، فوضع رسول الله يده فيه وقال: كلوا بسم الله. فأكلنا منها حتّى نهلنا وما أرانا حرّكنا منه شيئاً. ثمّ جاؤوا برطب قليل في طبق فقال رسول الله: بسم الله كلوا. قال: فأكلنا حتّى نهلنا وإنّي لأرى في الطبق نحواً ممّا أُتي به.

وحضرت الظهر فصلّى بنا رسول الله ولم يمسّ ماءً (كان غداؤهم قبل الصلاة ولم يكن ناقضاً للوضوء) ثمّ رجع إلى مجلسه فتحدّث.

ثمّ جاءت العصر فأُتي ببقيّة الطعام... ثمّ قام النبيّ فصلّى العصر ولم يمسّ ماءً.

ثمّ جاءت امرأة سعد فقالت: يا رسول الله، إنّ سعد بن الربيع قتل بأُحد، فجاء أخوه فأخذ ما ترك، وترك ابنتين لا مال لهما، وإنّما ينكح النساء على المال يا رسول الله!

فقال رسول الله: اللهم أحسن الخلافة على تركته. ثمّ قال: لم ينزل عليّ في ذلك شيء، عودي إليّ إذا رجعت.

فلمّا رجع رسول الله إلى بيته جلس على بابه وجلسنا معه، فأخذ رسولَ الله برحاء الوحي ثمّ سُرّي عنه والعرق يتحدّر عن جبينه مثل الجُمان. فقال: عليّ بامرأة سعد.

فخرج أبو مسعود عقبة بن عمرو حتّى جاء بها. فقال لها: أين عمّ ولدك؟ قالت: في منزله يا رسول الله. فبعث رجلاً يعدو إليه فأتى به من بني الحارث بن الخزرج وهو متعب. فقال له رسول الله: ادفع إلى بنات أخيك ثلثي ما ترك أخوك، وادفع إلى زوجة أخيك الثمن، وشأنك وسائر ما بيدك. فكبّرت امرأة سعد

تكبيرة سمعها أهل المسجد(١)

ولم يذكر الخبر اسم المرأة ولا اسم عمّ بناتها ولا بنتها، وروى السيوطي في «الدرّ المنثور» بإسناده عن عكرمة (عن ابن عباس) ما يحتمل الانطباق على هذا المورد. قال:

نزلت في أُم كلثوم أو أُم كحلة وابنته كحلة، وثعلبة بن أوس وسويد وهم من الأنصار، كان أحدهم زوجها والآخر عم ولدها، فقالت: يا رسول الله توفي زوجي وتركني وابنه (كحلة أو كلثوم أو كليهما) فلم نورّث من ماله؟!

فقال عمّ ولدها: يا رسول الله لا تركب فرساً ولا تنكي عدواً ولا تكتسب! فنزلت(٢).

فمن المحتمل القريب أن يكون سويد مصحفاً عن سعد بن الربيع وأن ثعلبة ابن أوس كان كلالة، ولا سيما أنّ الآية الثانية عشرة تتكلم عن إرث الزوج والزوجة مع الأولاد وبدونها ومع الكلالة والأخ.

وهذا يقتضي نزول أوائل سورة النساء حتّى الآية الرابعة عشرة بهذه المناسبة.

وقد روى الطبرسي في «مجمع البيان» عن السّدّي قال: مات عبد الرحمان ابن ثابت الأنصاري أخو حسان بن ثابت الشاعر، وترك امرأة وخمسة إخوان، فجاءت الورثة فأخذوا ماله ولم يعطوا امرأته شيئاً، فشكت ذلك إلى رسول الله فأنزل الله آية المواريث(٣).

وفي رواية أبي الجارود في «تفسير القمي» عن أبي جعفر الباقر عليه‌السلام قال:

---

(١) مغازي الواقدي ١: ٣٢٩ ـ ٣٣١.

(٢) الدر المنثور ٢: ١٢٢.

(٣) مجمع البيان ٣: ٢٤.

إنّ أهل الجاهلية كانوا لا يورثون الصبيّ الصغير ولا الجارية من ميراث آبائهم شيئاً وكانوا لا يعطون الميراث إلّا لمن يقاتل، وكانوا يرون ذلك في دينهم حسناً! فلما أنزل الله المواريث وجدوا من ذلك وجداً شديداً، فقالوا: انطلقوا إلى رسول الله فنذكّره ذلك لعلّه يدعه أو يغيّره!

فأتوه فقالوا: يا رسول الله، للجارية نصف ما ترك أبوها وأخوها ويُعطى الصبيّ الصغير الميراث وليس أحد منهما يركب الفرس ولا يحوز الغنيمة ولا يقاتل العدو؟!

فقال رسول الله: بذلك أُمرت[1]

* * *

أما سورة آل عمران قبلها، فهي ثالث سورة مدنية نزلت بعد الأنفال، وآياتها مئتان، قال ابن اسحاق عنها: مما أنزل الله في يوم أُحد من القرآن ستون آية من آل عمران فيها صفة ما كان في يومهم ذلك ومعاتبة من عاتب منهم[2] وروى الواقدي في «المغازي» مُسنداً: أنّ المِسْوَر بن مخرمة قال لعبد الرحمان بن عوف: حدثنا عن أُحد. فقال: يا بن أخي عُدّ بعد العشرين ومئة من آل عمران فكأنك قد حضرتنا: ﴿ وإذ غدوت من أهلك تُبوّيء المؤمنين مقاعد للقتال ﴾[3] وكذلك بدأ ابن اسحاق، وختم الستين آية بالآية المئة والثمانين: ﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ﴾[4]. وإن لم يعيّنوا تأريخ نزولها متى؟

---

(1) تفسير القمي ١: ١٥٤. وروى السيوطي قريباً منه في الدر المنثور ٢: ١٢٣. كما في الميزان ٥: ١٠٤.

(2) ابن هشام ٣: ١١٢.

(3) مغازي الواقدي ١: ٢١٩.

(4) ابن هشام ٣: ١٢٨ واستدل الواقدي إلى آخر السورة استطراداً ١: ٣٢٩.

ولكنّ المفسّرين وأرباب علوم القرآن ذكروا فيما بين آل عمران والنساء سورتي الأحزاب والممتحنة (١)، فلعلّ النساء نزلت بعد أُحد وحمراء الأسد بفاصل لا بتوالي.

هل جُرح عليّ عليه السلام ؟!

روى ابن شهرآشوب في «المناقب» عن «الخصائص العلوية»: عن عليّ عليه السلام قال: أصابني يوم أُحد ست عشرة ضربة سقطت إلى الأرض في أربع منهن، فأتاني رجل حسن الوجه حسن اللِّمّة (الشعر) طيب الريح، فأخذ بضبعي (عضدي) فأقامني ثمّ قال: أقبل عليهم فإنّك في طاعة الله وطاعة رسول الله وهما عنك راضيان!

قال علي عليه السلام: فأتيت النبيّ فأخبرته فقال: يا عليّ، أقرّ الله عينك، ذاك جبرئيل. ونقل عن ابن الفياض (القاضي النعمان) في «شرح الأخبار» بسنده عن سعيد بن المسيب، مختصر الخبر (٢). وليس في «شرح الأخبار» المطبوع.

وروى الطبرسي في «مجمع البيان» عن أبان البجلي الكوفي عن الباقر عليه السلام قال: أصاب علياً عليه السلام يوم أُحد ستون جراحة، فأمر النبيّ أم سليم وأُم عطية أن تداوياه، فقالتا: إنّا لا نعالج منه مكاناً إلّا انفتق مكان آخر وقد خفنا عليه، فدخل عليه رسول الله والمسلمون يعودونه وهو قُرحة واحدة، فجعل يمسحه بيده ويقول: إنّ رجلاً لقي هذا في الله فقد أبلى وأعذر! فكان الجرح الذي يمسحه رسول الله بيده يلتئم. فقال علي عليه السلام: الحمد لله إذ لم أفرّ ولم أُولّ الدبر. فشكر الله له ذلك في موضعين من القرآن وهو قوله: ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ من الرزق في

---

(١) التمهيد ١: ١٠٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢: ٢٤٠.

الدنيا، و﴿ سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾[1].

وروى عنه مختصر الخبر عن أنس بن مالك قال: أُتي رسول الله بعلي عليه‌السلام وفيه نيف وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية، فجعل رسول الله يمسحها وهي تلتئم بإذن الله كأن لم تكن[2].

وروى الصدوق في «الخصال» بسنده عن الباقر عليه‌السلام أيضاً فيما عدّ أمير المؤمنين عليه‌السلام على رأس اليهود من محنه في حياة الرسول وبعده قال: أما الرابعة يا أخا اليهود فإنّ أهل مكة أقبلوا إلينا ـ إلى أن قال: ثم ضرب الله وجوه المشركين وقد جُرحت بين يدي رسول الله نيّفاً وسبعين جَرحة، منها هذه وهذه ـ ثم ألقى رداءه وأمرّ يده على جراحاته[3].

وفي كتاب «الاختصاص» المنسوب إلى المفيد نقلاً عن كتب ابن دأب (المعاصر موسى الهادي العباسي) قال: إنّه لما انصرف من أُحد كانت به ثمانون جراحة، فشكت امرأتان (الممرّضتان) إلى رسول الله قالتا: يا رسول الله، قد خشينا عليه كثرة الجراحات فإنّ الفتائل تُدخل في موضع منه فتخرج من موضع آخر! فدخل عليه رسول الله عائداً وهو مثل المضغة على نطع! فلما رآه رسول الله بكى وقال: إنّ رجلاً يصيبه هذا في الله لحقٌّ على الله أن يفعل به ويفعل! فبكى علي عليه‌السلام وقال: بأبي أنت وأُمي، الحمد لله الذي لم يرني ولّيت عنك ولا فررت، فكيف حُرمت الشهادة؟! فقال: إنّها من ورائك إن شاء الله[4].

وقال القمي في تفسيره: فلم يزل أمير المؤمنين عليه‌السلام يقاتلهم حتى أصابه في

---

(1) مجمع البيان ٢: ٨٥٢ ونقله في مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٩ و١٢٠.

(2) مجمع البيان ٢: ٨٤٣ و٨٤٤ ونقله مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٩ عن تفسير القشيري.

(3) الخصال ١: ٣٦٧ و٣٦٨ وفي الاختصاص: ١٦٤ عن الباقر عن محمد بن الحنفية.

(4) الاختصاص: ١٥٨.

وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة، فتحاموه[1].

وكأنّ الشيخ المفيد لم تفده هذه الأخبار إلّا اضطراباً في مضمونها فقال في «الإرشاد»:

ومن آيات الله الخارقة للعادة في أمير المؤمنين عليه السلام أنه: لم يُعهد لأحد من مبارزة الأقران ومنازلة الأبطال ما عُرف له عليه السلام من كثرة ذلك على مرّ الزمان، ثم انه لم يوجد في ممارسي الحروب إلّا من عرته بشرّ ونيل منه بجراح أو شين، إلّا أمير المؤمنين فإنه لم ينله مع طول زمان حربه جراح من عدو ولا شين، ولا وصل إليه أحد منهم بسوء، حتى كان من أمره مع ابن ملجم على اغتياله إيّاه ما كان وهذه اعجوبة أفرده الله بالآية فيها، وخصّه بالعلم الباهر في معناها، ودلّ بذلك على مكانه منه وتخصصه بكرامة ابن بان بفضلها من كافة الأنام[2].

خبر قريش في مكة:

قال الواقدي: ولمّا انكشف المشركون بأحد وانهزموا كان أول من قدم خبرهم عبد الله بن أبي أُمية بن المغيرة، فكره أن يقدم مكة فقدم الطائف فأخبرهم: إنّ أصحاب محمد قد ظفروا وانهزمنا وأنا أول من قدم عليكم.

ثمّ لما تراجع المشركون بعد قتلوا ما نالوا كان أوّل من أخبر قريشاً بقتل أصحاب محمد وظفر قريش: وحشي، سار على راحلته أربعة أيام فانتهى إلى الثنية التي تطلع على الحَجون فنادى بأعلى صوته مراراً: يا معشر قريش! حتى ثاب الناس وهم خائفون أن يأتيهم بما يكرهون فلما رضي منهم قال: أبشروا، قد قتلنا أصحاب محمد مقتلة لم يقتل مثلها في زحف قط، وجرحنا محمداً

---

(١) تفسير القمي ١: ١١٦.

(٢) الإرشاد ١: ٣٠٧.

فأتيناه بالجراح، وقتلت رأس الكتيبة حمزة!

فتفرّق الناس عنه في كل وجه بالشماتة وإظهار السرور بقتل أصحاب محمد.

ولما خلا وحشي بمولاه جبير بن مُطعم قال: ما تقول؟ قال وحشي: والله قد صدقت! قال: أقتلت حمزة؟ قال: والله لقد زرقته بالمزراق في بطنه حتى خرج من بين رجليه، ثم نودي فلم يُجب، فأخذت كبده وحملتها إليك لتراها.

فقال جبير: لقد أذهبت حزن نسائنا وبرّدت حرّ قلوبنا! وأمر نساءه بالدهن[1].

وقال: ولما قدم أبو سفيان على قريش بمكة لم يصل الى بيته حتى أتى هبل فقال له:

قد أنعمتَ ونصرتَ وشفيتَ نفسي من محمد وأصحابه؛ وحلق رأسه (شكراً)[2].

قصيدة ابن الزِّبعرى

قال ابن اسحاق: وقال عبد الله بن الزِّبعرى في يوم أُحد:

يا غراب البين أسمعت فقل ... إنما تندب أمراً قد فُعِل

إنّ للخير وللشرّ مدىً ... وكلا ذلك وجهٌ وقَبَل

والعطيّات خساسٌ بينهم ... وسواءٌ قبرُ مُثرٍ ومُقِلّ

كلّ عيش ونعيم زائلٌ ... وبنات الدهر[3] يلعبن بكُلّ

* * *

---

(١) مغازي الواقدي ١: ٣٣٢

(٢) مغازي الواقدي ١: ٢٩٩

(٣) بنات الدهر: حوادثه.

أبلغا حسّان عنّي آيةً ... فقريضُ الشعر يشفي ذا الغُلَلْ

كم ترى بالجرِّ[1] من جُمجمةٍ ... وأكفٍّ قد أُتِرّت[2] ورِجِلْ

وسرابيلَ حسانٍ سُرِّيت ... عن كُماةٍ أُهلكوا في المنتزلْ[3]

كم قتلنا من كريمٍ سيّدٍ ... ماجد الجدّين مقدامٍ بطلْ

صادق النجدة قرمٍ بارعٍ ... غير مُلتاثٍ لدى وَقْع الأَسلْ[4]

فسَلِ المهراسَ مَن ساكنُهُ ... بين أقحافٍ وهامٍ كالحَجَلْ[5]

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا ... جَزَعَ الخزرج من وَقْع الأَسَلْ[6]

حين حكّتْ بقُباءٍ بَرْكَها ... واستحرّ القتل في عبد الأشلْ[7]

ثمّ خفّوا عند ذاكم رُقَّصاً ... رَقَصَ الحفّان يعلو في الجبلْ[8]

فقتلنا النصفَ من أشرافهم ... وعَدَلْنا مَيْلَ بدرٍ فاعتدلْ

لا ألوم النفس إلّا أنّنا ... لو كَرَرْنا لفعلنا المفتعلْ

---

(١) الجرّ: أصل الجبل.

(٢) أُتِرّت: قُطعت.

(٣) السرابيل جمع السربال: الدرع المُسرْبَل أي المُرسل. سُرّيت: أي ذُهب بها وسُلبت. والمنتزل: محلّ النزال: الحرب.

(٤) أي عند تأثير الرماح لا يلتاث أي لا يتلوّث أي لا يُصاب بلوثة أي ضعف العقل.

(٥) المهراس: نُقَر كبار وصغار فيها مياه الأمطار في أقاصي جبل أُحُد. يقول: اسأل أُحُداً من يسكنه؟ ثم يجيب: بين رؤوس كالحَجَل الطائر وعظام كأقحاف الخزف.

(٦) يقول: ليت شيوخ الذين قُتلوا ببدر كانوا يرون اليوم جزع الخزرج من أثر الرماح فيهم.

(٧) يقول: حين حكّت ناقة الحرب صدرها بأرض قُباء -كناية عن المدينة- وأصبحت الحرب حارّة في بني عبد الأشهل، وعبّر عنهم فقال: الأشل.

(٨) يقول: ثمّ خفّ المسلمون عدواً كعدو صغار النعام إذ تصعد في الجبل.

بسيوف الهند نعلو هامهم ... عَلَلاً نعلوهُمُ بعد نَهَلْ [1]

فأجابه حسّان بن ثابت بقصيدةٍ مماثلةٍ في الوزن والقافية والروي وعدد الأبيات.

ثمّ ذكر قصيدة أُخرى لابن الزبعرى عينيّة في سبعة عشر بيتاً، وجواباً من حسّان كذلك.

ثمّ قصيدةً أُخرى لحسّان ميميّة في ٢٣ بيتاً، وأُخرى حائيّة في ٤٣ بيتاً في رثاء حمزة عليه‌السلام وأُخرى لاميّة في عشرين بيتاً كذلك في رثاء حمزة. ومقطوعة في خمسة أبيات جواباً لقصيدة هبيرة بن أبي وهب المخزومي، وجواباً آخر لكعب بن مالك الأنصاري نحو خمسين بيتاً يقول في سادسها:

مجالدنا عن جذمنا كلّ فخمةٍ ... مدرَّبةٍ فيها القوانس تلمع [2]

فقال رسول الله له: أيصلح أن تقول: مجالدنا عن ديننا؟ فقال كعب: نعم. فقال رسول الله: فهو أحسن. فقال كعب: مجالدنا عن ديننا [3] ولكعب أُخرى في رثاء حمزة بقافية الميم في سبعة عشر بيتاً، ولعمرو بن العاص مقطوعة في ستة أبيات وأُخرى في عشرة أجابها كعب بقصيدة لاميّة في ٢٣ بيتاً. ثمّ قصيدة أُخرى داليّة في ٢١ بيتاً في رثاء حمزة عليه‌السلام ثمّ أُخرى نونيّة بروي الألف في أُحُد في ٢٩

---

(١) يقول: فنحن نعلّهم بسيوف هنديّة تعلو هام المسلمين بضربة ثانية بعد الضربة الأُولى ـ ٢: ١٤٣ و١٤٤. وتمثّل بأبيات منها يزيد بن معاوية في مجلسه العام بالشام شماتة بقتل الإمام الحسين بن رسول الله ﷺ، كما في بلاغات النساء: ٢١ لابن طيفور البغدادي م ٢٨٠ هـ، وزاد:

لست للشيخين إن لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل

(٢) الجذم: الأصل. والفخمة: الكتيبة الضخمة. مدرّبة: معلّمة على القتال. القوانس: رؤوس السلاح الأبيض.

(٣) ابن هشام ٢: ١٤٣.

ستاً وأخرى رائيّة في أُحُد في عشرة أبيات. ثمّ أُخرى لاميّة في رثاء حمزة في ١٦ بيتاً له، ولعبد الله بن رواحة ومقطوعة لاميّة في خمسة أبيات في قتلى أُحُد، ومقطوعة أخرى في أربعة أبيات تائيّة في رثاء حمزة عليه السلام. ثمّ مقطوعة أُخرى في ثمانية أبيات رائيّة في رثاء حمزة أيضاً لصفيّة بنت عبد المطّلب أُخته. وأورد مقطوعة في ثلاثة أبيات لاميّة بروي الألف للحجّاج بن عِلاط السُّلمي يمدح أبا الحسن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في قتله لصاحب لواء المشركين يوم أُحُد طلحة بن أبي طلحة من عبد الدار. أوردها المفيد في «الإرشاد»، نصاً قال:

لله أيُّ مـــذبّبٍ عــن حُـرمةٍ	أعني ابن فـاطمة المُعِمَّ المُخْـولا[1]
سبقت يداك له بعاجل طعنة	تـركت طُـليحة للجـبين مجـدَّلا[2]
وشددت شدّة باسلٍ فكشفتهم	بالجرّ، إذ يهوون أخْـول أخْـولا[3]
وعللت سيفك بالدماء ولم تكن	لتَرُدَّه حــرّان حـتى ينهلا[4]

ملحوظة مهمّة

وعلى ذكر هذه الأشعار وقصيدة ابن الزِّبَعرى اللاميّة، فقد لاحظته يقول:

ثمّ خـفّوا عـند ذكـم رُقّـصاً	رَقَص الحفّان تعدو في الجبل

---

(١) مذبّب من الذبّ أي الدفع. ابن فاطمة: فاطمة بنت أسد أمّ عليّ عليه السلام. المُعِمّ: الكريم الأعمام. المُخْول: الكريم الأخوال.

(٢) في الإرشاد: جادت يداك له.

(٣) في الإرشاد: بالسفح إذ يهوون أسفل أسفلا. والسفح يعني الجرّ، وأخول أخولا أي واحداً بعد واحد. ابن هشام ٣: ١٥٨ و ١٥٩. ومجموع شعره ٤٠ صفحة من ١٣٦ ـ ١٧٦.

(٤) الإرشاد ١: ٩١، ٩٢ ولم يورده ابن هشام. وعللته بالدماء: أي سقيته بالدماء شربة ثانية. حرّان: عطشان. ينهل: يشرب فيرتوي.

أي: أنّ المسلمين ـ وبعض الخزرج منهم لأنّهم الأكثر ـ لمّا جزعوا من كثرة القتل، واستحرّ القتل في بني عبد الأشهل منهم، عند ذلك خفّوا يرقصون أي يعدون سراعاً مثل العدو السريع لصغار النعام إذ تعدو في الجبل، جبل أُحُد. ولا يقول بأنّ الليل أيضاً حال بينهم وبين المشركين وبين المسلمين لمّا اعتصموا بالجبل فصعدوا فيه. ويقول في الأخرى العينيّة:

ولولا علوّ الشِّعب غادرن أحمداً ... ولكن علا والسَّمهريّ شروع

أي: لولا أنّ طريق الجبل ـ جبل أُحُد ـ كان عالياً مرتفعاً، لغادرت السيوف أحمد ﷺ وهو قتيل، ولكنّه علا وصعد في الجبل والرماح شارعة أي متّجهة نحوه لطعنه.

أي كان كما نصّ المعتزليّ الشافعيّ ابن أبي الحديد عن شيخه النقيب أبي يزيد أنّه قال: إنّما تحاجز الفريقان بعد أن عرف أبو سفيان أنّ النبيّ حيّ ولكنّه في أعلى الجبل وأنّ الخيل لا تستطيع الصعود إليه، وأنّ القوم إن صعدوا إليه رجّالة لم يثقوا بالظفر به، لأنّ معه أكثر أصحابه وهم مستميتون إن صعد القوم إليهم، وأنّهم لا يقتلون منهم واحداً حتّى يقتلوا منهم اثنين أو ثلاثة، لأنّهم لا سبيل لهم للهرب لكونهم محصورين، فالرجل منهم يحامي عن خيط رقبته... كفّوا عن الصعود، وقنعوا بما وصلوا إليه من قتل من قتلوه في الحرب، وأمّلوا يوماً ثانياً يكون لهم فيه الظفر الكلّي بالنبيّ ﷺ[1].

ولكنّه قبل ذلك قال: قلت له: ما كان حال رسول الله لمّا انكشف المسلمون وفرّوا؟

قال: ثبت في نفرٍ يسيرٍ من أصحابه يحامون عنه. قلت: ثمّ ماذا؟

قال: ثمّ ثابت إليه الأنصار وردّت إليه عنقاً واحداً بعد فرارهم وتفرّقهم،

---

(١) شرح النهج ١٤: ٢٤٦.

وامتاز المسلمون عن المعركين وكانوا ناحية، ثمّ التحمت الحرب واصطدم الفيلقان

قلت: ثمّ ماذا؟

قال: لم يزل المسلمون يحامون عن رسول الله ﷺ والمشركون يتكاثرون عليهم ويقتلون فيهم، حتى لم يبقَ من النهار إلّا القليل والدولة للمشركين[1].

وقال بعد هذا: كنت بالنظامية ببغداد وأنا غلام، فحضرت في بيت خازن الكتب بها عبد القادر بن داود المحب الواسطي، وعنده في البيت باتكين الرومي (التركي) الذي ولي إربل أميراً، وعنده أيضاً جعفر بن مكّي الحاجب أيضاً ـ وكان باتكين مسلماً وكان جعفر سامحه الله مغموصاً عليه في دينه ـ فجرى ذكر يوم أُحُد وشعر ابن الزِّبعرى وأنّ المسلمين اعتصموا بالجبل فأصعدوا فيه وأنّ الليل حال أيضاً بين المشركين وبينهم، فأنشدنا ابن مكّي بيتين لأبي تمام متمثلاً:

لولا الظلامُ وقُلّةٌ علقوا بها ... بـاتت رقابهم بغير قِلال

فليشكروا جُنح الظلام ودرزداً ... فـهم لدَرزدَ والظلام مَوالي

فقال باتكين: لا تقل هذا ولكن قل: ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسُّونهم بإذنه حتّى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبّون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثمّ صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضلٍ على المؤمنين ﴾[2].

والآية الكريمة ـ كشعر ابن الزبعرى ـ تخلو عن ذكر الظلام. بل هو ظلم من الكلام، فقد مرّ أنّ النبيّ ﷺ صلّى الظهر في الجبل جالساً ثمّ صلّى عن القتلى وحضر دفن بعضهم ثمّ انحدر إلى المدينة عصراً فدخل داره ثمّ أذّن بلال للمغرب فخرج فصلّى. فأين الظلام في أُحُد؟!

---

(١) شرح النهج ١٤: ٢٤٥ و٢٤٦

(٢) آل عمران: ١٥٢

والغريب أنّ ابن أبي الحديد كيف غاب ذلك عن نظره الحديد؟

وفي تأريخ الغزوتين: أُحد وحمراء الأسد، قال ابن إسحاق: وكان يوم أُحُد يوم السبت للنصف من شوّال. فلمّا كان الغد يوم الأحد لستّ عشرة ليلة مضت من شوّال أذّن مؤذّن رسول الله في الناس بطلب العدوّ[1].

قال: فخرج رسول الله حتى انتهى إلى حمراء الأسد. فأقام بها الإثنين والثلاثاء والأربعاء ثمّ رجع إلى المدينة[2].

وقال الواقدي: غزوة أُحُد يوم السبت لسبع خلون من شوّال على رأس اثنين وثلاثين شهراً[3]. وقال: وكانت غزوة حمراء الأسد يوم الأحد لثمان خلون من شوّال على رأس إثنين وثلاثين شهراً، وغاب خمسة أيّام ودخل المدينة يوم الجمعة[4].

ولم يسمّ القمّي في تفسيره والطبرسي في «إعلام الورى» أجلاً لها، إلّا أن قال: ثمّ كانت غزوة أُحُد على رأس سنة من بدر[5]. وقال في «مجمع البيان» كان القتال يوم السبت لنصف من الشهر[6]. وفي غزوة حمراء الأسد قال: قال أبان بن عثمان: لمّا كان الغد من يوم أُحُد... ورجع رسول الله إلى المدينة يوم الجمعة[7].

ثمّ كانت شهور الحجّ: ذو القعدة وذو الحجّة، فقعد فيها الرسول عن القتال.

* * *

(١) ابن هشام ٣: ١٠٦ و١٠٧

(٢) ابن هشام ٣: ١٠٨

(٣) مغازي الواقدي ١: ١٩٩

(٤) مغازي الواقدي ١: ٣٣٤

(٥) إعلام الورى ١: ١٧٦

(٦) مجمع البيان ٢: ٨٢٦

(٧) إعلام الورى ١: ١٨٣، ١٨٤

أهم حوادث

السنة الرابعة للهجرة

غزوة الرجيع

قال الطبرسي في «إعلام الورى»: ثمّ كانت غزوة الرجيع وهو ماء لهذيل[1].

مرّ في وقعة أُحُد عن القمي أنّه عدّ أصحاب لواء المشركين: طلحة بن أبي طلحة، وأبا سعيد بن أبي طلحة، ومسافع بن طلحة بن أبي طلحة، وعثمان ابن أبي طلحة، والحارث بن أبي طلحة، وأبو عُذير بن عثمان بن أبي طلحة، كلّهم من بني عبد الدار، وكلّهم قتلهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام[2].

ولكن جاء في خبر المفيد في «الإرشاد» عن عبد الله بن مسعود قال: كان لواء المشركين مع طلحة بن أبي طلحة، فأخذه أخٌ له يقال له مُصعب فرماه عاصم ابن ثابت (بن أبي الأقلح الأنصاري) بسهم فقتله، ثمّ أخذه أخٌ له يقال له

---

(1) إعلام الورى ١: ١٨٥.

(2) تفسير القمي ١: ١١٢ و١١٣.

عثمان فرماه عاصم أيضاً بسهم فقتله[١]

وقال ابن إسحاق: ومسافع بن طلحة، والجُلاس بن طلحة قتلهما عاصم بن ثابت[٢].

وقال الواقدي: ومسافع بن طلحة بن أبي طلحة، والحارث بن طلحة قتلهما عاصم بن ثابت[٣].

وقال ابن إسحاق في النساء اللواتي خرجن إلى أُحُد: وخرج طلحة بن أبي طلحة بسلافة بنت سعد بن شُهيد الأنصاريّة (كذا) وهي أمّ بنيه: مسافع والجلاس وكلاب، وقتلوا مع أبيهم[٤] وكذلك ذكر الواقدي وأضاف الحارث وقال: هي من الأوس[٥].

وقال: حمل مسافع إلى أمّه سلافة فقالت: مَن أصابك؟ قال: سمعته يقول: خذها وأنا ابن أبي الأقلح فيومئذ نذرت أن تشرب الخمر في قحف رأسه وقالت: من جاء به مئة من الإبل[٦] قال: وعلمه بنو لحيان والعرب[٧].

وقال ابن إسحاق: قدم على رسول الله بعد أُحُد[٨] رهط من

(١) الإرشاد ١: ٨١

(٢) ابن هشام ٣: ١٣٤.

(٣) مغازي الواقدي ١: ٣٠٧

(٤) ابن هشام ٣: ٦٦

(٥) مغازي الواقدي ١: ٢٠٢

(٦) مغازي الواقدي ١: ٢٢٨ و٢٥٦، وبدون المئة نقله ابن إسحاق في سيرته ٣: ٧٩ و١٨٠، والطبرسي في إعلام الورى عن كتاب أبان ١: ١٨٦.

(٧) مغازي الواقدي ١: ٣٥٦

(٨) وقد أرّخ يوم الرجيع في سنة ثلاث ٣: ١٧٨ وقال: أدام خُبيب في أيديهم حتى انقضت

عضل والقارة[1]

ونقل الطبرسي في «إعلام الورى» عن كتاب أبان البجلي الكوفي قال: قدم عليه رهط من عضل والديش[2] فقالوا: ابعث معنا نفراً من قومك يعلّموننا القرآن ويفقّهوننا في الدين.

فبعث رسول الله: خالد بن بُكير، وخبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح وعبد الله بن طارق، وجعل أمير القوم مَرثد بن أبي مَرثد الغنوي حليف حمزة (عمّه).

فخرجوا مع القوم إلى بطن الرجيع، وهو ماء لهُذيل.

فهجم عليهم حيّ من هذيل يقال لهم بنو لحيان فأصابوهم جميعاً.

وكان عاصم بن ثابت قد أعطى الله عهداً أن لا يمسّ مشركاً ولا يمسّه مشرك في حياته أبداً. فلمّا قتلته هذيل أرادوا قطع رأسه ليبيعوه لسُلافة بنت سعد (أو ليحصلوا على المئة ناقة جعلتها لمن جاءها برأسه انتقاماً لابنيها المقتولين بيده في أُحُد، فمنعتهم الزنابير، فقالوا: دعوه حتى يُمسي فتذهب الزنابير عنه. فلمّا أمسوا بعث الله الوادي سيلاً فاحتمل عاصماً فذهب به، ومنعه الله بعد وفاته ممّا امتنع هو منه في حياته[3].

الأشهر الحرم ثمّ قتلوه ٣: ١٨٣. وقال الواقدي: أُدخلا إلى مكّة في الشهر الحرام ذي القعدة فحُبسا ١: ٣٥٧. فيعلم أنّه إنّما أُرّخ الرجيع في صفر على رأس ستّة وثلاثين شهراً، بمقتلهم فيه.

(١) ابن هشام ٣: ١٧٨.

(٢) عضل والديش ابنا الهون بن خزيمة، كما في القاموس.

(٣) إعلام الورى ١: ١٨٦ ومناقب آل أبي طالب ١: ١٩٥، والبداية والنهاية ٤: ٦٤.

وقال ابن شهرآشوب في «المناقب»: وأمّا زيد وخُبيب وعبد الله فأعطوا بأيديهم، فخرجوا بهم إلى مكّة، وانتزع عبد الله يده (ليقاتلهم) فرموه بالحجارة حتّى قتلوه.

وأمّا زيد فابتاعه صفوان بن اُميّة ليقتله بأبيه (اُميّة بن خلف قُتل ببدر).

وأمّا خُبيب فابتاعه حجير بن إهاب التميمي لعقبة بن الحارث ليقتله بأبيه، فلمّا أحسّ قتله قال: ذروني اُصلّي ركعتين. فتركوه فصلّى ركعتين، فجرت سنّة لمن يقتل صبراً أن يصلّي ركعتين. ثمّ قال:

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك في أوصال شِلوٍ ممزّقِ[1]

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٩٥. وروى ابن إسحاق قال: غدروا بهم، فلم يرعهم إلّا الرجال من هذيل قد غشوهم والسيوف بأيديهم، فأخذوا سيوفهم ليقاتلوهم فقالوا لهم: إنّا ما نريد قتالكم ولكنّا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكّة.

فقال مرثد بن أبي مرثد وخالد بن بكير وعاصم بن ثابت: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً. فقاتلوا حتى قُتلوا.

وأمّا زيد بن الدثنة وخُبيب بن عدي وعبد الله بن طارق فلانوا وأعطوا بأيديهم فأسروهم، وخرجوا بهم إلى مكّة ليبيعوهم بها، فلمّا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القران وأخذ سيفاً (ليقاتلهم) فاستأخروا عنه ورموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبره بالظهران.

وقدموا بزيد بن الدثنة وخُبيب بن عدي إلى مكّة، فابتاع خُبيباً حُجير بن أبي إهاب التميمي لعقبة بن الحارث ليقتله بأبيه. وابتاع زيد بن الدثنة صفوان بن أميّة ليقتله بأبيه أميّة بن خلف. وحُبس خُبيب في دار حُجير بن أبي إهاب في بيت مولاته ماويّة (أو ماريّة) ٣: ١٧٩ و ١٨٠. وروى الواقدي قال: فلم يرعهم إلّا القوم مئة رامٍ بأيديهم السيوف، فقاموا واخترطوا سيوفهم، فقال لهم العدوّ: ما نريد قتالكم وما نريد إلّا أن نصيب بكم

←

ثمّ من أهل مكّة

فأمّا خُبيب بن عدي وزيد بن الدَّثِنة وعبد الله بن طارق فاستأسروا

وأمّا عاصم بن ثابت ومرثد وخالد بن بكير ومعتّب بن عبيد فأبوا أن يقبلوا أمانهم وجوارهم فقاتلوهم حتى قُتلوا

وخرجوا بخُبيب بن عدي، وزيد بن الدَّثِنة وعبد الله بن طارق إلى مكّة، وفي مرّ الظهران نزع عبد الله بن طارق يده من رباطه وأخذ سيفاً، فانحرفوا عنه ورموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبروه

وخرجوا بخُبيب بن عدي وزيد بن الدثنة إلى مكّة، فدخلوا بهما في شهر ذي القعدة الحرام

فأمّا خبيب فابتاعه حجير بن أبي إهاب بخمسين بعيراً أو بمئة مثقال من الذهب ـ وقيل اشترته ابنة الحارث بن عامر بمئة من الإبل ـ وإنّما اشتراه حُجير لأبي أُمّه عُقبة بن الحارث ليقتله بأبيه المقتول ببدر، فحبس حُجير خُبيباً في بيت مولاة لبني عبد مناف يقال لها ماوية

وأمّا زيد بن الدثنة فاشتراه صفوان بن أُميّة بخمسين بعيراً ليقتله بأبيه، فحبسه عند ناس من بني جُمح أو عند غلامه نسطاس الرومي، ١: ٣٥٥ ـ ٣٥٧ لتنسلخ الأشهر الحُرُم فيخرجوهم من الحرم فيقتلوهم بالتنعيم أوّل الحلّ كما في سيرة ٣: ١٨١، والبخاري ١: ٣٥٨ ولذلك فتحن نؤجّل مقتلهم إلى حينه، بل نبادر من قوله «دخلوا بهما إلى مكّة في شهر ذي القعدة الحرام» : أنّ مؤامرة بني لحيان من هذيل من خلال رجال من عضل والقارة من قريش ووفودهم إلى المدينة وتظاهرهم بالإسلام ودعوتهم دعاة الإسلام إلى قومهم في بطن الرجيع وارتحالهم إلى هناك وحتى الوقعة لم يكن كلّ ذلك في ذي القعدة بل كان قبله في أواخر شوّال، وإلّا لكانت تذكر حُرمة الأشهر قبل ذلك، وعليه فقدوم القوم إلى المدينة

وفاة زينب بنت خزيمة

في شهر ذي القعدة توفّيت زينب بنت خزيمة أُمّ المساكين أُمّ المؤمنين التي كانت زوجة عبيدة بن الحارث بن المطّلب الشهيد ببدر، والتي مرّ بشأنها عن المسعودي في «التنبيه والإشراف» أنّ رسول الله تزوّجها في شهر رمضان من السنة الثالثة[1] وفي «مروج الذهب» وكان وفاتها بعد شهرين[2] أي في شهر ذي القعدة.

سريّة أبي سلمة إلى بني أسد في قطن:

وعاد الحديث عنها عن الواقدي بسنده عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه عن جدّه أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي قالوا: إنّ أبا سلمة حين تحوّل من قُباء كان نازلاً في بني أُميّة بن زيد بالعالية، ومعه زوجته أُم سلمة بنت أبي أُميّة المخزومي. وشهد أبو سلمة أُحُداً فجُرح جُرحاً على عضده، فرجع

للدعوة كان بعد بدر كما روى ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة.

هذا وقد أرّخ الواقدي غزوة الرجيع في صفر على رأس ستّة وثلاثين شهراً من الهجرة وذكر أنّ الهجوم على المسلمين في تلك الغزوة كان عقب مقتل سفيان بن خالد الهذلي بيد المسلمين، فكان ذلك انتقاماً، بينما هو يؤرّخ مقتل سفيان على رأس أربعة وخمسين شهراً ٢: ٥٣١ وهذا مما نبّه عليه المحقّق للمغازي مارسدن جونس في مقدّمته: ٣٣.

(١) التنبيه والإشراف: ٢١٠.

(٢) مروج الذهب ٢: ٢٨٨. ونقل تأريخ وفاتها في جمادى الأُولى من السنة الرابعة المجلسي في بحار الأنوار ٢٠: ١٨٥ عن المنتقى للكازروني: ١٢٨ بلا مصدر.

إلى منزله، فجاءه خبر أنّ رسول الله سار إلى حمراء الأسد فركب وسار مع نبيّ إلى حمراء الأسد، فلمّا رجع رسول الله إلى المدينة انصرف ورجع من العصبة بالعقيق إلى منزله، فأقام شهراً يداوي جرحه حتّى رأى أن قد برأ، ولا يدري أنّ الجرح قد دمل على فساد في داخله.

وقدم الوليد بن زهير الطائي إلى المدينة ونزل على صهره طُليب بن عمير من أصحاب رسول الله فأخبره أنّه قد ترك سلمة وطليحة ابني خويلد قد سار يدعوانها في قومهما إلى حرب رسول الله يقولون:

نسير إلى محمّد في عقر داره فنصيب من أطرافه وسرحهم يرعى في جوانب المدينة، ونخرج على متون الخيل، فإن أصبنا نهباً لم نُدرك، وإن لاقينا جمعهم كنّا قد أخذنا للحرب عُدّتها، معنا خيل ولا خيل لهم، والقوم منكوبون قد أوقعت بهم قريش حديثاً.

فخرج طليب بن عمير بالوليد بن زهير الطائي إلى النبيّ فأخبره ما أخبر الرجل.

وكان هلال المحرّم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة[1]، فدعا رسول الله أبا سلمة وقال له: أخرج في هذه السريّة (خمسون ومئة) فقد استعملتك عليها حتى ترد أرض بني أسد. فأغِر عليهم قبل أن تلاقي عليك جموعهم. وأوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً. وعقد له لواءً.

فخرج به الوليد بن زهير الطائي دليلاً معهم، ونكب بهم عن سنن الطريق، وأسرعوا السير وساروا بهم ليلاً ونهاراً ـ وكمنوا النهار ـ فسبقوا الأخبار حتى انتهوا في أربعة ليالٍ إلى قَطَن من مياه بني أسد، فوجدوا سرحاً معه مماليك رعاة

---

(١) إنّما جاز القتال دفاعاً ووقاية لا ابتداءً.

للسرح، فأخذوا ثلاثة منهم وأفلت سائرهم، وضمّوا السرح إليهم، وذهب المفلتون منهم إلى جمعهم فأخبروهم الخبر وحذّروهم من جمع أبي سلمة[1].

فأحاط بهم أبو سلمة في غماية الصبح، فوعظ القوم وأمرهم بتقوى الله ورغّبهم في الجهاد وحضّهم عليه، وأوعز إليهم في الإمعان في الطلب، وألّف بين كلّ رجلين منهم، وانتبه القوم قبل الحملة عليهم فتهيّأوا وأخذوا السلاح وصفّوا للقتال.

وحمل عليهم أبو سلمة فانكشف المشركون وتبعهم المسلمون فتفرّقوا في كلّ وجه، وأمسك أبو سلمة عن الطلب وانصرف راجعاً إلى محلّه، وأخذوا ما خفّ لهم من متاع القوم، ولم يكن في المحلّة ذرّية[2].

وفرّق أصحابه ثلاث فرق، فرقة أقامت معه وفرقتان أغارتا على ناحيتين في طلب النعم والشياه على أن لا يُمعنوا في الطلب ولا يبيتوا إلّا عنده، فرجعوا سالمين قد أصابوا إبلاً وشيئاً ولم يلقوا أحداً.

وانحدر بذلك كلّه أبو سلمة راجعاً إلى المدينة ومعهم الطائي، فأعطاه أبو سلمة رضاه من المغنم، ثمّ أخرج عبداً صفيّاً لرسول الله، ثمّ أخرج الخمس، ثمّ قسّم ما بقي بين أصحابه[3].

ثمّ انصرفوا راجعين إلى المدينة، حتّى إذا كانوا من مائهم على مسيرة ليلة أخطأوا الطريق.. فلمّا أخطأوا الطريق استأجروا دليلاً من العرب يدلّهم على الطريق فقال: أنا أهجم بكم على نَعَم، فما تجعلون منه لي؟ قالوا: الخمس، فدلّهم

(١) مغازي الواقدي ١: ٣٤٠ ـ ٣٤٢.

(٢) مغازي الواقدي ١: ٣٤٥.

(٣) مغازي الواقدي ١: ٣٤٢.

على النعم فيه رعاؤهم، فأخذوا الرعاء واستاقوا النعم وفيها سبعة أبعرة وأخذ الدليل نفسه حتى دخلوا المدينة[1] وغاب بضع عشرة ليلة[2].

مقتل أصحاب الرجيع :

روى ابن إسحاق أنّ خُبيب بن عدي كان قد حُبس في بيت مارية مولاة حجير بن أبي إهاب التميمي (وزيد بن الدثنة عند صفوان بن أمية) مع مولىً له يقال له : نسطاس[3] وذلك لما روى الواقدي قال : دُخل بهما إلى مكّة في شهر ذي القعدة الحرام[4] فلذلك انتظروا بهم خروج الأشهر الحُرُم ذي القعدة وذي الحجّة ومحرّم.

قال ابن إسحاق : اجتمع رهط من قريش لقتله فيهم أبو سفيان، وأخرجوا زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه، بعث به صفوان مع مولاه نسطاس إلى التنعيم (أوّل الحلّ)، فلمّا قُدّم ليُقتل قال له أبو سفيان : أنشدك الله يا زيد، أتحبّ أنّ محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك ؟ قال : والله ما أحبّ أنّ محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنّي جالس في أهلي ! ثمّ قدّمه نسطاس فقتله ﷺ.

ثمّ خرجوا بخُبيب وجاؤوا به إلى التنعيم ليصلبوه، فقال لهم : إن رأيتم أن تدعوني أركع ركعتين . قالوا : دونك فاركع، فركع ركعتين فأتمّهما وأحسنهما ثمّ

---

(١) مغازي الواقدي ١ : ٣٤٥ و٣٤٦

(٢) مغازي الواقدي ١ : ٣٤٢، وفي ثلاث بقين من جمادى الآخرة انتقض به الجرح فمات، فغسل وحمل إلى المدينة فدفن بها . وعدّت زوجته أم سلمة فتزوّجها رسول الله في شوّال

(٣) ابن هشام ٣ : ١٨١

(٤) مغازي الواقدي ١ : ٣٥٧

أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنّوا أنّي إنّما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة. فكان أوّل من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين.

ثمّ أوثقوه ليرفعوه على خشبته فقال:

اللّهم قد بلّغنا رسالة رسولك، فبلّغه الغداة ما يصنع بنا. ثمّ قال: اللّهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً!

وكان المشركون يزعمون أنّ الرجل إذا دُعي عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه! وكان أبو سفيان حاضراً ومعه معاوية فألقى معاوية على الأرض خوفاً من إصابة دعوة خُبيب[1].

وروى الواقدي قال: دُخل بهما إلى مكّة في شهر ذي القعدة الحرام، فحُبس خُبيب بن عدي في بيت امرأة يقال لها ماوية مولاة لبني عبد مناف، وحَبس صفوان زيد بن الدثنة عند ناس من بني جُمح، ويقال: عند غلامه نسطاس. فلمّا انسلخت الأشهر الحرم أجمعوا على قتلهما.

فأخرجوا خُبيباً بالحديد إلى التنعيم (أوّل الحلّ)، وخرج معه النساء والصبيان والعبيد وجماعة من أهل مكّة: إمّا موتور يريد أن يتشفّى بالنظر في وتره، وإمّا غير موتور مخالف للإسلام وأهله. وأخرجوا معه زيد بن الدثنة، وأمروا فحفر لخشبتيهما.

فلمّا قرّبوا خُبيباً إلى خشبته قال: هل أنتم تاركيّ فأصلّي ركعتين؟ قالوا: نعم. فركع ركعتين أتمّهما من غير أن يطوّل فيهما. ثمّ قال: أما والله لولا أن تروا أنّي جزعت من الموت لاستكثرت من الصلاة. ثمّ قال: اللّهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً!

---

(1) ابن هشام ٣: ١٨١ و ١٨٢

فقال الحارث بن برصاء: والله ما ظننت أنّ دعوة خُبيب تغادر أحداً منهم!

وقال جبير بن مُطعم: لقد رأيتني يومئذٍ أتستّر بالرجال خوفاً من أن أشرف لدعوته!

وقال حكيم بن حزام: لقد رأيتني أتوارى بالشجر خوفاً من دعوة خُبيب!

وقال حويطب بن عبد العُزّى: لقد رأيتني أدخل إصبعي في أذني وأهرب خوفاً من سماع دعائه!

وقال معاوية بن أبي سفيان: ولقد جذبني أبي يومئذٍ جذبةً سقطت منها على عجب ذنبي فأوجعني!

وقال نوفل بن معاوية الديلي: كنت قائماً فأخلدت إلى الأرض خوفاً من دعوته، وما كنت أرى أنّ أحداً يفلت من دعوته، ولقد مكثت قريش شهراً أو أكثر ما لها حديث في أنديتها إلّا دعوة خُبيب!

ثمّ حملوه إلى الخشبة ووجّهوه إلى المدينة وأوثقوه رباطاً ثمّ قالوا له: ارجع عن الإسلام نخلّ سبيلك! قال: لا والله ما أحبّ أنّي رجعت عن الإسلام وأنّ لي ما في الأرض جميعاً! قالوا: فتحبّ أنّ محمّداً في مكانك وأنت جالس في بيتك؟ قال: والله ما أحبّ أن يشاك محمّد بشوكة وأنا جالس في بيتي! فجعلوا يقولون له: ارجع يا خُبيب، وهو يقول: لا أرجع أبداً! قالوا: أما واللات والعزّى لئن لم تفعل لنقتلنّك! قال: إنّ قتلي في الله لقليل. ثمّ قال: اللّهم إنّي لا أرى إلّا وجه عدو، اللّهم إنّه ليس هٰهنا أحدٌ يبلّغ رسولك السلام عنّي، فبلّغه أنت عنّي السلام.

فروى الواقدي بسنده عن زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله قال: إنّ رسول الله كان جالساً مع أصحابه إذ أخذته غشية كما كان تأخذه إذا نزل عليه

الوحي ثمّ سمعناه يقول : وعليه السلام ورحمة الله ثمّ قال : هذا جبرئيل يقرئني من خُبيب السلام .

ثمّ دعوا أبناء من قتل ببدر فوجدوهم أربعين غلاماً فأعطوا كلّ غلام رمحاً ثمّ قالوا : هذا الذي قتل آباءكم فطعنوه برماحهم . ثمّ طعنه أبو سروعة حتى أخرجه من ظهره ، فمكث ساعة يوحّد الله ويشهد أنّ محمّداً رسول الله .

قال : وكان زيد محبوساً في الحديد عند آل صفوان بن أُميّة ، وكان يصوم بالنهار و يتهجّد بالليل ، ولا يأكل من ذبائحهم فأرسل إليه صفوان : فما تأكل من الطعام ؟ فقال : لست آكل ممّا ذُبح لغير الله ، ولكنّي أشرب اللبن ، فأمر به صفوان بعُسّ من لبن عند إفطاره فيشرب منه .

وخرج به غلام صفوان نسطاس إلى التنعيم ، وخرجوا بخُبيب في يوم واحد ، فالتقيا فالتزم كلّ منهما صاحبه وأوصى كلّ واحد منهما صاحبه بالصبر على ما أصابه ثمّ افترقا ، ورفعوا زيداً جذعاً ، فقال : أُصلّي ركعتين ، فصلّى ركعتين ، ثمّ حملوه على الخشبة ثمّ جعلوا يقولون له : ارجع عن دينك المحدث واتّبع ديننا ونرسلك ! قال : لا والله لا أُفارق ديني أبداً . فقالوا له : أيسرّك أنّ محمّداً في أيدينا مكانك وأنت في بيتك ؟ قال : ما سرّني أنّ محمّداً أُشيك بشوكة وأنّي في بيتي ! ثمّ ولي نسطاس قتله[1].

سريّة الجُهني الى اللحياني

روى الواقدي : أنّ بني لحيان من هذيل كانوا قد نزلوا في عُرنة (بقرب عرفة من مكة) وما حولها . وبلغ رسول الله أنّ قائدهم سفيان بن خالد قد جمع

---

(١) مغازي الواقدي ١ : ٣٥٧ ـ ٣٦٢

الجموع له وقد ضوى اليه بشر كثير من أفناء الناس.

فروى عن عبدالله بن أنيس الجهني، أن رسول الله دعاه (في أول المحرّم للسنة الرابعة للهجرة [1]) وأخبره الخبر وأمره أن يبعث اليه وحده يقتله. قال ابن أنيس: وكنتُ لا أهاب الرجال، ولكنّي لم اكن أعرفه فقلت: يا رسول الله ما أعرفه فصفه لي. فقال رسول الله: انك اذا رأيته هِبْته وفرِقت منه وذكرت الشيطان! فقلت: يا رسول الله ما فرقت من شيء قط. فقال: بلى، تلك آية لك أن تجد له قشعريرة اذا رأيته! فاستأذنت النبيّ أن أقول ما شئت. فقال: قل ما بدا لك؛ وانتسب الى خزاعة.

قال: فأخذت سيفي لم أزد عليه، وخرجت أمشي على رجلي يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم فأخذت على الطريق حتى انتهيت الى قُديد، فوجدت بها خزاعة كثيراً وانتسبت اليهم، وكنت ماشياً فعرضوا عليّ أن يحملوني ويصحبوني فلم أرد ذلك.

وخرجت أمشي حتى خرجت على عُرَنة فجعلت أخبر من لقيت أني اريد سفيان بن خالد لأكون معه، حتى اذا كنت ببطن عرنة وقد دخل وقت العصر فلقيته يمشي وهو يتوكأ على عصا ووراءه الأحابيش ومن استجلب وضوى اليه، فلما رأيته هبته على النعت الذي نعته لي رسول الله، فقلت في نفسي: صدق الله

---

[1] روى ابن اسحاق هذه السرية بلا تاريخ ٤: ٢٦٧ وأما رواها الواقدي مضطرباً في تاريخها فذكرها في فهرسه للمغازي والسرايا في مقدمة كتابه: ٣ تارة: على رأس خمسة وثلاثين شهراً وأخرى: ٤ في المحرم سنة ست. ثم ذكر التفصيل على التاريخ الثاني: على رأس أربعة وخمسين شهراً ٥٣١ بينما ذكر في غزوة الرجيع ٣٥٤ أن قتل عاصم بن ثابت كان انتقاماً لقتل سفيان بن خالد، وهذا يرجّح التاريخ الأول ٣٥ شهراً كما ذكره المسعودي كذلك في التنبيه والاشراف: ٢١٢

ورسوله، فصليت العصر إيماءً برأسي وأنا أمشي

فلما دنوت منه قال: من الرجل؟ فقلت: من خزاعة، سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك. قال: أجل إني لفي الجمع له. فمشيت معه وأنا أقول: عجباً لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث، فارق الآباء وسفّه الأحلام! فقال: لم يلق محمد أحداً يشبهني! وأنشدته شعراً وحدّثته فاستحلى حديثي وانتهى إلى خبائه[1] وتفرق عنه أصحابه إلى منازل قريبة منه. فقال لجاريته: احلبي، فحلبت ثم ناولتني فمصصت ثم دفعته إليه، فعبّ منه ثم قال: اجلس، فجلست معه حتى إذا هدأ الناس وناموا، وهدأ هو فقتلته وأخذت رأسه وأقبلت حافياً حتى صعدت في جبل فدخلت غاراً واختفيت فيه، وضربت العنكبوت على الغار، وأنا أذكر تهامة وحرّها وكان أهم أمري عندي العطش[2]

وتفقّدته نساؤه فاجتمعن يبكين عليه، وأقبل الرجال على الخيل في طلبي يتوزّعون في كل وجه، وأقبل رجل معلّلاً في يده ومعه إداوة، وصحفة فوضعها على باب الغار وقال لأصحابه: ليس في الغار أحد فانصرفوا راجعين وجلس هو على باب الغار يبول، فخرجت إلى الإداوة فشربت منها وأخذت النعلين فلبستهما، وأقبلت أتوارى النهار وأسير الليل حتى قدمت المدينة في يوم السبت لسبع بقين من المحرم، فوجدت رسول الله في المسجد، فلما رآني قال: أفلح الوجه! قلت: أفلح وجهك يا رسول الله. ثم وضعت رأسه بين يديه وأخبرته خبري، فدفع إليّ عصا وقال: تخصّر بهذه في الجنة فإن المتخصّرين في الجنة قليل. وبذلك أوصى

---

(١) وفي ابن إسحاق ٤: ٢٦٨ حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف فقتلته ثم خرجت وتركت نساءه منكبّات عليه. وهذا النص أبعد عن التصنّع.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣١ وانظر سيرة ابن هشام ٤: ٢٦٧، ٢٦٨.

أهله أن يدرجوها في كفنه[1].

غزوة بئر معونة

روى الواقدي بسنده عن أبي سعيد الخُدري قال: كان سبعون رجلاً شباباً من الأنصار إذا أمسوا اجتمعوا في ناحية من المدينة فصلّوا وتدارسوا القرآن حتى سمّوا القرّاء، حتى إذا كان الصبح جمعوا حَطَباً واستعذبوا ماءً فحملوه إلى حُجَر رسول الله فكان أهلهم يظنّون أنّهم في المسجد وأهل المسجد يظنّون أنّهم جاؤوا من أهليهم.

وقال الواقدي: وأرى أنّهم كانوا أربعين رجلاً فهو الثبت[2] وكذلك قال ابن إسحاق[3].

ونقل الطبرسي في «إعلام الورى» عن كتاب أبان البجلي الكوفي قال: قدم على رسول الله بالمدينة أبو براء عامر بن مالك مُلاعب الأسنّة، فعرض عليه الإسلام فأسلم[4] وقال: يا محمّد! إن بعثت رجالاً إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك!

فقال الرسول: أخشى عليهم أهل نجد[5]! فقال أبو براء: أنا لهم جار!

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٥٣٣ والتحصّر أن يتكئ الشخص بمخصرته على العصا.

(٢) مغازي الواقدي ١: ٣٤٧.

(٣) ابن هشام ٣: ١٩٤.

(٤) فلم يُسلم ولم يبعد، إعلام الورى ١: ١٨٦، وابن إسحاق في السيرة ٣: ١٩٣ والواقدي ١: ٣٤٦ وهو الثبت وإلّا فكيف يقول: يا محمّد؟!

(٥) وربّما يتوجّه هذا الكلام بعد حادثة رجال عضل والقارة والديش ولحيان من هذيل، ولا قبل ذلك.

فبعث رسول الله المنذر بن عمرو في بضعة وعشرين رجلاً ـ وقيل: في أربعين، وقيل: في سبعين رجلاً ـ من خيار المسلمين، منهم: الحارث بن الصمّة، وحرام بن ملحان، وعامر بن فهيرة[1] ومعهم كتاب رسول الله.

فساروا حتى نزلوا بئر معونة، وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سُليم. فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله إلى عامر بن الطفيل، فلمّا أتاه لم ينظر (عامر) في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله وهو يقول: الله أكبر! فزتُ[2] وربِّ الكعبة!

ثمّ دعا (عامر) بني عامر إلى قتالهم، فقالوا: لا نخفر أبا براء! فاستصرخ قبائل من بني سُليم: عُصَيّة ورِعلاً وذكوان فأجابوه، وأحاطوا بالقوم في رحالهم. فلمّا رأوهم أخذوا أسيافهم وقاتلوا القوم حتى قُتلوا عن آخرهم[3] وإنّما كانوا قد خلّفوا في سرحهم عمرو بن أميّة الضَّمري ورجلاً آخر من الأنصار (المنذر بن محمّد)[4]، فلم يُنبئهما بمصاب القوم إلّا الطير تحوم على العسكر. فقالا: والله إنّ لهذا الطير لشأناً! فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دمائهم! فقال الأنصاري (المنذر بن محمّد) لعمرو الضمري: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله فنخبره الخبر، فقال الأنصاري (المنذر بن محمّد): لكنّي لم أكن لأرغب بنفسي عن موطن قُتل فيه

---

(1) وقال الواقدي: هؤلاء هم القرّاء الذين بعثهم إلى بئر المعونة.

(2) روى ابن إسحاق عن جبّار بن سلمى العامري قال: طعنت يومئذ رجلاً منهم بالرمح بين كتفيه فخرج سنان الرمح من صدره فسمعته يقول: فزت والله. فسألت عن قوله فقالوا: للشهادة ـ ٣: ١٩٦ ورواه الواقدي ١: ٣٤٩.

(3) وقال ابن إسحاق: إلّا كعب بن زيد من بني النجّار فإنّهم تركوه وبه رمق فارتثّ من بين القتلى فعاش ورجع إلى المدينة ثمّ قُتل يوم الخندق ٣: ١٩٤.

(4) ابن هشام ٣: ١٩٥.

المنذر بن عمرو الساعدي أميرهم، وحمل، فقاتل القوم حتى قُتل.

ورجع عمرو الضمري (١) إلى المدينة فأخبر رسول الله فقال: هذا عمل

---

(١) وروى ابن إسحاق قال: وأخذ عمرو بن أمية الضمري أسيراً، فلمّا أخبرهم أنّه من مضر جزّ ناصيته عامر بن الطفيل وأعتقه عن رقبة زعم أنّها كانت على أمّه ـ ٣: ١٩٥، ونقله عنه الطبرسي في مجمع البيان ٢: ٨٨٢، وعنه في بحار الأنوار ٢٠: ١٤٨.

وروى الواقدي قال: كان في سرحهم: عمرو بن أمية الضمري والحارث بن الصمّة فقاتلهم الحارث حتى قتل منهم اثنين ثمّ أخذوه أسيراً ومعه عمرو الضمري وقالوا للحارث: ما تحبّ أن نصنع بك؟ قال: أحبّ أن أرى مصرع حرام بن ملحان (رسولهم) والمنذر بن عمرو الساعدي (أميرهم)، ثمّ ترسلوني فأقاتلكم. فأروه مصرعهما ثمّ أرسلوه، فقاتلهم فقتل منهم اثنين آخرين ثمّ قُتل. وقال عامر بن الطفيل لعمرو الضمري (لما عرفه أنّه من مضر): كانت على أمّي نسمة، فأنت حرّ عنها. ثمّ جزّ ناصيته فأطلقه ١: ٣٤٨.

وروى ابن إسحاق قال: فخرج عمرو بن أمية حتى كان بالقرقرة من أوّل القناة (وادٍ يأتي من الطائف ويصبّ في الأرحضيّة وقرقرة الكدر ناحية المعدن بينه وبين المدينة ثمانية بُرد = ٨٠ كيلومتراً ـ معجم البلدان) فأقبل رجلان من بني عامر ونزلا معه في ظلّ هو فيه، فسألهما: ممّن أنتما؟ قالا: من بني عامر، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ثأراً لأصحابه. فلمّا قدم على رسول الله وأخبره الخبر قال رسول الله: لقد قتلت قتيلين، لأديّنهما ـ لأنّهما كانا في جوار رسول الله ـ ثمّ قال النبيّ: هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً متخوّفاً ٣: ١٩٥ ـ وقال الواقدي: فقال النبيّ: بئس ما صنعت قتلت رجلين كان لهما منّي أمان وجوار، لأديّنهما ١: ٣٥٢ فقال عمرو: كنت أراهما على شركهما، وكان قومهما قد نالوا منّا ما نالوا من الغدر بنا. وكان قد جاء بسلبهما، فأمر رسول الله فعزل سلبهما حتى يبعث به مع ديتهما ـ ١: ٣٦٤.

وقال: ودعا رسول الله على قتلتهم في صلاة الصبح من تلك الليلة التي جاءه فيها الخبر، ←

أبي براء، فقد كنت لهذا كارهاً.

فبلغ ذلك أبا براء فشقّ عليه إخفار عامر بن الطفيل إيّاه وما أصاب من أصحاب رسول الله، فحمل ابنه ربيعة بن أبي براء على عامر بن الطفيل فطعنه فأصاب فخذه، فقال عامر:

هذا عمل عمّي أبي براء، إن متُّ فدمي لعمّي لا يطلبنّ به، وإن أعش فسأرى رأيي فيه[1]

رفع رأسه من الركوع وقال: سمع الله لمن حمده، ثمّ قال: اللّهم اشدد وطأتك على مضر، اللّهم عليك بني لحيان ورعل وذكوان وعُصيّة، فإنّهم عصوا الله ورسوله. اللّهم عليك بني لحيان وعضل والقارة ... اللّهم نجّ المستضعفين من المؤمنين. غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله. ثمّ سجد. قال ذلك خمس عشرة يوماً وقيل: أربعين يوماً ـ ١: ٣٤٩ و٣٥٠ وهذا الدعاء أيضاً يشير بل صريح في سبق قصّة بني لحيان وعضل والقارة في بعث الرجيع.

(١) إعلام الورى ١: ١٨٧ وفي مجمع البيان ٢: ٨٨١ و٨٨٢، ينقل عن ابن إسحاق: أنّ عمل ربيعة هذا كان بعد أن بلغه قول حسّان بن ثابت فيه:

بني أُمّ البنين ألم يَرُعْكُمْ ... وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكُّم عامر بأبي براء ... ليخفره، وما خطأ كعمد
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعي ... فما أحدثت في الحَدَثان بعدي؟!
أبوك أبو الحروب أبو براء ... وخالك ماجد: حَكَمُ بن سعد

(ابن هشام ٣: ١٩٧).

وأيضاً ينقل عن ابن إسحاق قول كعب بن مالك:

لقد طارت شعاعاً كلّ وجه ... خفارة ما أجار أبو براء
بني أُمّ البنين أما سمعتم ... دعاء المستغيث مع المساء
وتنويه الصريخ؟! بلى ولكن ... عرفتم أنّه صدق اللقاء

غزوة بني النضير:

في تفسير القمي ـ وكأنّه عن كتاب أبان بن عثمان[1] البجلي الكوفي ـ قال: كان بالمدينة ثلاثة أبطن من اليهود: بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير، وكان بينهم وبين رسول الله عهد فنقضوا عهدهم.

وكان السبب في نقض بني النضير عهدهم: أنّه أتاهم رسول الله ﷺ يستسلفهم ـ يعني يستقرض منهم ـ دية رجلين قتلهما رجل من أصحابه غيلة[2] ـ وقصد كعب بن الأشرف.

فلمّا دخل على كعب (ومعه جمع من أصحابه) قال له: مرحباً يا أبا القاسم وأهلاً. وقام كأنّه يصنع لهم الطعام، وحدّث نفسه أن يقتل رسول الله ثمّ يتبع أصحابه.

فنزل جبرئيل عليه السلام فأخبره بذلك، فرجع رسول الله إلى المدينة[3].

وقال الطبرسي في «إعلام الورى»: فنزل جبرئيل عليه السلام فأخبره عمّا همّ القوم من الغدر، فقام رسول الله كأنّه يقضي حاجة، وعرف أنّهم لا يقتلون

وليس في ابن هشام. مجمع البيان ٢: ٨٨٢، وعنه في المناقب ١: ١٩٥.

وقال الواقدي: وبعث عامر بن الطفيل بمن من أصحابه وكتب معهم إليه: إنّ رجلاً من أصحابك قتل رجلين من أصحابنا وهما معهما أمان وجوار ١: ٣٥٢ فابعث بديتهما إلينا ١: ٣٦٤.

(١) انظر تفسير القمي ١: ٣٦٠.

(٢) هو عمرو بن أميّة الضمري الذي قتل رجلين عامريّين مسلمين أو معاهدين في جوار رسول الله.

(٣) تفسير القمي ٢: ٣٥٨ و٣٥٩.

أصحابه وهو حيّ، فأخذ الطريق نحو المدينة.

وكان كعب قد أرسل بعض أصحابه إلى من يستعين بهم على رسول الله، فاستقبلوا رسول الله، فأخبروا كعباً بذلك، فتخبّر أصحاب النبيّ فساروا راجعين.

وكان عبد الله بن صوريا أعلمهم فقال لهم: والله إنّ ربّه أطلعه على ما أردتموه من الغدر، ولا يأتيكم ـ والله ـ أوّل ما يأتيكم إلّا رسول محمّد يأمركم عنه بالجلاء! فأطيعوني في خصلتين لا خير في الثالثة: أن تُسلموا! فتأمنوا على دياركم وأموالكم، وإلّا، فإنّه يأتيكم من يقول لكم: اخرجوا من دياركم! فقالوا: هذه أحبّ إلينا! فقال: أما إنّ الأُولى خيرٌ لكم منها، ولولا أن أفضحكم لأسلمت[1].

قال القمي: فقال رسول الله لمحمّد بن مَسلمة الأنصاري: إذهب إلى بني النضير فأخبرهم: إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ قد أخبرني بما هممتم به من الغدر، فإمّا أن تخرجوا من بلدنا، وإمّا أن تأذنوا بحرب![2] ثمّ بعثه إليهم[3].

فقالوا: نخرج من بلادك.

فبعث إليهم عبد الله بن أُبيّ: أن لا تخرجوا، وأقيموا وتنابذوا محمّداً الحرب، فإنّي أنصركم أنا وقومي وحلفائي، فإن خرجتم خرجت معكم، وإن قاتلتم قاتلت معكم!

فأقاموا وأصلحوا حصونهم وتهيّأوا للقتال وبعثوا إلى رسول الله: إنّا لا نخرج فاصنع ما أنت صانع!

---

(١) إعلام الورى ١: ١٨٨.

(٢) تفسير القمي ٢: ٣٥٩.

(٣) إعلام الورى ١: ١٨٨.

فقام رسول الله وكبّر، وكبّر أصحابه، وقال لأمير المؤمنين: تقدّم إلى بني النضير.

فأخذ أمير المؤمنين الراية وتقدّم، وجاء رسول الله وأحاط بحصنهم وأمر بقطع نخلهم، فجزعوا من ذلك وقالوا: يا محمّد أيأمرك الله بالفساد؟ إن كان هذا لك فخذه وإن كان لنا فلا تقطعه[1].

وقال المفيد في «الإرشاد»: وضرب رسول الله قبّته في أقصى بني خَطْمة من البطحاء فلمّا جنّ الليل رماه رجلٌ من بني النضير بسهم فأصاب القبّة! فأمر النبيّ ﷺ أن تحوّل قبّته إلى السفح، وأحاط به المهاجرون والأنصار.

فلمّا اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين عليه السلام فقال الناس: يا رسول الله لا نرى عليّاً؟! فقال: أراه في بعض ما يصلح شأنكم. فلم يلبث أن جاء برأس اليهوديّ الذي رمى النبيّ، وكان يقال له: عزورا (أو عازورا)[2] = عزرا، فطرحه بين يدي النبيّ ﷺ.

فقال له النبيّ ﷺ: كيف صنعت يا أبا الحسن؟ قال عليه السلام:

إنّي رأيت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً، فقلت: ما أجرأه أن يخرج إذا اختلط الليل يطلب منّا غرّة! فكمنت له، فأقبل مصلتاً بسيفه في تسعة نفر من اليهود، فشددت عليه وقتلته، وأفلت أصحابه ولم يبرحوا قريباً، فابعث معي نفراً فإنّي أرجو أن أظفر بهم.

فبعث رسول الله معه عشرة فيهم أبو دجانة سماك بن خَرَشة، وسهل بن حنيف، فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن فقتلوهم وجاؤوا برؤوسهم إلى

(١) تفسير القمي ٢: ٣٥٩.

(٢) عن الإرشاد في بحار الأنوار ٢٠: ١٧٢.

النبيّ ﷺ فأمر أن تُطرح في بعض آبار بني خطمة[١].

قال القمي: وبعد ذلك قالوا: يا محمّد نخرج من بلادك واعطنا مالنا.

فقال: لا، ولكن تخرجون ولكم ما حملت الإبل. فلم يقبلوا ذلك

فبقوا أيّاماً ثمّ قالوا: نخرج ولنا ما حملت الإبل.

فقال: لا، ولكن تخرجون ولا يحمل أحدٌ منكم شيئاً، فمن وجدنا معه شيئاً من ذلك قتلناه!

فخرجوا على ذلك، خرج قوم منهم إلى فدك ووادي القرى، وخرج قوم منهم إلى الشام[٢] وقال في «المناقب»: فخرجوا إلى خيبر والحيرة وأريحا وأذرعات، لكنّ ثلاثة منهم بمصر[٣].

قال المفيد في «الإرشاد»: واصطفى رسول الله أموال بني النضير، وكانت أوّل صافية[٤].

نزول سورة الحشر فيهم

قال القمّي: وأنزل الله فيهم: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم، سبّح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم * هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل

---

(١) الإرشاد ١: ٩٢، ٩٣. ثمّ قال: وفي تلك الليلة قتل كعب بن الأشرف. ولم يذكر الكيفيّة، فلو كان ذلك كما قاله المؤرّخون كما مرّ بعد بدر فإنّ ذلك لا يتناسب مع حدث الحصار الذي بدأ به عليهم. وفي المناقب ١: ١٩٦ قال: إنّ كعباً قصد مكّة بعد أُحُد وتعاهد مع أبي سفيان وغيره على النبيّ ﷺ ورجع ونزلت سورة الحشر فبعث النبيّ ﷺ محمّد بن مسلمة ليلة فقتله بالليل ثمّ قصد إليهم وحاصرهم. وهذا أيضاً لا ينسجم مع طبيعة الأحداث يومئذٍ.

(٢) تفسير القمي ٢: ٣٥٩.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٩٧.

(٤) الإرشاد ١: ٩٣، ومناقب آل أبي طالب ١: ١٩٧.

الكتاب من ديارهم، لأوّل الحشر، ما ظننتم أن يخرجوا، وظنّوا أنّهم مانعتهم حصونهم من الله، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وقذف في قلوبهم الرعب، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، فاعتبروا يا أولي الأبصار، ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذّبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار * ذلك بأنّهم شاقّوا الله ورسوله، ومن يشاقّ الله فإنّ الله شديد العقاب * ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين * وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيلٍ ولا ركاب ولكنّ الله يسلّط رسله على من يشاء، والله على كلّ شيءٍ قدير ﴾[1].

وفيه بسنده عن أبي بصير: أنّ رسول الله ﷺ قال للأنصار: إن شئتم دفعت إليكم فيء المهاجرين منها [وأخرجتهم عنكم] وإن شئتم قسمتها بينكم وبينهم، وتركتهم معكم؟

فقالوا: قد شئنا أن تقسمها [كلّها] فيهم.

فقسمها رسول الله بين المهاجرين ولم يعطِ الأنصار، إلّا رجلين منهم ذكرا حاجة: أبو دجانة، وسهل بن حنيف[2].

وفي «الإرشاد»: فقسمها بين المهاجرين الأوّلين، وأمر عليّاً عليه السلام فحاز ما لرسول الله منها فجعله صدقة، وكانت بيده مدّة حياته، ثمّ بيد أمير المؤمنين بعده[3].

---

(١) الحشر: ١ ـ ٦، وهي السورة: ١٠١ في النزول، أي الخامسة عشر في النزول بالمدينة، أي منتصف مدّة النازل بالمدينة تقريباً، ممّا يتناسب زمنياً مع جهة حرب بني النضير في حدود الخامسة من الهجرة تقريباً.

(٢) تفسير القمّي ٢: ٣٦٠.

(٣) الإرشاد ١: ٩٢.

ونقل الطبرسي في «مجمع البيان» عن الكلبي قال: قال رؤساء المسلمين لرسول الله: يا رسول الله، خذ صفيّك والربع، ودعنا [الرؤساء] والباقي؛ فهكذا كنّا نفعل في الجاهلية، وأنشدوا:

لك المرباع منها والصفايا ... وحكمك والنشيطة[1] والفضول

فنزلت [السورة وفيها] الآية: ﴿ وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، واتّقوا الله إنّ الله شديد العقاب ﴾[2]، فقالوا: سمعاً وطاعة لأمر الله وأمر رسوله[3].

قال الطبرسي: فجعل الله أموال بني النضير لرسول الله خاصّة يفعل بها ما يشاء[4].

قال: ولكنّ النبيّ قال للأنصار: إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم، وتشاركونهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم، ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة؟

فقال الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا، ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها. فنزلت فيهم [السورة وفيها] الآيات: ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، وينصرون الله ورسوله، أُولئك هم الصادقون. والذين تبوّأوا الدار والايمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة ممّا أُوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو

---

(١) النشيطة: ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل الوصول إلى المقصد.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) مجمع البيان ٩: ٣٩٢.

(٤) مجمع البيان ٩: ٣٩١.

كان بهم خصاصة، ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فأُولئك هم المفلحون ﴾[1].

ونقل الطبرسي عن الزجّاج النحويّ قال: بيّن الله سبحانه من «المساكين» الذين هم الحقّ ـ في الآية السابقة ـ ثمّ ثنّى سبحانه بوصف الأنصار ومدحهم حيث طابت أنفسهم عن الفيء[2] ثمّ قال: فقسّمه رسول الله بين المهاجرين، ولم يُعط الأنصار منها شيئاً، إلّا لثلاثة نفر كانت بهم حاجة: أبو دجانة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمّة[3].

ومن حوادث ما بعد بني النضير: أنّ عامر بن الطُفيل العامري تآمر مع صاحبه أربد بن قيس ـ أخي لبيد بن ربيعة الشاعر ـ على النبيّ ﷺ، فقال له: إذا قدمنا على الرجل[4] فإنّي شاغل عنك وجهه فإذا فعلتُ فاعلُه بالسيف!

فلمّا قدموا عليه قال عامر: يا محمد خالني (أي تفرّد لي خالياً).

قال ﷺ: لا، حتّى تؤمن بالله وحده. فلمّا أبى عليه رسول الله قال عامر: والله لأملأنّها عليك خيلاً حُمراً ورجالاً! ثمّ ولّى، فقال رسول الله: اللهمّ اكفني عامر بن الطفيل. ولمّا خرجوا، قال عامر لأربد: أين ما كنت أمرتك به؟ قال: والله ما هممت بالذي أمرتني به إلّا دخلت بيني وبين الرجل أفأضربك بالسيف؟!

---

(١) الحشر: ٨ و ٩.

(٢) مجمع البيان ٩: ٣٩٢.

(٣) مجمع البيان ٩: ٣٩١، وقال: والآية تشير إلى أنّ تدبير الأئمّة إلى نبيّ، ولهذا فقد أجلى بني قينقاع وبني النضير وترك لهم شيئاً من مالهم وقسم أموالهم على المهاجرين، وقتل رجال بني قريظة وسبى نساءهم وذراريهم وقسم أموالهم على المهاجرين أيضاً. ومنّ على أهل خيبر في رقابهم وقسم أموالهم (فيمن حضر) ومنّ على أهل مكّة في أرضهم وديارهم وأموالهم وأنفسهم ونسائهم وذراريهم ٩: ٣٩٢. وانظر في نزول السورة سيرة ابن هشام ٣: ٢٠٤، ومغازي الواقدي ١: ٣٨٠ ـ ٣٨٣.

(٤) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢١٣.

فبينما كانا في الطريق أصابه الله بغدّة طاعون في عنقه فقتلته، ثمّ أصاب صاحبه أربد صاعقة فقتلته (١).

وممّا كان من أمر أمير المؤمنين في هذه الغزاة وقتله اليهوديّ ومجيئه إلى النبيّ برؤوس التسعة يقول حسّان بن ثابت:

لله أيّ كريهة أبليتها ... ببني قُريظة، والنفوس تَطلّعُ

أردى رئيسهم وآب بتسعةٍ ... طوراً يشلّهم وطوراً يدفع (٢)

---

(١) إعلام الورى ١: ٢٥٠ و ٢٥١ وهو يروي ذلك بعد غزوة بني النضير من كتاب أبان الأحمر البجلي الكوفي، وهذا أقرب من أن يكون ذلك في عام الوفود سنة تسع أو عشر.

(٢) الإرشاد ١: ٩٤. وروى ابن إسحاق خبر بني النضير عن يزيد بن رومان قال: فكان رهط من بني عوف من الخزرج منهم عبد الله بن أُبيّ بن سلول ووديعة ومالك بن أبي قوقل وسويد وداعس، وقد بعثوا إلى بني النضير: أن اثبتوا وتمنّعوا فإنّا لن نُسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أُخرجتم خرجنا معكم.

فتربّصوا ذلك، فلم يفعلوا، فسألوا رسول الله أن يجليهم ويكفّ عن دمائهم، على أنّ لهم من أموالهم ما حملت الإبل، إلّا الحَلْقة (السلاح) ففعل رسول الله فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت الإبل، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام. ومن أشرافهم الذين ساروا إلى خيبر: حُيَيّ بن أخطب وسلام بن أبي الحُقيق وابن أخيه كنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق، وحملوا الأموال والنساء والأبناء معهم القيان يعزفن بالمزامير والدفوف. وخلّوا (تركوا) الأموال لرسول الله فكانت له خاصّة يضعها حيث يشاء، فقسّمها رسول الله على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار إلّا سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خَرَشة.

ولم يُسلم من بني النضير إلّا رجلان: أبو سعد بن وهب، ويامين بن عمير، أسلما على أموالهما، فأُبقيت لهما.

ونزل في بني النضير سورة الحشر بأمرها.

وكان يامين بن عمير بن كعب، ابن عمّ عمرو بن جحاش بن كعب، ندب الندب لعلو

على البيت الذي كان في جداره رسول الله قاعداً، فيلقي صخرة على رسول الله فروى ابن إسحاق عن آل يامين أنّ رسول الله قال له: ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما همّ به من شأني ؟! فجعل يامين جُعلاً لرجل على أن يقتل ابن عمّه عمرو بن جحاش، فيزعمون أنّه قتله.

وقال ابن هشام: استمرّ حصارهم ستّ ليالٍ من شهر ربيع الأوّل ٣ : ٢٠٠ ـ ٢٠٢.

وكذلك قال الواقدي: غزوة بني النضير في ربيع الأوّل على رأس سبعة وثلاثين شهراً من مهاجرة النبيّ ـ صلى الله عليه [وآله] وسلم ـ.

خرج رسول الله يوم السبت ومعه رهط من المهاجرين والأنصار منهم علي، وطلحة والزبير، وأبو بكر وعمر، وسعد بن مُعاذ وسعد بن عُبادة وأُسيد بن حضير، فصلّى في مسجد قُباء ١ : ٣٦٤ وكان ﷺ يأتي إلى قباء يوم السبت ويوم الاثنين ١ : ٣٠٤ ثمّ سار إلى بني النضير يستعين بهم في دية الرجلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أُميّة الضمري غير عالم بهم، فوجدهم في ناديهم، فجلس رسول الله وأصحابه، فكلّمهم رسول الله أن يُعينوه في دية الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أُميّة فقالوا: نفعل ـ يا أبا القاسم ـ ما أحببت، اجلس حتّى نطعمك.

ثمّ خلا بعضهم إلى بعض فتناجوا فقال حُيَيّ بن أخطب: يا معشر اليهود، قد جاءكم محمّد في نفر من أصحابه لا يبلغون عشرة، فاطرحوا عليه حجارة من فوق هذا البيت الذي هو تحته فاقتلوه، فلن تجدوه أخلى منه الساعة، فإنّه إن قُتل تفرّق أصحابه، فيلحق من كان معه من قريش بحرمهم، ويبقى من ها هنا من الأوس والخزرج حلفاؤكم، فما كنتم تريدون أن تصنعوا يوماً من الدهر فمن الآن!

فقال عمرو بن جحاش: أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة.

فقال سلّام بن مشكم: يا قوم أطيعوني هذه المرّة وخالفوني الدهر، والله إن فعلتم ليُخبرنّ

بأنّا قد غدرنا به، وإنّ هذا نقضٌ للعهد الذي بيننا وبينه، فلا تفعلوا. ألا والله لو فعلتم الذي تريدون ليقومنّ بهذا الدين منهم قائم إلى يوم القيامة يستأصل اليهود ويظهر دينه!

فلمّا همّ عمرو بن جحاش بالصخرة وأشرف بها جاء رسولَ الله الخبرُ من السماء بما همّوا به!

فنهض رسول الله سريعاً كأنّه يريد حاجة وتوجّه إلى المدينة.

وجلس أصحابه يتحدّثون وهم يظنّون أنّه قام يقضي حاجة، فلما يئسوا من ذلك قاموا.

فقال حُييّ: عجّل أبو القاسم قد كنّا نريد أن نقضي حاجته ونغدّيه

واتبعه أصحابه فلقوا رجلاً خارجاً من المدينة فسألوه: هل لقيت رسول الله؟ قال: لقيته بالجسر داخلاً

ولمّا انتهى أصحابه إليه وجدوه قد أرسل إلى محمّد بن مسلمة يدعوه، فقال أبو بكر: يا رسول الله، قمتَ ولم نشعر؟ فقال: همّت اليهود بالغدر بي فأخبرني الله بذلك فقمت

وجاء محمّد بن مسلمة، فقال له رسول الله: اذهب إلى يهود بني النضير فقل لهم: إنّ رسول الله أرسلني إليكم: أن اخرجوا من بلده!

وقال لهم كنانة بن صويراء: هل تدرون لِمَ قام محمّد؟ قالوا: لا ندري ولا تدري

قال: بلى والتوراة إنّي لأدري، قد أُخبر محمّد بما هممتم به من الغدر، والله إنّه لرسول الله، وما قام إلّا لأنّه أُخبر بما هممتم به، وإنّه لآخر الأنبياء، كنتم تطمعون أن يكون من بني هارون فجعله الله حيث شاء، وإن كتبنا والذي درسنا في التوراة التي لم تُغيّر ولم تبدّل: أنّ مولده بمكّة ودار هجرته يثرب، وصفته بعينه ما تخالف حرفاً ممّا في كتابنا، وما يأتيكم به أولى من محاربته إيّاكم، ولكأنّي أنظر إليكم ظاعنين يتضاغى (يتصايح) صبيانكم، قد تركتم دوركم وأموالكم، وإنّما هي شرفكم، فأطيعوني في خصلتين، والثالثة لا خير فيها!

قالوا: ما هما؟ قال:

تسلمون وتدخلون مع محمّد، فتأمنون على أموالكم وأولادكم، وتكونون من عِلية

أصحابه، وتبقى بأيديكم أموالكم، ولا تخرجون من دياركم

قالوا: لا نفارق التوراة وعهد موسى!

قال: فإنّه مُرسِلٌ إليكم: اخرجوا من بلدي، فقولوا: نعم، فإنّه لا يستحلّ لكم دماً ولا مالاً وتبقى لكم أموالكم، إن شئتم بعتم وإن شئتم أمسكتم. قالوا: أمّا هذه فنعم.

قال: أما والله إنّ الأخرى خيرهنّ لي، أما والله لولا أنّي أفضحكم لأسلمت، ولكن لا تُعيَّر شعثاء (ابنه) بإسلامي أبداً حتى يصيبني ما أصابكم!

ثمّ قال سلّام بن مِشكم لحُيَيّ: قد كنت لما صنعتم كارهاً، وهو مُرسِلٌ إلينا: أن اخرجوا من داري، فلا تعقّب كلامه ـ يا حُيَيّ ـ وأنعِم له بالخروج واخرج من بلاده!

قال: نعم أفعل.

فلما جاءهم محمّد بن مسلمة قال لهم: إنّ رسول الله أرسلني إليكم برسالة، ولست أذكرها لكم حتى أعرّفكم شيئاً تعرفونه. أنشدكم بالتوراة التي أنزل الله على موسى، هل تعلمون أنّي جئتكم قبل أن يبعث محمّد وبينكم التوراة، فقلتم لي في مجلسكم هذا: يا بن مسلمة، إن شئت أن نغدّيك غدّيناك، وإن شئت أن نهوّدك هوّدناك؟ فقلت لكم: غدّوني ولا تهوّدوني فإنّي والله لا أتهوّد أبداً! فقلتم لي: ما يمنعك من ديننا إلّا أنّه دين يهود، كأنّك تريد دين الحنيفيّة التي سمعت بها... أتاكم صاحب الضحوك القتّال! في عينيه حمرة، يأتي من قِبَل اليمن، يركب البعير ويلبس الشَّملة ويجتزئ بالكسرة، سيفه على عاتقه، ليست معه آية، ينطق بالحكمة، والله ليكوننّ بقريتكم هذه قتل ومُثْل وسَلْب!

قالوا: اللّهمّ نعم، قد قلناه لك ولكن ليس به. قال: قد فرغت، إنّ رسول الله أرسلني إليكم يقول لكم: قد نقضتم العهد الذي جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بي ـ وأخبرهم بما كانوا ارتأوا من الرأي وصعود عمرو بن جحاش على البيت ليطرح الصخرة، فسكتوا ولم يقولوا حرفاً ـ ويقول لكم: اخرجوا من بلدي، فقد أجّلتكم عشراً، فمن رُئي بعد ذلك

ـــــــــــــــــــــــــــــــ

صُرِبت عنقه!

قالوا: يا محمد، ما كنا نرى أن يأتي بهذا رجلٌ من الأوس. قال محمد: تغيّرت القلوب!

فمكثوا أياماً يتجهّزون، وأرسلوا أُناساً إلى ذي الجَدْر: المسرح ساحته قُباء على ستة أميال من المدينة = ١٠ كيلومتراً، ليجلبوا لهم رواحلهم هناك، وتكاروا إبلاً من أشجع

فبينا هم على ذلك إذ جاءهم رسولا ابن أُبيّ: داعس وسويد فقالا لهم:

يقول لكم عبد الله بن أُبيّ: لا تخرجوا من دياركم وأموالكم، أقيموا في حصونكم، فإنّ معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم فيموتون من آخرهم قبل أن يوصل إليكم، وتمدّكم قريظة فإنّهم لن يخذلوكم ويمدّكم حلفاؤهم من غطفان!

ولم يزل يُرسل إلى حُييّ يحدّثه حتى طمع حُييّ في قول ابن أُبيّ، فقال: نرمّم حصوننا ثمّ ندخل ماشيتنا ونُدرّب أزقّتنا، وننقل حجارة إلى حصوننا، وعندنا من الطعام ما يكفينا سنة، ومأوانا من في حصوننا لا نخاف قطعه (وهو الآبار)، فترى محمداً يحصرنا سنة؟! لا نرى هذا!

فقال سلّام بن مشكم: منّتك نفسك ـ يا حُييّ ـ الباطل، إنّي والله لولا أن يُسفّه رأيك أو تُزرى بك لاعتزلتك بمن أطاعني من اليهود! فلا تفعل يا حُييّ، فوالله إنّك لتعلم ونعلم معك أنّه رسول الله وأنّ صفته عندنا، فإن حسدناه من حيث خرجت النبوّة من بني هارون فتعال فلنقبل ما أعطانا من الأمن ونخرج من بلاده، فإذا كان أوان الثمر جئنا أو جاء من جاء منّا إلى ثمره فباع أو صنع ما بدا له ثمّ انصرف إلينا فكأنّا لم نخرج من بلادنا إذ كانت أموالنا بأيدينا، فإنّا إنّما شرُفنا على قومنا بأموالنا وفعالنا، فإذا ذهبت أموالنا من أيدينا كنّا كغيرنا من اليهود في الذلّة والإعدام، وإنّ محمداً إن سار إلينا فحصرنا في هذه الصياصي يوماً واحداً ثمّ عرضنا عليه ما أرسل به إلينا أبى علينا ولم يقبله منّا.

قال حُييّ: إنّ محمداً لا يحصرنا، إن أصاب منّا نُهزة الفرصة وغرّة، فعل، وإلاّ

←

نصرة! وقد وعدني ابن أُبيّ ما قد رأيت.

فقال ابن سلّام: ليس قول ابن أُبيّ بشيء، إنّما يريد ابن أُبيّ أن يورّطك في الهلكة حتى تحارب محمّداً ثمّ يجلس في بيته ويتركك. وإلّا فإنّ ابن أُبيّ قد وعد حلفاءه من بني قينقاع مثل ما وعدك حتى حاربوا ونقضوا العهد وحصروا أنفسهم في صياصيهم وانتظروا نصرة ابن أُبيّ، فجلس في بيته، وسار محمّد إليهم فحصرهم حتى نزلوا على حكمه، فابن أُبيّ لا ينصر حلفاءه ومن كان يمنعه من الناس كلّهم، ونحن لم نزل نضربه بسيوفنا مع الأوس في حروبهم كلّها إلى أن قدم محمّد فحجز بينهم فقطعت حروبهم. وابن أُبيّ لا يهوديّ على دين يهود، ولا على دين محمّد، ولا على دين قومه، فكيف تقبل قولاً قاله؟!

قال حُيَيّ: تأبى نفسي إلّا عداوة محمّد، وإلّا قتاله!

قال ابن سلّام: فهو والله جلاؤنا من أرضنا وذهاب أموالنا وذهاب شرفنا، أو سباء ذرارينا مع قتل مقاتلينا!

فأبى حُيَيّ إلّا محاربة رسول الله.

وكان فيهم رجل ضعيف عندهم في عقله كأنّه مجنون يقال له ساروك بن أبي الحُقيق فقال:

يا حُيَيّ، أنت رجل مشؤوم! تُهلك بني النضير!

فغضب حُيَيّ وقال: كلّ بني النضير قد كلّمني حتى هذا المجنون! فقام إليه إخوته فضربوه، وقالوا لحُيَيّ: أمرنا لأمرك تبع لن نخالفك.

فقال حُيَيّ: أن أرسل إلى محمّد أُعلمه أنّا لا نخرج من دارنا وأموالنا فليصنع ما بدا له.

وأرسل أخاه جُدَيّ بن أخطب إلى رسول الله: أنّا لا نبرح من دارنا وأموالنا فاصنع ما أنت صانع. وأمره أن يأتي ابن أُبيّ فيخبره برسالته إلى محمّد ويأمره بتعجيل ما وعد من النصر!

فذهب جُدَيّ بن أخطب إلى رسول الله بالذي أرسله حُيَيّ، فجاءه إلى رسول الله وهو جالس في أصحابه فأخبره. فأظهر رسول الله التكبير وكبّر المسلمون لتكبيره.

وخرج جُدَيّ حتى دخل على ابن أُبيّ وهو جالس في بيته مع نفير من حلفائه فقال: أنا أرسل إلى حلفائي فيدخلون معكم!

ونادى منادي رسول الله يأمرهم بالمسير إلى بني النضير.

فدخل عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ على أبيه فلبس درعه وأخذ سيفه وخرج يعدو!

وأرسل ابن أُبيّ إلى كعب بن أسد يكلّمه أن يمدّ أصحابه، فقال كعب بن أسد: لا ينقض العهد من بني قريظة رجل واحد!

وسار رسول الله في أصحابه فصلّى العصر بفناء بني النضير. فلمّا رأوا رسول الله وأصحابه قاموا على جُدُر حصونهم معهم الحجارة والنبل، فجعلوا يرمون ذلك اليوم بالحجارة والنبل حتى أظلموا. وصلّى رسول الله العشاء واستعمل على العسكر عليّاً (عليه السلام) ورجع في عشرة من أصحابه إلى بيته على فرسه وعليه الدرع. وبات المسلمون يحاصرونهم حتى أصبحوا.

وأذّن بلال بالمدينة فاستخلف على المدينة ابن أُمّ مكتوم وغدا رسول الله في أصحابه الذين كانوا معه فصلّى بالناس في فضاء بني خطمة. وحملت له قبّة من أدم أو مسوح (كساء الشعر) أرسل بها سعد بن عُبادة. فأمر بلالاً فضربها في موضع فضاء بني خَطمة. فدخل قبّته. فرماه رجل من اليهود رام يقال له عَزُوك. فبلغ نبله قبّة النبيّ، فأمر بقبّته فحوّلت إلى موضع مسجد الفضيخ اليوم فتباعد عن النبل.

وأمسوا، وبات رسول الله يدرعه، وظلّ محاصرهم.

وفي ليلة من الليالي فقد عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) قرب العشاء، فقال الناس: ما نرى عليّاً يا رسول الله؟ قال: دعوه فإنّه في بعض شأنكم! فلم يلبث أن جاء برأس عزوك فطرحه بين

يدي رسول الله، فقال: يا رسول الله إني كمنت لهذا الخبيث، فقلت: ما أجرأه أن يخرج إذا أمسينا يطلب مناغرة وهذا يقتضي الليلة الأولى، فأقبل مصلتاً سيفه في نفر من اليهود فشددت عليه فقتلته وأفلت أصحابه ولم يبرحوا قريباً فإن بعثت معي نفراً رجوت أن أظفر بهم!

فبعث رسول الله معه أبا دجانة وسهل بن حنيف في عشرة من أصحابه فأدركوهم قبل أن يدخلوا حصنهم، فقتلوهم وأتوا برؤوسهم، فأمر رسول الله برؤوسهم فطرحت في بعض آبار بني خَطْمة.

وأمر رسول الله رجلين من أصحابه بقطع نخلهم: عبد الله بن سلام وأبا ليلى المازني، وكان عبد الله بن سلام يقطع غير العَجْوة، وأبو ليلى يقطع العجوة، فلما قطعت العجوة دعون النساء بالعويل وضربن الخدود وشققن الجيوب، فقال رسول الله: ما لهنّ؟ قيل: يجزعن على قطع العجوة!

وأرسل حُيَيّ إلى رسول الله: يا محمّد، إنّك كنت تنهى عن الفساد، فلم تقطع النخل؟ نحن نعطيك الذي سألت ونخرج من بلادك.

فقال رسول الله: لا أقبله اليوم، ولكن اخرجوا منها ولكم ما حملت الإبل إلّا الحلقة (السلاح).

فقال سلّام لحُيَيّ: اقبل ويحك قبل أن تقبل شرّاً من هذا! فأبى حُيَيّ أن يقبل يوماً أو يومين، فلمّا رأى ذلك أبو سعد بن وهب ويامين بن عمير قال أحدهما لصاحبه: وإنّك لتعلم أنّه لرسول الله، فما ننتظر أن نسلم فنأمن على دمائنا وأموالنا؟ فنزلا من الليل فأسلما فأحرزا دماءهما وأموالهما.

وحاصرهم رسول الله خمسة عشر يوماً، ثمّ نزلت اليهود على أنّ لهم ما حملت الإبل إلّا الحلقة، وقالوا: إنّ لنا ديوناً على الناس إلى آجال، فقال رسول الله: تعجّلوا وضعوا

فكان لأبي رافع سلّام بن أبي الحقيق على أُسيد بن حضير مئة وعشرون ديناراً إلى سنة، فصالحه على أخذ رأس ماله ثمانين ديناراً، وأبطل ما فضل فيهم أنه كان قرضاً ربوياً.

وحملوا النساء والصبيان، وخرجوا على بني الحارث بن الخزرج ثمّ على الجبلية ثمّ على الجسر حتى مرّوا بالمصلّى، ثمّ سوق المدينة، والنساء في الهوادج عليهن من الحرير والديباج وقطُف الخزّ الخضر والحمر، وقد صفّ الناس فجعلوا يمرّون قطاراً في إثر قطار على ستمئة بعير! ومرّوا وهم يضربون بالدفوف ويزمّرون بالمزامير، وعلى النساء المُعصفرات وحُليّ الذهب، مظهرين ذلك تجلّداً. ونادى أبو رافع سلّام ابن أبي الحقيق وهو يرفع مسك الجمل: هذا مما نعدّه لخفض الأرض، فإن يكن النخل قد تركناها فإنّا نقدم على نخل بخيبر!

وقبض رسول الله الأموال وقبض الحلقة، فوجد من الحلقة خمسين درعاً وخمسين بيضة وثلاثمئة وأربعين سيفاً.

فلمّا غنم رسول الله بني النضير دعا ثابت بن قيس بن شمّاس فقال له: ادعُ لي قومك. قال ثابت: الخزرج يا رسول الله؟ قال: الأنصار كلّها. فدعا له الأوس والخزرج، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثمّ ذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين وإنزالهم إيّاهم في منازلهم وأثرتهم على أنفسهم، ثمّ قال: إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ممّا أفاء الله عليّ من بني النضير، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم؟

فتكلّم سعد بن عُبادة وسعد بن مُعاذ فقالا: يا رسول الله بل تقسّمه للمهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا. ونادت الأنصار: رضينا وسلّمنا يا رسول الله. فقال رسول الله: اللّهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار.

ثمّ قسّم رسول الله ما أفاء الله عليه وأعطى المهاجرين ولم يعطِ أحداً من الأنصار من ذلك الفيء شيئاً، إلّا رجلين كانا محتاجين: سهل بن حنيف وأبا دجانة، وأعطى سعد بن

معاذ سيف ابن أبي الحقيق، وكان سيفاً مذكوراً عندهم. وكان مال سهل بن حنيف وأبي دجانة معروفاً يقال له: مال ابن خرشة، وأعطى الزبير بن العوام وأبا سلمة بن عبد الأسد البويلة، وأعطى صهيب بن سنان الضراطة، وأعطى عبد الرحمان بن عوف سوالة، وأعطى أبا بكر بئر حجر، وأعطى عمر بئر جرم.

واستعمل رسول الله على أموال بني النضير مولاه أبا رافع (وهذا أوّل ذكر لأبي رافع). وكان ينفق على أهله من بني النضير إذ كانت خالصة له، وكان يزرع تحت النخل زرعاً كثيراً، منها قوت أهله سنة من الشعير والتمر لأزواجه وبني عبد المطلب، فما فضل جعله في سلاح والخيل. وكانت منها صدقاته، ومن أموال مخيريق (اليهوديّ الشهيد ببدر) وهي سبعة حوائط: الميثب، والصافية، والدلال، وحسنى، وبرقة، والأعواف، والمشربة التي سمّيت بعدُ بأمّ إبراهيم.

وكان ذلك بعد نزول سورة الحشر وفيها قوله سبحانه: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دُولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتّقوا الله إنّ الله شديد العقاب * للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أُولئك هم الصادقون﴾ (الحشر: ٧ و ٨) ومع ذلك قال عمر لرسول الله: يا رسول الله ألّا تخمّس ما أصبت من بني النضير كما خمّست ما أصبت من بدر؟!

فقال رسول الله: لا أجعل شيئاً جعله الله لي من دون المؤمنين كما وقع فيه السهمان للمسلمين ـ مغازي الواقدي ١: ٣٦٤ ـ ٣٨٠. هذا وهو لم يخمّس في بدر!

وبصورة ضمنية تبيّن تأريخ خروج المهاجرين الفقراء من دور الأنصار أيضاً.

وقال ابن إسحاق: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام يذكر إجلاء بني النضير:

عرفت، ومن يعتدل يعرف وأيقنت حقّاً ولم أصدف

ومن قصص الغنائم.

نقل العلامة الحلّي عن السدّي قال: لما فتح الله بني النضير غنم أموالهم،

عن الكلم المحكم اللاء من	لدى الله ذي الرأفة الأرأفِ
رسائل تُدرسُ في المؤمنين	بهنّ اصطفى أحمدَ المصطفي
فأصبح أحمد فينا عزيزاً	عزيز المقامة والموقفِ
فيا أيها الموعدوه سفاهاً	ولم يأت جوراً ولم يَعنُفِ
ألستم تخافون أدنى العذا	ب وما آمنُ الله كالأخوفِ
وأن تُصرعوا تحت أسيافه	كمصرع كعب أبي الأشرفِ
غداةَ رأى الله طغيانه	وأعرضَ كالجمل الأجنفِ
فأنزل جبريلَ في قتله	بوحي إلى عبده مُلطَفِ
فدسَّ الرسولُ رسولاً له	بأبيض ذي هبّةٍ مُرهفِ
فباتت عيونٌ له مُعولات	متى يُنعَ كعبٌ لها تَذرِفِ
وقلن لأحمد ذرنا قليلاً	فإنّا من النوح لم نشتفِ
فخلّاهم ثمّ قال اظعنوا	دحوراً على رَغم الآنُفِ
وأجلى النضير إلى غُربة	وكانوا بدارِ ذوي زخرُفِ
إلى أذرعاتٍ رُدافى وهم	على كلّ ذي دبَرٍ أعجفِ

سيرة ابن هشام ٣: ٢٠٧

وعليه، فمقتل كعب بن الأشرف كان من قبل، ولعلّ اسمه جاء في خبري أبان والقمي خطأً، بدلاً عن حُيي بن أخطب زعيم بني النضير. ولم ننس أنّ أخبار هذه بدأت بعد أن استعان بهم النبيّ ﷺ على دية القتيلين من بني كلاب العامريين، وهمّوا بالتآمر على قتله واغتياله وإن لم يذكروا ذلك بعد نهاية أمر بني النضير، وروى الواقدي: عزل رسول الله سلبهما حتى بعث به مع ديتهم ـ ١: ٣٦٤ ـ.

قال عثمان بن عفان لعلي عليه السلام: ائت رسول الله فاسأله أرض كذا، فإن أعطاكها فأنا شريكك فيها، وأنا آتيه فأسأله ذلك، فإن أعطانيها فأنت شريكي فيها.

فسأله عثمان قبل علي عليه السلام فأعطاه إياها، وأبى أن يُشرك علياً معه، فدعاه الى حكم النبيّ ﷺ فأبى ذلك أيضاً، فقيل له: لم لا تنطلق معه الى النبيّ؟ قال: هو ابن عمه فأخاف أن يقضي له. فنزلت الآيات من سورة النور: ﴿ **لقد أنزلنا آيات مبيّنات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم * ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولّى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين * واذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون * وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين * أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون * انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا واولئك هم المفلحون * ومن يُطع الله ورسوله ويخش الله ويتّقه فاولئك هم الفائزون** ﴾[1] فلمّا علم النبيّ بذلك حكم بالحق لعلي عليه السلام[2].

غزوة ذات الرقاع

قال الطبرسي في «إعلام الورى»: ثمّ كانت غزوة ذات الرقاع[3] بعد غزوة بني النضير بشهرين لقي بها جمعاً من غطفان، ولم يكن بينهما حرب، ولكن خاف

---

(١) النور: ٤٦ ـ ٥٢ والسورة هي ١٠٣ في النزول أي السابعة عشرة في ما نزل بالمدينة.

(٢) كشف الحق: ٢٤٧ وقريب منه القمي في تفسيره ٢: ١٠٧ وعن الصادق عليه السلام وفي التبيان ٧: ٤٥٠ بلا إسناد الى الإمام وفي مجمع البيان ٧: ٢٣٦ عن الباقر عليه السلام، ولعله وهم. وروى الآلوسي في روح المعاني عن الضحاك: أن النزاع كان بين علي عليه السلام والمغيرة بن وائل.

(٣) قيل: إنّما سمّيت ذات الرقاع لأنّه جبل فيه بُقع حمر وسود وبيض. إعلام الورى ١: ١٨٩ والواقدي ١: ٣٩٥.

الناس فصلّى بهم رسول الله صلاة الخوف، ثمّ انصرف بالناس[1]

وقال في تفسيره «مجمع البيان» في تفسير الآية من سورة النساء:

﴿ وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إنّ الكافرين كانوا لكم عدوّاً مبيناً * وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلّوا فليصلّوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذىً من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إنّ الله أعدّ للكافرين عذاباً مهيناً ﴾[2].

قال: نزلت والنبيّ بعسفان، والمشركون بضجنان، فتواقفوا، فصلّى النبيّ وأصحابه صلاة الظهر بتمام الركوع والسجود، فهمّ المشركون بأن يغيروا عليهم، فقال بعضهم: إنّ لهم صلاة أخرى أحبّ إليهم من هذه ـ يعنون صلاة العصر ـ فأنزل الله عليه هذه الآية فصلّى بهم صلاة الخوف.

ثمّ ذكر فيها رواية أخرى عن تفسير أبي حمزة الثمالي قال: إنّ النبيّ غزا بني أنمار، فنزل رسول الله والمسلمون وهم لا يرون أحداً من العدوّ، فوضعوا أسلحتهم، وخرج رسول الله ليقضي حاجته وقد وضع سلاحه، والسماء ترشّ، فعبر الوادي وجلس في ظلّ شجرة.

فبصر به (بنو محارب فقالوا) لغورث بن الحارث المحاربي: يا غورث، هذا محمّد قد انقطع من أصحابه! فقال: قتلني الله إن لم أقتله! وانحدر من الجبل ومعه السيف، ولم يشعر به رسول الله إلّا وهو قائم على رأسه ومعه السيف. قد

---

(١) إعلام الورى ١: ١٨٩ وهي عبارة ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢١٤.

(٢) النساء: ١٠١ و١٠٢.

سلّه من غمده وقال: يا محمد، من يعصمك منّي الآن؟ فقال الرسول: الله! فانكبّ عدوّ الله لوجهه، فقام رسول الله فأخذ سيفه وقال: يا غورث من يمنعك منّي الآن؟ قال: لا أحد! قال: تشهد أن لا إله إلّا الله وأنّي عبد الله ورسوله؟ قال: لا! ولكنّي أعهد أن لا أقاتلك أبداً ولا أُعين عليك عدوّاً. فأعطاه رسول الله سيفه! فقال له غورث: والله لأنت خيرٌ منّي. قال ﷺ: إنّي أحقّ بذلك.

وخرج غورث إلى أصحابه، فقالوا: يا غورث، لقد رأيناك قائماً على رأسه بالسيف فما منعك منه؟ قال: هويت له بالسيف لأضربه فما أدري من طعنني بين كتفيّ فخررت لوجهي وخرّ سيفي، فسبقني إليه محمد فأخذه.

ونزلت الآيات، ولم يلبث الوادي أن سكن، فقطعه رسول الله إلى أصحابه فأخبرهم الخبر وقرأ عليهم الآيتين[1].

ونقله في «إعلام الورى» مختصراً مرسلاً. ويبدو لي أنّه نقله عن أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام، كما أسنده عنه الكليني في «روضة الكافي» قال: في غزوة ذات الرقاع نزل رسول الله ﷺ تحت شجرة على شفير وادٍ، فأقبل سيل فحال بينه وبين أصحابه، وهم قيام على شفير الوادي ينتظرون متى ينقطع السيل، فرأى (النبيَّ) رجلٌ من المشركين فقال لقومه: أنا أقتل محمداً! وجاء فشدّ على رسول الله بالسيف ثمّ قال: من ينجيك منّي يا محمد؟! فقال: ربّي وربّك! فنسفه جبرئيل عليه السلام عن فرسه، فسقط على ظهره. فقام رسول الله وأخذ السيف وجلس على صدره وقال: من ينجيك منّي يا غورث؟! فقال: جودك وكرمك يا محمد! فتركه، فقام وهو يقول: والله لأنت خير منّي وأكرم[2].

---

(١) مجمع البيان ٣: ١٥٧ و١٥٨.

(٢) روضة الكافي: ١١٠ ح ٩٧ ط النجف الأشرف.

وردّد ابن شهرآشوب صلاة الخوف بين غزوتين: غزوة بني لحيان في جمادى الأُولى (من السنة الرابعة) في عسفان. ثمّ قال: ويقال: في ذات الرقاع مع غطفان، وكان ذلك بعد النضير بشهرين[1].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٩٧.

وذكر ابن هشام في هذه الغزوة حديثاً مفصّلاً عن جابر بن عبد الله الأنصاري حدّث به بعد وقعة الحرّة سنة ٦٢ هـ كما في آخر الخبر.

قال: خرجت مع رسول الله إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لي ضعيف، فلمّا قفل رسول الله، جعلت الرفاق تمضي وجعلت أتخلّف، حتى أدركني رسول الله، فقال: ما لك يا جابر؟ قلت: يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا. قال: أنخه. فأنخته وأناخ رسول الله ثمّ قال: أعطني هذه العصا من يدك. ففعلت، فأخذها رسول الله فنخسه بها نخسات ثمّ قال: اركب. فركبت، فخرج ـ والذي بعثه بالحقّ ـ يواهق (أي يباري) ناقته، وتحدثت مع رسول الله، فقال لي: أتبيعني جملك هذا يا جابر؟ قلت: يا رسول الله بل أهبه لك. قال: لا ولكن بعنيه. قلتُ: فسمنيه يا رسول الله. قال: قد أخذته بدرهم. قلت: لا، إذن تغبنني يا رسول الله. قال: فبدرهمين. قلت: لا. قال: فلم يزل يرفع لي رسول الله في ثمنه حتى بلغ الأوقية، فقلت: فقد رضيت يا رسول الله؟ قال: نعم. قلت: فهو لك. قال: قد أخذته.

ثمّ قال: يا جابر، هل تزوّجتَ؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: أثيّباً أم بكراً؟ قلت: بل ثيباً. قال: أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟! قلت: يا رسول الله، إنّ أبي أُصيب يوم أُحد وترك له بناتٍ سبعاً، فنكحتُ امرأة جامعة تجمع رؤوسهنّ وتقوم عليهن. قال: أصبت إن شاء الله، أما إنّا لو قد جئنا صراراً أمرنا بجزور فنحرت وأقمنا عليها يومنا ذاك، وسمعَت بنا فنفضَتْ نمارقها. قلت: والله يا رسول الله ما لنا من نمارق. قال: إنها ستكون، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيّساً.

قال جابر: فلمّا جئنا صراراً أمر رسول الله بجزور فنُحرت وأقمنا عليها ذلك اليوم، فلمّا أمسى رسولُ الله دخل ودخلنا، فحدّثتُ المرأة الحديث وما قال لي رسولُ الله، فلمّا أصبحتُ

أخذتُ برأس الجمل فأقبلت به حتى أنختُه على باب مسجد رسول الله ثم جلستُ في المسجد قريباً من (مسجده) وخرج رسول الله فرأى الجمل فقال: ما هذا؟ قالوا: يا رسول الله، هذا جملٌ جاء به جابر. قال: فأين جابر؟ فدعوني إليه فقال: يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك. ودعا بلالاً فقال له: اذهب بجابر فأعطه أوقية. فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً، فوالله ما زال ينمي عندي ويُرى مكانه في بيتنا حتى أُصيب أمس فيما أُصيب لنا. يعني يوم الحرّة ـ ٣: ٢١٦ ـ ٢١٨ والواقدي ١: ٣٩٩ ـ ٤٠١، إلا أنه قال في آخر الخبر: حتى أُصيب ها هنا قريباً، يعني الجمل [illegible]؛ يعني الحرّة.

ونقل قصة عن جابر قال: بينا مع النبي إذ جاءه رجل من أصحابه بفرخ طائر ورسول الله ينظر إليه، فأقبل أبواه أو أحدهما حتى طرح نفسه في يدي الذي أخذ فرخه فرأيت الناس عجبوا من ذلك، فقال رسول الله: أتعجبون من هذا الطائر؟ أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمةً لفرخه! والله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه!

قال جابر: وصحبنا صاحباً لنا يرعى ظهرنا وعليه ثوب متخرّق فقال رسول الله: أما له غير هذا (الثوب)؟ فقلنا: بلى يا رسول الله، إن له ثوبين جديدين في العيبة. فقال له رسول الله: خذ ثوبيك. فأخذ ثوبيه (القميص والإزار) فلبسهما وأدبر. فقال (له) رسول الله: أليس هذا أحسن؟ ما له ضرب الله عنقه! وسمع ذلك الرجل فقال: في سبيل الله يا رسول الله. فقال رسول الله: في سبيل الله. فضُربت عنقه بعد ذلك في سبيل الله.

و كنت؛ تحت ظل شجرة فأتانا رسول الله فقلت: هلمّ إلى الظلّ يا رسول الله. فدنا إلى الظلّ فاستظل، فذهبت لأقرّب إليه شيئاً فما وجدت إلا جرواً من قثاء في أسفل الغرارة، فكسرته ثم قرّبته إليه، فقال رسول الله: من أين لكم هذا؟ فقلنا: شيء فضل من زاد المدينة، فأصاب منه رسول الله.

فبينا رسول الله يتحدث عندنا إذ جاءنا عُلْبة بن زيد الحارثي بثلاث بيضات داحي

فقال: يا رسول الله، وجدت هذه البيضات في مفحص نعام. فقال رسول الله: دونك يا جابر فاعمل هذه البيضات. فوثبت فعملتهن، ثم جئت بالبيض في قصعة وجعلت أطلب خبزاً فلا أجده. فجعل رسول الله يأكل من ذلك البيض بغير خبز... وأمسك يده. ثم قام والبيض في القصعة كما هو، فأكل منه عامّة أصحابنا. ثم رحنا مُبردين.

وروى بسند آخر عن جابر أيضاً قال: لما انصرفنا راجعين فكنّا بالشُقرة، قال لي رسول الله: يا جابر، ما فعل دين أبيك؟ فقلت: يا رسول الله انتظرت أن يُجدّ نخله. فقال لي رسول الله: متى تجدّها؟ قلت: غداً. قال: يا جابر، فإذا جددتها فاعزل العجوة على حدتها وألوان التمر على حدتها... وإذا جددت فاحضرني. قلت: نعم. ثم قال: فمن صاحب دين أبيك؟ قلت: أبو الشحم اليهودي، له على أبي وسقة تمر (جمع الوسق، وهو الحمل. وقدّره الشرع بستين صاعاً ـ النهاية ٢: ١٦٩).

قال جابر: فعملت ذلك، أمر مجمعت الصَّيحاني على حدة والعجوة على حدة وأمّهات الجرادين على حدة، ثم عمدت إلى مثل عبيد وشقحة وغيرها من الأنواع فجعلته حبلاً واحداً وهو أقل التمر. ثم جئت رسول الله فخبّرته، فانطلق رسول الله ومعه علية أصحابه، فدخلوا الحائط، وحضر أبو الشحم.

فلما نظر رسول الله إلى التمر مصنّفاً قال: اللّهم بارك له. ثم جلس وسطها ثم قال: ادع غريمك. فجاء أبو الشحم، فقال له: اكتل. فاكتال حقه كلّه من العجوة وبقي التمر كما هو.

ثم قال لي رسول الله: يا جابر، هل بقي على أبيك شيء؟ قلت: لا.

وبقي منه وأكلنا منه دهراً حتى أدركت الثمرة من قابل. ولقد كنت أقول: لو بعت أصلها ما بلغت ما كان على أبي من الدين ـ الواقدي ١: ٣٩٨ ـ ٤٠٢.

وروى خبر الحمل والدين قطب الدين الراوندي في الخرائج والجرائح ١: ١٥٤ ح ٢٤٢ و ١٥٨ ح ٢٧٤ عن عمّار بن ياسر.

التشديد في تحريم الخمر:

قال ابن هشام: في شهر ربيع الأوّل... نزل تحريم الخمر[١].

وذكر القمي في تفسير قوله سبحانه: **﴿يا أيّها الذين آمنوا إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون * إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون * وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن تولّيتم فاعلموا أنّما على رسولنا البلاغ المبين﴾**[٢] قال: ذلك أنّ رجلاً من الصحابة شرب قبل أن تحرم الخمر، فجعل يقول الشعر ويبكي على قتلى المشركين من أهل بدر، فسمع رسول الله، فقال: اللهم أمسك على لسانه، فأمسك عن لسانه فلم يتكلّم حتى ذهب عنه السكر، فأنزل الله تحريمها بعد ذلك.

فلمّا نزل تحريمها خرج رسول الله فقعد في المسجد ثمّ دعا بآنيتهم التي كانوا ينبذون فيها الفضيخ البسر والتمر فأكفأها عليهم، ثمّ قال: هذه كلّها خمر وقد حرّمها الله. فكان أكثر شيء أُكفئ من ذلك يومئذٍ من الأشربة الفضيخ، ولا أعلم أُكفئ يومئذٍ من خمر العنب شيء إلّا إناء واحد كان فيه زبيبٌ وتمر جميعاً،

والخبر كما ترى ليس فيه ذكر عن الزكاة المفروضة، ممّا يؤيّد عدم فرض الزكاة حتّى ذلك العهد.

(١) ابن هشام ٣: ٢٠٠ وبه قال المسعودي في التنبيه والإشراف: ٢١٣، ثمّ المقريزي في إمتاع الأسماع: ١٩٣ ثمّ الكازروني في المنتقى: ١٢٦، ثمّ عنه في بحار الأنوار ٢٠: ١٨٣ ونقله الشوكاني في تفسيره ٢: ٧١ عن جابر قال: حُرّمت الخمر بعد أُحد.

(٢) المائدة: ٩٠، ٩١، ٩٢.

وأمّا عصير العنب فلم يكن يومئذٍ بالمدينة منه شيء. وسمّي المسجد الذي قعد فيه رسول الله يوم اكفئت المشربة: مسجد الفضيخ من يومئذٍ لأنّه كان أكثر شيء اكفىء من الأشربة.

قال: فلمّا نزل تحريم الخمر والميسر والتشديد في أمرهما قال الناس من المهاجرين والأنصار: يا رسول الله، قُتل أصحابنا وهم يشربون الخمر، وقد سماه الله رجساً وجعله من عمل الشيطان، وقد قلت ما قلت، أفضرّ أصحابنا ذلك شيئاً بعد ما ماتوا؟ فأنزل الله: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُناح فيما طعموا إذا ما اتّقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثمّ اتّقوا وأحسنوا والله يحبّ المحسنين﴾[1] فهذه لمن مات أو قتل قبل تحريم الخمر، والجناح على من شربها بعد التحريم[2].

وروى العياشي في تفسيره عن أبي الصبّاح الكناني قال: قلت لأبي عبد الله عليه‌السلام:

أرأيت رسول الله كيف كان يضرب في الخمر؟ فقال: كان يضرب بالنعال، ويزيد كلّما اُتي بالشارب، ثمّ لم يزل الناس يزيدون حتى وقف على ثمانين (جلدة)[3].

وروى القمي في تفسيره قال: وقال رسول الله: من شرب الخمر فاجلدوه، ومن عاد فاجلدوه، ومن عاد فاجلدوه، ومن عاد في الرابعة فاقتلوه[4].

ونقل الطوسي في «التبيان» في سبب نزول الآية: أنّه لمّا نزل قوله ﴿يا

(١) المائدة: ٩٣
(٢) تفسير القمي ١: ١٨٠ ـ ١٨٢
(٣) تفسير العياشي ١: ٣٤٠، ٣٤١
(٤) تفسير القمي ١: ١٨٠

أيّها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ... ﴾[1] قال عمر: اللّهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً. ولاحق سعد بن أبي وقّاص رجلاً من الانصار وقد كانا شربا الخمر فضربه بلحي جمل ففزر أنف سعد بن أبي وقاص، فنزلت الآية[2].

ونقله الطبرسي في «مجمع البيان» عن ابن عبّاس قال: يريد سعد بن أبي وقّاص ورجلاً من الأنصار كان مؤاخياً لسعد فدعاه إلى طعام فأكلوا وشربوا نبيذاً مسكراً، فوقع بين الأنصاري وسعد مراة ومفاخرة فأخذ الأنصاري لحي جمل فضرب به سعداً ففزر أنفه، فأنزل[3].

ورواه السيوطي في «الدرّ المنثور» عن سعد بن أبي وقّاص[4].

وفي «ربيع الأبرار» للزمخشري قال: أُنزل في الخمر ثلاث آيات: ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ فكان المسلمون بين شارب وتارك، إلى أن شربها رجل فدخل في صلاته فهجر، فنزل: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون ﴾

فشربها من شربها من المسلمين حتى شربها عمر فأخذ لحي بعير فشجّ رأس عبد الرحمان بن عوف ثمّ قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر:

وكاين بالقليب قليب بدر	من الفتيان والشرب الكرام
وكاين بالقليب قليب بدر	من الشيزى المكلّل بالسنام
أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيا	وكيف حياة أصداء وهام

---

(١) النساء: ٤٣.

(٢) التبيان ٤: ١٨.

(٣) مجمع البيان ٣: ٢٧٠.

(٤) الدرّ المنثور ٢: ٣١٥، ٣١٧، ٣١٨.

أيعجز أن يردّ الموت عنّي ... وينشرني إذا بليت عظامي

ألا من مُبلغ الرحمن عنّي ... بأنّي تارك شهر الصيام

فقل لله: يمنعني شرابي ... وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج مغضباً يجرّ رداءه فرفع شيئاً كان في يده ليضربه، فقال عمر: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله! وأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنّما الخمر والميسر... ﴾[1]

وقد روى ابن إسحاق في سيرته عن خلاد بن قرّة السدوسي من بكر بن وائل: أن أعشى بني قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل، أراد الإسلام فقال قصيدة يمدح فيها رسول الله وخرج إليه يريد الإسلام.

قال: فلمّا كان بمكّة أو قريباً منها اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره فأخبره أنّه جاء يريد رسول الله ليُسلم، فقال له: يا أبا بصير، إنّه يحرم الزنا، فقال الأعشى: والله إنّ ذلك لأمر ما لي فيه من أرب. فقال له: يا أبا بصير، فإنّه يحرم الخمر، فقال الأعشى: أما هذه فوالله إنّ في النفس منها لعُلالات، ولكنّي منصرف فأتروّى منها عامي هذا ثمّ آتيه فأسلم. فانصرف فمات في عامه ذلك ولم يَعُد إلى رسول الله.

وذكر القصيدة في أحد وعشرين بيتاً يقول فيها:

ألا أيّهذا السائلي أين يمّمت ... فإنّ لها في أهل يثرب موعدا

---

(١) الميزان ٦: ٢٥١، عن ربيع الأبرار والمستطرف ٢: ٤٩٩، وروى معناه الآلوسي في روح المعاني ٧: ١٧ عن عطاء. والقرطبي في تفسيره ٥: ٢٠٠ والسيوطي في الدرّ المنثور ٢: ٣١٥، ٣١٧، ٣١٨ عن سعيد بن جبير عن علي عليه السلام كما في المستدرك للحاكم ٢: ٣٠٧ و٤: ١٤٢ والهادي في صلاته هو عبد الرحمن بن عوف في صلاة المغرب نقلاً عن أحكام القرآن للجصّاص ٢: ٢٤٥ كما في الميزان ٦: ٢٥٢.

وآليت لا آوي لهـا مـن كلالة ... ولا من حَفىً حتّى تلاقي محمّدا
متى ما تُناخي عند باب ابن هاشم ... تُراحي، وتلقَيْ من فواضله ندى
نبيّاً يرى ما لا ترون وذكره ... أغار لعمري في البلاد وأنجدا
له صدقاتٌ ما تُغبُّ ونائلٌ ... وليس عطاء اليوم مانعه غدا[1]

ولذلك قال السُّهيلي في «الروض الأُنف»: إن صحّ خبر الأعشى فلم يكن هذا بمكّة وإنّما كان بالمدينة، وفي القصيدة ما يدلّ على هذا قوله: «فإن لها في أهل يثرب موعدا». وقد ألفيت للقالي رواية عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال: لقي الأعشى عامر بن الطفيل في بلاد قيس وهو مقبل إلى رسول الله، فذكر أنّه يُحرّم الخمر فرجع. فهذا أولى بالصواب. وهذه غفلة من ابن هشام ومن قال بقوله، فإنّ الناس مجمعون على أنّ الخمر لم ينزل تحريمها إلّا بالمدينة بعد أن مضت بدر وأحد، وحُرّمت في سورة المائدة، وهي من آخر ما نزل[2].

ولكنّها وإن كان من المسلّم به نزولها في أواخر عهد الوحي، لكن من المسلّم به أيضاً أنّها لم تنزل دفعة واحدة، فإنّ في خلالها آيات لا شبهة في نزولها قبل ذلك بكثير، ويشهد بذلك مضامينها وما ورد فيها من أسباب النزول[3].

غزوة بني لحيان

وقبل قصّة يوم الرجيع كانت قصّة بئر معونة بدعوة أبي براء الكلابي العامري وخيانة بني لحيان من هُذيل وبينهم خبيب بن عدي وزيد الدثنة إلى أهل مكّة وقتلهم هناك.

---

(١) ابن هشام ٢: ٢٥ ـ ٢٨.

(٢) الروض الأنف ٢: ١٣٦.

(٣) الميزان ٦: ٦.

وفي «إعلام الورى» قال: وكانت بعد غزوة بني النضير غزوة بني لحيان[1].

وفي «المناقب» قال: كانت غزوة بني لحيان في جمادى الأُولى (بعد بني النضير بشهرين)[2].

وكذلك قال ابن الأثير في «الكامل في التأريخ» إلّا أنّه قال: في السنة السادسة، خرج رسول الله إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع، خُبيب بن عدي وأصحابه، وأظهر أنّه يريد الشام ليصيب من القوم غِرّةً، وأسرع السير حتى نزل غُران منازل بني لحيان بين أمج وعسفان، فوجدهم قد حذروا وتمنّعوا في رؤوس الجبال.

فلما أخطأه ما أراد منهم خرج في مئتي راكب حتى نزل عسفان تخويفاً لأهل مكّة، وأرسل فارسين من الصحابة حتى بلغا كراع الغَميم، ثمّ عاد[3].

وفاة عبدالله بن عثمان:

ومن الحوادث في هذا الشهر جمادى الأُولى من السنة الرابعة، أن توفّي فيه عبد الله بن عثمان من رقية بنت رسول الله ﷺ.

---

(١) إعلام الورى ١: ١٨٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٩٧.

(٣) الكامل في التأريخ ١: ١٢٨ وعنه في بحار الأنوار ٢٠: ١٧٩. وهنا قال الطبرسي: وهي الغزوة التي صلّى فيها صلاة الخوف بعسفان حين أتاه الخبر من السماء بما همّ به المشركون. وكذلك ذكر ابن شهرآشوب في المناقب، ولكنهما كرّرا ذكر ذلك في الغزوة التالية: ذات الرقاع. وكذلك قال الطبرسي في تفسيره مجمع البيان ٣: ١٥٧ تفسيراً للآية ١٠٢ من سورة النساء: «وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة» بينما نقل عن الكلبي قصّة موعد بدر الصغرى في تفسير الآية ٨٤ من السورة: «فقاتل في سبيل الله لا تكلّف إلّا نفسك وحرّض المؤمنين على القتال» والأصل أن نأخذ بترتيب الآيات إذ لا دليل على خلافه.

تزوّجها عثمان قبل الهجرة بها إلى الحبشة، ثمّ عاد بها في أوّل من عاد، فولدت له غلاماً سمّاه عبد الله، قبل الهجرة بسنتين، وكُنّي به أبا عبد الله. ثمّ هاجر بها إلى المدينة وعمر الولد سنتان، وتوفّيت أُمّه رقيّة بالحصبة في ذي القعدة من السنة الثالثة، وعمر الولد خمس سنين. فخطب عثمان حفصة ابنة عمر فردّه عمر، فخطبها رسول الله وتزوّجها، وهي أرملة شهيد، وزوّج عثمان ابنته الأُخرى أم كلثوم كي تكون لابنه عبد الله كأُمّه رقيّة أختها، وبعد أُحد ولجوء عمّ عثمان المغيرة أو ابنه معاوية بن المغيرة إليه، وقتله بأمر رسول الله، وظنّ عثمان بأم كلثوم أنّها أخبرت به أباها، ضربها، فماتت ودفنها رسول الله، في شوّال

وبقي الولد عبد الله بلا أُم ولا خالة هي له بمنزلة أُمه رقيّة. فقالوا: إنه بلغ عبد الله ستّ سنين، فنقره ديك على عينه فمرض ومات في جمادى الأُولى سنة أربع من الهجرة، فصلّى عليه رسول الله، ونزل في حفرته عثمان بن عفّان[1].

وفاة فاطمة بنت أسد:

ومن الحوادث فيه: أن توفيت فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أُم علي عليه السلام، وأسلمت، وكانت صالحة، وكان رسول الله يزورها ويقيل في بيتها[2].

قال اليعقوبي: وكانت مسلمة فاضلة، ويروى أنّها لمّا توفّيت قال رسول الله: اليوم ماتت أُمّي! وكفّنها بقميصه ونزل في قبرها واضطجع في لحدها!

---

(١) الطبقات ٣: ٥٣، طبعة بيروت. وذكره في التنبيه والاشراف: ٢٥٥ ولم يؤرخ وفاته وبعده المجلسي في بحار الأنوار ٢٠: ١٨٥ عن المنتقى للكازروني: ١٢٨. وفي إعلام الورى ١: ٢٨٦ أنّ عثمان تزوّج رقيّة بالمدينة فولدت له عبد الله ونقره ديك على عينيه فمرض ومات. وكذلك في مناقب آل أبي طالب ١: ١٦٢.

(٢) بحار الأنوار ٢٠: ١٨٥، عن المنتقى: ١٢٨.

فقيل له: يا رسول الله، لقد اشتدّ جزعك على فاطمة!

قال: إنّها كانت أُمّي، إن كانت لتُجيع صبيانها وتُشبعني، وتُشعثهم وتُدهنني، وكانت أُمّي[1].

وروى البلاذري في «أنساب الأشراف» بسنده عن علي عليه‌السلام أنّه قال لأُمّه فاطمة بنت أسد (بعد زواجه بالزهراء): اكفي فاطمة بنت رسول الله ما كان خارجاً، من السقي وغيره، وتكفيك ما كان داخلاً، من الطحن والعجن وغير ذلك[2].

وروى ابن الأثير في «أُسد الغابة» بسنده عن جعدة بن هبيرة المخزومي عن علي عليه‌السلام قال: أهدى إلى رسول الله حلّة مسيّرة (مخطّطة مخلوطة) بحرير إمّا سداها وإمّا لحمتها، فبعث النبيّ بها إليّ، فقلت: ما أصنع بها؟ ألبسها؟ قال: أرضى لك ما أكره لنفسي؟! اجعلها خُمُراً بين الفواطم. قال: فشققت منها أربعة أخمرة: خماراً لفاطمة بنت أسد، وخماراً لفاطمة بنت محمّد، وخماراً لفاطمة بنت حمزة. وذكر فاطمة أُخرى فنسيتها[3].

ويعلم من الخبر كراهة بل حرمة لبس الحرير للرجال وجوازه للنساء من يومئذ.

ويعلم من الخبرين أنّ فاطمة بنت أسد توفّيت بعد زواج ابنها عليّ بالزهراء.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٤.

(٢) أنساب الأشراف ٢: ٣٧ و٣٨ وفي أُسد الغابة ٥: ٥١٧ والإصابة ٧: ١٦١. بينما روى الطوسي في أماليه بسنده عن الصادق عليه‌السلام قال: كان عليه‌السلام يحطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها‌السلام تطحن وتعجن وتخبز: ٦٦٠ ح ١٣٦٩ ولعل ذلك كان بعد وفاة أُمّه فاطمة.

(٣) أُسد الغابة ٥: ٥١٨، والإصابة ٨: ١٦١ برقم ٨٣٢، كما في هامش أنساب الأشراف ٢: ٣٦ و٣٧ للمحقّق المحمودي.

ويعلم من تأريخ وفاتها أنّها توفّيت بعد ميلاد الحسن عليه السلام، ومع ذلك نفتقد ذكرها في زفاف الزهراء وميلاد الحسن عليه السلام، ونجد بدلاً عنها اسم أسماء بنت عميس مصحفاً عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الخطيبة (خطيبة النساء).

وروى الاصفهاني الأموي في «مقاتل الطالبيين» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: كانت فاطمة بنت أسد أمّ علي بن أبي طالب حادية عشرة (امرأة أسلمت، وكانت بدرية (من النساء اللواتي حضرن بدراً بعد الوقعة).

ثمّ روى بسنده عن الزبير بن العوّام قال: لمّا نزلت الآية ﴿يا أيّها النبيّ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ سمعت النبيّ يدعو النساء إلى البيعة، فكانت فاطمة بنت أسد أوّل امرأة بايعته صلى الله عليه وآله.

وقال الاصفهاني: ولمّا حضرتها الوفاة أوصت إليه فقبل وصيّتها[1]

وروى الكليني في «الكافي» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: إنّ فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين عليه السلام كانت أوّل امرأة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة الى المدينة على قدميها[2] وكان لها جارية فقالت لرسول الله يوماً: إنّي أريد أن أعتق جاريتي هذه. فلمّا مرضت اعتقل لسانها فجعلت تومي الى رسول الله ايماءً بالوصية فقبل رسول الله وصيتها. فبينا هو ذات يوم قاعد إذ أتاه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يبكي فقال له رسول الله: ما يبكيك؟ فقال: ماتت أمّي فاطمة. فقال رسول الله: وأمّي والله. وأتاها فنظر إليها (وذلك قبل وجوب الحجاب) فبكى ثم أمر النساء أن يغسلنها، فلما فرغن أعلمنه بذلك، فأعطاهن

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٤ و٥.

(٢) لا ينافي هذا ما تقدم من حمل علي عليه السلام أمّه فاطمة وسائر الفواطم الى المدينة، فلا يبعد أنّها اختارت أن تهاجر معه على قدميها.

احدى قميصيه الذي يلي جسده وأمرهنّ أن يكفّنّها فيه. فلمّا فرغن من غسلها وكفنها دخل فحمل جنازتها على عاتقه فلم يزل تحت جنازتها حتى أوردها (مقبرتها) فوضعها ودخل القبر فاضطجع فيه ثم قام فأخذها على يديه (قبل الحجاب) حتى وضعها في القبر، ثم انكبّ عليها يناجيها... ثم خرج وسوّى عليها[1].

وروى الأموي الأصفهاني بسنده عن عطاء عن ابن عبّاس قال: لما ماتت فاطمة أمّ عليّ ألبسها رسول الله قميصه واضطجع معها في قبرها. فقال له أصحابه: يا رسول الله ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه المرأة؟! قال: إنّه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها، وإنّي إنّما ألبستها قميصي لتكسى من حُلل الجنّة، واضطجعت معها في قبرها ليهون عليها!

وروى بسنده عن عليّ عليه السلام أنّ رسول الله دفن فاطمة بنت أسد بالرّوحاء مقابل حمام أبي قطيفة[2].

وقال المالكي في «الفصول المهمّة»: لمّا ماتت كفنها النبيّ بقميصه، وأمر أبا أيّوب الأنصاري وأسامة بن زيد وعمر وغلاماً أسوداً فحفروا قبرها، فلمّا بلغوا لحدها حفره النبيّ بيده وأخرج ترابه فلمّا فرغ اضطجع فيه وقال:

«الله الذي يحيي ويميت وهو حيّ لا يموت. اللّهم اغفر لأمّي فاطمة بنت أسد، ولقّنها حجّتها، ووسّع عليها مُدخلها، بحق نبيّك محمد والأنبياء الذين من

(١) أصول الكافي ١: ٤٥٣ ح٢ وعليه فلا يصح ما رواه الأموي الاصفهاني بسنده عن علي عليه السلام قال: أمرني رسول الله فغسلت أمي فاطمة بنت أسد. مقاتل الطالبيين: ٥، وان كان ذلك قبل وجوب الحجاب.

(٢) مقاتل الطالبيّين: ٤ و ٥ وعنه في مقدّمة شرح النهج للمعتزلي ١: ١٤ وعنه في بحار الأنوار ٢٠: ١٨١، والرّوحاء اسم البقيع كما مرّ أنه صلى الله عليه وآله سمّاها كذلك.

قبلي، فإنك أرحم الراحمين».

فقيل: يا رسول الله، رأيناك صنعت شيئاً لم تكن تصنعه بأحد قبلها؟!

فقال: ألبستها قميصي لتُلبس من ثياب الجنّة، واضطجعت في قبرها ليخفّف عنها من ضغطة القبر. إنّها كانت من أحسن خلق الله صنعاً بي بعد أبي طالب[1].

وروى الخبر الصفار في «بصائر الدرجات» بسنده عن الصادق عليه السلام إلى أن قال:

فلمّا خرج قيل له: يا رسول الله، لقد صنعت بها شيئاً في تكفينك إيّاها ثيابك، ودخولك في قبرها وطول صلاتك وطول مناجاتك ما رأيناك صنعته بأحد قبلها؟!

قال: أمّا تكفيني إيّاها فإنّي لما قلت لها: يُعرض الناس عراةً يوم يحشرون من قبورهم! فصاحت: وا سوأتاه! فألبستها ثيابي وسألت الله في صلاتي عليها أن لا يُبلي أكفانها حتّى تدخل الجنّة، فأجابني إلى ذلك. وأمّا دخولي في قبرها فإنّي قلت لها يوماً: إنّ الميّت إذا أُدخل وانصرف الناس عنه دخل عليه ملكان: منكر ونكير، فيسألانه. فقالت: واغوثاه بالله، فما زلت أسأل ربّي في قبرها حتّى فتح لها روضة من قبرها إلى الجنّة، فقبرها روضة من رياض الجنّة[2]. ولعلّ في سائر الأخبار اختصاراً لهذا. ومنه يعلم تأريخ نشر هذه الأفكار والمفاهيم الأُخروية والبرزخية بين المسلمين الأوائل.

وفاة أبي سلمة

ومن الحوادث في شهر جمادى الثانية وفاة أبي سلمة (عبد الله) بن عبد

---

(١) الفصول المهمّة: ١٣ وعنه في بحار الأنوار.

(٢) بصائر الدرجات: ٧١ وعنه في بحار الأنوار.

الأسد المخزومي:

روى الواقدي بسنده عن عمر بن أبي سلمة قال: رمى أبا سلمة أبو أسامة الجُشَمي بمعبلة في عضده بأُحد، فمكث شهراً يداويه، فبرأ فيما كان يرى، وبعثه رسول الله – في المحرّم على رأس خمسة وثلاثين شهراً – إلى قطن، فغاب بضع عشرة ليلة. فلمّا قدم المدينة انتقض عليه جُرحه فمات لثلاث ليالٍ مضَين[1] من جُمادى الآخرة (من السنة الرابعة) فغُسّل بين قرني بئر اليُسيرة في بني أمية بن زيد، ثم حُمل إلى المدينة فدفن بها. واعتدّت أُمّي (أمّ سلمة) بعدّتها (أربعة أشهر وعشراً)[2].

وروى عنها: أنّها كانت قد سمعت من أبي سلمة عن رسول الله قال: لا يصاب أحد بمصيبة فيسترجع عند ذلك ويقول: اللهم عندك أحتسب مصيبتي هذه، اللهم اخلفني فيها خيراً منها، إلّا أعطاه الله عزّ وجلّ. فلمّا أُصبت بأبي سلمة قلت: اللهم عندك أحتسب مصيبتي. ولم تطب نفسي أن أقول: اللهم اخلفني فيها خيراً منها، لأنّي قلت: مَن خير من أبي سلمة؟! ثم قلت ذلك[3].

---

(١) في الكتاب: «بقين» ولكن لا تتمّ لزوجته أمّ سلمة ١٣٠ يوماً ثمّ خطبتها من قِبل أبي بكر وردّها له ثمّ خطبها من قِبل عمر وردّها له، ثمّ خطبتها من قِبل رسول الله وقبولها له وزواجها منه في شهر شوّال، كما يأتي ذلك، إلّا باحتمال استبدال «بقين» من «مضين»، وأنّ الصحيح هو «مضين» محرّفة أو مصحّفة إلى «بقين». ولعلّ لذلك بدّل بعضهم «الآخرة» من (جمادى الآخرة) بالأُولى كما في المنتقى: ١٢٨ وعنه في بحار الأنوار ٢٠: ١٨٥.

(٢) مغازي الواقدي ١: ٣٤٣ و٣٤٤. وروى الطبري عن الكلبي قال: وكان ابن عمة رسول الله ورضيعه، وأمّه برّة بنت عبد المطلب. فلمّا مات صلّى عليه رسول الله فكبّر عليه تسع تكبيرات، فقيل: يا رسول الله أسهوت أم نسيت؟ قال: لم أسهُ ولم أنس، ولو كبّرت على أبي سلمة ألفاً كان أهلاً لذلك ٣: ١٦٤.

(٣) بحار الأنوار ٢: ١٨٥، عن المنتقى: ١٢٨ ومثله في ٢٢: ٢٢٧ عن دعوات الراوندي.

ميلاد الحسين عليه السلام

ومن الحوادث في أوائل شهر شعبان المعظّم من السنة الرابعة ميلاد الإمام الحسين بن علي عليهما السلام.

روى الدولابي في «الذرية الطاهرة» بسنده عن الليث بن سعد قال: ولدت فاطمة بنت رسول الله الحسين في ليال خلون من شعبان سنة أربع[1] وكذلك الطبري[2] والمسعودي[3] وعيّن الاصفهاني اليوم فقال: كان مولده لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة[4] وكذلك المفيد في «الارشاد»[5] من دون رواية خبر.

وروى خبره الطوسي في «المصباح» عن الحسين بن زيد عن الصادق عليه السلام قال: وُلد الحسين لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة. ولكنه روى أيضاً عن القاسم بن العلاء الهمداني وكيل العسكري عليه السلام قال: خرج إليه من الناحية المقدسة: أن مولانا الحسين عليه السلام ولد يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان[6] واختاره المفيد في «مسارّ الشيعة»[7] ولذلك تردّد الطبرسي في «إعلام الورى» فقال: وُلد بالمدينة قيل: يوم الخميس لثلاث خلون

---

(١) الذرية الطاهرة: ١٠٢ ح ١٤ و١٢١ ح ١٣٥ وعنه الاربلي في كشف الغمة ١: ٥١٤ وعنه في بحار الأنوار ٤٤: ١٣٦

(٢) الطبري ٢: ٥٥٥

(٣) مروج الذهب ٢: ٢٨٩ والتنبيه والاشراف: ٢١٣

(٤) مقاتل الطالبيين: ٥١

(٥) الارشاد ٢: ٢٦.

(٦) مصباح المتهجد: ٧٥٧

(٧) مسارّ الشيعة: ٣٧ من المجموعة: ٧٣

من شعبان، وقيل: لخمس خلون منه، سنة أربع من الهجرة[1] ورجّح ابن شهرآشوب فرجّح رواية الخمس وزاد مدّة الحمل فقال في «المناقب»: ولد الحسين في المدينة، لخمس خلون من شعبان، سنة أربع من الهجرة، بعد أخيه بعشرة أشهر وعشرين يوماً[2].

وروى القمي في تفسيره مرسلاً عن الصادق عليه السلام قال: وكان بين الحسن والحسين عليهما السلام طهر واحد. وكان الحسين عليه السلام في بطن أمه ستة أشهر وفصاله أربعة وعشرون شهراً، وهو قول الله: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾[3].

أسنده الكليني في «الكافي» عن عبد الرحمان الترمذي عن الصادق عليه السلام قال: كان بين الحسن والحسين عليهما السلام طهر، وكان بينهما في الميلاد ستة أشهر وعشراً[4]. ولم يذكر الكليني من تاريخ الميلاد اليوم ولا الشهر واكتفى بذكر السنة الثالثة خلافاً للمشهور المعروف في سنة الولادة، وهو ما تقتضيه المدّة التي ذكرها بين الميلادين بعد أن ذكر ميلاد الحسن عليه السلام في شهر رمضان سنة بدر وهي سنة اثنتين من الهجرة[5]. ولعلّه لذلك لم يعيّن اليوم ولا الشهر، لعدم نصّ عليه.

ووافقه واختاره الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمه الله في «التهذيب» والشيخ الشهيد في «الدروس» والبهائي في «توضيح المقاصد» بتعيين آخر شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث[6] مستندين إلى ذينك الخبرين وخبرين آخرين عن زرارة

---

(1) إعلام الورى ١: ٤٢٠.

(2) مناقب آل أبي طالب ٤: ٧٦.

(3) تفسير القمي ٢: ٢٩٧، وعنه في بحار الأنوار ٤٣: ٢٤٧ وعنه في نفس المهموم: ١٠.

(4) أصول الكافي ١: ٤٦٣، ٤٦٤.

(5) أصول الكافي ١: ٤٦١.

(6) التهذيب ٦: ٤١، والدروس، كتاب المزار: ٦، وتوضيح المقاصد: ١، من مجموعة

وهشام بن سالم عنه عليه السلام عن «الكافي» و«أمالي الطوسي» كما في «بحار الأنوار»[1].

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» وعنه في «الحسين والسنّة» بسنده عن حفص بن غياث عنه عليه السلام أيضاً قال: كان بين الحسن والحسين عليهما السلام طهر[2] من دون الزيادة. وكان بينهما في الميلاد ستّة أشهر وعشراً. وهذا ينسجم مع المدّة الطبيعيّة للحمل التي ذكرها ابن شهرآشوب في «المناقب» بلا منافاة.

وأظنّ الزيادة من الرواة استنباطاً من تطبيق الآية ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ على الحسين عليه السلام كما مرّ عن تفسير القمي، والكليني أردف قوله ذلك بما أسنده عن الصادق عليه السلام أيضاً قال: لما حملت فاطمة عليها السلام بالحسين جاء جبرئيل إلى رسول الله فقال: إنّ فاطمة عليها السلام ستلد غلاماً تقتله أُمّتك من بعدك! فلمّا حملت فاطمة بالحسين عليه السلام كرهت حمله، وحين وضعته كرهت وضعه. ولم تُرَ في الدنيا أُمّ تلد غلاماً تكرهه ولكنّها كرهته لما علمت أنّه سيقتل. وفيه نزلت الآية ﴿ووصّينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أُمّه كُرهاً ووضعته كُرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾[3].

وقال المجلسي في «جلاء العيون»: المشهور بين علماء الشيعة أنّه ولد لثلاث خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة. ثمّ نقل عن «المصباح» حديث الحسين بن زيد عن الصادق عليه السلام في ذلك، ونقل عنه التوقيع للقاسم بن العلاء

٥٢٢

(1) بحار الأنوار ٤٣: ٢٥٨.

(2) الحسين والسنّة: ١٠٩.

(3) أُصول الكافي ١: ٤٦٤، والآية ١٥ من الأحقاف وهي مكيّة، وفي خبر حسناً بدل إحساناً. والخبر عن أبي خديجة وهو مخدوش فيه.

الهمداني وعن «التهذيب» قول الشيخ به ثمّ قال: وهو خلاف المشهور[1].

تسمية الحسين عليه‌السلام

روى الطوسي في «الأمالي» بسنده عنه عن أبيه عن آبائه عن علي بن الحسين عليهما‌السلام قال: حدّثتني أسماء (بنت عميس)[2] قالت: لمّا حملت فاطمة عليها‌السلام بالحسن وولدته ... وكان بعد حول ولدت الحسين وجاء النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله فقال: يا أسماء هلمّي ابني.

فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأذّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ووضعه في حجره فبكى!

فقلت: بأبي أنت وأمّي ممّ بكاؤك؟ قال: على ابني هذا.

قلت: إنّه وُلد الساعة يا رسول الله!

فقال: تقتله الفئة الباغية من بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي! ثمّ قال: يا أسماء لا تخبري فاطمة بهذا، فإنّها قريبة عهد بولادته.

ثمّ قال لعليّ: أيّ شيء سمّيت ابني هذا؟

قال: ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله[3].

---

(١) جلاء العيون ٢: ٢ و٣ للسيد شبّر وهو تعريب لجلاء العيون للمجلسي.

(٢) يتكرّر فيه الإشكال بعدم حضور أسماء بنت عميس زوجة جعفر الطيّار بالمدينة قبل فتح خيبر، ويجاب بما مرّ في زفاف الزهراء عليها‌السلام بأنّها أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية القابلة والخطّابة، وإنّما الخلط من الرواة.

(٣) وروى الخبر الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه‌السلام ٢: ٢٥ بسنده عنه، وفيه هنا زيادة «وقد كنت أحبّ أن أسمّيه حرباً» وليس فيما أخرجه الطوسي. فمن المستبعد جداً أن يحبّ علي التسمية بحرب.

فقال النبيّ: ولا أسبق باسمه ربّي ـ عزّ وجلّ ـ.

ثمّ هبط جبرئيل فقال: يا محمّد، العليّ الأعلى يقرؤك السلام ويقول لك: عليّ منك كهارون من موسى، سمّ ابنك هذا باسم ابن هارون. قال النبيّ: وما اسم ابن هارون؟ قال: شُبّر. قال النبيّ: لساني عربيّ. قال جبرئيل: سمّه الحسين.

فلمّا كان يوم سابعه عقّ عنه النبيّ بكبشين أملحين، وأعطى القابلة فخذاً وديناراً، ثمّ حلق رأسه وتصدّق بوزن الشعر ورقاً (فضّة) وطلى رأسه بالخَلوق وقال: يا أسماء، الدم فعل الجاهليّة[1].

وروى الخبر الصدوق في «الأمالي» بسنده عن زيد بن علي عن أبيه علي ابن الحسين عليه السلام ـ بلا إسناد إلى أسماء ـ قال: لمّا ولد الحسين أوحى الله ـ عزّ وجلّ ـ إلى جبرئيل: أنّه قد ولد لمحمّد ابن، فاهبط إليه فهنّه وقل له: إنّ عليّاً منك بمنزلة هارون من موسى فسمّه باسم ابن هارون. قال: فهبط جبرئيل فهنّاه من الله تبارك وتعالى ثمّ قال: إنّ عليّاً منك بمنزلة هارون من موسى فسمّه باسم ابن هارون. قال: وما اسمه؟ قال: شبّر. قال: لساني عربيّ. قال: سمّه الحسين، فسمّاه الحسين[2] من دون ذكر لسنن اليوم السابع.

زواج النبي ﷺ بأم سلمة

روى الواقدي بسنده عن عمر بن أبي سلمة قال: انتقض جرح أبي (أبي سلمة)، فمات منه لثلاث مضين[3] من جُمادى الآخرة ... واعتدّت أُمّي حتّى حلت

---

(١) أمالي الطوسي: ٣٦٧ ح ٧٨١.

(٢) أمالي الصدوق: ١١٦.

(٣) مرّ أنّ النصّ «بقين» ولكن لا تمرّ العدّة أربعة أشهر وعشراً لليالٍ بقين من شوّال كي يأتي

←

أربعة أشهر وعشراً[1].

فلمّا انقضت عدّتها أرسل إليها أبو بكر يخطبها فأبت، ثمّ أرسل إليها عمر يخطبها فأبت[2].

وخطبها رسول الله فقالت له: يا رسول الله، إنّي امرأة فيّ غيرة شديدة وأخاف أن ترى منّي شيئاً يعذّبني الله عليه، وقد كبر سنّي وتخطّيت الشباب، ومع ذلك فإنّي امرأة ذات عيال وأحتاج لأن أعمل في قوتهم.

فقال لها: أمّا ما ذكرت من الغيرة، فسيذهبها الله عنك. وأمّا السنّ فقد أصابني ما أصابك. وأمّا ما ذكرت من العيال، فعيالك عيالي. فرضيت[3].

وقال الطبرسي في «إعلام الورى»: هي هند بنت أبي أُميّة بن المغيرة المخزومي، فهي ابنة عمّ أبي جهل. وكانت عند أبي سلمة بن عبد الأسد وأُمّه برّة بنت عبد المطّلب، فهو ابن عمّة رسول الله، وكان لأُمّ سلمة منه زينب وعمر[4].

وروى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: تزوّج رسول الله أمّ سلمة، زوّجها إيّاه عمر بن أبي سلمة، وهو صغير لم يبلغ الحلُم[5].

إلّا إذا احتملنا استبدال «بقين» من «مضين» فالصحيح «مضين» محرّفة أو مصحّفة إلى «بقين».

(1) مغازي الواقدي 1: 343 و344.

(2) طبقات ابن سعد 8: 62، ونقله في بحار الأنوار 20: 185 عن المنتقى.

(3) البداية والنهاية 4: 91.

(4) وكان عمر مع علي عليه السلام يوم الجمل، وولّاه البحرين، وله عقب بالمدينة. ومن مواليها خيرة أُمّ الحسن البصري، وشيبة بن نصاح إمام أهل المدينة في القراءة ـ إعلام الورى 1: 277.

(5) فروع الكافي 2: 24، كما في بحار الأنوار 22: 224. وقال الطبرسي في إعلام الورى:

وروى الواقدي عن عمر بن أبي سلمة قال: اعتدّت أُمّي حتّى حلّت أربعة أشهر وعشراً ثمّ تزوّجها رسول الله ودخل بها في ليالٍ بقين من شوّال، فكانت أُمّي تقول: ما بأس في النكاح في شوّال والدخول فيه، قد تزوّجني رسول الله وأعرس بي في شوّال[1].

وروى ابن سعد في «الطبقات» عن عائشة قالت: لمّا تزوّج رسول الله أُمّ سلمة حزنت حزناً شديداً لمّا علمت جمالها، فتلطّفتُ حتّى رأيتها، فرأيت أضعاف ما وُصفتْ من الحسن والجمال[2].

وفي قصص أسباب النزول حكى العلّامة الحلّي في «كشف الحقّ» عن الحُميدي عن السدّي قال: لمّا توفّي أبو سلمة وعبد الله بن حذافة وتزوّج النبيّ امرأتيهما: أمّ سلمة وحفصة، وقد نزل قوله سبحانه: ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إنّ ذلكم كان عند الله عظيماً * إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإنّ الله كان بكلّ شيءٍ عليماً﴾[3] قال عثمان: أينكح محمّد نساءنا إذا متنا ولا ننكح نساءه إذا مات؟ والله لو قد مات أجلبنا على نسائه بالسهام. وكان هو يريد أُمّ سلمة.

وكذلك قال طلحة وهو يريد عائشة (فهي من تيم وهو منها).

---

* روي أنّ رسول الله أرسل إلى أُمّ سلمة أن مُري ابنك أن يزوّجك، فزوّجها ابنها سلمة بن أبي سلمة وهو غلام لم يبلغ، وأدّى عنه النجاشي صداقها أربعمئة دينار عند العقد. إعلام الورى ١: ٢٧٧ وقال ابن هشام: أصدقها النبي فراشاً حشوه ليف وقدحاً ورحى ٤: ٢٩٤.

(١) مغازي الواقدي ١: ٣٤٤

(٢) طبقات ابن سعد ٨: ٦٦ وعنه في الإصابة ٤: ٤٥٩

(٣) الأحزاب: ٥٣، ٥٤.

فأنزل الله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[1]

رجم زانيين يهوديّين

قال المسعودي في سياق حوادث السنة الرابعة في شهر شوّال، بعد ذكر تزوّج رسول الله بأُم سلمة: وفي هذا الشهر فيها ذكر رُجم يهودي ويهوديّة كانا قد زنيا[2]. ونقله المجلسي في «بحار الأنوار» عن «المنتقى» قال: وفيها رَجم رسول الله اليهوديّ واليهوديّة في ذي القعدة، ونزل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[3]

وروى الشيخ الطوسي في «التبيان» عن الباقر عليه السلام قال: إنّ امرأةً من خيبر في شرف منهم زنت وهي محصنة، فكرهوا رجمها، فأرسلوا إلى يهود المدينة يسألون النبيّ صلى الله عليه وآله طمعاً أن يكون أتى برخصة! فسألوه

فقال: هل ترضون بقضائي؟ قالوا: نعم، فأنزل الله عليه الرجم، فأتوه، فقال جبرئيل: سلهم عن ابن صوريا ثمّ اجعله بينك وبينهم. فقال: تعرفون شابّاً أبيض أعور أمرد يسكن فدكاً يقال له: ابن صوريا؟ قالوا: نعم هو أعلم يهودي على ظهر الأرض بما أنزل الله على موسى. قال: فأرسلوا إليه. فأرسلوا إليه فأتى

فقال له رسول الله: فإنّي أُنشدك الله الذي لا إله إلّا هو القوي إله بني

---

(١) الأحزاب: ٥٧ وسورة الأحزاب هي ٩٠ في النزول، والرابعة والخامسة في النزول بالمدينة بعد البقرة والأنفال وآل عمران والنساء، فلا بعد في نزولها يومئذ. والخبر في كشف الحق: ٢٤٧ ط بغداد، بتصرف يسير.

(٢) التنبيه والإشراف: ٢١٣.

(٣) بحار الأنوار ٢٠: ١٨٣ عن المنتقى: ١٢٦ ـ ١٢٨ والآية من المائدة: ٤٧.

إسرائيل الذي أخرجكم من أرض مصر، وفلق لكم البحر فأنجاكم وأغرق آل فرعون، وظلّل عليكم الغمام وأنزل عليكم المنّ والسلوى، وأنزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه، هل تجدون في كتابكم الذي جاء به موسى الرجم على من أحصن؟

قال عبد الله بن صوريا: نعم، والذي ذكّرتني، ولولا مخافتي من ربّ التوراة أن يهلكني إن كتمت، ما اعترفت لك به!

فأنزل الله فيه: ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً ممّا كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير... ﴾[1]

فقام ابن صوريا فوضع يديه على ركبتي رسول الله ثم قال: هذا مقام العائذ بالله وبك أن تذكر لنا الكثير الذي أمرت أن تعفو عنه. فأعرض النبيّ عن ذلك.

ثمّ سأله ابن صوريا عن نومه، وعن شبه الولد بأبيه وأمّه، وما حظّ الأب من أعضاء المولود وما حظّ الأمّ؟

فقال: تنام عيناي ولا ينام قلبي،

والشبه يغلبه أيّ الماءين علا،

وللأب العظم والعصب والعروق، وللأم اللحم والدم والشعر.

فقال: أشهد أنّ أمرك أمر نبيّ، وأسلم. فشتمته اليهود.

فلمّا أرادوا الانصراف تعلّقت قريظة ببني النضير[2] فقالوا:

يا أبا القاسم، هؤلاء إخواننا بنو النضير إذا قتلوا منّا قتيلاً لا يعطونا القود ويعطونا سبعين وسقاً من تمر، وإن قتلنا منهم قتيلاً أخذوا القود ومعه سبعون وسقاً من تمر، وإن أخذوا الدية أخذوا منّا مئة وأربعين وسقاً، وكذلك جراحاتنا على

---

(١) المائدة: ١٥.

(٢) بعد جلائهم إلى خيبر وفدك.

أضاف جراحاتهم ؟!

فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ وإن تعرض عنهم فلن يضرّوك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ﴾[1] فحكم بينهم بالسواء، فقال (بنو النضير) لا نرضى بقضائك[2]، فأنزل الله: ﴿ أفحكم الجاهليّة يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾[3] وقال: ﴿ وكيف يحكّمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ﴾[4] شاهداً لك ما يخالفونك، ثمّ فسّر ما فيها من حكم الله فقال: ﴿ وكتبنا عليهم فيها أنّ النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسنّ بالسنّ والجروح قصاص فمن تصدّق به فهو كفّارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾[5] إلى قوله ـ سبحانه ـ: ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتّبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولّوا فاعلم أنّما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإنّ كثيراً من الناس لفاسقون ﴾[6] وهو إجلاؤهم من ديارهم[7].

وروى الطبرسي في «مجمع البيان» عن الباقر عليه السلام أيضاً قال: إنّ امرأة من خيبر ذات شرف بينهم زنت مع رجل من أشرافهم وهما محصنان، فكرهوا

---

(١) المائدة: ٤٢

(٢) يستبعد أن يكون هذا بعد إجلائهم وإذلالهم، اللّهم إلّا أن يكون قبل ذلك، كما يأتي في آخر الخبر ما يفيد ذلك أيضاً.

(٣) المائدة: ٥٠

(٤) المائدة: ٤٣

(٥) المائدة: ٤٥

(٦) المائدة: ٤٩

(٧) التبيان ٣: ٥٢٥ و٥٢٦ ونقله في ١: ١٣٦٣ عن ابن عباس، وآخر الخبر يفيد أنّ الأمر كان قبل إجلائهم وإذلالهم

رجمها، فأرسلوا إلى يهود المدينة وكتبوا إليهم: أن يسألوا النبيّ عن ذلك طمعاً في أن يأتي لهم برخصة!

فانطلق قوم، منهم: كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد وشعبة بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحُقيق وغيرهم فقالوا: يا محمّد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدّهما؟ فقال: وهل ترضون بقضائي في ذلك؟ قالوا: نعم فنزل جبرئيل بالرجم، فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به. فقال جبرئيل: جعل بينك وبينهم ابن صوريا، ووصفه له. فقال النبيّ لهم: هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور يسكن فدكاً يقال له: ابن صوريا؟ قالوا: نعم. قال: فأيّ رجل هو فيكم؟ قالوا: اعلم يهودي بقي على ظهر الأرض بما أنزل الله على موسى! قال: فأرسلوا إليه. ففعلوا فأتاهم.

فقال له النبيّ: إنّي أنشدك الله الذي لا إله إلّا هو الذي أنزل التوراة على موسى وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون، وظلّل عليكم الغمام، وأنزل عليكم المنّ والسلوى، هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن؟

قال ابن صوريا: نعم، والذي ذكّرتني به لولا خشية أن تحرقني ربّ التوراة إن كذبت أو غيّرت ما اعترفت لك، ولكن اخبرني كيف هي في كتابك يا محمّد؟

قال: إذا شهد أربعة رهطٍ عدول: أنّه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب الرجم.

قال ابن صوريا: هكذا أنزل الله في التوراة على موسى.

فقال له النبيّ: فماذا كان أوّل ما ترخصتم به أمر الله؟

قال: كنّا إذا زنى الشريف تركناه وإذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحدّ. فكثر الزنا في أشرافنا حتى زنى ابن عمّ ملكٍ لنا فلم نرجمه، ثمّ زنى رجل آخر، فأراد

---

(١) هذا وقد مر قتله قبل هذا. اللهم الا ان يكون قتله متأخراً عن هذا الأمر

الملك رجمه فقال به قومه : لا حتى ترجم فرناً (ابن عمّه) فقلنا : تعالوا نجتمع فلنضع شيئاً دون الرجم يكون على الشريف والوضيع، فوضعنا الجلد والتحميم، وهو أن يجلد أربعين جلدة ثمّ يسوّد وجوههما ثمّ يُحملان على حمارين ويجعل وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما. فجعلوا هذا مكان الرجم!

فقالت اليهود لابن صوريا : ما أسرع ما أخبرته به، وما كنت لما أتينا عليك بأهل!

فقال : إنّه أنشدني بالتوراة، ولولا ذلك لما أخبرته به.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : أنا أوّل من أحيا أمرك إذ أماتوه. فأمر بهما فرُجما عند باب المسجد.

وأنزل الله : ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً ممّا كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ﴾ فقام ابن صوريا فوضع يديه على ركبتي رسول الله ثمّ قال : هذا مقام العائذ بالله وبك أن تذكر لنا الكثير الذي أمرت أن تعفو عنه. فأعرض النبيّ عنه.

ثمّ سأله ابن صوريا عن نومه فقال : تنام عيناي ولا ينام قلبي. فقال : صدقت. وأخبرني عن شبه الولد بأبيه ليس فيه من شبه أمّه شيء، أو بأمّه ليس فيه من شبه أبيه شيء؟ فقال : أيّهما علا وسبق ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له. قال : صدقت. فأخبرني ما للرجل من الولد وما للمرأة منه؟ فأُغمي على رسول الله طويلاً ثمّ خُلّي عنه محمرّاً وجهه يفيض عرقاً فقال : اللحم والدم والظفر والشعر للمرأة، والعظم والعصب والعروق للرجل، قال له : صدقت أمرك أمر نبيّ. يا محمّد، من يأتيك من الملائكة؟ قال : جبرئيل، قال : صفه لي، فوصفه النبيّ فقال : أشهد أنّه في التوراة كما قلت وأنّك رسول الله حقّاً. فأسلم ابن صوريا عند ذلك. فلمّا أسلم ابن صوريا وقع فيه اليهود وشتموه.

ولمّا أرادوا أن يحصنوا علّمت بنو قريظة بني النضير فقالوا: يا محمّد، بنو النضير إخواننا، أبونا واحد وديننا واحد ونبيّنا واحد، فإذا قتلوا منّا قتيلاً لم يُقد وأعطونا ديته سبعين وسقاً من تمر، وإذا قتلنا منهم قتيلاً قتلوا القاتل وأخذوا منّا الضعف: مئة وأربعين وسقاً من تمر، وإن كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منّا وبالرجل منهم الرجلين منّا وبالعبد منهم الحرّ منّا، وجراحاتنا على النصف من جراحاتهم! فاقض بيننا وبينهم.

فأنزل الله الآيات في الرجم والقصاص[1].

وقد تكرّر في الآية: ﴿ فاحكم بينهم بما أنزل الله ﴾ والآية: ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ﴾[2] فقال الطوسي: إنّما كرّر سبحانه الأمر بينهم، لأنّهم احتكموا إليه في الزنا المحصن ثمّ احتكموا إليه في قتيل كان بينهم وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام[3].

والقمي في تفسيره في سبب نزول الآية: ﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ... ﴾[4] اكتفى بهذا الحكم الثاني فقال:

لمّا هاجر رسول الله إلى المدينة ودخلت الأوس والخزرج في الإسلام

---

(١) مجمع البيان ٣: ٢٩٩ - ٣٠١ ونقل مختصره في ١: ٣٢٥ عن ابن عباس. ويختلف الخبر هنا عما في التبيان ببعض التفاصيل. ورواه الطبرسي في الاحتجاج ١: ٤٦ - ٤٨ عن العسكري عليه السلام ونقله ابن إسحاق في السيرة ٢: ١٩١ ونقله في ذيل الآية ٨٥ من سورة البقرة، في الهامش. ويستبعد التعدد جداً، والأولى الثاني.

(٢) المائدة: ٤٨، ٤٩.

(٣) التبيان ٣: ٥٤٧ و٥٤٨، وعنه في مجمع البيان ٣: ٣١٥ و٣١٦.

(٤) المائدة: ٤١.

ضعف أمر اليهود، فقتل رجل من بني قريظة رجلاً من بني النضير، فبعث بنو النضير إلى بني قريظة: أن ابعثوا إلينا بدية المقتول وبالقاتل حتّىٰ نقتله.

وكانت قريظة سبعمئة والنضير ألفاً، وأكثر مالاً وأحسن حالاً من قريظة، فكان إذا وقع بين قريظة والنضير قتل وكان القاتل من بني النضير قالوا لبني قريظة: لا نرضى أن يكون قتيل منّا بقتيل منكم! وجرت في ذلك بينهم مخاطبات كثيرة حتّىٰ كادوا أن يقتتلوا، ثمّ رضيت قريظة وكتبوا بينهم كتاباً على أنّه: أيّ رجل من النضير قتل رجلاً من بني قريظة فعليه أن يجنّب ويحمّم، والتجنيب أن يُقعد على جمل ويولّىٰ وجهه إلى ذنب الجمل، والتحميم: أن يلطّخ وجهه بالحمأة، وأن يدفع نصف الدية. وأيّما رجل من قريظة قتل رجلاً من بني النضير فعليه أن يدفع دية كاملة، ويُقتل به!

(فلمّا كان ذلك) قالت قريظة: ليس هذا حكم التوراة وإنّما هو شيء غلبتمونا عليه، فإمّا الدية وإمّا القتل، وإلّا فهذا محمد بيننا وبينكم، فهلمّوا فلنتحاكم إليه[1].

وكان بنو النضير حلفاء لعبد الله بن أُبيّ، فمشوا إليه وقالوا: سل محمّداً أن لا ينقض شرطنا في هذا الحكم الذي بيننا وبين بني قريظة في القتل.

فقال عبد الله بن أُبيّ: ابعثوا معي رجلاً يسمع كلامي وكلامه، فإن حكم لكم بما تريدون وإلّا فلا ترضوا به!

فبعثوا إليه رجلاً فجاء معه إلى رسول الله فقال له:

يا رسول الله، إنّ هؤلاء القوم قريظة والنضير قد كتبوا بينهم كتاباً وعهداً وثيقاً تراضوا به، والآن في قدومك يريدون نقضه، وقد رضوا بحكمك فيهم، فلا تنقض عليهم كتابهم وشرطهم، فإنّ بني النضير لهم القوّة والسلاح والكراع، ونحن

---

(١) وإذا كان هذا بعد إجلاء بني النضير كان ذلك من بني قريظة انتهازاً للفرصة انتصاراً عليهم.

عاف النوائل والدوائر[1]

فاغتمّ لذلك رسول الله ولم يجبه بشيء.

ونزل عليه جبرئيل بهذه الآيات: ﴿ يا أيّها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرّفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يُرِدْ الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يُرِدِ الله أن يطهّر قلوبهم لهم في الدنيا خزيٌ ولهم في الآخرة عذاب عظيم * سمّاعون للكذب أكّالون للسحت فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضرّوك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إنّ الله يحبّ المقسطين ﴾[2] إلى قوله: ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾[3] وقوله: ﴿ فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين ﴾[4].

وروى الطبري مختصر خبر الرجم عن عكرمة (عن ابن عباس) أنّ اليهود سألوا رسول الله عن حكم الرجم، فسأل عن أعلمهم؟ فأشاروا إلى ابن صوريا، فناشده بالله هل يجدون حكم الرجم في كتابهم؟ فقال: إنّه لمّا كثر فينا جلدنا مئة وحلقنا الرؤوس، فحكم عليهم بالرجم، فأنزل الله: ﴿ يا أهل الكتاب ... ﴾ إلى قوله: ﴿ صراط مستقيم ﴾.

وروى عن ابن عباس ـ أيضاً ـ قال: أتى رسول الله ابن أُبيّ وبحري بن

---

(١) ولكنّ هذا لا يلائم إلّا أوائل قدوم الرسول وقبل جلاء بني النضير وإذلالهم.

(٢) المائدة: ٤١ و٤٢.

(٣) المائدة: ٤٤.

(٤) المائدة: ٥٢، والخبر في تفسير القمي ١: ١٦٨ ـ ١٧٠.

عمرو، وشأس بن عدي فكلّمهم وكلّموه، فدعاهم إلى الله وحذّرهم نقمته، فقالوا: ما تخوّفنا يا محمّد؟ نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كقول النصارى. فأنزل الله فيهم: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبّاؤه ...﴾.

وروى عن ابن عباس ـ أيضاً ـ قال: دعا رسول الله اليهود ورغّبهم في الإسلام وحذّرهم، فأبوا عليه، فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب: يا معشر اليهود اتّقوا الله فإنّكم تعلمون أنّه رسول الله، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته! فقال رافع بن حُريملة ووهب بن يهوذا: ما قلنا لكم هذا، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده! فأنزل الله: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم على فترةٍ من الرسل﴾[1]

ولا مانع من أن تكون الأسباب قد وقعت متوالية ثمّ نزلت الآيات متتابعة.

حدّ السرقة

وقبل هذه الآيات في السورة آيات حدّ السرقة: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾[2]

وقد روى السيوطي في «الدر المنثور» عن عبد الله بن عمر: أنّ امرأة سرقت على عهد رسول الله، فقطع يدها اليمنى، فقالت: يا رسول الله هل لي من توبة؟ قال: نعم، أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمّك. وأنزل الله: ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإنّ الله يتوب عليه إنّ الله غفور رحيم * ألم تعلم أنّ الله له ملك السموات والأرض يعذّب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كلّ شيءٍ قدير﴾[3]

---

(١) تفسير الطبري، ورواها السيوطي في الدر المنثور ٢: ٢٦٩.

(٢) المائدة: ٣٨.

(٣) المائدة: ٣٩ و ٤٠.

وفيها آيات حدّ المحاربة والفساد في الأرض، ولكنّ خبره يتضمّن اعتداء المعتدين على إبل الصدقة، وقد تصادق المؤرخون على أنّ أخذ الصدقات كان بعد ذلك بكثير. فلعلها من الآيات النازلة في السورة في أواخر عصر الرسول ﷺ.

وسرق ابن أبيرق:

وقبل هذه الآيات وقبل ما نزل من سورة النساء في غزوة بدر الأخيرة، آيات تتعلّق بسرقة أُخرى هي سرقة ابن أبيرق. وقد نقل المجلسي في «بحار الأنوار» عن «المنتقى» قال في سياق حوادث السنة الرابعة: وفيها سرق ابن أبيرق[1].

وقال القمي في تفسيره لقوله ـ سبحانه ـ: **﴿إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً﴾**[2]: كان سبب نزولها أنّ قوماً من الأنصار من بني أُبيرق إخوة ثلاثة كانوا منافقين: بشر وبشير ومبشّر، فنقبوا على عمّ قتادة بن النعمان، وكان قتادة بدرياً، فسرقوا منه سيفاً ودرعاً وطعاماً كان قد أعدّه لعياله، فشكى قتادة ذلك إلى رسول الله قال: يا رسول الله، إنّ قوماً نقبوا على عمّي وأخذوا سيفاً ودرعاً وطعاماً كان قد أعدّه لعياله.

وكان مع بني أبيرق في الدار رجل مؤمن يقال له لبيد بن سهل، فقال بنو أبيرق لقتادة: هذا عمل لبيد بن سهل! فبلغ ذلك لبيداً فأخذ سيفه وخرج عليهم فقال: يا بني أُبيرق، أترمونني بالسرقة؟! وأنتم أولى بها منّي! إنكم منافقون

---

(١) بحار الأنوار ٢٠: ١٨٤ عن المنتقى: ١٢٦ ـ ١٢٨ وقال المجلسي: سيأتي شرح القصّة في باب أحوال أصحابه. ولم أجده فيه.

(٢) النساء: ١٠٥.

تهجون رسول الله وتنسبون ذلك إلى قريش ! لتبيّن ذلك أو لأملأنّ سيفي منكم ! فبرّأوه من ذلك.

ثمّ مشوا إلى رجلٍ من رهطهم يقال له أُسيد بن عروة وكان منطيقاً بليغاً، وطلبوا منه أن يبرّئهم عند رسول الله من قول قتادة.

فمشى أُسيد بن عروة إلى رسول الله فقال : يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان عمد إلى أهل بيت منّا أهل شرف وحسب ونسب فرماهم بالسرقة واتهمهم بما ليس فيهم.

فاغتم رسول الله لذلك. وجاء إليه قتادة فأقبل عليه رسول الله فقال له : عمدت إلى أهل بيت شرف وحسب ونسب فرميتهم بالسرقة ؟ ! وعاتبه عتاباً شديداً. فاغتم قتادة من ذلك، ورجع إلى عمّه وقال له : يا ليتني متّ ولم أُكلّم رسول الله، فقد كلّمني بما كرهته. فقال عمّه : الله المستعان.

ثمّ أنزل الله في ذلك على نبيّه : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً * واستغفر الله إنّ الله كان غفوراً رحيماً * ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إنّ الله لا يحبّ من كان خوّاناً أثيماً * يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيّتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً * ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً ﴾ [1] ؟ !

وروى أبو الجارود عن الباقر عليه السلام قال : لما أنزل (ذلك) أقبل ناس من رهط بشير الأدنين وقالوا له : يا بشير استغفر الله وتب إليه من الذنب ! فقال : والذي أحلف به ما سرقها إلّا لبيد ! فنزلت : ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثمّ يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً * ومن يكسب إثماً فإنّما يكسبه على نفسه وكان

(١) النساء : ١٠٥ ـ ١٠٩.

الله عليماً حكيماً * ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثمّ يرمِ به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾[1] فكفر بشير ولحق بمكّة.

وأنزل الله في النفر الذين أعذروا بشيراً وأتوا النبيّ ليعذروه قوله: ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمّت طائفة منهم أن يضلّوك وما يضلّون إلّا أنفسهم وما يضرّونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾[2] ونزلت في بشير وهو بمكّة: ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصله جهنّم وساءت مصيراً ﴾[3].

ورواه الطوسي في «التبيان» عن عدة منهم مجاهد وعكرمة عن ابن عباس، إلّا أنّه قال: إنّهم اتهموا بذلك يهودياً يقال له زيد بن السمين، بدلاً عن لبيد بن سهل وأصحابه. أنّ بشيراً لمّا مضى إلى مكّة نزل على سلامة بنت سعد بن شهيد امرأة من الأنصار كانت في بني عبد الدار بمكّة، فهجاها حسّان بن ثابت قال:

وقد أنزلته بنتُ سعدٍ وأصبحتْ	ينازعُها جِلدَ استِها وتُنازعُهْ
ظننتم بأن يخفى الذي قد صنعتمُ	وفينا نبيٌّ عنده الوحيُ واضعُه

فحملت رحله على رأسها وألقته بالأبطح وقالت: ما كنت تأتيني بخير، أهديت إليّ شعر حسّان!

---

(١) النساء: ١١٠ ـ ١١٢.

(٢) النساء: ١١٣.

(٣) النساء: ١١٥. وليس معنى هذا أنّ الآية ١١٤ خارجة عن السياق بل هي منه غير مذكورة في الخبر، وهي: ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلّا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ ولعلّها تبرّئ أسيد ابن عروة وأنّه ما أراد إلّا الإصلاح والخير. في تفسير القمي ١: ١٥٠ ـ ١٥٢.

فلم يزالوا بمكّة مع قريش حتّى فُتحت مكة فهربوا إلى الشام [1].

بدر الأخيرة

يبدو أنّ الطبرسي في «إعلام الورى» اختصر خبرها عن ابن اسحاق فقال: ثم كانت غزوة بدر الأخيرة في شعبان، خرج رسول الله إلى بدر لميعاد أبي سفيان، فأقام عليها ثماني ليال... ووافق رسول الله وأصحابه السوق فاشتروا وباعوا وأصابوا بها ربحاً حسناً.

وخرج أبو سفيان في أهل تهامة فلما نزل الظهران بدا له في الرجوع [2] فرجع ورجع رسول الله ﷺ.

ولكنّه في تفسيره «مجمع البيان» نقل عن الكلبي: أن أبا سفيان لمّا أراد الرجوع إلى مكّة يوم أُحد واعد رسول الله موسم بدر الصفراء [3] وهو سوق تقوم في ذي القعدة.

فلما بلغ الميعاد قال رسول الله للناس: اخرجوا إلى الميعاد، فتثاقلوا وكرهوا ذلك أو بعضهم كراهة شديدة، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ فقاتل في سبيل الله لا تكلّف إلّا نفسك وحرّض المؤمنين عسى الله أن يكفّ بأس الذين كفروا والله أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً ﴾ [4] فحرّض النبيّ المؤمنين فتثاقلوا عنه ولم يخرجوا، حتّى

---

(١) التبيان ٣: ٣١٦ و٣١٧، ونقله الطبرسي في مجمع البيان ٣: ١٦١ بتغيير يسير رواه عن قتادة بن رفاعة بن زيد.

(٢) إعلام الورى ١: ١٩٠ وانظر ابن هشام ٣: ٢٢٠.

(٣) في النصّ: الصغرى، والصحيح ما أثبتناه عن الواقدي كما يأتي، فهو اسم الموضع، والصغرى إنّما هو وصف للغزوة بعد وقوعها لا قبله، بالقياس إلى بدر الكبرى.

(٤) النساء: ٨٤.

خرج رسول الله في سبعين راكباً، و في موسم بدر فكفاهم الله بأس العدو، ولم يوافهم أبو سفيان، ولم يكن قتال يومئذ، وانصرف رسول الله بمن معه سالمين[1]

وقال الواقدي: كان بدر الصفراء مجمعاً يجتمع فيه العرب وسوقاً تقوم لهلال ذي القعدة إلى ثماني ليالٍ خلون منه، فإذا مضت ثماني ليالٍ منه تفرّق الناس إلى بلادهم.

ولما أراد أبو سفيان أن ينصرف يوم أُحد نادى: موعدٌ بيننا وبينكم بدر الصفراء رأس الحَوْل نلتقي فيه فنقتتل!

فافترق الناس عن ذلك، ورجعت قريش فخبّروا من قِبلهم بالموعد وتهيّأوا للخروج وأجلبوا، وطمعوا فيه بمثل ظفرهم حينما رجعوا من أُحد والدولة لهم

ولما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج إلى رسول الله وأحبّ أن يقيم رسول الله وأصحابه بالمدينة لا يوفون الموعد، فكان كل من يرد عليه مكة يريد المدينة يظهر له: أنا نريد أن نغزو محمداً في جمع كثيف!

وقدم نُعيم بن مسعود الأشجعي مكة، فجاءه أبو سفيان بن حرب في رجال من قريش وقال له: يا نُعيم، إنّي وعدت محمداً وأصحابه يوم أُحد أن نلتقي نحن وهو ببدر الصفراء على رأس الحول، وقد جاء ذلك.

فقال نُعيم: ما أقدمني إلّا ما رأيت محمداً وأصحابه يصنعون من إعداد السلاح والكُرَاع، قد تجمّع إليه حلفاء الأوس من بليّ وجُهينة وغيرهم، فتركت المدينة أمس وهي كالرمّانة!

فقال أبو سفيان: أضعف تذكر ما تذكر وما هم بعدوّنا، وهذا عام جدب، وإنّما يصلحنا عام خصب غيداق نرعى فيه الظهر والخيل ونشرب اللبن، وأنا أكره أن يخرج محمد وأصحابه ولا نخرج فيجترئون علينا، ويكون الخلف من قِبلهم

---

(١) مجمع البيان ٢: ١٢٨.

أحبّ إليّ، ونجعل لك عشرين فريضة، عشراً جذاعاً (في الخامسة) وعشراً حقاقاً (في الرابعة)، ونوضع لك على يدي سُهيل بن عمرو ويضمنها لك.

فقال نُعيم لسُهيل ـ وكان صديقاً له ـ: يا أبا يزيد، تضمن لي عشر بن فريضة على أن أقدم المدينة فأُخذّل أصحاب محمّد؟ قال: نعم. قال: فإنّي خارج.

فخرج على بعيره وأسرع السير، فقدم وقد حلق رأسه من العُمرة، فوجد أصحاب رسول الله يتجهّزون. فقالوا له: من أين يا نُعيم؟ قال: معتمراً من مكة. قالوا: لك علم بأبي سفيان؟ قال: نعم تركت أبا سفيان قد جمع الجُموع وأجلب معه العرب، فهو جاءٍ فيما لا قِبل لكم به، فأقيموا ولا تخرجوا، فإنّهم قد أتوكم في داركم وقراركم فلن يفلت منكم إلّا الشريد، وقُتلت سَراتكم، وأصاب محمداً ما أصابه في نفسه من الجراح، فتريدون أن تخرجوا إليهم فتلقوهم في موضع من الأرض؟ بئس الرأي رأيتم لأنفسكم، والله ما أرى أن يفلت منكم أحد!

وجعل يطوف بهذا القول في أصحاب رسول الله حتّى رعّبهم وكرّه إليهم الخروج، وحتى نطقوا أو بعضهم بتصديق قول نُعيم، واستبشر بذلك المنافقون واليهود وقالوا: إن محمّداً لا يفلت من هذا الجمع! وحتى بلغ ذلك إلى رسول الله وتظاهرت الأخبار عنه عنده وحتىٰ خاف رسول الله أن لا يخرج معه أحد. ثمّ قال: والذي نفسي بيده لأخرجنّ وإن لم يخرج معي أحد!

فلمّا تكلّم رسول الله بذلك نصّر الله المسلمين وأذهب عنهم رعب الشيطان. فخرج في ألف وخمسمئة من أصحابه، فيهم عشرة خيول للرسول والمقداد والزبير وغيرهم. وكان يحمل لواء رسول الله الأعظم يومئذٍ علي بن أبي طالب عليه السلام. واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة. وخرجوا ببضائع لهم ونفقات وتجارات... فانتهوا إلى بدر ليلة هلال ذي القعدة، وقام السوق صبيحة الهلال، فأقاموا ثمانية أيّام والسوق قائمة. فربحوا للدينار ديناراً. وقال أبو

سفيان لقريش . يا معشر قريش ، قد بعثنا نعيم بن مسعود ليخذّل أصحاب محمّد عن الخروج ، وهو جاهد ، ولكن نخرج فنسير ليلة أو ليلتين ثمّ نرجع فإن كان محمّد لم يخرج بلغه أنّا خرجنا فرجعنا لأنّه لم يخرج ، فيكون هذا لنا عليه ، وإن كان خرج أظهرنا أنّ هذا عام جدب ولا تصلحنا إلاّ عام عشب قالوا . نعم ما رأيت

فخرج في قريش ، وهم ألفان ومعهم خمسون فرساً ، حتى انتهوا إلى مجنّة (بناحية مرّ الظّهران على أميال من مكّة) ثمّ قال لهم . ارجعوا ، فإنّه لا يصلحنا إلاّ عام خصب غيداق ، نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللّبن ، وإنّ عامكم هذا عام جدب ، وإنّي راجع ، فارجعوا ، فرجعوا .

وأقبل رجل من بني ضمرة يقال له مخشيّ بن عمرو ، وهو الذي حالف رسول الله على قومه في غزوة رسول الله الأولى إلى ودّان ، وكان الناس مجتمعين في سوقهم ، وأصحاب رسول الله أكثر أهل ذلك الموسم ، فقال . يا محمّد ، لقد أخبرنا أنّه لم يبق منكم أحد ! فما أعلمكم إلاّ أهل الموسم !

فقال رسول الله : ما أخرجنا إلاّ موعد أبي سفيان وقتال عدوّنا ! وهو يريد أن يرفع ذلك إلى عدوّه من قريش ، وسمع بذلك معبد بن أبي معبد الخزاعي ، وكان مقيماً هناك ثمانية أيّام ورأى أهل الموسم ورأى أصحاب رسول الله وسمع كلام مخشيّ ، فانطلق سريعاً حتى قدم مكّة ، فكان أوّل من قدم بخبر موسم بدر فسألوه فقال . وافى محمّد في ألفين من أصحابه ، وأقاموا ثمانية أيّام حتى تصدّع (وتفرّق) أهل الموسم !

فقال صفوان بن أميّة لأبي سفيان . والله لقد نهيتك يومئذ أن تعد القوم وقد اجترؤوا علينا ورأوا أن قد أخلفناهم ، وإنّما خلّفنا الضعف عنهم

وغاب رسول الله فيها ست عشرة ليلة ، ورجع إلى المدينة لأربع عشرة ليلة

بقيت من ذي القعدة[1].

وبعدها ذكر الواقدي غزوة ذات الرقاع وقال: خرج إليها رسول الله ليلة السبت لعشر خلون من المحرم على رأس سبعة وأربعين شهراً، وغاب خمس عشرة (يوماً) وقدم (راجعاً) يوم الأحد لخمس بقين من المحرم[2].

ولكن ابن إسحاق ذكر ذات الرقاع بعد بني النضير قال: ثمّ أقام رسول الله بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى، ثمّ غزا نجداً وهي غزوة ذات الرقاع[3] وتبعه الطبرسي في «إعلام الورى» فقال: كانت غزوة ذات الرقاع بعد غزوة بني النضير بشهرين[4] وكذلك ابن شهرآشوب[5] فنحن تبعناهما في تأريخ الغزوة.

* * *

---

(١) مغازي الواقدي ١: ٣٨٤ ـ ٣٨٩. هذا وقد قال: انتهوا إلى بدر ليلة هلال ذي القعدة، وكانت السوق تقوم هناك منه إلى ثماني ليال منه، ولم يذكروا أنّهم مكثوا هناك أكثر من الموسم، فلو رجع في ثمانية أيام لكان خروجهم في شوال قبل ذي القعدة بثمانية أيام أيضاً، والله العالم العاصم.

وقد مرّ في حمراء الأسد ذكر نعيم بن مسعود الأشجعي ومعبد الخزاعي بدورين متشابهين لما ذكرنا هنا فراجع. وهل تكرّر دورهما في الغزوتين؟

(٢) مغازي الواقدي ١: ٣٩٥.

(٣) ابن هشام ٣: ٢١٣ و٢١٤.

(٤) إعلام الورى ١: ١٨٩.

(٥) مناقب آل أبي طالب ١: ١٩٧.

أهمّ حوادث

السنة الخامسة للهجرة

غزوة الخندق [1]

المقدّمات: قال علي بن إبراهيم القمّي في تفسيره: لمّا أجلا رسول الله ﷺ بني قَينُقاع وبني النضير عن المدينة صاروا إلى خيبر، وكان رئيس بني النضير حُيَيّ بن أخطب، فخرج إلى قريش بمكّة وقال لهم:

«إنّ محمّداً قد وتركم، ووترنا وأجلانا من ديارنا وأموالنا من المدينة، وأجلا بني عمّنا بني قَينُقاع. وقد بقي من قومي بيثرب سبعمئة مقاتل، وهم بنو قريظة، وبينهم وبين محمّد عهد وميثاق، فأنا أمشي إليهم فأحملهم على نقض العهد بينهم وبين محمّد، فيكونون معنا عليهم وسيروا أنتم في الأرض فاجمعوا حلفاءكم وغيرهم حتى تسيروا إليهم.. فتأتونه من فوق، وهم من أسفل» إذ كان

---

(1) الخندق: معرّب كلمة: كَنده ـ بالفارسيّة ـ أي الحفرة، وذلك لأنّ سلمان الفارسي (محمّدي) هو الذي أشار به على النبيّ ﷺ كما سيأتي. وتسمّى غزوة الأحزاب أيضاً لقوله ـ سبحانه ـ: ﴿ولمّا رأى المؤمنون الأحزاب﴾ أي: أحزاب الكفّار، كما سيأتي أيضاً.

موضع بني قريظة بئر المطّلب على ميلين من المدينة[1]

وقال المفيد في «الإرشاد»: إن جماعة من اليهود منهم: سلام بن أبي الحُقيق النضري، وحُيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع، وهَوذة بن قيس الوالبي، وأبو عُمارة الوالبي في نفر من بني والبة، خرجوا (من المدينة) حتّى قدموا مكّة، إلى أبي سفيان صخر بن حرب، لعلمهم بعداوته لرسول الله وتسرّعه إلى قتاله

فذكروا له ما نالهم (من وقعة بني النضير) وسألوه المعونة لهم على قتاله

وأضاف الطبرسي في تفسيره: أبا رافع وكعب بن الأشرف في جماعة من علماء اليهود[2] ونقل عن أكثر المفسّرين: أنّه خرج في سبعين راكباً من اليهود إلى مكّة بعد وقعة أُحد، ليحالفوا قريشاً على رسول الله وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله، فنزلت اليهود في دور قريش ونزل كعب بن الأشرف على أبي سفيان فأحسن مثواه.

فقال لهم أهل مكة: إنّكم أهل كتاب ومحمّد صاحب كتاب، فلا نأمن أن يكون هذا مكراً منكم! فإن أردت أن نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما! ففعل!

ثمّ قال لهم كعب: يا أهل مكة ليجيء منكم ثلاثون ومنّا ثلاثون فنلصق أكبادنا بالكعبة فنعاهد ربّ البيت لنجهدنّ على قتال محمّد. ففعلوا ذلك.

فلمّا فرغوا قال أبو سفيان لكعب: إنّك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم، ونحن أُمّيّون لا نعلم، فأيّنا أهدى طريقاً وأقرب إلى الحقّ نحن أم محمّد؟ قال كعب: اعرضوا عليّ دينكم. فقال أبو سفيان: نحن ننحر للحجيج الناقة الكوماء[3]

---

(١) تفسير القمي ٣: ١٧٦

(٢) مجمع البيان ٣: ٩٢

(٣) الكوماء: العظيمة السنام

ونسقيهم الماء، ونقري الضيف، ونفكّ العاني[1]، ونصل الرحم، ونعمر بيت ربّنا ونطوف به ونحن أهل الحرم. ومحمّد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم، وديننا القديم، ودين محمّد الحديث. فقال: أنتم أهدى سبيلاً ممّا عليه محمّد! وفي هذا نزل قوله ـ سبحانه ـ: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً * أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً * أم لهم نصيب من الملك فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً * أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً * فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه وكفى بجهنّم سعيراً﴾[2].

---

(1) العاني: الأسير.

(2) مجمع البيان ٣: ٩٢، واختصر خبره عن ابن كعب القرظي ٨: ٥٣٣. وذكر الخبر القاضي نعمان في شرح الأخبار ١: ٢٩١، واختصره المفيد في الإرشاد ١: ٩٥. وزاد الواقدي: أن أبا عامر الراهب في بضعة عشر رجلاً... فقالوا لقريش: نحن معكم حتى نستأصل محمّداً. فقال أبو سفيان: هذا الذي أقدمكم ونزعكم؟ قالوا: نعم، جئنا لنحالفكم على عداوة محمّد وقتاله.

فقال أبو سفيان: أهلاً ومرحباً، أحبّ الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمّد.

قال النفر: فأخرج خمسين رجلاً من بطون قريش كلّها وأنت فيهم، وندخل نحن وأنتم بين أستار الكعبة حتى نلصق أكبادنا بها، ثمّ نحلف بالله جميعاً لا يخذل بعضنا بعضاً ولتكوننّ كلمتنا واحدة على هذا الرجل ما بقي منّا رجل! ففعلوا، وتحالفوا على ذلك وتعاهدوا.

ثمّ قالت قريش بعضها لبعض: قد جاءكم رؤساء أهل يثرب وأهل العلم والكتاب الأوّل، فسلوهم عمّا نحن عليه ومحمّد أيّنا أهدى؟

قال المفيد في «الارشاد»: فنشطت قريش لما دعوهم إليه من حرب رسول الله. وجاءهم أبو سفيان فقال لهم: قد مكّنكم الله (!) من عدوّكم: هذه اليهود تقاتله معكم ولا تنفكّ عنكم حتى يؤتى على جميعها أو تستأصله ومن اتّبعه! فقويت عزائمهم إذ ذاك في حرب النبيّ ﷺ!

ثمّ خرج اليهود (من مكّة) إلى غطفان وقيس عيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله وضمنوا لهم النصرة والمعونة، وأخبروهم باجتماع قريش لهم على ذلك[1].

خروج الأحزاب للحرب:

قال المفيد في «الإرشاد»: وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدهم: عيينة بن حصن في بني فزارة، والحارث بن عوف في بني مُرّة، ووبرة بن طريف في قومه من أشجع. واجتمعت قريش معهم[2].

ورواه الطبرسي في «مجمع البيان» عن ابن كعب القرظي وأضاف: وكتبوا

---

*

فقال لهم أبو سفيان: يا معشر اليهود: أنتم أهل العلم والكتاب الأول، فأخبرونا عمّا أصبحنا نحن فيه ومحمد، ديننا خير أم دين محمد؟ فنحن عُمّار البيت، ونحر الكوم ونسقي الحجيج ونعبد الأصنام.

قالوا: إنكم لتعظمون هذا البيت، وتقومون على السقاية، وتنحرون البدن، وتعبدون ما كان عليه آباؤكم، فأنتم أولى بالحق منه! وأنزل الله في ذلك قوله: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا...﴾. مغازي الواقدي ٢: ٤٤١ و٤٤٢. والآيات من سورة النساء: ٥١ ـ ٥٥.

(١) الإرشاد ١: ٩٥ وإعلام الورى ١: ١٩٠ ومجمع البيان ٨: ٥٣٣ عن ابن كعب القرظي.

(٢) الإرشاد ١: ٩٥ وإعلام الورى ١: ١٩٠ وهي عبارة ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٦٦.

إلى حلفائهم من بني أسد فأقبل طليحة فيمن تبعه من بني أسد، وكتبت قريش إلى رجال من بني سُليم فأقبل أبو الأعور السلمي فيمن تبعه من بني سليم مدداً لقريش[1].

وذكرهم ابن شهرآشوب فقال: فكانوا ثمانية عشر ألف رجل، والمسلمون في ثلاثة آلاف[2].

وقال المسعودي: فكان عدّة الجميع أربعة وعشرين ألفاً، والمسلمون نحو من ثلاثة آلاف[3].

وقال الواقدي: وخرجت قريش ومن تبعها من أحابيشها في أربعة آلاف، وعقدوا اللواء في دار الندوة، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس، ومعهم من الظهر ألف وخمسمائة بعير، يقودها أبو سفيان بن حرب.. وأقبلت بنو سُليم في سبعمائة يقودهم أبو الأعور سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أُمية ـ وكان مع معاوية بصفّين ـ. وخرجت بنو فزارة وهم ألف يقودهم عُيينة بن حصن، وخرجت أشجع في أربعمائة وقائدها مسعود (كذا) بن رُخيلة. وخرجت بنو مرة في أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف. فكان جميع القوم الذين وافوا الخندق من قريش وسُليم وغطفان وأسد: عشرة آلاف في ثلاثة عساكر، وعناج[4] الأمر إلى أبي سفيان.

ولمّا فصلت قريش من مكّة إلى المدينة خرج ركب من خزاعة إلى النبيّ ﷺ فساروا من مكّة إلى المدينة أربعاً فأخبروه بفصول قريش[5].

---

(1) مجمع البيان ٨: ٥٣٣.

(2) المناقب ١: ١٩٧.

(3) التنبيه والإشراف: ٢١٦.

(4) أي انه كان صاحبهم ومدبّر أمرهم (لسان العرب)، مادة (عنج).

(5) مغازي الواقدي ٢: ٤٤٤.

مشاورة الأصحاب للأحزاب:

قال القمي: وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فاستشار أصحابه، وكانوا سبعمئة رجل.

فقال سلمان الفارسي[1]: يا رسول الله، إنّ القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة (أي المجادلة).

فقال له رسول الله: فما نصنع؟

قال سلمان: نحفر خندقاً يكون بيننا وبينهم حجاباً، فيمكنك منعهم في المطاولة، ولا يمكنهم أن يأتونا من كلّ وجه، فإنّا كنّا ـ معاشر العجم في بلاد فارس ـ إذا دهمنا دهم من عدوّنا نحفر الخندق، فيكون الحرب من مواضع معروفة.

فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: أشار سلمان بصواب[2].

وقال المفيد في «الإرشاد»: فلمّا سمع رسول الله باجتماع الأحزاب عليه وقوّة عزيمتهم في حربه استشار أصحابه، فأجمع رأيهم على المقام بالمدينة وحرب القوم على أنقابها، وأشار سلمان عليه بالخندق فأمر بحفره، وعمل فيه بنفسه، وعمل فيه المسلمون[3].

---

(١) اختصر الخبر الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٥٢٣ وقال: كان الخندق أوّل مشهد شهده سلمان مع النبيّ وهو حرّ. وفي الدرجات الرفيعة: ٢٠٥ عن شواهد النبوّة قال: كان سلمان في الرقّ ففاته بدر وأحد حتّى عتق في السنة الخامسة من الهجرة.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٧٧.

(٣) الإرشاد ١: ٩٥، وأشار إلى مشورة سلمان في إعلام الورى ١: ١٩١ ومناقب آل أبي ←

وقال الواقدي : فحين أخبروه بفصول قريش ندب رسول الله الناس وأخبرهم الخبر وأمرهم بالجدّ والجهاد ووعدهم النصر إن هم صبروا واتّقوا وأمرهم بطاعة الله ورسوله. وكان رسول الله يكثر مشاورتهم في الحروب. فشاورهم فقال : أنبرز لهم من المدينة ؟ أم نكون فيها ونخندقها (كذا) علينا ؟ أم نكون قريباً ونجعل ظهورنا إلى هذا الجبل ؟ فاختلفوا. فقالت طائفة : نكون ممّا يلي بُعاث إلى ثنيّة الوداع إلى الجرف[1].

فقال سلمان : يا رسول الله، إنّا إذ كنّا بأرض فارس وتخوّفنا الخيل خندقنا علينا، فهل لك ـ يا رسول الله ـ أن تُخندق ؟

فأعجب رأي سلمان المسلمين.

فركب رسول الله فرساً له ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار فارتاد موضعاً ينزله، فكان أحسب المنازل فيه أن يجعل سَلْعاً[2] خلف ظهره

←

الطالب ١ : ١٩٧ وابن هشام ٣ : ٢٣٥ واليعقوبي ٢ : ٥٠ والمسعودي في التنبيه والاشراف ٢١٦.

(١) وانظر في خبر حنين البحث عن ثنية الوداع هل كانت قبل خيبر في السنة السابعة.

(٢) جبل سَلْع ويُسمى أيضاً جبل ثواب، في الشمال الغربي للمسجد النبوي الشريف بخمسمائة متر تقريباً قريباً من مسجد السبق باتجاه المساجد السبعة، وقد غطت المنازل العربية أغلب جهاته ويمكن الصعود اليه من ممر ضيق بين عمارتي جوهرة أم القرى وجوهرة المدينة، وعليه كهف لا يزال حتى اليوم يعرف بكهف بني حرام، قيل : إنّ النبي ﷺ كان يبيت فيه محروساً أيام غزوة الخندق، كما في الدر الثمين : ٢٣٣ ومقال عبد الرحمن خويلد في مجلة الميقات ٤ : ٢٥٦ وانظر فيها : ٢٥٩ فيه : انه ﷺ ضُربت له قبة في الأيام الاولى من حفر الخندق على جُبيل الراية خلف محطة الزغيبي للبنزين شمال المسجد النبوي الشريف.

←

وخندق من المَذاد[1] إلى ذُباب إلى راتج[2].

واستعاروا من بني قريظة آلة كثيرة من مساحي وكرازين ومكاتل[3] يحفرون بها الخندق، وكان بنو قريظة يومئذٍ سلماً للنبيّ ﷺ ويكرهون قدوم قريش.

ووكّل رسول الله بكلّ جانبٍ من الخندق قوماً يحفرونه: فكان المهاجرون يحفرون من جانب راتج إلى ذُباب، وكانت الأنصار تحفر من ذُباب إلى جبل بني عبيد. وكان سائر المدينة مشبّكاً بالبنيان[4].

وروى عن ابن كعب القرظي قال: كان الخندق الذي خندق رسول الله ما بين جبل بني عبيد إلى راتج[5]. قالوا: وكان الخندق ما بين جبل بني عبيد بخُربى إلى راتج، فكان للمهاجرين من ذُباب إلى راتج، وكان للأنصار ما بين ذباب إلى خُربى. وخندقت بنو عبد الأشهل عما يلي راتج إلى خلفها حتى جاء الخندق من وراء المسجد. وخندقت بنو عبد الأشهل بما يلي راتج إلى خلفها حتى جاء الخندق من وراء المسجد، وخندقت بنو دينار من عند خُربى إلى موضع دار ابن أبي الجنوب (اليوم) وشبّكوا المدينة بالبنيان من كلّ ناحية فهي كالحصن[6].

←

بكيلومتر وثلاثمئة متر. وفي موضع القبة اليوم مسجد يُسمى مسجد الراية وقال السمهودي: هو جبل معروف بسوق المدينة. وفاء الوفاء ٢: ٣٢٤.

(١) المذاد: اسم أطم لبني حرام من بني سلمة غربيّ مسجد الفتح. وفاء الوفاء ٢: ٣٧٠.

(٢) راتج: هو جبل غربي بطحان إلى جنب جبل بني عبيد. وفاء الوفاء ٢: ٣١٠.

(٣) جموع المسحاة والكِرْزِن والمكتل. وهي: المجرفة والفأس والزبيل الكبير.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٤٤٥ و٤٤٦.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٤٥١.

(٦) مغازي الواقدي ٢: ٤٥٠.

وقال القمي: فأمر رسول الله بحفره من ناحية أُحد إلى راتج، وجعل على كلّ عشرين خطوة وثلاثين خطوة قوماً من المهاجرين والأنصار يحفرونه[1].

رجز النبيّ والمسلمين:

قال القمي: وبدأ رسول الله فأخذ معولاً فحفر في موضع المهاجرين بنفسه، وأمير المؤمنين عليه السلام ينقل التراب من الحفرة، حتّى عرق رسول الله وعيي، فلمّا نظر الناس إلى رسول الله يحفر اجتهدوا في الحفر ونقل التراب[2].

وروى الواقدي بسنده قال: كان المهاجرون والأنصار يحفرون والنساء يحملون التراب على رؤوسهم في المكاتل، فيجعلونه ممّا يلي النبيّ وأصحابه، حتّى صارت الخندق قامة؛ وكانوا يأتون بالحجارة من جبل سَلْع فيسطرونها ممّا يليهم كأنّها أكوام تمر، فكانت من أعظم سلاحهم[3].

وجعل رسول الله يعمل معهم في الخندق لينشّط المسلمين، فعملوا يعملون مستعجلين يبادرون قدوم العدو عليهم[4] وكان رسول الله يحمل التراب في المكتل يطرحه، ويقول:

هذا الجمال لا جمال خيبر ... هذا أبرّ ربّنا وأطهر

فجعل المسلمون يرتجزون وإذا رأوا من الرجل فتوراً ضحكوا منه[5]

وقال رسول الله يومئذ: لا يغضب أحدٌ ممّا قال صاحبه لا يريد بذلك

(١) تفسير القمي ٢: ١٧٧

(٢) تفسير القمي ٢: ١٧٧

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٤٤٦

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٤٤٥

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٤٤٦

سوءاً، ولكنّه عزم على حسّان بن ثابت وكعب بن مالك أن لا يقولا شيئاً.

وغيّر النبيّ اسم جُعيل بن سراقة إلى عمرو فجعلوا يرتجزون له يقولون:

سمّاه من بعد جُعيل عمراً ... وكان للبائس يوماً ظهراً[1]

فكان رسول الله يشاركهم في أعجاز أرجازهم يقول: عمراً، ظهراً[2].

وروى عن البراء بن عازب قال: رأيت رسول الله يومئذٍ في حلّة حمراء، وكان أبيض شديد البياض كثير الشعر يضرب الشعر منكبيه، ولقد رأيته يومئذٍ يحمل التراب على ظهره حتّى حال الغبار بيني وبينه.

وروى عن أبي سعيد الخدري قال: رأيت رسول الله يحفر الخندق مع المسلمين والتراب على صدره وهو يقول:

لاهمّ لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدّقنا ولا صلّينا[3]

وجعلت الأنصار ترتجز وتقول:

نحن الذين بايعوا محمّدا ... على الجهاد ما بقينا أبدا

فقال النبيّ ﷺ:

لاهمّ لا خير إلّا خير الآخرة ... فاغفر للأنصار وللمهاجرة

أو قال:

لاهمّ إنّ العيش عيش الآخرة ... فاغفر للأنصار وللمهاجرة

لاهمّ والعن عضلاً والقارة ... هم كلّفوني أنقل الحجارة[4]

---

(١) ورواه ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٢٧.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٤٤٧ و٤٤٨.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٤٤٩.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٤٥٣.

وفي سلمان الفارسي:

قال: وكان سلمان الفارسيّ قوياً عارفاً بحفر الخندق. وروى بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: جعلوا لسلمان خمسة أذرع طولاً وعرضاً، فما مرّ حتى فرغ منه وحده وهو يقول: اللهم لا عيش إلّا عيش الآخرة. فتنافس الناس فيه فقال المهاجرون: سلمان منّا! وقالت الأنصار: هو منّا ونحن أحقّ به! فبلغ رسول الله قولهم فقال: «سلمان رجل منّا أهل البيت»[1]. ولقد كان يعمل عمل عشرة رجال حتى أصابته عين قيس بن أبي صعصعة فسقط إلى الأرض، فبلغ ذلك رسول الله فقال: مروه فليتوضّأ ـ أو ليغتسل ـ ويكفأ الإناء خلفه ففعل فكأنّما حلّ من عقال[2].

وتفأل الرسول بالنصر

قال القمي: ولمّا كان في اليوم الثاني بكّروا إلى الحفر وقعد رسول الله في «مسجد الفتح»[3].

فروى الكليني في «روضة الكافي» عن أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي عن الصادق عليه السلام قال: إنّهم مرّوا بكُدْية[4] فتناول رسول الله المعول من يد

---

(١) ورواه الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٥٣٢ عن الحافظ البيهقي في دلائل النبوّة، وابن هشام في السيرة ٣: ٢٣٥.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٤٤٦ و٤٤٧.

(٣) أي في مكانه الذي بُني بعد ذلك مسجداً وسُمّي مسجد الفتح، لحصول الفتح بدعاء الرسول فيه.

(٤) الكدية: الصخرة الصلبة التي لا تعمل فيها المعاول شيئاً ـ مجمع البحرين ١: ٣٥٦.

سلمان ﷺ فضرب بها ضربة، فانصدعت ثلاث فِلق، فقال رسول الله: لقد فُتح عليّ في ضربتي هذه كنوز كسرى وقيصر!

فقال أحدهما لصاحبه: يَعِدُنا بكنوز كسرى وقيصر، وما يقدر أحدنا أن يخرج يتخلّى![1]

وذكر القمي الخبر بتفصيلٍ أكثر قال: قال جابر: فجئت إلى المسجد ورسول الله مستلقٍ على قفاه ورداؤه تحت رأسه وقد شدّ على بطنه حجراً، فقلت: يا رسول الله، إنّه قد عرض لنا جبل لم تعمل المعاول فيه.

فقام مسرعاً حتّى جاء، ثمّ دعا بماء في إناء فغسل وجهه وذراعيه ومسح على رأسه ورجليه (توضّأ) ثمّ شرب ومجّ من ذلك الماء ثمّ صبّه على الحجر، ثمّ أخذ معولاً فضرب ضربة فبرقت برقة فنظرنا فيها إلى قصور الشام، ثمّ ضرب أُخرى فبرقت برقة نظرنا فيها إلى قصور المدائن، ثمّ ضرب أُخرى فبرقت برقة أُخرى نظرنا فيها إلى قصور اليمن. فقال رسول الله: أما إنّه سيفتح الله عليكم هذه المواطن التي برقت فيها البرق. ثمّ انهال علينا الجبل كما ينهال الرمل[2].

واختصره الطبرسي في «إعلام الورى»[3] ثمّ روى عن سلمان الفارسي قال: ضربت في ناحية من الخندق، فعطف عليّ رسول الله وهو قريب منّي، فلمّا رآني أضرب ورأى شدّة المكان عليّ، نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة فلمعت تحت المعول برقة، ثمّ ضرب أُخرى فلمعت تحت المعول برقة

---

(١) روضة الكافي: ١٨٢ ح ٢٦٤.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٧٨. وذكر الخبر ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٢٨، والواقدي ٢: ٤٥٢ من دون ذكر البرقة.

(٣) إعلام الورى: ١١٠ واختصرها الحلبي المازندراني في مناقب آل أبي طالب ١: ١١٩.

أخرى، ثمّ ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمّي ما هذا الذي رأيت؟ فقال: أمّا الأولى فإنّ الله فتح عليّ بها اليمن، وأمّا الثانية فإنّ الله فتح بها عليّ الشام والمغرب، وأمّا الثالثة فإنّ الله فتح بها عليّ المشرق[1].

ونقل في تفسيره عن تفسير الثعلبي و«المستدرك» للحاكم بسنده عن عمرو بن عوف قال: كنت أنا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن وستّة من الأنصار نقطع أربعين ذراعاً، فحفرنا حتّى إذا بلغنا الثرى أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدوّرة فكسرت حديدنا وشقّت علينا، فقلنا لسلمان: يا سلمان ارق إلى رسول الله فأخبره عن الصخرة، فإمّا أن نعدل عنها فإنّ المعدل قريب، وإمّا أن يأمرنا فيها بأمره فإنّا لا نحبّ أن نجاوز خطّه.

فرقى سلمان حتّى أتى رسول الله وهو مضروب عليه قبّة ـ فقال: يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء من الخندق مدوّرة فكسرت حديدنا وشقّت علينا حتى ما نحكّ فيها قليلٌ ولا كثير، فمرنا بأمرك.

فهبط رسول الله مع سلمان في الخندق وأخذ المعول وضرب به ضربة فلمعت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها[2] حتّى لكأنّها مصباح في جوف بيت مظلم، فكبّر رسول الله تكبيرة فتح، فكبّر المسلمون، ثمّ ضرب ضربةً أخرى فلمعت برقةٌ أخرى، ثمّ ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى، فقال سلمان: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ما هذا الذي أرى؟

فقال: أمّا الأولى فإنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ فتح عليّ بها اليمن، وأمّا الثانية فإنّ

---

(١) إعلام الورى ١: ١٩٠ واختصرها المتّقي المازندراني في مناقب آل أبي طالب ١: ١١٩.

(٢) اللابة: الحرّة، وهي الأرض ذات الحجارة السود قد ألبستها لكثرتها، والمدينة بين حرّتين.

لله فتح عليّ بها الشام والمغرب، وأمّا الثالثة فإنّ الله فتح عليّ بها المشرق. فاستبشر المسلمون بذلك وقالوا: الحمد لله موعد صادق[1].

من دلائل النبوّة:

روى القمي في تفسيره عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لمّا رأيت الحجر على بطن رسول الله علمت أنّه مُغوى (أي جائع) فقلت: يا رسول الله، هل لك في الغداء؟ قال: ما عندك يا جابر؟ قلت: عَناق[2] وصاع[3] من شعير فقال: تقدّم وأصلح ما عندك.

قال: فجئت إلى أهلي فأمرتها فطحنت الشعير، وذبحت العنز وسلختها وأمرتها أن تخبز وتطبخ وتشوي. فلمّا فرغت من ذلك جئت إلى رسول الله فقلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله قد فرغنا، فاحضر مع من أحببت

فقام إلى شفير الخندق ثمّ قال:

معاشر المهاجرين والأنصار، أجيبوا جابراً

ثمّ لم يمر بأحدٍ من المهاجرين والأنصار إلّا قال: أجيبوا جابراً، وكان في الخندق سبعمئة رجل، فخرجوا كلّهم!

فتقدّمت وقلت لأهلي: والله لقد أتاك محمّد رسول الله بما لا قِبل لك به!

فقالت: أعلمته أنت بما عندنا؟ قلت: نعم. قالت: فهو أعلم بما أتى به

---

(١) مجمع البيان ٨: ٧٢٧ و٤٢٨ ونقل خبر جابر الأنصاري عن دلائل النبوّة للبيهقي، وروى خبر سلمان ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٣٠ والواقدي ٢: ٤٥٠ ونسبة الضربة الأولى إلى عمر بن الخطّاب، رواية عن عمر بن الحكم

(٢) أنثى ولد المعز قبل الحول

(٣) يساوي ٢,٧ كيلو غرام

قال جابر: فدخل رسول الله فنظر في القدر ثمّ قال: اغرفي وابقي، ثمّ نظر في التنور فقال: أخرجي وأبقي، ثمّ دعا بصحفة فثرد فيها وغرف ثمّ قال: يا جابر أدخل عليّ عشرة. فأدخلت عشرة فأكلوا حتّى نهلوا وما يُرى في القصعة إلّا آثار أصابعهم. ثمّ قال: يا جابر، عليّ بالذراع فأتيته بالذراع فأكلوه. ثمّ قال: أدخل عليّ عشرة، فدخلوا فأكلوا حتّى نهلوا وما يُرى في القصعة إلّا آثار أصابعهم. ثمّ قال: عليّ بالذراع فأكلوا وخرجوا. ثمّ قال: أدخل عليّ عشرة فأدخلتهم فأكلوا حتّى نهلوا ولم يُر في القصعة إلّا آثار أصابعهم. ثمّ قال: يا جابر عليّ بالذراع فأتيته وقلت: يا رسول الله كم للشاة من ذراع؟ قال: ذراعان. فقلت: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً لقد أتيتك بثلاثة! فقال: أما لو سكتّ يا جابر لأكل الناس كلّهم من الذراع!

قال جابر: فأقبلت أُدخل عشرة عشرة فيأكلون حتّى أكلوا كلّهم وبقي والله لنا من ذلك الطعام ما عشنا به أيّاماً[1].

وروى الحلبيّ المازندراني في «المناقب» قال: رأى ﷺ يوم الخندق عمرة بنت رواحة تذهب بتميرات إلى أبيها، فقال لها: اجعليها على يدي فجعلته، ثمّ جعلها على نطع فجعل يربو حتّى أكل منه كلّهم[2].

---

(1) تفسير القمي ٢: ١٧٨ و١٧٩ واختصره الطبرسي في إعلام الورى ١: ١٨٠ وأشار إليه في ١٩١ وفي مجمع البيان ٨: ٥٣٥ عن البخاري ٥: ١٠٩ ونقله المازندراني عن البخاري أيضاً في مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٣ ورواه ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٢٩ ومغازي الواقدي ٢: ٤٥٢.

(2) مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٢ وأجمل الخبر قبله شيخه القطب الراوندي في «الخرائج» قال: أصاب أصحاب النبيّ مجاعة في الخندق، فدعا بكفّ من تمر وأمر بثوب فبُسط فألقى

وروى الصدوق في «عيون أخبار الرضا» بسنده عنه عن عليّ عليه السلام قال: كنّا مع النبيّ صلى الله عليه وآله في حفر الخندق، إذ جاءته فاطمة ومعها كسيرة من خبز فدفعتها إلى النبيّ، فقال: ما هذه الكسيرة؟ قالت: قرص خبزته للحسن والحسين جئتك منه بهذه الكسيرة! فقال النبيّ: أما إنّه أوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث[1].

قال القمي: وحفر رسول الله الخندق وفرغ منه قبل قدوم قريش بثلاثة أيام، وجعل على كلّ بابٍ (منه) رجلاً من المهاجرين ورجلاً من الأنصار مع جماعة يحفظونه[2].

واستعرض رسول الله الغلمان قال الواقدي: فكان ممن أجازه يومئذٍ البراء

ذلك التمر عليه، ثم أمر منادياً ينادي في الناس: هلمّوا إلى الغداء، فاجتمعوا وأكلوا وصدروا والتمر يخرج من أطراف الثوب ـ كما عنه في بحار الأنوار ٢٠: ٢٤٧.

ونقل ابن إسحاق تفصيل الخبر في سيرته ٣: ٢٢٨ عن أخت النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري قالت: دعتني أمّي عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي وقالت لي: اذهبي بهذا غداءً لأبيك وخالك. فأخذتها وانطلقت بها فمررت برسول الله وأنا ألتمس أبي وخالي، فقال لي: تعالي يا بنيّة ما هذا معك؟ فقلت: هذا تمر، بعثتني به أمّي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة. قال: هاتيه. فصببته في كفّي رسول الله فما ملأتهما، فأمر بثوب فبسط له ثمّ دحا بالتمر عليه فتبدّد فوق الثوب، ثمّ قال لإنسانٍ عنده: اصرخ في أهل الخندق أن هلمّ إلى الغداء، فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتّى صدر أهل الخندق عنه وإنّه ليسقط من أطراف الثوب.

(1) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٤٠.

(2) تفسير القمي ٢: ١٧٩.

ابن عازب وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وكلّهم أبناء خمس عشرة سنة[1]

قال: وكان زيد بن ثابت فيمن ينقل التراب مع المسلمين ثمّ غلبته عيناه فرقد على شفير الخندق حتى أخذ سلاحه سيفه وقوسه وتُرسه عُمارة بن حزم وهو مع المسلمين الذين يطيفون بالخندق يحرسونه وتركوا زيداً نائماً، ففزع وقد فقد سلاحه، حتى بلغ ذلك رسول الله، فدعا زيداً فقال له: يا أبا رُقاد! نمت حتى ذهب سلاحك؟! ثمّ قال: من له علم بسلاح هذا الغلام؟ فقال عُمارة بن حزم: أنا يا رسول الله وهو عندي. فقال: فردّه عليه. ثمّ نهى النبيّ أن يُروَّع مسلم أو يؤخذ متاعه جادّاً أو لاعباً[2]

وصول الأحزاب

قال القمي في تفسيره: وفرغ رسول الله من حفر الخندق قبل قدوم قريش بثلاثة أيّام، وقدمت قريش وكنانة وسُليم وهلال فنزلوا الرغابة ... ووادي العقيق[3] وفي عددهم قال: فوافوا في عشرة آلاف[4]

وقال الطبرسي في تفسيره: وأقبلت قريش حتّى نزلت بين الجُرُف والغابة[5] في عشرة آلاف منهم وممّن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة. وأقبلت

(١) مغازي الواقدي ٢: ٤٥٣.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٤٤٨.

(٣) تفسير القمي ٢: ١٧٩ وكذلك في الواقدي ٢: ٤٤٤.

(٤) تفسير القمي ٢: ١٧٦ و١٧٧.

(٥) الجُرُف: على ثلاثة أميال (٥ كم) من المدينة نحو الشام. والغابة من المدينة نحو جبل سَلْع قريبة بمسافة أميال (١٥ كم) وهو أبعد عن الخندق بكثير، فالصحيح ما مرّ عن القمي ... كما في الواقدي ٢: ٤٤٤ وكما في الروض الأنف للسهيلي وبهامش السيرة ٣: ٢٣٠ عنه.

غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب أُحد[1].

وهم المعنيّون بقوله ـ سبحانه ـ في سورة الأحزاب: **﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود ﴾** قال الطوسي في «التبيان»: يعني يوم الأحزاب وهو يوم الخندق، حيث اجتمعت العرب على قتال النبيّ، قريش وغطفان وبنو قريظة وتظاهروا على ذلك **﴿ إذ جاؤوكم من فوقكم ﴾** وهم عيينة بن حصن في أهل نجد **﴿ ومن أسفل منكم ﴾** وهم أبو سفيان في قريش وواجهتهم قريظة[2].

وقال الطبرسي في «مجمع البيان»: «إذ جاؤوكم من فوقكم» أي من فوق الوادي من قبل المشرق: قريظة والنضير وغطفان «ومن أسفل منكم» أي من قبل المغرب من ناحية مكّة: أبو سفيان في قريش ومن تبعه[3].

وقال الواقدي: كان جميع القوم الذين وافوا الخندق عساكر ثلاثة، وعناج[4] الأمر إلى أبي سفيان. فنزلت قريش في أحابيشها ومن ضوى إليها من العرب برُومة ووادي العقيق[5] ونزلت غطفان بالزغابة إلى جانب أُحد.

وكان الناس قد حصدوا قبل قدومهم بشهر فقدموا وليس في الوادي زرع بل كانت المدينة حين قدموا جديبة. فجعلت قريش تسرّح ركابها في وادي العقيق وليس هناك شيء للخيل إلّا ما حملوه من علف الذرة. وسرّحت غطفان

(١) مجمع البيان ٨: ٥٣٥، والمصادر كما في سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق ٣: ٢٣٠ و٢٣١ وقال المازندراني في المناقب ١: ١٩٧ فكانوا ثمانية عشر ألف رجل. وقال المسعودي في التنبيه والإشراف: ٢١٦ فكان عدّة الجميع أربعة وعشرين ألفاً.

(٢) التبيان ٨: ٣٢٠.

(٣) مجمع البيان ٨: ٥٣٢.

(٤) مرّ معناه في الصفحة ٤٦٩ الهامش ٤.

(٥) أرض بالمدينة بين الجُرْف وزُغابة ـ معجم البلدان ٤: ٢٣٦.

إبلهم في الجُرُف إلى الغابة في أثلها وطَرَفائها وعضاهها والأتبان، فكادت إبلهم تهلك من الهزال(١)

رسول الله والمسلمون:

قال الطبرسي: وخرج رسول الله والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هناك عسكره، والخندق بينه وبين القوم. وأمر بالذراري والنساء فرُفعوا في الحصون(٢).

وروى الواقدي قال: نزل رسول الله دُبُرَ سَلْع فجعله خلف ظهره، والخندق أمامه فكان عسكره هناك، وضرب قبّة من أدَم عند المسجد الأعلى بأصل الجبل، وكان يعقب بين نسائه: عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش، وسائر نسائه في حصن بني حارثة(٣).

نقض بني قريظة:

قال القمي في تفسيره: كان بنو قريظة في حصنهم قد تمسّكوا بعهد رسول الله ﷺ لهم، فلمّا أقبلت قريش ونزلت العقيق جاء حُيَيّ بن أخطب في جوف الليل إلى حصنهم ودقّ باب الحصن، فلمّا سمع كعب بن أسد قرع الباب قال لأهله: هذا أخوك قد شأم قومه وجاء الآن يشأمنا ويهلكنا ويأمرنا بنقض العهد

---

(١) الواقدي ٢: ٤٤٤.

(٢) مجمع البيان ٨: ٥٣٥ ونظيره في ابن هشام ٣: ٢٣١. وقد روى الكليني في فروع الكافي عن شهر بن حوشب أنّه روى للحجّاج عن الصادق ﷺ أنّه قال: عهد رسول الله الخندق في السنة ١: ٢٤٠.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٤٥٤.

بيننا وبين محمّد، وقد وفى لنا محمّد وأحسن جوارنا. ثمّ نزل إليه من غرفته وقال له: من أنت؟ قال: حُييّ بن أخطب قد جئتك بعزّ الدهر! قال كعب: بل جئتني بذلّ الدهر! قال: يا كعب، هذه قريش في قادتها وسادتها قد نزلوا بالعقيق مع حلفائهم من كنانة، وهذه فزارة مع قادتها وسادتها قد نزلت الزغابة، وهذه سُليم وغيرهم قد نزلوا حصن بني ذُبيان، ولا يفلت محمّد وأصحابه من هذا الجمع أبداً! فافتح الباب وانقض العهد الذي بينك وبين محمّد!

فقال كعب: لستُ بفاتح لك! ارجع من حيث جئت!

فقال حُييّ: ما يمنعك من فتح الباب إلّا جشيشتك[1] التي في التنور تخاف أن أشركك فيها، فافتح، فإنّك آمن من ذلك.

فقال له كعب: لعنك الله، قد دخلت عليّ من بابٍ ضيّق. افتحوا له، ففتحوا له الباب، فقال: يا كعب، انقض العهد الذي بينك وبين محمّد ولا تردّ رأيي، فإنّ محمّداً لا يفلت من هذا الجمع أبداً، فإن فاتك هذا الوقت فلا تدرك مثله أبداً.

ثمّ اجتمع إليه كلّ من كان في الحصن من رؤسائهم مثل غزّال بن شموأل، وياسر بن قيس، ورفاعة بن زيد، والزُّبير بن باطا. فقال لهم كعب: ما ترون؟ قالوا: أنت سيّدنا والمطاع فينا وأنت صاحب عهدنا، فإن نقضت نقضنا وإن أقمت أقمنا معك، وإن خرجت خرجنا معك.

وكان الزُّبير بن باطا شيخاً مجرّباً كبيراً قد ذهب بصره فقال: قد قرأت التوراة التي أنزلها الله في سفرنا بأنه يبعث نبيّاً في آخر الزمان، يكون مخرجه بمكّة ومهاجرته بالمدينة إلى البحيرة، يركب الحمار العاري ويلبس الشملة، ويجتزىء بالكسيرات والتميرات، وهو الضحوك القتّال، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوّة، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقاه يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر.

---

(١) الجشيش: طعام يصنع من الشعير الجريش أو البُرّ المطحون خشناً.

فإن كان هذا هو فلا يهولنّك هؤلاء وجمعهم، ولو ناوته هذه الجبال الرواسي لغلبها!

فقال حُيَيّ: ليس هذا ذلك، ذلك النبيّ من بني إسرائيل وهذا من العرب من ولد إسماعيل، ولا يكون بنو إسرائيل أتباعاً لولد إسماعيل أبداً! لأنّ الله قد فضّلهم على الناس جميعاً وجعل فيهم النبوّة والملك، وقد عهد إلينا موسى أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، وليس مع محمّد آية، وإنّما جمعهم جمعاً وسحرهم ويريد أن يغلبهم بذلك.

فلم يزل يقلبهم عن رأيهم حيّ أجابوه، فقال لهم: أخرجوا الكتاب الذي بينكم وبين محمّد، فأخرجوه، فأخذه حُيَيّ بن أخطب ومزّقه وقال: لقد وقع الأمر، فتجهّزوا وتهيّأوا للقتال.

ورجع حيي بن أخطب إلى أبي سفيان وقريش فأخبرهم بنقض بني قريظة العهد بينهم وبين رسول الله ﷺ، ففرحت قريش بذلك[1].

تبيّن الخبر

وبلغ رسولَ الله ذلك فغمّه غمّاً شديداً وفزع أصحابه، فقال رسول الله لسعد بن مُعاذ وأُسيد بن حُضير[2] ـ وكانا من الأوس وكانت بنو قريظة حلفاء الأوس ـ: إئتيا بني قريظة فانظروا ما صنعوا؟ فإن كانوا نقضوا العهد فلا تُعلما أحداً بذلك إذا رجعتما إليّ، وقولا: عضَل والقارّة.

(١) تفسير القمي ٢: ١٧٩ ـ ١٨١ ومجمع البيان ٨: ٥٣٥ و٥٣٦ وهي فيه عبارة ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٣١ و٢٣٢ والواقدي عن ابن كعب القرظي أكثر تفصيلاً ٢: ٤٥٤ ـ ٤٥٧.

(٢) ذكرهما الواقدي ٢: ٤٥٨ وزاد سعد بن عُبادة، ثمّ روى رواية أخرى فيها إضافة خوّات بن جبير وعبد الله بن رواحة ثمّ قال: والأوّل أثبت عندنا. والثانية هي رواية ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٣٢.

وذلك أنّه كان عضلٌ والقارة قبيلتين من العرب دخلتا في الإسلام ثمّ غدرتا، فكان إذا غدر أحد ضُرب بهما المثل فقيل: عضل والقارة.

فجاء سعد بن مُعاذ وأُسيد بن حضير إلى باب الحصن، فأشرف عليهما كعب من الحصن فشتم سعداً وشتم رسول الله ﷺ!

قال له سعد: إنّما أنت ثعلب في جُحر! لتولّينّ قريش، وليحاصرنّك رسول الله ولينزلنّك على الصغَر والقماءِ، ولنضربنّ عنقك!

ثمّ رجعا إلى رسول الله فقالا: عضَل والقارة.

فقال رسول الله: لعنهم الله[1].

أو قال: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين.

تبيّن النفاق:

وعظم عند ذلك البلاء واشتدّ الخوف، وأتاهم العدوّ من فوقهم ومن أسفل منهم، حتّى ظنّ المسلمون كلّ ظنّ، وظهر النفاق من بعض المنافقين.

حتّى قال مُعتّب بن قُشير من بني عمرو بن عوف: كان محمّد يَعِدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط![2].

وحتّى قال أوس بن قَيظيّ من بني حارثة: يا رسول الله، إنّ بيوتنا عورة

---

(١) تفسير القمّي ٢: ١٨١ وقريب منه في ابن هشام ٣: ٢٣٢ والواقدي ٢: ٤٥٨ أكثر تفصيلاً.

(٢) ومع ذلك قال ابن هشام: قال بعض أهل العلم: لم يكن معتّب من المنافقين! واحتجّ بأنّه كان من أهل بدر! ورواه الواقدي عن ابن كعب القرظي ٢: ٤٥٩ و٤٦٠.

للعدو فإنّها خارجة عن المدينة فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دورنا .

فكانوا كما قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنّون بالله الظنونا * هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً * وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً * وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مُقام لكم فارجعوا ويستأذن فريقٌ منهم النبيّ يقولون إنّ بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلاّ فراراً * ولو دُخلت عليهم من أقطارها ثمّ سُئلوا الفتنة لأتوها وما تلبّثوا بها إلاّ يسيراً * ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولّون الأدبار وكان عهد الله مسؤولاً * قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تُمتّعون إلاّ قليلاً * قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليّاً ولا نصيراً * قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلُمّ إلينا ولا يأتون البأس إلاّ قليلاً * أشحّةً عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يُغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنةٍ حِدادٍ أشحّةً على الخير أُولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً * يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودّوا لو أنّهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلاّ قليلاً * لقد كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً * ولمّا رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلاّ إيماناً وتسليماً * من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً * ليجزي الله

---

(١) ابن هشام ٣: ٢٣٣ ، والواقدي ٢: ٤٦٣ أكثر تفصيلاً.

الصادقين بصدقهم ويعذّب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إنّ الله كان غفوراً رحيماً * وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويّاً عزيزاً ﴾[1].

توهين للمشركين واختبار للمسلمين:

قال القاضي النعمان المصري: ولمّا صار المسلمون إلى حيث وصفهم الله ـ عزّ وجلّ ـ في كتابه بقوله: ﴿ إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنّون بالله الظنونا * هنالك ابتُلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً * وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ ما وعدنا الله ورسوله إلّا غروراً ﴾[2] ولما رأه النبيّ من جزع المسلمين ومن المنافقين وما تخوّفه من أن يكون المكروه أرسل إلى عُيينة بن حصن فبذل له ثلث ثمرة المدينة في ذلك العام على أن يرجع عنه بغطفان ولم ينعقد بين رسول الله وبين عُيينة بن حصن في ذلك عقد[3].

وقال المفيد في «الإرشاد»: بعث إلى عُيينة بن حصن، والحارث بن عوف المرّي، وهما قائدا غطفان، يدعوهم إلى صلحه والكفّ عنه والرجوع بقومهما عن حربه، على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة.

واستشار سعد بن مُعاذ وسعد بن عُبادة فيما بعث به إلى عيينة والحارث فقالا: يا رسول الله، إن كان هذا الأمر لا بدّ لنا من العمل به لأنّ الله أمرك فيه بما صنعت والوحي جاءك، فافعل ما بدا لك. وإن كنت تختار أن تصنعه لنا كان

---

(١) الأحزاب: ١٠ ـ ٢٥.

(٢) الأحزاب: ١٠ ـ ١٢.

(٣) شرح الأخبار ١: ٢٩٣.

لنا فيه رأي؟

فقال ـ عليه وآله السلام ـ: لم يأتني وحي، ولكنّي رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وجاؤوكم من كلّ جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ مّا.

فقال سعد بن مُعاذ: قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعرف الله ولا نعبده، ونحن لا نطعمهم من تمرنا إلّا قِرىً أو بيعاً، والآن حين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا به وأعزّنا بك، نعطيهم أموالنا؟! ما بنا إلى هذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلّا السيف حتّى يحكم الله بيننا وبينهم!

فقال رسول الله: الآن قد عرفت ما عندكم، فكونوا على ما أنتم عليه، فإنّ الله تعالى لن يخذل نبيّه ولن يسلمه حتّى ينجز له ما وعده.

ثمّ قام رسول الله ﷺ في المسلمين يدعوهم إلى جهاد العدو، ويشجّعهم ويعدهم النصر من الله تعالى[1].

مبارزة عمرو لعليّ عليه السلام:

قال القاضي النعمان المصري: وجعل المشركون ينظرون إلى الخندق فيتهيّبون القدوم عليه ولم يكونوا قبل ذلك رأوا مثله، فجعلوا يدورون حوله بعساكرهم وخيلهم ورجلهم، ويدعون المسلمين: ألا هلمّ للقتال والمبارزة

---

(1) الإرشاد ١: ٩٥، ٩٦، وهي ألفاظ ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٣٤، عن الزهري، من دون جواب رسول الله الأخير. وفي المغازي للواقدي ٢: ٤٧٧ عن الزهري عن سعيد بن المسيّب بتفصيل أكثر، وفي أوّله: حُصر رسول الله وأصحابه بضع عشرة ليلة حتى خلُص إلى كلّ امرئٍ منهم الكرب... فبينا هم على ذلك الحال إذ أرسل رسول الله إلى عُيينة بن حصن، وإلى الحارث بن عوف...

والمسلمون قد عسكروا في الخندق وأمرهم رسول الله فأظهروا العُدّة ولبسوا السلاح ووقفوا في مواقفهم ولزموا مواضعهم، فلا يجيبون أحداً من المشركين ولا يردّون عليهم شيئاً.

وأقاموا على ذلك شهراً لم يكن بينهم قتال إلّا نضح بالنبل ورميٌ بالحجارة من وراء الخندق[1] فلمّا طال ذلك بهم وتعذّرت أزوادهم اجتمعوا وندبوا من ينتدب منهم إلى اقتحام الخندق على رسول الله ﷺ.

فانتدب لذلك منهم (رجال أبطال) وكان أشدّ من فيهم وأنجدهم عمرو بن عبد ودّ[2] يعرف له ذلك جميعهم، وكان قد شهد بدراً مع المشركين وأُثخن جراحة ونجا بنفسه فيمن نجا، ولم يشهد أُحداً، فأراد أن يبيّن بنفسه وأنّه من أبطال قريش، فتعلّم بعلامة ليشهر نفسه.

وجاء القوم إلى الخندق فمشوا حوله حتى أتوا إلى موضع ضيّق منه فأقحموا خيلهم فيه فدخلوا، ووقف الجميع من وراء الخندق ينتظرون ما يكون منهم، وثبت الناس في معسكرهم حسبما أمرهم الرسول به، ولما تداخلهم من الخوف وما عاينوه من الجموع[3].

وقال القمي في تفسيره: وإنّ عمرو بن عبد ودّ وهُبيرة بن وهب، وضرار

---

(1) وفي إعلام الورى ١ : ٩٢: وأقبلت الأحزاب إلى النبيّ ﷺ فهال المسلمين أمرهم، فنزلوا ناحية من الخندق وأقاموا بمكانهم بضعاً وعشرين ليلة لم يكن بينهم حرب إلّا الرمي بالنبل والحصى. وكذلك في مجمع البيان ٨ : ٥٣٦ عن أصحاب السير.

(2) ودّ: اسم صنم بني عامر عشيرة عمرو، وجاء اسمه في سورة نوح ﴿وقالوا لا تذرُنّ آلهتكم، ولا تذرُنّ ودّاً ولا سُواعاً...﴾ نوح: ٢٣.

(3) شرح الأخبار ١ : ٢٩٢ و٢٩٣ وقريب منه في مجمع البيان ٨ : ٥٣٧ عن أصحاب السير. وانفرد اليعقوبي ١ : ٥١: أنّ البراز كان في اليوم الخامس.

ابن الخطّاب[1] إلى الخندق، فصاحوا بخيلهم حتّى طفروا الخندق إلى جانب رسول الله، وركز عمرو بن عبد ودّ رمحه في الأرض وأقبل يجول حوله ويرتجز ويقول:

ولقد بُححتُ من النداء بجمعكم: هل من مبارز

ووقفت إذ جبن الشجاع مواقف القرن المناجز

إنّي كذلك لم أزل متسرّعاً نحو الهزاهز

إنّ الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فقال رسول الله: مَن لهذا الكلب؟ فلم يجبه أحد، فقام إليه أمير المؤمنين وقال: أنا له يا رسول الله. فقال: يا علي، هذا عمرو بن عبد ودّ فارس يليلْ[2].

فقال عليّ عليه السلام: وأنا علي بن أبي طالب!

فقال رسول الله: ادنُ منّي. فدنا منه فعمّمه بيده ودفع إليه سيفه ذا الفقار وقال له: اذهب وقاتل بهذا.

ثمّ دعا له فقال: اللّهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته[3].

وذكر الكراجكي: أنّ النبيّ قال ثلاث مرّات: أيّكم يبرز إلى عمرو وأضمن له على الله الجنّة؟! وفي كلّ مرّة يقوم عليّ عليه السلام والقوم ناكسو رؤوسهم، فاستدناه وعمّمه بيده، فلمّا برز قال: برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه.

وروى بسنده عن الباقر عليه السلام: أنّ النبيّ قال يومئذ: اللّهم إنّك أخذت منّي

---

(1) وزاد في الإرشاد: عكرمة بن أبي جهل ومرداس الفهري: ١/٩٦، وهو جدّ ضرار بن الخطّاب.

(2) يليل: اسم موضع هجم فيه عمرو على عير وهزم ألف خيّال منهم، قرب بدر.

(3) تفسير القمي ٢: ١٨٣.

عُبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أُحد، وهذا أخي عليّ بن أبي طالب ﴿رَبِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين﴾[1].

وقال ابن شهرآشوب في «المناقب»: ودعا النبيّ ﷺ وهو جاثٍ على ركبتيه باسطٌ يديه باكية عيناه ينادي: يا صريخ المكروبين، يا مجيب دعوة المضطرّين، اكشف همّي وكربي، فقد ترى حالي![2]

وقال القمي: مرّ أمير المؤمنين عليه السلام يُهرول في مشيه وهو يقول:

لا تعجلنّ، فقد أتاك مجيبُ صوتك غيرَ عاجز

ذو نيّةٍ وبصيرةٍ، والصدق منجي كلّ فائز

إنّي لأرجو أن أُقيم عليك نائحة الجنائز!

من ضربةٍ نجلاء يبقى صوتها بعد الهزاهز![3]

فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب ابن عمّ

---

(١) ورواه المعتزلي مرفوعاً قال: إنّ رسول الله قال ذلك اليوم حين برز عليّ عليه السلام: برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه!

وما زال رافعاً يديه مُقمحاً رأسه نحو السماء داعياً ربّه قائلاً: اللّهم إنّك أخذت منّي عُبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أُحد، فاحفظ عليّ اليوم عليّاً ﴿رَبِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين﴾ شرح النهج ١٩: ٦١ والآية من سورة الأنبياء: ٨٩.

ونقل الحديث السيد ابن طاووس في الطرائف عن الأوائل للعسكري، كما في بحار الأنوار ٣٩: ١.

ثمّ حديثه المسند المستفيض عنه: ضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين، فالظاهر أنّه كان بعد يوم الخندق يذكر يوم الخندق.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٩٨.

(٣) نقل الخبر والرجزين لعمرو ولعليّ عليه السلام الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٥٢٨ عن ابن إسحاق، وليس في رواية ابن هشام.

رسول الله وختنه.

فقال عمرو: والله إنّ أباك كان لي صديقاً قديماً، وإنّي أكره أن أقتلك، ما آمن ابن عمّك حين بعثك إليّ أن أختطفك برمحي هذا فأتركك شائلاً بين السماء والأرض لا حيّ ولا ميّت!

فقال له عليّ عليه السلام: قد علم ابن عمّي أنّك إن قتلتني دخلتُ الجنّة وأنت في النار، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنّة!

فقال عمرو: وكلتاهما لك يا عليّ؟ تلك إذاً قسمة ضيزى!

فقال علي عليه السلام: دع هذا يا عمرو، وإنّي سمعت منك وأنت متعلّق بأستار الكعبة تقول: لا يعرضنّ عليّ أحد في الحرب ثلاث خصال إلّا أجبته إلى واحدة منها، وأنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجبني إلى واحدة. قال: هات يا عليّ.

قال: أحدها: أن تشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله.

قال عمرو: نحّ عني هذه فاسأل الثانية.

فقال: أن ترجع وتردّ هذا الجيش عن رسول الله، فإنّ يك صادقاً فأنتم أعلى به عيناً، وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره!

فقال: لا تتحدّث نساء قريش بذلك، ولا تنشد الشعراء في أشعارها: أنّي جبنت ورجعت على عقبي من الحرب وخذلت قوماً رأسوني عليهم.

فقال عليّ عليه السلام: فالثالثة: أن تنزل إليّ، فإنّك راكب وأنا راجل، حتى أنابذك!

فوثب عن فرسه وعرقبه، وقال: هذه خصلة ما ظننت أنّ أحداً من العرب يسومني عليها[1].

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٨٣ و١٨٤. وعرقبه: ضرب عرقوب الفرس، عقب أقدامه.

وقال المفيد في الإرشاد: لما نظر رسول الله إلى أنّ عمرو بن عبد ودّ وأصحابه قد اقتحموا الخندق على المسلمين، وأنّ خيلهم جالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع[1] وأنّهم قربوا من مناخ رسول الله، وتخوّف أن يمدّهم سائر المشركين فيقتحموا الخندق، دعا عليّاً عليه‌السلام وقال له: امض بمن خفّ معك من المسلمين فخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها، فمن قاتلكم عليها فاقتلوه.

فمضى عليّ عليه‌السلام في نفرٍ معه يريدون الثغرة. وعطف عليهم عمرو بن عبد ودّ عن كان معه حتى قربوا منهم.

فنادى عليّ عليه‌السلام عمرو بن عبد ودّ فأجابه. فقال له عليّ عليه‌السلام: إنّه قد بلغني أنّك كنت عاهدت الله أن لا يدعوك أحدٌ إلى إحدى خصلتين إلّا أجبت إلى إحداهما[2].

وفي «الإرشاد»: فبرز إليه أمير المؤمنين عليه‌السلام، فقال له عمرو: ارجع، يا ابن الأخ فما أحبّ أن أقتلك، فقال له أمير المؤمنين: قد كنت يا عمرو عاهدت الله أن لا يدعوك رجلٌ من قريش إلى إحدى خصلتين إلّا اخترتها منه؟ قال: أجل فما ذاك؟ قال:

إنّي أدعوك إلى الله ورسوله والإسلام.

فقال عمرو: لا حاجة لي إلى ذلك.

قال عليّ عليه‌السلام: فإنّي أدعوك إلى النزال.

فقال عمرو: ارجع فقد كان بيني وبين أبيك خلّة، وما أحبّ أن أقتلك!

فقال عليّ عليه‌السلام: لكنّي والله أحبّ أن أقتلك ما دمت أبيّاً للحقّ

---

(١) سلع: من جبال المدينة، مرّ التعريف به في أوائل الغزوة.

(٢) شرح الأخبار ١: ٢٩٤. وهي ألفاظ ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٣٥ و ٢٣٦.

فحمي عمرو عند ذلك وقال: أتقتلني؟! ونزل عن فرسه فعقره وضرب وجهه حتى نفر. وأقبل على عليّ عليه السلام مصلتاً سيفه[1].

قال القاضي النعمان: فتجاولا ساعة... ثمّ احتسا بضربتين: فضرب عمرو عليّاً على أمّ رأسه ـ وعليه البيضة ـ فقدّها وأثّر السيف في هامته. وضربه عليّ عليه السلام فوق طوق الدرع فرمى برأسه. وثارت لذلك عجاجة فما انكشفت إلّا وهم يرون عليّاً عليه السلام يمسح سيفه على ثياب عمرو وقد خرّ صريعاً.

ثمّ حمل هو وأصحابه على أصحاب عمرو فولّوا بين أيديهم هاربين من الثغرة التي اقتحموها، وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه وهو منهزم في الخندق، وانكشف المشركون عن الخندق، وكبّر المسلمون وفرحوا وزال عنهم أكثر الخوف الذي كان بهم[2].

وفي «الإرشاد»: فلما رأى عكرمة بن أبي جهل وهُبيرة بن أبي وهب، وضرار بن الخطّاب عمراً صريعاً ولّوا بخيلهم منهزمين حتى اقتحموا الخندق لا يلوون على شيء، وانصرف عليه السلام إلى مقامه الأول[3].

وفي تفسير القمي: قال له عليّ عليه السلام: يا عمرو أما كفاك أني بارزتك وأنت فارس العرب حتى استعنت عليّ بظهير؟ فالتفت عمرو إلى خلفه، فضربه أمير المؤمنين عليه السلام مسرعاً على ساقيه فقطعهما جميعاً.

وارتفعت بينهما عجاجة فقال المنافقون: قتل عليّ بن أبي طالب! ثمّ تكشّفت العجاجة فإذا أمير المؤمنين عليه السلام على صدر عمرو قد أخذ بلحيته يريد

---

(1) الإرشاد ١: ٩٧، ٩٩، وهي ألفاظ ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٣٦.

(2) شرح الأخبار ١: ٢٩٦.

(3) الإرشاد ١: ٩٩.

أن يذبحه، فلم يضربه (ليذبحه) قال الحلبي: فوقع المنافقون في علي عليه‌السلام، فرد عنه حذيفة بن اليمان، فقال له النبي: مه يا حذيفة فانّ علياً سيذكر سبب وقفته[1].

وقال له عمرو: يا بن عم إن لي اليك حاجة: لا تكشف سوأة ابن عمك ولا تسلبه سلبه. فقال علي عليه‌السلام: ذلك أهون شيء عليّ[2].

ثم ذبحه وأخذ رأسه وأقبل إلى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمرو، وسيفه يقطر منه الدم والرأس بيده وهو يقول:

أنـــا عـــليّ وابـــن عـبد المطّلب

المـــوت خـــيرٌ للـفتى مـــن الهـــرب

فقال له رسول الله: يا علي، ماكرته؟ (لان عمرواً التفت الى خلفه فضرب عليّ ساقه)

قال: نعم، يا رسول الله، الحرب خديعة[3].

قال الحلبي: فسأله النبي عن سبب وقفته؟

فقال: قد كان شتم أُمي وتفل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظ نفسي! فتركته حتى سكن ما بي ثم قتلته في الله[4].

وروى عن محمد بن اسحاق قال: قال له عمر: فهلّا سلبت درعه فانها تساوي ثلاثة آلاف وليس في العرب مثلها؟!

فقال: اني استحيت أن اكشف ابن عمي[5].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٥

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٧

(٣) تفسير القمي ٢: ١٨٥

(٤) مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٥

(٥) مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٧، ١١٨

قال القمي: وبعث رسول الله الزبير إلى هُبيرة بن وهب فضربه على رأسه ضربة فلق هامته

وأمر رسول الله عمر بن الخطّاب أن يبارز ضرار بن الخطّاب، فلمّا برز إليه ضرار انتزع له عمر سهماً، فقال ضرار: ويحك ـ يا ابن صهاك ـ أترميني في مبارزة؟! والله لئن رميتني لا تركت عدوياً بمكّة إلّا قتلته!

فانهزم عنه عمر، ومرّ نحوه ضرار وضربه على رأسه بالقناة ثمّ قال: احفظها يا عمر، فإنّي آليت أن لا أقتل قرشيّاً ما قدرت عليه[1]

وقال الكراجكي: صرعه أمير المؤمنين عليه السلام وجلس على صدره، وهو يكبّر الله ويمجّده. فلمّا همّ أن يذبحه قال له عمرو:

يا عليّ، قد جلست منّي مجلساً عظيماً، فإذا قتلتني فلا تسلبني حُلّتي

فقال عليه السلام: هي أهون عليّ من ذلك

وذبحه، وأتى برأسه وهو يتبختر في مشيته. فقال عمر للنبيّ:

يا رسول الله، ألا ترى إلى عليّ كيف يتبختر في مشيته؟!

فقال رسول الله: إنّها مشية لا يمقتها الله في هذا المقام

ثمّ تلقّاه النبيّ فمسح الغبار عن عينيه وقال له:

لو وُزن اليوم عملك بعمل جميع أمّة محمّد لرجح عملك على عملهم، وذلك أنّه لم يبق بيت من المشركين إلّا وقد دخله ذلّ بقتل عمرو، ولم يبق بيت من المسلمين إلّا وقد دخله عزّ بقتل عمرو[2]

---

(١) فكان عمر يحفظها له فلمّا ولي عمر ولّى ضرار ـ تفسير القمي ٢: ١٨٥ ـ، ويأتي عن مغازي الواقدي مثله ـ ٢: ٤٧١ إلى ٥١٩.

(٢) كنز الفوائد: ١٣٨، كما في بحار الأنوار ٢٠: ٢١٥ و٢١٦، وما رواه هنا من قول النبي في

رجز علي عليه السلام :

قال القاضي النعمان : انصرف عليّ عليه السلام إلى رسول الله وهو يقول :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه
ونصرتُ ربّ محمّدٍ بصواب

فصددت حين تركته متجدّلاً
كالجذع بين دكادك وروابي

وعففت عن أثوابه ولو انّني
كنت المقطّر بزّني أثوابي[1]

لا تحسبنّ اللّه خاذل دينه
ونبيّه، يا معشر الأحزاب[2]

ونقلها المفيد في «الإرشاد» وروى عن الكلبي أبياتاً أخرى عن عليّ عليه السلام قال :

أعليّ تقتحم الفوارس هكذا
عنّي وعنها خبّروا أصحابي

قتل علي لعمرو، هو ما جاء عنه فيما بعد في قوله الشهيرة: ضربة علي يوم الخندق أفضل من ـ أو تعدل ـ عبادة الثقلين .

(١) بزّ من أسماء الأصوات، اسم لصوت تمزّق الثياب، أي قطّعها ونزعها عنّي .

(٢) شرح الأخبار ١: ٢٩٦ والإرشاد ١: ٩٩ وابن إسحاق في السيرة، وشكّك في صحّتها ابن هشام ٢: ٢٣٦ .

اليوم تمنعني الفرارَ حفيظتي

ومصمّمٌ في الرأس ليس بنابي

أرديت عمراً إذ طعنت بمهنّدٍ

صافي الحديد مجرّبٍ قضّابِ

فصددتُ حين تركتهُ متجدّلاً

كالجذع بين دكادك وروابي

ثمّ روى عن الحسن البصري قال: إنّ عليّاً عليه‌السلام لمّا قتل عمرو بن عبد ودّ احتزّ رأسه وحمله فألقاه بين يدي النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله فقام أبو بكر وعمر فقبّلا رأس عليّ عليه‌السلام[1].

ثمّ روى عن ابن إسحاق ـ برواية يونس بن بكير ـ قال: لمّا قتل عليّ بن أبي طالب عمْراً أقبل نحو رسول الله ووجهه يتهلّل، فقال له عمر بن الخطّاب: هلّا سلبته يا عليّ درعه فإنّه ليس في العرب مثلها؟!

فقال عليه‌السلام: إنّي استحييت أن أكشف سوأة ابن عمّي[2].

وقال رسول الله بعد قتله هؤلاء النفر: الآن نغزوهم ولا يغزونا[3].

---

(١) ورواه الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٥٣٩.

(٢) ورواه الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٥٣٨ عن حذيفة بن اليمان بزيادة.

(٣) ثمّ روى عن المدائني قال: لمّا قتل عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام عمْراً نُعي إلى أُخته فقالت: من ذا الذي اجترأ عليه؟ فقالوا: عليّ بن أبي طالب. فقالت: لم يعد موته إلّا على يد كفوٍ كريم، لا رقأت دمعتي إن هرقتها عليه، قتل الأبطال وبارز الأقران وكانت منيّته على يد كفوٍ كريم من قومه، ما سمعتُ بأفخر من هذا يا بني عامر، ثمّ قالت:

لو كان قاتل عمرٍو غير قاتله ... لكنت أبكي عليه آخر الأبد

←

تواعد قريش وغطفان لليوم الثاني

قال الواقدي: وهرب عكرمة وهُبيرة فلحقا بأبي سفيان. فلمّا رجعوا إلى أبي سفيان قال: هذا يوم لم يكن لنا فيه شيء، ارجعوا. فرجعت قريش إلى العقيق (معسكرها) ورجعت غطفان إلى (معسكرها)، وتواعدوا يغدون جميعاً (إلى الخندق) ولا يتخلّف منهم أحد.

فباتت قريش يعبّئون أصحابهم، وباتت غطفان يعبّئون أصحابهم.

ووافوا رسولَ الله بالخندق قبل طلوع الشمس!

وعبّأ رسول الله أصحابه وحضّهم على القتال ووعدهم النصر إن صبروا.

والمشركون قد جعلوا المسلمين في مثل الحصن من كتائبهم، أخذوا بكلّ وجه من الخندق.

وروى جابر بن عبد الله الأنصاري قال: فرّقوا كتائبهم وبعثوا إلى رسول الله كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد، فقاتلهم[1] يومه ذلك إلى أوائل الليل، ما

---

*

لكنّ قاتل عمرٍ لا يُعاب به   من كان يُدعى أبوه بيضة البلد

الإرشاد ١: ١٠٤ ـ ١٠٨. وقول الرسول ـ السابق ـ رواه الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٥٤١ عن سليمان بن صرد. وفي السيرة ٣: ٢٦٦ وفي المغازي ٢: ٤٧١. ورجعوا هاربين وخرج في أثرهم الزبير بن العوّام وعمر بن الخطّاب، فناوشوهم ساعة، وحمل ضرار بن الخطّاب على عمر بن الخطّاب بالرمح، حتّى إذا وجد عمر مسّ الرمح رفع عنه وقال: هذه نعمة مشكورة فاحفظها يا بن الخطّاب! إنّي كنت قد حلفت أن لا تمكّنني يداي من رجلٍ من قريش أبداً. وانصرف ضرار راجعاً إلى أبي سفيان وأصحابه عند الجبل ٢: ٤٧١.

(١) في النصّ: فقاتلهم. ويبدو أنّ الصحيح ما أثبتناه، إذ لم يكن في الخندق قتال إلّا قليلاً

يقدر رسول الله ولا أحدٌ من المسلمين أن يزولوا من مواضعهم. وجعل أصحابه يقولون: يا رسول الله، ما صلّينا! فيقول: وأنا والله ما صلّيت!

ثمّ رجعوا متفرّقين. فرجعت قريش إلى منزلها، ورجعت غطفان إلى منزلها وانصرف المسلمون إلى قبّة رسول الله.

وأقام أُسيد بن حضير في مئتين من المسلمين على شفير الخندق، إذ كرّت عليهم خيل من المشركين عليهم خالد بن الوليد وفيهم وحشيّ قاتل حمزة، يطلبون غرّة من المسلمين، فناوشوهم ساعة، وزرق وحشيّ بحربته الطفيل بن النعمان الأنصاري فقتله.

ولمّا صار رسول الله إلى موضع قبّته أمر بلالاً فأذّن وأقام صلاة الظهر، فصلّاها كأحسن ما كان يصلّيها في وقتها، ثمّ أقام صلاة العصر فصلّاها كأحسن ما كان يصلّيها في وقتها، ثمّ أقام المغرب فصلّاها كأحسن ما كان يصلّيها في وقتها. ثمّ أقام العشاء فصلّاها كأحسن ما كان يصلّيها في وقتها[1].

وأرسلت بنو مخزوم إلى النبيّ ـ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ـ بدية رجل يشترون بها جثّة نوفل بن عبد الله المخزومي (الذي وقع في الخندق فقتل بالحجارة).

فقال رسول الله: إنّما هي جيفة حمار! وكره ثمنه[2].

إصابة سعد بن معاذ:

وكان من أثر الرمي بينهم أن رمى ابن العَرِقة سعد بن مُعاذ بسهم فأصاب

---

(١) وفي اليعقوبي ١: ٥٠: كان ذلك في اليوم الثالث.

(٢) الواقدي ٢: ٤٧٢ ـ ٤٧٤. وفي مناقب آل أبي طالب ١: ١٩٨: فبعث المشركون بعشرة آلاف إلى النبيّ ﷺ يشترون جيفة عمرو، فقال النبيّ: هو لكم لا نأكل ثمن الموتى.

العرق الأكحل الغليظ من يده وقال حين رماه: خذها وأنا ابن العرقة. فأجابه ابن مُعاذ: عرّق الله وجهك في النار!

ثمّ دعا فقال: اللّهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لحربهم، فإنّه لا قوم أحبّ إليّ أن اُقاتلهم من قوم كذّبوا رسولك وأخرجوه من حرمك، اللّهم وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة، ولا تمتني حتى تُقرّ عيني من بني قريظة!

وحملوه إلى رسول الله فبات عنده على الأرض[١].

وقال الواقدي: كواه رسول الله بالنار فانتفخت يده فتركه فسال الدم[٢].

وقال ابن إسحاق: وكانت امرأة من أسلم يقال لها: رُفيدة، تحتسب نفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، فكانت تداوي الجرحى في مسجده... فحين أصاب السهم سعداً قال رسول الله لقومه: اجعلوه في خيمة رُفيدة (في المسجد) حتى أعوده من قريب[٣].

وقال الواقدي: كان لكُعيبة بنت سعد بن عتبة الأسلمية خيمة في المسجد[٤] تداوي فيها الجرحى وتلمّ الشعث وتقوم على الضائع الذي لا أحد له... فكان سعد في المسجد في خيمتها[٥].

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٨٨ وإعلام الورى ١: ١٩٣ وفي السيرة ٣: ٢٣٨.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٤٦٩.

(٣) سيرة ابن هشام ٣: ٢٥٠، وفي تفسير القمي ٢: ١٨٨: وضرب رسول الله لسعد في المسجد خيمة، وكان يتعهّده بنفسه.

(٤) ولم يقل (في مسجده) ولعلّه مسجد قبيلتها بني سلم قريباً من الخندق.

(٥) الواقدي ٢: ٥١٠.

أخبار نُعيم بن مسعود في تحريش قريش على اليهود

قال القمي في تفسيره: فلمّا كان في جوف الليل جاء نُعيم بن مسعود الأشجعي إلى رسول الله ـ وكان قد أسلم قبل قدوم قريش بثلاثة أيّام ـ فقال له:

يا رسول الله، قد آمنت بالله وصدّقتك، وكتمت إيماني عن الكفرة، فإن أمرتني أن آتيك وأنصرك بنفسي، فعلت، وإن أمرت أن أُخذّل بين اليهود وبين قريش فعلت، حتى لا يخرجوا من حصنهم؟

قال ﷺ: خذّل بين اليهود وقريش فإنه أوقع عندي

قال: فتأذن لي أن أقول فيك ما أُريد؟ قال: قل ما بدا لك

فجاء إلى أبي سفيان فقال له:

تعرف مودّتي لكم ونُصحي، ومحبّتي أن ينصركم الله على عدوّكم، وقد بلغني أنّ محمّداً قد وافق اليهود أن يدخلوا عسكرهم ويميلوا عليكم، ووعدهم إذا فعلوا ذلك أن يردّ عليهم جناحهم الذي قطعه لبني النضير وقينقاع، فلا أرى أن تدعوهم أن يدخلوا في عسكركم حتّى تأخذوا منهم رهناً تبعثوا بهم إلى مكّة، فتأمنوا مكرهم وغدرهم!.

فقال أبو سفيان: وفّقك الله وأحسن جزاك، مثلك أهدى النصائح.

ولم يعلم أبو سفيان بإسلام نُعيم، ولا أحد من اليهود

ثمّ جاء من فوره إلى [كعب في] بني قريظة فقال له:

يا كعب، تعلم مودّتي لكم، وقد بلغني أنّ أبا سفيان قال: نخرج هؤلاء اليهود فنضعهم في نحر محمّد، فإن ظفروا كان الذكر لنا دونهم، وإن كانت علينا كانوا هؤلاء مقاديم الحرب! فلا أرى لكم أن تدعوهم أن يدخلوا عسكركم حتّى تأخذوا منهم عشرة من أشرافهم يكونون في حصنكم، إنّهم إن يظفروا بمحمّد لم

يبرحوا حتّى يردو عليكم عهدكم وعقدكم بين محمّد وبينكم، لأنّه إن ولّت قريش ولم يظفروا بمحمّد غزاكم محمّد فيقتلكم!

فقالوا: أحسنت وأبلغت في النصيحة، لا نخرج من حصننا حتّى نأخذ منهم رهناً يكونون في حصننا[1].

وقال القاضي النعمان: كان نعيم بن مسعود رجلاً من غطفان مع المشركين، وكان نديماً لبني قريظة، فأتاهم كالزائر لهم، فرحّبوا به ووقّروه، فلمّا خلا بهم قال:

قد عرفتم مودّتي لكم، وقد جئت إليكم ناصحاً إن قبلتم منّي.

قالوا: جزاك الله خيراً، ما نتّهمك، بل نحن ممّن يثق بمودّتك ويقبل نصيحتك، فقل ما أردت.

فقال لهم: إنّكم قد فعلتم فعلاً لم تحسنوا النظر فيه لأنفسكم، نقضتم حلف محمّد وصرتم مع قريش وغطفان، ولستم كمثلهم؛ إنّ قريشاً وغطفان إنّما جاؤوا لحرب محمّد وأصحابه على ظهور دوابهم، فإن أصابوا منه ما أرادوا، وإلّا انصرفوا عنه وتركوكم معه، وأنتم تعلمون أنّه لا طاقة لكم به وبأصحابه إن خلا بكم. وقد تداخل أصحابنا الفشل والاختلاف، وطال مقامهم، وخفّت أزوادهم. وكان من أمر ابن عبد ودّ وأصحابه ما قد عرفتم وإنّما كان المعتمد عليهم والنظر إلى ما يكون منهم عند اقتحامهم الخندق، فإذ قد كان من ذلك ما كان فقد تداخل

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٨١ و١٨٢. هذا هو الموجود في تفسير القمي من خبر نعيم بن مسعود الأشجعي، وقد نصّ على إسلامه قبل قدوم قريش بثلاثة أيام. ثمّ ظاهره عرضه أمره على النبيّ بعد نقض بني قريظة من دون فصل طويل، وبيّنا أنّ نقضهم كان في أوائل قدوم قريش، ولذلك ذكره القمي قبل مقتل عمرو بن عبد ودّ.

اليأس إلى قلوب الناس، وأكثرهم يعلمون أنّ ما قلته. فإن رأوا فرصة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وتركوكم!

قالوا: لقد صدقت ونصحت فيما قلت، فجزاك الله خيراً. فما الحيلة بعد هذا؟!

قال: الحيلة أن لا تقاتلوا مع القوم حتّى تأخذوا منهم رهائن من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم أن لا ينصرفوا عنكم ويدعوكم.

قالوا: لقد أشرت بالرأي، فأحسن الله عنّا جزاك

ثمّ أتى عيينة بن حصن، وأبا سفيان، فقال:

إنّ بني قريظة بيني وبينهم ما قد علمتم، وقد سمّ عندهم فاطّلعت منهم على سرّ خشيت منه عليكما!

قالوا: وما هو؟!

قال: إنّ القوم ندموا على ما نقضوا من حلف محمّد لمّا رأوا مقامنا ولم نصنع شيئاً ونظروا إلى ما كان من أمر عمرو بن عبد ودّ وأصحابه، وخافوا أن ننصرف عنهم فيطأهم محمّد، فأرسلوا إليه يرغبون في سلمه، ويذكرون ندامتهم على ما كان منهم وقالوا له: نحن نرضيك بأن نأخذ من القبيلتين رجالاً من أشرافهم فنسلّمهم إليك فتضرب أعناقهم أو تفعل فيهم ما رأيت، ثمّ نكون معك على من بقي منهم

فإيّاكما أن تخدعكما اليهود أو أن يظفروا بأحدٍ منكم!

فأرسل أبو سفيان وعيينة إليهم عِكرمة بن أبي جهل في نفرٍ من قريش وغطفان يستخبرونهم ذلك ويدعونهم إلى القتال معهم ويقولون: إنّا لسنا بدار مُقام، وقد هلك الخفّ والحافر وبعد الزاد، وأبى محمّد وأصحابه إلّا لوماً

لخندقهم، وأنتم أعلم بعورة الموضع، فاخرجوا إلينا بجماعتكم لنناجز محمداً وأصحابه ونقتحم عليهم الخندق بجماعتنا.

فلمّا جاء القوم بني قريظة بذلك، قالوا: قد كنّا مع محمّد على حلف، ولم نكن نرى منه إلّا خيراً، ونقضنا ما كان بيننا وبينه، ونحن نخشى وغطفان إن ضرستكم الحرب أن تشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا به، فلسنا بالذي نقاتل معكم حتّى تعطونا رهناً من وجوه رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتّى تناجز محمّداً.

فلمّا انصرف بذلك القوم إلى أبي سفيان وغطفان علموا أن الأمر ما قال نُعيم ابن مسعود، وأبوا أن يدفعوا إليهم أحداً.

وقالت بنو قريظة: هذا مصداق قول نُعيم بن مسعود، ولزموا معاقلهم، واستوحش بعض القوم من بعض وتنافرت قلوبهم، ولم يجد الأحزاب إلّا الرحيل إلى بلادهم[1].

وروى في «قرب الإسناد» بسنده عن الصادق عن علي عليه السلام قال:

إنّ رسول الله بلغه أنّ بني قريظة بعثوا إلى أبي سفيان: أنّكم إذا التقيتم أنتم ومحمّد أمددناكم وأعنّاكم. فقام النبيّ خطيباً فقال: إنّ بني قريظة بعثوا إلينا أنّا إذا التقينا نحن وأبو سفيان أمدّونا وأعانونا! فبلغ ذلك أبا سفيان فقال: غدرت اليهود[2].

---

(1) شرح الأخبار ١: ٢٩٧ ـ ٢٩٩. وروى خبره ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٤٠ ـ ٢٤٢ وعنه الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٥٣٩ و٥٤٠. وروى الواقدي خبره بسنده عنه ٢: ٢٨٠ ـ ٢٨٤ ثمّ اعتبر أُخرى أربعة ٢٨٤ ـ ٢٨٧، ثمّ قال: والأثبت قول نُعيم الأوّل.

(2) قرب الإسناد: ٦٢ و٦٣، كما في بحار الأنوار ٢٠: ٢٤٦.

وهزم الأحزاب وحده.

روى الكليني في «روضة الكافي» بسنده عن أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي عن الصادق عليه السلام قال:

في ليلة ظلماء قرّة[1] قام رسول الله صلى الله عليه وآله على التلّ الذي عليه «مسجد الفتح» في غزوة الأحزاب فقال: من يذهب فيأتينا بخبرهم وله الجنّة؟ فلم يقم أحد، ثمّ أعادها فلم يقم أحد.

قال الصادق عليه السلام: وما أراد القوم؟ أرادوا أفضل من الجنّة؟! ثمّ قال:

ثمّ قال رسول الله: من هذا؟ فقال: حذيفة. فقال له: أما تسمع كلامي منذ الليلة ولا تكلّم؟! أقترب؟! فقام حذيفة وهو يقول: القرّ والضرّ - جعلني الله فداك - منعني أن أجيبك! فقال رسول الله: انطلق حتى تسمع كلامهم وتأتيني بخبرهم. - يا حذيفة، ولا تحدث شيئاً حتّى تأتيني

فلمّا ذهب قال رسول الله: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله حتّى تردّه.

فأخذ (حذيفة) سيفه وقوسه وجحفته[2].

قال حذيفة: فخرجت وما بي من ضرّ ولا قرّ، فمررت على باب الخندق

ولمّا توجّه حذيفة قام رسول الله (فصلّى ثمّ[3]) نادى: يا صريخ المكروبين، ويا مجيب المضطرّين، اكشف همّي وغمّي وكربي، فقد ترى

---

(١) قرّة: باردة ـ الصحاح.

(٢) الجحفة: الترس من الجلود بلا خشب ولا عقب ـ الصحاح.

(٣) كما في رواية الطبرسي في إعلام الورى ١: ١٩٣ عن الأحمر البجلي الكوفي أيضاً.

حالي وحال أصحابي[1].

فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله، إنّ الله ـ عزّ ذكره ـ قد سمع مقالتك ودعاءك، وقد أجابك وكفاك هول عدوّك!

فجثا رسول الله صلى الله عليه وآله على ركبتيه وبسط يديه وأرسل عينيه ثمّ قال:

شكراً شكراً كما رحمتني ورحمت أصحابي. ثمّ قال رسول الله:

قد بعث الله ـ عزّ وجلّ ـ عليهم ريحاً من سماء الدنيا فيها حصى، وريحاً من السماء الرابعة فيها جندل[2].

قال حذيفة: وأقبل جند الله الأوّل ريح فيها حصى، فما تركت لهم ناراً إلّا أذرتها[3] ولا خباءً إلّا طرحته، ولا رمحاً إلّا ألقته. حتّى جعلوا يتترّسون من الحصى، وجعلنا نسمع وقع الحصى في الأترسة.

وقام إبليس في صورة رجل مُطاع من المشركين فقال: أيّها الناس إنّكم قد نزلتم بساحة هذا الساحر الكذّاب، ألا وإنّه لن يفوتكم من أمره شيء فإنّه ليس سنة مُقام، قد هلك الخفّ والحافر، فارجعوا ولينظر كلّ رجل منكم مَن جليسه!

قال حذيفة: فنظرت عن يميني فضربت بيدي فقلت: من أنت؟ قال: معاوية.

فقلت للذي عن يساري: مَن أنت؟ قال: سهيل بن عمرو.

قال حذيفة: وأقبل جند الله الأعظم فقام أبو سفيان إلى راحلته، وصاح في

---

(١) رواه في فروع الكافي ١: ٣١٨ وكامل الزيارات: ٢٤ والقمي في التفسير ٢: ١٨٦ والتهذيب ٢: ٦١ و٦٠.

(٢) الجندل: الحجارة أكبر من الحصى.

(٣) أي: فرّقتها.

قريش: النجاء النجاء!

وقال طلحة الأزدي: لقد زادكم محمّد بشر! ثمّ قام إلى راحلته، وصاح في بني أشجع: النجاء النجاء!

وفعل عيينة بن حصن مثلها. ثمّ فعل الحارث بن عوف المزني مثلها. ثم فعل الأقرع بن حابس مثلها.

وذهب الأحزاب.

ورجع حذيفة إلى رسول الله فأخبره الخبر[1]

وروى ابن إسحاق الخبر عن محمّد بن كعب القرظي، عن حذيفة بن اليمان قال:

فذهبت فدخلت في القوم والريح تفعل بهم ما تفعل، لا تقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً. فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جليسه؟

قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت: من أنت؟ قال: فلان بن فلان[2]

ثمّ قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم ـ والله ـ ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع[3] والخفّ[4] وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدّة الريح ما ترون: ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإنّي مرتحل. ثمّ قام إلى جمله... وسمعت غطفان بما فعلت قريش

(١) روضة الكافي: ٣٢٢، ح ٤٢٠، وقريب منه في تفسير القمي ٢: ١٨٦ و١٨٧.

(٢) كذا ذكر الخبر في سيرة ابن هشام، بينما نقله في شرح المواهب فذكر اسم معاوية بن أبي سفيان ثمّ عمرو بن العاص، ونقله عنه محقّق السيرة بهامشها ٣: ٢٤٣.

(٣) الكراع: الخيل.

(٤) الخفّ: الإبل.

فانشمروا راجعين إلىٰ بلادهم.

قال حذيفة: فرجعت إلىٰ رسول الله وهو قائم يصلّي في كساء لبعض نسائه، فلمّا رآني (وهو يصلّي) أدخلني إلى رحليه وطرح عليّ طرف الكساء، ثمّ ركع وسجد. فلمّا سلّم أخبرته الخبر[1].

وروى الواقدي عن عبد الله بن عمر قال: صلّىٰ رسول الله في موضع الخرق على الجبل إلى طرف بني النضير، وهو اليوم موضع المسجد الذي بأسفل الجبل.

وروى عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قام رسول الله على الجبل الذي عليه المسجد، فدعا في إزار، ورفع يديه مدّاً، ثمّ جاءه مرّة أخرى فصلّىٰ ودعا.

وفي خبرٍ آخر عنه قال: دعا رسول الله في مسجد الأحزاب على الأحزاب يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فاستجيب له بين الظهر والعصر يوم الأربعاء حتىٰ عرفنا السرور في وجهه.

وروى عن حذيفة بن اليمان قال: اجتمع علينا الجوع والخوف في ليلة شديدة البرد... وقال رسول الله: من رجل ينظر لنا ما فعل القوم جعله الله رفيقي في الجنّة! ثمّ عاد يقول ذلك ثلاث مرّات وما قام رجل واحد، من شدّة البرد والجوع والخوف! فلمّا رأى رسول الله أنّه لا يقوم أحدٌ دعاني فقال: يا حذيفة! فلم أجد بدّاً من القيام حين نوّه باسمي، فجئته ولقلبي وجبان[2] في صدري.

فقال: تسمع كلامي منذ الليلة ولا تقوم؟

فقلت: ما قدرت على ما بي من الجوع والبرد!

---

(١) سيرة ابن هشام ٣: ٢٤٢ ـ ٢٤٤.

(٢) أي خفقان.

فقال: فاذهب فانظر ما فعل القوم؟.

فقلت: ولكنّي أخاف أن يقتلوا بي!

فقال: ليس عليك بأس! ثمّ قال:

فاذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يقولون.

فأقبلت فجلست على نارٍ مع القوم فقام أبو سفيان فقال: حذروا الجواسيس والعيون، ولينظر كلّ رجلٍ جليسه

فالتفتّ فقلتُ: من أنت؟ لمن عن يميني فقال: عمرو بن العاص. والتفتّ فقلت: من أنت؟ لمن عن يساره، فقال: معاوية بن أبي سفيان. ثمّ قال أبو سفيان: إنّكم ـ والله ـ لستم بدار مُقام، لقد هلك الخفّ والكُراع وأجدب الجناب وأخلفت بنو قُريظة وبلغنا عنهم ما نكره، ولقد لقينا من الريح ما ترون. والله ما يثبت لنا بناء[1] ولا تطمئنّ لنا قدر. فارحلوا فإنّي مرتحل. وقام أبو سفيان وجلس على بعيره وهو معقول، ثمّ ضربه فوثب على ثلاث قوائم فما أطلق عقاله إلّا بعد ما قام

فناداه عكرمة بن أبي جهل: إنّك رأس القوم وقائدهم، تقشع وتترك الناس؟!

فاستحيى أبو سفيان وأناخ جمله ونزل عنه وأخذ بزمامه وهو يقوده ويقول: ارحلوا.

فجعل الناس يرتحلون وهو قائم حتّى خفّ العسكر.

ثمّ قال لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله، لا بدّ لي ولك أن نقيم في جريدة من خيلٍ بإزاء محمّد وأصحابه ـ فإنّا لا نأمن أن نُطلب ـ حتى ينفذ العسكر. فقال

---

(١) البناء: الخباء.

عمرو: أن أُقيم.

وقال لخالد بن الوليد: وأنت ما ترى يا أبا سفيان؟ فقال: أنا أيضاً أُقيم[1].

فأقام عمرو وخالد في مئتي فارس، وسار سائر العسكر.

وذهب حذيفة إلى غطفان فوجدهم يرتحلون... ولمّا ارتحلوا وقف فُرسان من بني سليم في أصحابهم، والحارث بن عوف في خيلٍ من أصحابه، ومسعود ابن رُخيلة في خيلٍ من أصحابه.

وأقامت خيل قريش حتى كان السحر ثمّ مضوا فلحقوا بالعسكر في ملَل عند ارتفاع النهار.

وارتحلت بقيّة خيل غطفان فالتحقوا بقومهم في المَراض[2] ثمّ تفرّقت قبائلهم إلى محالّهم. ورجع حذيفة ـ في الليل ـ إلى الرسول فأخبره الخبر.

قال الواقدي: فلمّا أصبح رسول الله بالخندق أصبح وليس حوله أحد من عساكر المشركين. فأذن للمسلمين بالانصراف إلى منازلهم، فخرجوا مبادرين مسرورين.

ثمّ روى عن ابن عمر قال: وكره رسول الله أن يكون لقريش عين فترى سرعتهم في ذلك، فبعث من ينادي في أثرهم بردّهم.

قال عبد الله بن عمر: فجعلت أصيح في أثرهم في كلّ ناحية: إنّ رسول الله أمركم أن ترجعوا. فما رجع منهم رجلٌ واحد من الجوع والبرد.

وقال جابر بن عبد الله: أمرني رسول الله أن أردّهم، فجعلت أصيح بهم،

---

(١) وفي تفسير القمي ٢: ١٨٧: قال أبو سفيان لخالد بن الوليد: يا أبا سليمان لا بُدّ من أن أُقيم أنا وأنت على ضعفاء الناس.

(٢) المَراض: على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة ـ وهي اليوم ـ ٧٠٠ (٧٠ كم)

فما يرجع أحد من جهد الجوع والبرد، فرجعت إلى النبيّ فأخبرته فضحك ﷺ(١).

ثمّ روى عن أبي وَجْزة قال: لمّا ملّت قريش المُقام... كتب أبو سفيان كتاباً إلى رسول الله فيه: باسمك اللّهم، فإنّي أحلف باللات والعزّى، لقد سرت إليك في جمعنا وإنّا نريد أن لا نعود إليك أبداً حتّى نستأصلك، فرأيتك قد كرهت لقاءنا وجعلت مضائق وخنادق! فليت شعري من علّمك هذا؟! فإن نرجع عنكم فلكم منّا يوم كيوم أُحد تُبقر فيه النساء!

وبعث بالكتاب مع أبي أُسامة الجُشَمي.

فلمّا بلغه الكتاب دعا رسول الله أُبيّ بن كعب فدخل معه قبّته فقرأ عليه كتاب أبي سفيان.

وكتب إليه رسول الله:

من محمّد رسول الله، إلى أبي سفيان بن حرب. أمّا بعد، فقديماً غرّك بالله الغرور، أمّا ما ذكرت أنّك سرت إلينا في جمعكم، وأنّك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا، فذلك أمرٌ يحول الله بينك وبينه، ويجعل لنا العاقبة حتّى لا تذكر اللات والعزّى. وأمّا قولك: من علّمك الذي صنعت من الخندق؟ فإنّ الله ـ تعالى ـ ألهمني ذلك لما أراد من غيظك به وغيظ أصحابك(٢)، وليأتينّ عليك يوم تدافعني فيه بالراح، وليأتينّ عليك يوم أكسر فيه اللات والعزّى وإساف ونائلة وهُبل، حتّى أُذكّرك ذلك(٣).

---

(١) وقال القمي ٢: ١٨٧: فلمّا أصبح رسول الله قال لأصحابه: لا تبرحوا، فلمّا طلعت الشمس دخلوا المدينة، وبقي رسول الله في نفرٍ يسير.

(٢) لا ينافي هذا أن يكون المعنى أنّ الله ألهم سلمان وألهم نبيّه بقبول المشورة سلمان.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٤٨٨ ـ ٤٩٢. وفي شرح المواهب: كان دخول الرسول إلى المدينة في ←

غزوة بني قُريظة [1]

روى الطبرسي في «إعلام الورى» عن أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي عن الصادق عليه السلام قال: وأصبح رسول الله بالمسلمين حتى دخل المدينة، فضربت فاطمة ابنته غسولاً، فهي تغسل رأسه[2].

إذ أتاه جبرئيل على بغلة معتجراً بعمامة بيضاء[3] عليه قطيفة من استبرق معلّق عليها الدرّ والياقوت، وعليه الغبار.

فقام رسول الله فمسح الغبار من وجهه.

فقال له جبرئيل: رحمك ربّك، وضعت السلاح ولم يضعه أهل السماء، ما زلت أتبعهم حتى بلغت الروحاء. انهض إلى إخوانهم من أهل الكتاب، فوالله لأدقّنّهم دقّ البيضة على الصخرة![4]

وحيث كان بنو قريظة مع الأحزاب خارج حصونهم...

قال المفيد في «الإرشاد»: أنّ رسول الله أنفذ أمير المؤمنين عليه السلام إليهم في ثلاثين من الخزرج وقال له: انظر هل نزل بنو قريظة في حصونهم؟

منصرفه من الخندق يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة. بينما مرّ عن الواقدي عن جابر: أنّ دعاء الرسول استُجيب عصر الأربعاء، فيكون منصرفه صباح الخميس.

(١) قال اليعقوبي ١: ٥٢: وهم فخذ من جذام، نزلوا بجبل يقال له قريظة فنسبوا إليه، وقيل: بل هو نسبة إلى جدّهم قريظة. ولعلّ الجبل منسوب إليه.

(٢) وفي مناقب آل أبي طالب ١: ١٩٩ عن الزهري عن عروة. وفي الواقدي ٢: ٤٩٧: ودخل بيت عائشة!

(٣) الاعتجار بالعمامة: شدّها بلا إسدال شيء منها تحت الحنك.

(٤) إعلام الورى ١: ١٩٤، ١٩٥.

فلمّا شارف سورهم سمع منهم الهجر فعلم رجوعهم إلى حصونهم،

فرجع إلى النبيّ ﷺ فأخبره فقال: دعهم فإنّ الله سيمكّن منهم، إنّ الذي أمكنك من عمرو بن عبد ودّ لا يخذلك، فقف حتى يجتمع الناس إليك، وأبشر بنصرٍ من عند الله، فإنّ الله تعالى قد نصرني بالرعب من بين يديّ مسيرة شهر.

قال علي عليه السلام: فاجتمع الناس إليّ، فسرت...

فقال لي النبيّ ﷺ حين توجّهت إلى بني قريظة: سِر على بركة الله تعالى، فإنّ الله قد وعدكم أرضكم وديارهم!

فسرت متيقّناً بنصر الله ـ عزّ وجلّ ـ حتى ركزت الراية في أصل الحصن(١).

وفي خبر الطبرسي عن الأحمر البجلي الكوفي عن الصادق عليه السلام: أنّ رسول الله قال لعليّ عليه السلام: قدّم راية المهاجرين إلى بني قريظة. ثمّ قال: عزمت عليكم أن لا تصلّوا العصر إلّا في بني قريظة(٢).

فقام علي عليه السلام ومعه المهاجرون وبنو عبد الأشهل وبنو النجّار لم يتخلّف منهم أحد، وجعل النبيّ يسرّب إليه الرجال، فما صلّى بعضهم العصر إلّا بعد العشاء(٣).

وقال القمي في تفسيره ـ وظاهرها الرواية ـ: أنّ جبرئيل ناداه: إنّ الله يأمرك أن لا تصلّي العصر إلّا ببني قريظة.

---

(١) الإرشاد ١: ١٠٩ و١١٠.

(٢) وفي التبيان ٨: ٣٢٢: أنّ النبيّ أمر مناديه بأن ينادي: لا يصلّينّ أحد العصر إلّا ببني قريظة.

(٣) إعلام الورى ١: ١٩٥.

فخرج رسول الله من داره، فاستقبله حارثة بن النعمان فقال له: ادع لي عليّاً. فجاء عليّ عليه السلام، فقال له: ناد في الناس: لا يصلين أحد العصر إلّا في بني قريظة! فنادى أمير المؤمنين، فخرج الناس فبادروا إلى بني قريظة. وخرج رسول الله وعلي بن ابي طالب بين يديه معه الراية العظمى[1].

وروى في «قرب الإسناد» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: إنّ رسول الله بعث علياً عليه السلام يوم بني قريظة بالراية، وكانت سوداء تدعى العقاب. وكان لواؤه أبيض[2].

محاصرة بني قريظة:

روى المفيد في «الإرشاد» عن عليّ عليه السلام قال:

وسرت حتى دنوت من سورهم، فأشرفوا عليّ، فلمّا رأوني صاح صائح منهم: قد جاءكم قاتل عمرو! وقال آخر: أقبل إليكم قاتل عمرو، وجعل بعضهم يصيح ببعض ويقولون ذلك، وسمعت رجزاً يرتجز:

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٨٩.

(٢) قرب الإسناد: ٦٢ كما في بحار الأنوار ٢٠: ٢٤٦. وكذلك ذكر ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٤٥: أنّ الراية كانت مع علي عليه السلام. والراية للعسكر، والألوية هي الأعلام وهي للأجنحة والأقسام، فهي دون الراية، كما في المصباح. وقد ذكر الواقدي في المغازي ٢: ٤٩٧: أنّ لواء الرسول في مرجعه من الخندق كان على حاله لم يُحلّ بعد، فدعا علياً عليه السلام فدفع إليه لواءه!

وذكر عروة بن الزبير: أنّه صلى الله عليه وآله بعث علياً عليه السلام على المقدّم، ودفع إليه اللواء. ونقله كذلك عنه الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٥٥٢.

وقال الواقدي: إنّ النبيّ سار إليهم يوم الاربعاء لسبع بقين من ذي القعدة ـ مغازي الواقدي ٢: ٤٩٦.

قــتل عــلي عــمْراً | صــاد عــلي صــقراً
قــصم عــلي ظــهراً | أبــرم عــلي أمــراً

هــتــك عــلي ســتراً

فقلت : الحمد لله الذي أظهر الإسلام وقمع الشرك ... وسرت متيمّناً بنصر الله ـ عزّ وجلّ ـ حتى ركزت الراية في أصل الحصن ... فاستقبلوني في صياصيهم (حصونهم) يسبّون رسول الله ﷺ

فلمّا سمعت سبّهم له كرهت أن يسمع رسول الله ذلك ، فعمدت على الرجوع إليه ، فإذا به قد طلع وسمع سبّهم له ، فناداهم : يا إخوة القردة والخنازير ، إنّا إذا حللنا بساحة قوم ﴿ فساء صباح المنذَرين ﴾ !

فقالوا له : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولاً ولا سبّاباً !

فاستحيى رسول الله ورجع القهقرى قليلاً .

ثمّ أمر فضُربت خيمته بإزاء حصونهم[1] .

وروى الطبرسي في «إعلام الورى» عن أبان الأحمر البجلي الكوفي عن الصادق عليه السلام قال :

لمّا أقبل رسول الله والمسلمون حوله تلقّاه أمير المؤمنين وقال له : لا تأتهم ـ يا رسول الله ـ جعلني الله فداك ، فإنّ الله سيجزيهم (وصفهم) .

فعرف رسول الله أنّهم قد شتموه فقال : أما إنّهم لو رأوني ما قالوا شيئاً ممّا سمعت ! وأقبل ، ثمّ قال : يا إخوة القردة ! إنّا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿ فساء صباح المنذَرين ﴾ يا عُبّاد الطاغوت ، اخسأوا ، أخسأكم الله !

فصاحوا يميناً وشمالاً : يا أبا القاسم ، ما كنت فحّاشاً فما بدا لك ؟

(1) الإرشاد 1 : 109 ، 110 .

فسقطت العنزة من يده، وسقط رداؤه من خلفه، وجعل يمشي إلى ورائه، حياءً ممّا قال لهم[1].

وقال القمي في تفسيره: وجاء أمير المؤمنين عليه السلام وأحاط بحصنهم، فأشرف عليهم كعب بن أسد من الحصن يشتمهم ويشتم رسول الله، فأقبل رسول الله على حمار[2]، فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله لا تدنُ من الحصن. فقال رسول الله: يا علي، لعلّهم شتموني؟! إنّهم لو قد رأوني لأذلّهم الله! ثمّ دنا من حصنهم فقال: يا إخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت! أتشتموني! إنّا إذا نزلنا بساحة قوم ساء صباحهم!

فأشرف عليهم كعب بن أسد من الحصن فقال:

يا أبا القاسم: والله ما كنت جهولاً!

فاستحيى رسول الله حتّى سقط الرداء من ظهره حياءً ممّا قاله!

ونزل رسول الله بعسكر حول حصنهم فحاصرهم

وبعد ثلاثة أيّام نزل إليه غزّال بن شموال فقال:

يا محمّد! تعطينا ما أعطيت إخواننا من بني النضير، احقن دماءنا ونخلّي لك البلاد وما فيها ولا نكتمك شيئاً؟

فقال: لا، أو تنزلون على حكمي.

فرجع[3] الرجل إلى حصنهم.

---

(١) إعلام الورى ١: ١٩٥، ١٩٦. وفي التنبيه والإشراف: ٢١٧ أنّ ذلك كان لسبع بقين من ذي القعدة، وكانوا على بعض يوم من المدينة.

(٢) وكذلك في اليعقوبي ١: ٥٢.

(٣) تفسير القمي ٢: ١٩٠.

وقال الواقدي: لبس رسول الله الدرع والبَيْضة والمِغفر وأخذ قناة بيده وتقلّد تُرساً وركب فرسه، وتلبّس أصحابه السلاح وركبوا الخيل وحفّوا به وهم ستة وثلاثون فارساً[1] والخيل والرجّالة حوله[2] حتّى انتهى إلى بني قريظة فنزل على بئر لهم أسفل حرّتهم[3].

ثمّ قدم الرماة من أصحابه[4] وأمرهم يرميهم بالنبال.

ثمّ روى عن سعد بن أبي وقّاص قال: قال لي رسول الله: تقدّم فارمهم. وكان معي ما يوف على الخمسين نبلاً، فتقدّمت حيث تبلغهم نبلي فرميتهم ساعة.

وروى عن كعب بن عمرو المازني قال: رمينا يومئذٍ في كنانتي حتّى أمسكنا عنهم بعد أن ذهبت ساعة من الليل! ورسول الله واقف على فرسه وعليه السلاح وأصحاب الخيل حوله، ثمّ أمرنا رسول الله فانصرفنا إلى معسكرنا وكان طعامنا أحمال تمر بعث بها سعد بن عُبادة، فبتنا نأكل منها.. ورسول الله يأكل منها ويقول: نعم الطعام التمر!

ثمّ كانت الغداة، فقدم رسول الله الرماة، وعبّأ أصحابه فأحاطوا بحصونهم من كلّ ناحية، وجعل الرماة يراموهم بالنبل والحجارة، يعقب بعضهم بعضاً.

وروى عن محمّد بن مسلمة قال: جعلنا ندنو من الحصن ونرميهم عن كثب، ولزمنا حصونهم فلم نفارقها حتّى أمسينا.

وروى عن ابن عمر قال: كنّا نقوم حيث تبلغهم نبلنا، وكانوا يراموننا من

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٤٩٧.

(2) مغازي الواقدي ٢: ٤٩٨.

(3) مغازي الواقدي ٢: ٤٩٩.

(4) مغازي الواقدي ٢: ٥٠٠.

حصونهم بالنبل والحجارة أشدّ الرمي!

وقال ابن سلمة: وما رجعنا إلى معسكرنا حتّى أمسكوا عن قتالنا وقالوا: نكلّمك.

فأنزلوا نبّاش بن قيس، فكلّم رسول الله فقال:

يا محمّد، ننزل على ما نزلت عليه بنو النضير: لك الأموال والحلقة[1] وتحقن دماءنا، ونخرج من بلادكم بالنساء والذراري، ولنا ما حملت الإبل؟

فأبى رسول الله.

فقالوا: فتحقن دماءنا وتسلّم لنا النساء والذرّيّة، ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل؟

فقال رسول الله: لا، إلّا أن تنزلوا على حكمي.

فرجع نبّاش إلى أصحابه بمقالة رسول الله[2].

شورى بني قريظة:

ونقل الطبرسي في «مجمع البيان» عن عروة قال:

حاصرهم رسول الله خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب... فلمّا أيقنوا أنّ رسول الله غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد:

يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنّي عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيّها شئتم.

---

(١) الحلقة: السلاح.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٥٠٠ و٥٠١.

قالوا: ما هنّ ؟ قال: نبايع هذا الرجل ونصدّقه، فوالله لقد تبيّن لكم أنّه نبيّ مرسل، وأنّه الذي تجدونه في كتابكم؛ فتأمنوا على دمائكم وأموالكم ونسائكم.

فقالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره!

قال: فإذا أبيتم عليّ هذه فهلمّوا فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثمّ نخرج إلى محمّد رجالاً مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلاً يهمّنا، حتّى يحكم الله بيننا وبين محمّد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً يهمّنا، وإن نظهر لنجدنّ النساء والأبناء!

فقالوا: نقتل هؤلاء المساكين؟! فلا خير في العيش بعدهم!

قال: فإذا أبيتم عليّ هذه فإنّ الليلة ليلة السبت، وعسى أن يكون محمّد وأصحابه قد أمنوا فيها، فانزلوا فلعلّنا نصيب منهم غرّة!

فقالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيها ما أحدث من كان قبلنا فأصابهم ما قد علمت من المسخ؟!

فقال لهم: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمّه ليلة واحدة من الدهر حازماً!![1].

مشورة أبي لبابة وخيانته:

نقل الطبرسي في «مجمع البيان» عن الكلبي عن الزهري: أنّ رسول الله لمّا أبى إلّا أن ينزلوا على حكمه... قالوا: أرسل إلينا أبا لبابة. وكان ماله وعياله

(1) مجمع البيان ٨: ٥٥٢ ونقله ابن إسحاق بلفظه بلا إسناد ٣: ٢٤٦ ونقله الواقدي عن محمّد بن مسلمة أكثر تفصيلاً ٢: ٥٠١ و٥٠٢.

وولده عندهم فكان مناصحاً لهم[1].

ونقل القمي الخبر في تفسيره فقال: فقال رسول الله: يا أبا لبابة، ائت حلفاءك ومواليك. فأتاهم، فقالوا له: يا أبا لبابة، ما ترى؟ ننزل على حكم محمّد؟ فقال: انزلوا واعلموا أنّ حكمه فيكم الذبح ـ بالإشارة إلى حلقه ـ! ثمّ ندم على ذلك فقال: خنت الله ورسوله! ونزل من حصنهم ولم يرجع إلى رسول الله، ومرّ إلى المسجد وشدّ في عنقه حبلاً ثمّ شدّه إلى الإسطوانة التي تسمّى «اسطوانة التوبة» وقال: لا أحلّه حتّى أموت أو يتوب الله عليّ!

فبلغ ذلك رسول الله فقال: أما لو أتانا لاستغفرنا الله له، فأمّا إذا قصد إلى ربّه فالله أولى به[2].

---

(1) مجمع البيان ٤: ٨٢٣.

(2) تفسير القمي ١: ٣٠٢. وروى الواقدي في المغازي ٢: ٥٠٦ بسنده عن السائب ابن أبي لبابة عن أبيه قال: لمّا أرسل بنو قريظة إلى رسول الله يسألونه أن يرسلني إليهم دعاني رسول الله فقال: إذهب إلى حلفائك، فإنّهم أرسلوا إليك من بين الأوس.

قال: فدخلت عليهم فأسرعوا إليّ وقالوا:

يا أبا لبابة، نحن مواليك دون الناس كلّهم.

وقام كعب بن أسد فقال: أبا بشير، قد علمت ما صنعنا في أمرك وأمر قومك يوم الحدائق وبعاث وكلّ حرب كنتم فيها، وقد اشتدّ علينا الحصار وهلكنا، ومحمّد يأبى أن يفارق حصننا حتّى ننزل على حكمه، ولو زال عنّا لحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نكثّر عليه جمعاً أبداً. ثمّ قال كعب: ما ترى؟ فإنّا قد اخترناك على غيرك! إنّ محمّداً قد أبى إلّا أن ننزل على حكمه، أفننزل؟

قال أبو لبابة: فقلت: نعم فانزلوا. وأومأت إلى حلقي أنّه الذبح.

ثمّ نزلت والناس ينتظرون رجوعي إليهم ... فندمت واسترجعت وبكيت وأخذت من وراء الحصن طريقاً آخر حتّى جئت إلى المسجد فارتبطت إلى الإسطوانة المخلّقة (المخلّقه

←

وفي ليلة نزول بني قريظة على حكم رسول الله قام فيهم رجل يدعى عمرو بن سُعدى، فروى الواقدي أنّه قال لهم:

يا معشر اليهود، إنكم قد حالفتم محمّداً على ما حالفتموه عليه أن لا تنصروا عليه أحداً من عدوّه، وأن تنصروه على من دَهَمَه، فنقضتم ذلك العهد الذي كان بينكم وبينه، فلم أدخل فيه ولم أشرككم في غدركم. فإن أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهوديّة وأعطوا الجزية[1] ووالله ما أدري يقبلها أم لا؟

فقالوا له: نحن لا نقرّ للعرب بخرج في رقابنا يأخذوننا به، القتل خير من ذلك!

فقال لهم: فإنّي بريء منكم

وجاء منهم أسد بن عبيد ـ ومعه ابنا أخيه أُسيد وثعلبة ابنا سَعْية ـ فقال لهم

يا معشر بني قريظة، والله إنّكم لتعلمون أنّه رسول الله وأنّ صفته عندنا، حدّثنا بها علماؤنا وعلماء بني النضير هذا أوّلهم ـ وأشار إلى حُيَيّ بن أخطب وكان قد دخل حصن بني قريظة بعد رجوع قريش ـ مع جُبير بن الهيّبان أصدق الناس عندنا، فهو قد خبّرنا بصفته عند موته.

فقالوا له: لا نفارق التوراة.

مطلاة بالخلوق: نوع من العطر العربي قديماً)

وبلغ رسول الله ذهابي ومن صنعت فقال: دعوه حتى يحدث الله فيه ما يشاء، لو كان جاءني استغفرت له، فأمّا إذ لم يأتني وذهب فدعوه. (مغازي الواقدي ٢: ٥٠٦ و٥٠٧).

(١) هذا أوّل ذكر للجزية في صدر الإسلام من دون سبق قرآن أو سنّة فيها، وأصلها بالسريانية: گزيت بمعنى الضريبة على الرؤوس.

فلمّا رأى هؤلاء النفر إباء قومهم نزلوا في تلك الليلة فأسلم هؤلاء الثلاثة وأمّا عمرو بن سُعدى فمرّ على وجهه فلم يدر أين ذهب [١].

نزولهم على الحكم :

قال القمي في تفسيره : وبقوا أيّاماً، حتّى جزعوا جزعاً شديداً وبكت النساء والصبيان . فلمّا اشتدّ عليهم الحصار نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأمر بالرجال فكتّفوا وكانوا سبعمئة، وأمر بالنساء فعُزلن [٢]

وقام الأوس إلى رسول الله فقالوا : يا رسول الله حلفاؤنا وموالينا من دون الناس، نصرونا على الخزرج في المواطن كلّها، وقد وهبت لعبد الله بن أُبيّ سبعمئة دارع وثلاثمئة حاسر في صحيفة واحدة، ولسنا نحن بأقلّ من عبد الله بن أُبيّ!

فلمّا أكثروا على رسول الله قال لهم : أما ترضون أن يكون الحكم فيهم إلى رجلٍ منكم ؟!

فقالوا : بلى، فمن هو ؟ قال : سعد بن مُعاذ . قالوا : قد رضينا بحكمه

فأتوا به في محفّة، واجتمعت الأوس حوله يقولون له

---

(١) مغازي الواقدي ٢ : ٥٠٣ و ٥٠٤ . ومختصر خبرهما ابن إسحاق في السيرة ٣ : ٢٤٩ .

(٢) وقال الواقدي : أمر رسول الله بأسرهم وجعل على كتافهم محمد بن مسلمة ، فكتّفوا رباطاً وعُزلوا ناحية . وأخرجوا النساء والذريّة من الحصون فكانوا ناحية . واستعمل رسول الله عليهم عبد الله بن سلام . وأمر رسول الله بجمع أمتعتهم وما وُجد في حصونهم من الحلْقة (السلاح) والأثاث والثياب

فروي أنّهم وجدوا فيها ألف رمح ، وألفاً وخمسمئة سيف ، وألفاً وخمسمئة ترس وجحفة (من جلود) ، وثلاثمئة درع . وأخرجوا أثاثاً كثيراً وآنية كثيرة ، وجراراً من خمر وسكر ، فأراقوه ولم يخمّسوه (وخمّسوا ما عداها) وجمالاً وماشية ـ مغازي الواقدي ٢ : ٥٠٩ و ٥١٠ .

يا أبا عمرو، اتقّ الله وأحسن في حلفائك ومواليك، فقد نصرونا ببعاث والحدائق والمواطن كلّها.

فلمّا أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم!

فقال الأوس: وا قوماه! ذهبت ـ والله ـ بنو قريظة. وبكت النساء والصبيان حول سعد، فلمّا سكتوا قال لهم:

يا معشر يهود! أرضيتم بحكمي فيكم؟

فقالوا: بلى قد رضينا بحكمك، وقد رجونا نَصفك ومعروفك وحسن نظرك!

فأعاد عليهم القول، فقالوا: بلى يا أبا عمرو!

فالتفت إلى رسول الله إجلالاً له فقال:

ما ترى بأبي أنت وأمّي يا رسول الله؟

قال: احكم فيهم يا سعد، فقد رضيت بحكمك فيهم[1].

فروى الطبرسي في «إعلام الورى» عن الصادق عليه‌السلام قال: فحكم فيهم بقتل الرجال، وسبي الذراري والنساء، وقسمة الأموال، وأن يجعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار.

فقال رسول الله: قد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة (السماوات)[2]. قال القمي: وساقوا الأُسارى إلى المدينة.

وأمر رسول الله بأخدود فحفرت بالبقيع.

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٩٠ و١٩١، ونحوه في السيرة ٣: ٢٤٩ ـ ٢٥١، وفي مغازي الواقدي ٢: ٥١٠ ـ ٥١٢ أكثر تفصيلاً.

(٢) إعلام الورى ١: ١٩٦، وعنه المازندراني في مناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٠.

فلمّا أمسى أمر بإخراج رجل رجل، فكان يضرب عنقه[1].

واختصر المفيد في «الإرشاد» فقال:

أقام النبيّ ﷺ محاصراً لبني قريظة خمساً وعشرين ليلة حتّى سألوه النزول على حكم سعد بن معاذ.

فحكم فيهم سعد بقتل الرجال وسبي الذراري والنساء، وقسمة الأموال.

فقال النبيّ له: يا سعد، لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة.

وأمر النبيّ بإنزال الرجال وكانوا تسعمئة رجل، فجيء بهم إلى المدينة وحبسوا في دور بني النجّار[2].

وخرج رسول الله إلى موضع السوق ـ اليوم ـ فخندق فيه خنادق، وأمر بهم أن يخرجوا وتقدّم إلى أمير المؤمنين أن يضرب أعناقهم في الخنادق[3].

مقتل كعب بن أسد

قال القمي في تفسيره: فأخرج كعب بن أسد مجموعة يداه إلى عنقه، وكان جميلاً وسيماً، فلمّا نظر إليه رسول الله قال له:

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٩١.

(٢) وقال الواقدي: فأمر بالسبي فسيقوا إلى دار أسامة بن زيد، والنساء والذرية إلى دار ابنة الحارث، وأمر بأحمال التمر فنثرت عليهم، وأمر بالسلاح والأثاث والمتاع والثياب فحمل إلى دار بنت الحارث، وتركوا الإبل والغنم هناك ترعى في الشجر.

ثمّ غدا رسول الله إلى السوق فأمر أن تحفر فيه خدود ما بين أحجار الزيت إلى موضع دار أبي جهم العدوي.

(٣) الإرشاد ١: ١١١، وعددهم هنا تسعمئة، وسيأتي أنهم كانوا سبعمئة.

يا كعب، أما نفعتك وصية ابن حرش الحبر الذكي الذي قدم عليكم من الشام فقال:

«تركت الخمر والخمور، وجئت إلى البؤس والتمور، لنبيّ يبعث، مخرجهُ بمكّة ومهاجرته في هذه البحيرة، يجتزئ بالكُسيرات والتميرات، ويركب الحمار العاري[1] في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوّة، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى منكم، يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر»؟

فقال كعب: قد كان ذلك يا محمّد! ولولا أنّ اليهود سيعيّروني أنّي جزعت عند القتل لآمنت بك وصدّقتك ولكنّي على دين اليهود، عليه أحيى وعليه أموت!

فقال رسول الله: قدّموه فاضربوا عنقه. فضربت عنقه[2].

ثمّ قدّم حيي بن أخطب فقال له رسول الله:

يا فاسق، كيف رأيت صنع الله بك؟!

فقال: والله يا محمّد ما ألوم نفسي في عداوتك، ولقد قلقلتُ كلّ مقلقل وجهدت كلّ الجهد، ولكن من يخذل الله يُخذَل[3].

وزاد المفيد في «الإرشاد»: ثمّ أقبل على الناس فقال:

أيها الناس، إنّه لا بدّ من أمر الله، كتاب وقدر وملحمة كُتبت على بني إسرائيل!

ثمّ أقيم بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول: قتلة شريفة بيد شريف!

فقال له أمير المؤمنين: إنّ خيار الناس يقتلون شرارهم، وشرارهم يقتلون

---

(١) تذكّر بما سبق عن القمي: أنّ النبيّ دنا من حصن بني قريظة على حمار.

(٢) وفي مغازي الواقدي ٢: ٥١٦ مختصراً.

(٣) تفسير القمي ٢: ١٩١ وفي مغازي الواقدي ٢: ٥١٣ و٥١٤ مختصراً.

خيارهم، فالويل لمن قتله الأخيار الأشراف، والسعادة لمن قتله الأراذل الكفّار!

فقال حُييّ: صدقت! لا تسلبني حُلّتي.

قال علي عليه السلام: هو أهون عليّ من ذلك.

فقال: سترتني ستَرك الله! ثمّ مدّ عنقه فضربه علي ولم يسلبه حُلّته.

ثمّ قال لمن جاء به: ما كان يقول حُييّ وهو يُقاد إلى الموت؟

قال: كان يقول:

لعمرك ما لام ابن أخطبَ نفسَه ... ولكنّه من يخذل اللّهَ يخذلِ

لجاهدَ حتى بلّغَ النفسَ جُهدَها ... وحاول يبغي العزّ كلَّ مقلقَلِ[1]

فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

لقد كان ذا جَدٍّ وجِدٍّ بكفره ... فقِيدَ إلينا في المجامع يُعتلِ

فقلّدته بالسيف ضربة مُحفَظٍ[2] ... فصار إلى قعر الجحيم يكبّلِ

فذاك مآب الكافرين، ومن يطع ... لأمر إله الخلق في الخلد يُنزَلِ

وقد كان النبيّ أتاهم قبل مبايعتهم له يوماً يناظرهم، فأسدلت عليه امرأة منهم حجراً، فقرعها. فأمر اليوم بقتلها فقتلت من بين سائر النساء[3].

واصطفى من نسائهم امرأة هي عمرة بنت خُنافة[4].

---

(١) في سيرة ابن هشام ٣: ٢٥٣ نسب البيتين إلى جبل بن جوّال الثعلبي والمقلقل: المذهب في الأرض، أي في كلّ وجه ـ أساس البلاغة: ٧٨٨.

(٢) أحفظه أي: أغضبه، مُحفَظ أي: مغضب.

(٣) وقال ابن هشام: هي التي طرحت الرحا على خلّاد بن سويد فقتلته. وكذلك في مغازي الواقدي ٢: ٥١٦ و٥١٧ أكثر تفصيلاً.

(٤) الإرشاد ١: ١١٢، ١١٣. وفي السيرة ٣: ٧٥٦ ريحانة بنت عمرو بن خُنافة وعرض رسول الله عليها الإسلام فأبت إلّا اليهوديّة. فوجد لذلك في نفسه فعزلها. فبينا هو مع ←

واستمرّ قتلهم في الصباح وقرب المساء من ثلاثة أيام[1]، ولم يقتلهم في

→

أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فإذا هو ثعلبة بن سعْيَة اليهودي الذي أسلم جدّه فقال يا رسول الله، قد أسلمت ريحانة. فسرّه ذلك من أمرها، فعرض عليها أن يتزوّجها فقالت بل تتركني في ملكك فهو أخفّ عليّ وعليك! فتركها فكانت عنده حتى توفي عنها وهي في ملكه.

وروى الواقدي في المغازي ٢ : ٥٢٠ بالإسناد عن أيوب بن بشير المعاوي قال

أرسل بها رسول الله إلى بيت أمّ المنذر سلمى بنت قيس (إحدى خالاته من بني النجّار) فكانت عندها حتى حاضت وطهرت. فجاءت أمّ المنذر فأخبرته فجاءها النبيّ في منزل أمّ المنذر فقال لها إن أحببت أعتقك وأتزوّجك فعلت، وإن أحببت أن تكوني بالملك فعلت؟ قالت يا رسول الله، إنّه أخفّ عليك وعليّ أن أكون في ملكك. فكانت في ملكه حتى مات عنها.

ونقل عن الزهري قوله إنّها كانت تحتجب في أهلها وتقول لا يراني أحد بعد رسول الله.

ثمّ قال وكانت قبله ﷺ متزوّجة برجل يدعى الحكم وعليه فلم تكن بكراً.

وقال اليعقوبي ٢ : ٥٢ اصطفى رسول الله منهم ستّ عشرة جارية فقسمها على فقراء هاشم، وأخذ لنفسه منهنّ واحدة يقال لها : ريحانة.

(١) بينما روى الواقدي عن عائشة قالت قتل بنو قريظة يومهم حتى الليل على شعل السعف!

وروى عن ابن كعب القُرظي قال قتلوا إلى أن غاب الشفق، ثمّ ردّ عليهم التراب في الخندق وكان من شكّ فيه منهم أن يكون بلغ نظر إلى مؤتزره، فإن كان أنبت قتل وإن كان لم ينبت طُرح في السبي وروى مثله الطوسي في الأمالي ٣٩٠ ح ٨٥٧.

وروى عن ابن حزم أنّهم كانوا ستمئة، وعن ابن المنكدر أنّهم كانوا ما بين ستمئة إلى

←

حرّ الظهر، وكان يقول: أحسنوا إلى أسراهم أطعموهم الطيّب واسقوهم العذب[1].

ونقل الطبرسي في تفسيره عن عروة قال: زعموا أنّهم كانوا ستمئة مقاتل، وقيل إنّما قتل منهم أربعمئة وخمسون رجلاً وسبي سبعمئة وخمسين[2].

شفاعتان مقبولتان:

روى ابن إسحاق بالإسناد عن عبد الله بن صعصعة من بني النجّار قال: كانت أُمّ المنذر سلمى بنت قيس من بني النجّار من خالات رسول الله، قد بايعته بيعة النساء وصلّت معه القبلتين، وكان لها معرفة ببعض بني قريظة، فلاذ بها منهم غلام قد بلغ يُدعى رفاعة بن سموأل، فقالت لرسول الله:

يا نبيّ الله، بأبي أنت وأُمّي، هب لي رفاعة فإنّه قد زعم أنّه سيصلّي ويأكل لحم الجمل، فوهبه لها فبقي حيّاً من بينهم[3].

وكان بنو قريظة حلفاء الأوس على الخزرج، فنصروهم عليهم يوم بُعاث، فظفر منهم الزبير بن باطا بثابت بن قيس بن شمّاس من الخزرج أسيراً، فروى ابن

سبعمئة، وعن ابن عباس أنّهم كانوا سبعمئة وخمسين.

فلمّا أصبحن نساء بني قريظة وعلمن بقتل رجالهن جيّبن وشققن الجيوب ونشرن الشعور وضربن الخدود على رجالهن ـ المغازي ٢: ٥١٧ و٥١٨.

(١) تفسير القمي ٢: ١٩٢ وفي مغازي الواقدي ٢: ٥١٤ قال ﷺ: لا تجمعوا عليهم حرّ الشمس وحرّ السلاح. أحسنوا إسارهم وقيّلوهم واسقوهم حتى يبردوا فتقتلوا من بقي.

(٢) مجمع البيان ٨: ٥٥٣.

(٣) سيرة ابن هشام ٣: ٢٥٥ وفي مغازي الواقدي ٢: ٥١٤ و٥١٥.

إسحاق عن الزهري عن بعض وُلد الزّبير: أنّه جزّ ناصية ثابت وخلّى سبيله منّاً عليه.

وكان الزّبير يوم بني قريظة شيخاً كبيراً أسيراً فأراد ثابت أن يردّ عليه منّته عليه في الجاهلية، فأتى النبيّ فقال:

يا رسول الله، إنّه قد كانت للزبير عليّ منّة، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه.

فقال رسول الله: هو لك.

فأتاه فقال له: إنّ رسول الله قد وهب لي دمك، فهو لك.

قال الزبير: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟!

فأتى ثابت إلى رسول الله فقال له:

بأبي أنت وأمّي، يا رسول الله، هَبْ لي امرأته وولده. قال: هم لك.

فأتاه فقال له: قد وهب لي رسول الله أهلك وولدك، فهم لك.

قال: أهلُ بيت بالحجاز لا مال لهم؟! فما بقاؤهم على ذلك؟!

فأتى ثابت إلى رسول الله فقال له: يا رسول الله ماله؟ قال: هو لك.

فأتاه ثابت فقال له: قد أعطاني رسول الله مالك، فهو لك.

قال: أي ثابت، ما فعل الذي كأنّ وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحيّ، كعب بن أسد؟ قال: قتل.

قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حييّ بن أخطب؟ قال: قتل.

قال: فما فعل مقدّمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا فررنا عزّال بن سَمَوْأل؟ قال: قتل.

قال: فما فعل المجلسان بنو كعب بن قريظة وبنو عمرو بن قريظة؟ قال: قتلوا.

قال: يا ثابت، فإنّي أسألك بيدي عندك إلا ألحقتني بالقوم، فوالله ما في العيش خير بعد هؤلاء! فقدّمه ثابت فضرب عنقه[1].

ونقل الواقدي الخبر ولكنّه قال: قال الزبير: يا ثابت قدّمني فاقتلني. فقال ثابت: ما كنت لأقتلك. فقال الزبير: ما كنت أبالي من قتلني! ولكن يا ثابت، انظر إلى امرأتي وولدي فإنّهم جزعوا من الموت فاطلب إلى صاحبك أن يطلقهم ويردّ إليهم أموالهم.

فأدناه ثابت إلى الزبير بن العوّام فقدّمه فضرب عنقه.

ثمّ طلب ثابت من رسول الله في أهل الزبير وولده وماله.

فترك رسول الله أهله من السبا، وردّ على ولده الأموال من النخل والإبل والرثة، إلّا الحلقة (السلاح)، فكانوا مع آل ثابت بن قيس بن شماس[2].

تقسيم الغنائم وبيعها:

قال الطبرسي في «مجمع البيان»: ثمّ قسّم رسول الله نساءهم ونساءهم وأموالهم على المسلمين، وبعث بسبايا منهم إلى نجد مع سعد بن زيد الأنصاري، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً[3].

وزاد ابن إسحاق: ثمّ إنّ رسول الله أخرج الخمس من أموال بني قريظة وقسّم ما سواه على المسلمين، فكان للفارس ثلاثة أسهم، سهمان للفرس وسهم للفارس، وسهم للراجل[4].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣: ٢٥٣ و٢٥٤.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٥٢٠.

(٣) مجمع البيان ٨: ٥٥٣. ونحوه في السيرة

(٤) سيرة ابن هشام ٣: ٢٥٥ و٢٥٦.

وزاد الواقدي : أنّ المسلمين كانوا ثلاثة آلاف والخيل فيهم ستّة وثلاثون فرساً، فكانت الأسهم على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهماً . للفرس سهمان ولصاحبه سهم .

وروى : أنّها جُزِّئت خمسة أجزاء فأخرج خمسه قبل بيع المغنم فأخذ خمسه، فكان يهب ويُخدم من أراد ويعتق منه، وكذلك صنع بما أصاب من أثاثهم فقسمها قبل أن تباع، وكذلك عزل خمس النخل .

والذي قسم المغنم بين المسلمين مَحْمِيَّة بن جَزْء الزُّبيدي

وروى : أنّه ﷺ قال يومئذٍ : لا يفرّق بين الأم وولدها حتى يبلغوا

فقيل : يا رسول الله، وما بلوغهم ؟

قال : تحيض الجارية، ويحتلم الغلام .

فكانت الأم تباع مع ولدها الصغار، ويفرّق بين الأم والبنت إذا بلغت، وكذا بين الأختين إذا بلغتا . فإذا كان الولد صغيراً لا أُمّ له لم يُبع إلّا من المسلمين

وقيل : إنّ النبي لمّا قَسّم جعل الشبابات منهن على حدة والعجائز على حدة . وباع طائفة منها لعثمان بن عفّان وعبد الرحمان بن عوف، فخيّر عبد الرحمن عثمان، فأخذ عثمان العجائز . فربح عثمان مالاً كثيراً، لما كان يوجد عند العجائز من المال دون الشواب .

وبعث طائفة منهم إلى الشام مع سعد بن عُبادة يبيعهم ويشتري بهم خيلاً وسلاحاً . وبعث طائفة أخرى إلى نجد .

وروى عن محمّد بن مَسلمة قال : كان حقّي وحقّ فرسي من السبي والأرض والأثاث خمسة وأربعون ديناراً، فاشتريت به يومئذٍ من السبي امرأة ومعها ابناها . وعمري مثلي .

وروى عن أسلم بن بجرة الساعدي: أنّ أبا الشحم اليهودي اشترى امرأتين مع كلّ منهما ثلاثة أطفال بنين وبنات بمئة وخمسين ديناراً.

وروى: أنّه ﷺ أسهم لخلّاد بن سويد الذي قتل تحت الحصن بالحجر، ولأبي سنان بن محصن الذي مات في المقاتلين. وشهد بني قريظة خمس نسوة فلم تُسهِم لهن ولكنّه أعطاهن شيئاً[1].

ما نزل فيها من القرآن:

مرّ في حرب الأحزاب ذكر آيات الأحزاب من الآية ٩ إلى ٢٥ من سورة الأحزاب، وقال القمي فيها: نزلت في قصّة الأحزاب من قريش والعرب الذين تحزّبوا على رسول الله ﷺ[2] وفي الآيتين ٢٦ و ٢٧ قال:

ونزل في بني قريظة: ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً * وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كلّ شيءٍ قديراً ﴾[3]

وهذا يقتضي نزول السورة بعد بني قريظة في السنة الخامسة.

والآيات السبع التوالي ٢٨ ـ ٣٤ تخاطب أزواج النبي ﷺ بدءاً بقوله سبحانه: ﴿ يا أيّها النبيّ قل لأزواجك إن كنتنّ تُردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أُمتّعكنّ وأُسرّحكنّ سراحاً جميلاً * وإن كنتنّ تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإنّ الله أعدّ للمحسنات منكنّ أجراً عظيماً ﴾ وقد قال المفسرون بشأنها ومنهم القمي:

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٥٢١ ـ ٥٢٥.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٧٦.

(٣) تفسير القمي ٢: ١٨٩ و ١٩٢.

كان سبب نزولها أنه لما رجع رسول الله من غزاة خيبر(1) وخيبر كانت في أوائل السابعة.

بل قالوا: إن أزواجه ﷺ كنّ يومئذٍ تسعاً وعدّوا منهنّ زينب بنت جحش ـ تزوّجها في أواخر الخامسة ـ وجويرية بنت الحارث زعيم بني المصطلق ـ في السادسة ـ وصفية بنت حييّ بن أخطب ـ في أوائل السابعة ـ وميمونة بنت الحارث الهلالية ـ آخر الثامنة ـ[2].

وهذا يقتضي نزول السورة أو هذه الآيات منها في أواخر الثامنة بعد زواجه بميمونة بنت الحارث الهلالية في عمرة القضاء في آخر الثامنة.

والآية ٣٣ منها فيها قوله سبحانه: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾ وهو ما استفاضت الأخبار بنزوله في بيت أُمّ سلمة في من اشتمل عليهم كساء النبيّ: هو وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[3] وليس في خبر من أخباره ـ على كثرتها واختلاف ألفاظها ـ أنّ الحسن عليه السلام أو الحسين عليه السلام كان رضيعاً أو طفلاً محمولاً، بل يبدو منها أنّهما كانا يافعين يمشيان ويُدركان ظاهراً، فلم يكن النزول في السنة الخامسة.

وعليه فأنا أُؤجّل ذكر هاتين الحادثتين: تخيير النبيّ أزواجه، ونزول آية التطهير إلى أواخر السنة الثامنة. وفيما قبل ذلك أذكر خبر «تفسير القمي» في تخيير أزواج النبيّ بعد خيبر، لنصّه على ذلك.

---

(1) تفسير القمي ٢: ١٩٢.

(2) التبيان ٨: ٣٣٦ ومجمع البيان ٨: ٥٥٤، ٥٥٥.

(3) تفسير القمي ٢: ١٩٣ وفرات الكوفي: ٣٣٦ ـ ٣٤٠ والتبيان ٨: ٣٣٩ ـ ٣٤١ ومجمع البيان ٨: ٥٥٩، ٥٦٠.

شهادة سعد بن مُعاذ:

في «مجمع البيان» للطبرسي: قالوا: فلمّا انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن مُعاذ، فردّه رسول الله إلى الخيمة التي ضُربت عليه في المسجد.

وروى عن جابر بن عبد الله قال: جاء جبرئيل إلى رسول الله فقال له: مَن هذا العبد الصالح الذي مات ففتحت له أبواب السماء وتحرّك له العرش؟! فخرج رسول الله فإذا سعد بن مُعاذ قد قُبض[1].

---

(1) مجمع البيان ٨: ٥٥٣. وقال الواقدي: ودخل عليه رسول الله يعوده في نفرٍ من أصحابه، فجلس رسول الله عند رأسه وجعل رأسه في حجره ثمّ قال:

اللّهم إنّ سعداً قد جاهد في سبيلك وصدّق رسولك وقضى الذي عليه، فاقبض روحه بخير ما تقبض فيه أرواح الخلق.

ففتح سعد عينه فقال: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أنّك قد بلّغت رسالته.

فوضع رسول الله رأسه من حجره وقام ورجع إلى منزله، فمكث ساعة من نهار أو أكثر من ساعة ثمّ مات.

ونزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله فقال له: يا محمّد، من هذا الرجل الصالح الذي مات فيكم؟ فتحت له أبواب السماء، واهتزّ له عرش الرحمن.

فقال رسول الله لجبرئيل: عهدي بسعد بن مُعاذ وهو يموت.

ثمّ خرج فزعاً إلى خيمة كُعيبة يجرّ ثوبه مُسرعاً، فوجد سعداً قد مات (وفي السيرة ٣: ٢٦٢).

ثمّ أمر رسول الله أن يُغسّل، فغسّله ابن أخيه الحارث بن أوس بن مُعاذ، وابن عمّه أُسيد ابن حضير، وكان سلمة بن سلامة يصبّ الماء، ورسول الله حاضر، فغُسّل بالماء الأولى، والثانية بالماء والسدر، والثالثة بالماء والكافور، ثمّ كُفّن في ثلاثة أثواب صُحاريّة (من صحار في عمان) وأُدرج فيها إدراجاً. وأُتي بسرير كان عند آل نبيط يحمل عليه الموتى فوضع على ←

وروى الصدوق في «الأمالي» بسنده عن الصادق عليه السلام قال :

السرير، ورأوا رسول الله يحمله بين عمودي سريره حين رُفع من داره إلى أن أُخرج وخرج الناس معه.

فلما برز إلى البقيع قال: خذوا في جهاز صاحبكم.

فروى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كنت أنا ممّن حفر له قبره عند دار عقيل يوم... وكان يفوح علينا المسك كلّما حفرنا قترة من تراب حتّى انتهينا إلى اللَّحد، وطلع علينا رسول الله وقد فرغنا من حفرته ووضعنا اللَّبِن والماء عند القبر، فوضعه رسول الله عند قبره ثمّ صلّى عليه والناس قد ملأوا البقيع.

فروى عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: نزل في قبره أربعة نفر: ابن أخيه الحارث بن أوس بن معاذ، وابن عمّه أُسيد بن حضير، وأبو نائلة، وسلمة بن سلامة، ورسول الله واقف على قدميه على قبره. فلمّا وُضع في لحده تغيّر وجه رسول الله وسبّح ثلاثاً، فسبّح المسلمون ثلاثاً حتّى ارتجّ البقيع، ثمّ كبّر رسول الله ثلاثاً، فكبّر أصحابه ثلاثاً حتّى ارتجّ البقيع بتكبيره.

فسُئل رسول الله عن ذلك: يا رسول الله رأينا لوجهك تغيّراً وسبّحت ثلاثاً؟!

قال: تضايق على صاحبكم قبره وضُمّ ضمّةً لو نجا منها أحد نجا منها سعد، ثمّ فرّج الله عنه!

(رواه ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٦٣)

وروى عن المسور بن رفاعة قال: جاءت أُمّ سعد تنظر إليه في اللَّحد، فردّها الناس، فقال رسول الله: دعوها. فأقبلت حتّى نظرت إليه وهو في اللحد قبل أن يُبنى عليه اللَّبِن والتراب، فقالت: أحتسبك عند الله!

وعزّاها رسول الله على قبره، وجعل المسلمون يردّون تراب قبره ويسوّونه، وتنحّى رسول الله فجلس حتّى سُوّي على قبره ورُشّ على قبره الماء، ثمّ أقبل فوقف عليه فدعا له وانصرف. (مغازي الواقدي ٢: ٥٢٥ ـ ٥٣١)

أُتي رسول الله فقيل له: سعد بن مُعاذ قد مات. فقام رسول الله وقام أصحابه معه فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب.

فلمّا حُنّط وكُفّن وحُمل على سريره تبعه رسول الله بلا حذاء ولا رداء، ثمّ كان يأخذ يمنة السرير مرّة ويسرة السرير مرّة حتّى انتهى به إلى القبر، فنزل رسول الله حتّى لحّده وسوّى عليه اللّبن وجعل يقول: ناولوني حجراً، ناولوني تراباً فيسدّ به ما بين اللّبن. فلمّا أن فرغ وحثا عليه التراب وسوّى قبره قال رسول الله: إنّي لأعلم أنّه سيبلى ويصل البلى إليه ولكنّ الله يحبّ عبداً إذا عمل عملاً أحكمه!

فلمّا أن سوّى التربة عليه قالت أم سعد من جانب: يا سعد هنيئاً لك الجنّة!

فقال رسول الله: يا أمّ سعد لا تجزمي على ربّك، فإنّ سعداً قد أصابته ضمّة!

فلمّا رجع رسول الله ورجع الناس قالوا له: يا رسول الله، لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد، إنّك تبعت جنازته بلا حذاء ولا رداء؟!

فقال: إنّ الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء فتأسّيت بها!

قالوا: وكنت تأخذ يمنة السرير ويسرته؟!

فقال: كانت يدي بيد جبرئيل عليه السلام آخذ حيث يأخذ!

فقالوا: أمرت بغسله وصلّيت على جنازته ولحّدته في قبره ثمّ قلت: إنّ سعداً قد أصابته ضمّة!

فقال: نعم، إنّه كان في خلقه سوء مع أهله[1].

---

(١) أمالي الصدوق وأمالي الطوسي: ٤٢٧ ح ٩٥٥ وعنهما في بحار الانوار ٢٢: ١٠٧ و١٠٨.

توبة أبي لبابة :

قال القمي في تفسيره: كان أبو لبابة بن عبد المنذر يصوم النهار، ويأكل بالليل ما يمسك به رمقه ممّا كانت تأتيه به ابنته، وتحلّه عند قضاء الحاجة.

وذات ليلة كان رسول الله في بيت أُم سلمة إذ نزلت توبته، فقال رسول الله لأُم سلمة: يا أُم سلمة، قد تاب الله على أبي لبابة.

فقالت أُم سلمة: أفأُؤذنه بذلك؟ فأذن لها، فأخرجت رأسها من الحجرة فقالت:

يا أبا لبابة، أبشر! لقد تاب الله عليك. فقال: الحمد لله. ووثبوا ليحلّوه فقال:

لا والله، حتّى يحلّني رسول الله! فجاء رسول الله فقال:

يا أبا لبابة، قد تاب الله عليك توبة لو ولدت من أُمّك يومك هذا، لكفاك!

فقال: يا رسول الله، أفأتصدّق بمالي كلّه؟ قال: لا، قال: فبثلثيه؟ قال: لا. قال: فبثلثه؟ قال: نعم. فأنزل الله تعالى:

﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً عسى الله أن يتوب عليهم إنّ الله غفور رحيم * خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم وتزكّيهم بها وصلّ عليهم إنّ صلاتك سكنٌ لهم والله سميع عليم * ألم يعلموا أنّ الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذُ الصدقات وأنّ الله هو التوّاب الرحيم ﴾[1]

---

(١) التوبة: ١٠٢ ـ ١٠٤ والخبر في تفسير القمي ١: ٣٠٣، ٣٠٤ وفي الآية ٢٧ من سورة الأنفال قال: نزلت هذه الآية مع الآية في سورة التوبة التي نزلت في أبي لبابة في غزوة بني

سرية أبي عتيك إلى خيبر:

قال الطبرسي في «إعلام الورى»: وبعث رسول الله عبد الله بن عتيك إلى

قريظة في سنة خمس من الهجرة وقد كتبت في هذه السورة مع أخبار بدر على رأس ستة عشر شهراً من الهجرة ١: ٢٧١ وقال الطوسي في التبيان ٥: ٢٩٠ وهو المرويّ عن الباقر والصادق عليهما السلام ونقله كذلك في مجمع البيان ٥: ١٠١.

ورویٰ ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٤٨ بسنده عن أمّ سلمة قالت: فسمعت رسول الله في السحر وهو يضحك! فقلت: ممّ تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سنّك. قال: تيب على أبي لبابة! قلت: أفلا أبشّره يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت. وكان ذلك قبل أن يضرب عليهنّ الحجاب فقمت على باب حجرتي فقلت:

يا أبا لبابة، أبشر، فقد تاب الله عليك.

فثار الناس إليه ليطلقوه فقال: لا والله حتّى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده. فلمّا خرج رسول الله لصلاة الصبح أطلقه.

وبالإسناد تاماً رواه الواقدي في مغازي الواقدي ٢: ٥٠٨.

وروى عن أمّ سلمة أيضاً قالت: رأيت رسول الله يحلّ عنه رباطه، وإنّ رسول الله ليرفع صوته يكلّمه ويخبره بتوبته فما يدري كثيراً ممّا يقول من الجهد والضعف.

ثمّ قال: ويقال: كان ارتبط من شهر ولقد مكث خمس عشرة ليلة مربوطاً فكان الرباط قد حزّ في ذراعيه، فكان يداويه دهراً بعد ذلك، وبعد ما برئ، كان ذلك بيّناً في ذراعيه.

وروى عن الزهري قال: إنّه ارتبط سبعاً بين يوم وليلة، عند الاسطوانة التي عند باب أمّ سلمة، وكان ذلك في حرّ شديد وهو لا يأكل فيهنّ ولا يشرب، حتّى إنّه ما كان يسمع الصوت من الجهد. هذا، ومحاصرة بني قريظة كانت بعد الخندق وهي كانت في برد شديد، كما مرّ الخبر عنه في الصفحة: ٥٢٦ فما بعدها.

خيبر ليغتال أبا رافع (سلام) بن أبي الحقيق[١].

وقال ابن إسحاق: لمّا انقضىٰ شأن الخندق وأمر بني قريظة كان سلّام بن أبي الحقيق ممّن حزّب الأحزاب علىٰ رسول الله.

فروى عن ابن شهاب الزهري، عن عبد الله بن كعب، عن أبيه كعب بن مالك الأنصاري قال: كان ممّا صنع الله لرسوله أن هذين الحيّين من الأنصار الأوس والخزرج كانا يتسابقان في نصرة رسول الله، لا تصنع الأوس شيئاً لا تنتهي الخزرج حتىٰ تفعل مثله، وتفعل الخزرج شيئاً فتفعل الأوس مثله.

وكانت الأوس ـ بعد بدر وقبل أُحد ـ قتلت كعب بن الأشرف لتحريضه علىٰ رسول الله، فاستأذنته الخزرج بعد الخندق في قتل ابن أبي الحُقيق، وكان في العداوة لرسول الله كابن الأشرف، فأذن لهم في ذلك.

فانتدب لذلك منهم أربعة هم: الحارث بن ربعي، وعبد الله بن أُنيس، وعبد الله بن عتيك، ومسعود بن سنان، وخامسهم الخزاعي بن الأسود الأسلمي حليفهم. وأمّر عليهم رسول الله منهم عبد الله بن عتيك. ونهاهم عن أن يقتلوا امرأة أو وليداً[٢].

وروى الواقدي بسنده عن عطية بن عبد الله بن أُنيس، عن أبيه، قال: وقد كانت أمّ عبد الله بن عتيك بارضاعه يهوديّة في خيبر[٣]. فكان عبد الله يرطن باليهوديّة، فقدّمناه لذلك[٤] وخرجنا من المدينة (في السحر ليلة الإثنين لأربع

---

(١) إعلام الورىٰ ١: ١٩٦.

(٢) سيرة ابن هشام ٣: ٢٨٦، ٢٨٧.

(٣) مغازي الواقدي ١: ٣٩١.

(٤) مغازي الواقدي ١: ٣٩٢.

حمون من ذي الحجّة) حتّى انتهيا إلى خيبر ، فبعث عبد الله إلى أُمّه اليهوديّة بخيبر فأعلمها بمكانه خارج خيبر ، فخرجت إلينا بجراب مملوءٍ خبزاً وتمراً كبيساً، فأكلنا منه.

ثمّ قال لها عبد الله : يا أُمّه ، إنّا قد أمسينا[1] فأدخلينا خيبر وخبّئينا عندك !

فقالت له : ومن تريد فيها ؟ قال : أبا رافع . قالت : فادخلوا في عمار الناس فادخلوا عليّ ليلاً ، فإذا هدأت الرِجْل فاكمنوا له . ففعلوا ، ودخلوا عليها ليلاً ، فلمّا هدأت الرجل قالت لهم : انطلقوا[2].

وروى ابن إسحاق عن الزُهري ، عن عبد الله بن كعب ، عن كعب بن مالك الأنصاري قال : فخرجوا حتّى أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلّا أغلقوه على أهله ، وكان هو في قصرٍ عالٍ يُصعد إليه بعجلة[3].

وفي رواية الواقدي قال عبد الله بن أُنيس : فقدّمنا عبد الله بن عتيك وصعدنا واستفتحنا عليه ، فجاءت امرأته فقالت : ما شأنك ؟ فرطن ابن عتيك باليهوديّة وقال : جئت أبا رافع بهديّة ، ففتحت له ، فازدحمنا على الباب أيّنا يبادر إليه ، فلمّا رأت السلاح أرادت أن تصيح فأشرت إليها بالسيف ، فسكتت ، فقلت لها : أين أبو رافع ؟ وإلّا ضربتك بالسيف ! فقالت : هو ذاك في البيت .

فدخلنا عليه ، فما عرفناه إلّا ببياضه كأنّه قُبطيّة[4] مُلقاة ، فعلوناه بأسيافنا. فصاحت امرأته ، فهمّ بعضنا أن يخرج إليها ثمّ ذكرنا أنّ رسول الله نهانا عن قتل

---

(١) من هنا يعلم أنّ المسير من المدينة إلى خيبر استغرق بياض النهار .

(٢) مغازي الواقدي ١ : ٣٩١ و٣٩٢ .

(٣) سيرة ابن هشام ٣ : ٢٨٧ . والعجلة : جذع نخلة يصعد عليها إلى الغرف العالية في الدار ـ لسان العرب ١٣ : ٤٥٦ ـ.

(٤) القُبطية ـ بالكسر والضم ـ : ثياب بيضاء مصريّة منسوبة إلى أقباطها .

النساء. وكان سقف البيت منخفضاً فكانت سيوفنا ترتدّ إلينا، فاتّكأت بسيفي على بطنه حتّى سمعت صوت نفوذه في الفراش، فعرفت أنّه قتل، وأصابه من معي أيضاً. ولمّا تصايحت امرأته تصايح أهل الدار ولكنّهم لم يفتحوا أبوابهم طويلاً حتّى نزلنا واختبأنا في منهر خيبر[1] ثمّ خرجت اليهود ومعهم كبيرهم الحارث أبو زينب في أيديهم النيران في شعل السعف يطلبونا، ونحن في بطن المنهر وهم على ظهره فلا يروننا. ولمّا أوعبوا في الطلب فلم يروا شيئاً رجعوا إلى امرأته.

وقال قومنا فيما بينهم: لو أنّ بعضنا أتاهم فنظر هل مات الرجل أم لا؟ وكان أبو قتادة الأسود بن خزاعي[2] قد نسي قوسه وذكرها بعد ما نزلنا فخرج الأسود وتشبّه بهم فجعل في يده شعلة كشعلهم حتّى دخل مع القوم. وكرّ القوم ثانية إلى القصر فكرّ معهم فوجد الدار قد امتلأت، وأقبلوا ينظرون إلى أبي رافع، وأقبلت امرأته ومعها شعلة من نار وأحنت عليه تنظر أحيّ هو أم ميّت؟ فقالت: لقد فاضت نفسه وإله موسى! وإذا الرجل لا يتحرّك منه عرق. وأخذوا في جهازه يدفنونه.

قال الأسود: فخرجت معهم فانحدرت على أصحابي في المنهر فأخبرتهم.

ومكثنا في مكاننا يومين حتّى سكن عنّا الطلب، ثمّ خرجنا مقبلين إلى المدينة.

فقدمنا على النبيّ ـ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ـ وهو على المنبر، فلمّا رآنا قال: أفلحت الوجوه!

---

(١) المنهر: النافذ من خارج الحصن إلى داخله يجري منه الماء في وقته ـ لسان العرب ٧: ٩٥.

(٢) كذا في الواقدي، وقد مرّ عن ابن إسحاق: خزاعي بن الأسود الأسلمي.

قلنا: أفلح وجهك يا رسول الله! قال: أقتلتموه؟ قلنا: نعم، وكلّنا يدّعي قتله.

فقال: عليّ بأسيافكم. فأتيناه بأسيافنا، فقال ـ مشيراً إلى سيف بن أنيس ـ: هذا قتله، هذا أثر الطعام في السيف[1].

سرية أبي عبيدة:

قال المسعودي في «التنبيه والإشراف»: ثمّ كانت سرية أبي عبيدة بن الجرّاح الفهري القرشي، إلى سيف البحر، في ذي الحجّة[2] لسنة الخامسة.

وقال الكازروني في «المنتقى»: في ذي الحجّة من هذه السنة (الخامسة) ركب رسول الله فرساً إلى الغابة (قرب المدينة) فسقط عنه فجرح فخذه الأيمن، فأقام في البيت خمسة أيّام يصلّي فيها قاعداً.

وقال: وفي هذه السنة نزلت فريضة الحجّ وأخّره رسول الله[3].

زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش:

قال المسعودي: وفي هذه السنة (الخامسة للهجرة) تزوّج رسول الله

---

(١) مغازي الواقدي ١: ٣٩١ ـ ٣٩٤ وفيه بسنده عن ابن عباس: أنه لما قتل أبو رافع أمّرت اليهود أسير بن رزام وكان رجلاً شجاعاً فأرسل اليه رسول الله سرية أخرى فقتلوه في شوّال سنة ست، كما سيأتي فأمّروا بعده كنانة بن أبي الحقيق أخا سلام المقتول هذا، فكانت معه غزوة خيبر. [٢: ٥٦٦]

(٢) التنبيه والإشراف: ٢١٧

(٣) عنه في بحار الانوار ٢٠: ٢٩٨

بزينب بنت جحش ابنة عمّته أُميمة بنت عبد المطّلب[1].

وفي رواية أبي الجارود في تفسير القمي عن الإمام الباقر عليه السلام قال :

إنّ رسول الله خطب ابنة عمّته زينب بنت جحش لزيد بن حارثة[2]

---

(١) مروج الذهب ٢: ٢٨٩، والتنبيه والإشراف: ٢١٧ وقال الكازروني في المنتقى : تزوّجها رسول الله لهلال ذي القعدة سنة خمس ، وهي يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة ـ بحار الأنوار ٢٠: ٢٩٧.

(٢) فقالت : يا رسول الله حتى أؤامر نفسي فأنظر ! فأنزل الله : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ (الأحزاب: ٣٦) فقالت : يا رسول الله ، أمري بيدك ... » تفسير القمي ٢: ١٩٤ ونقل الطوسي في التبيان ٨: ٣٤٣ مثله عن قتادة ومجاهد عن ابن عبّاس. وعنه الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٥٦٣.

هذا وقد ذكر في التبيان ٨: ٣٣٤ وعنه في مجمع البيان ٨: ٥٥٤ و٥٥٥ في تفسير الآية ٢٨ من سورة الأحزاب ﴿يا أيّها النبيّ قل لأزواجك ...﴾ أنّهنّ كنّ يومئذٍ تسعاً وعدّوا منهنّ زينب بنت جحش. ومقتضى هذا أن تكون هذه الآية متأخّرة عن الآية ٣٦ ولا أقلّ من عام.

والآية التالية لها ٣٧ في طلاق زيد لزينب وزواج الرسول بها. ولا بدّ من فصل معتدّ به بين خطبتها لزيد وطلاقها وزواج الرسول بها، فكيف اقترنت الآيتان ؟!

وقد قال القمي في تفسيره ٢: ١٩٢ : أنّ نزول الآية ٢٨ كان بعد رجوع النبيّ من غزاة خيبر.

وتستمرّ الآيات في سياق واحد فتحتوي في الآية ٣٣ على قوله سبحانه : ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾ في علي والزهراء والحسنين عليهم السلام ، ويظهر من أخبار نزول الآية ما يؤيّد نزولها بعد خيبر. ولذلك فنحن نؤجّل ذكر ذلك إلى حوادث ما بعد خيبر.

(الكلبي)[١] فزوّجها إيّاه. فمكث عند زيد ما شاء الله

ثمّ إنّهما تشاجرا في شيء إلى رسول الله... فقال زيد:

يا رسول الله، تأذن لي في طلاقها، فإنّ فيها كبراً وإنّها لتؤذيني بلسانها!

فقال رسول الله: اتّق الله وأمسك عليك زوجك، وأحسن إليها

ثمّ إنّ زيداً طلّقها، وانقضت عدّتها. فأنزل الله نكاحها على رسول الله

قال:

﴿... فلمّا قضى زيدٌ منها وطراً زوّجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرجٌ في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهنّ وطراً وكان أمر الله مفعولاً * ما كان على

---

(١) روى القمي في تفسيره أيضاً ٢: ١٧٢ عن الصادق عليه‌السلام قال:

إنّ رسول الله لمّا تزوّج بخديجة بنت خويلد خرج إلى سوق عُكاظ في تجارة لها، ورأى زيداً يُباع، ورآه غلاماً كيّساً حصيفاً (عاقلاً حكيماً) فاشتراه (لها).

فلمّا نُبّئ رسول الله دعاه إلى الإسلام، فأسلم.

وكان أبوه حارثة بن شرحبيل الكلبي رجلاً جليلاً، فلمّا بلغه خبر ولده قدم مكّة فأتى أبا طالب فقال:

يا أبا طالب إنّ ابني وقع عليه السبي، وبلغني أنّه صار إلى ابن أخيك، فسله إمّا أن يبيعه وإمّا أن يفاديه، وإمّا أن يُعتقه.

فكلّم أبو طالب رسول الله، فقال رسول الله: هو حرّ فليذهب كيف يشاء!

فقام حارثة فأخذ بيد زيد وقال له: يا بُنيّ، إلحق بشرفك وحسبك!

فقال زيد: لست أُفارق رسول الله أبداً

فقال له أبوه: فتدع حسبك ونسبك وتكون عبداً لقريش؟!

فقال زيد: لست أُفارق رسول الله ما دمت حيّاً!

فغضب أبوه فقال: يا معشر قريش اشهدوا أنّي قد برئت منه وليس هو ابني!

فقال رسول الله: اشهدوا أنّ زيداً ابني أرثه ويرثني! فكان يدعى: زيد بن محمّد

للنبيّ من حرجٍ فيما فرض الله له سنّة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً * الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلّا الله وكفى بالله حسيباً * ما كان محمّد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّين وكان الله بكلّ شيءٍ عليماً ﴾[1].

وقال الطوسي في «التبيان»: إنّ زيداً جاء إلى النبيّ ﷺ مخاصماً زوجته زينب بنت جحش على أن يطلّقها، فقال له: أمسكها ولا تطلّقها ووعظه، وكان الله قد أمره أن يتزوّجها إذا طلّقها زيد، وخشي هو من إظهار هذا للناس وأخفاه في نفسه. فقال الله له: إن تركت إظهار هذا خشية الناس فترك إضماره من خشية الله أحقّ وأولى.

فلمّا طلّق زيد امرأته زينب أذن الله لنبيّه أن يتزوّجها، وأراد بذلك نسخ ما كان عليه أهل الجاهلية من تحريم زوجة الدّعي[2].

وروى الطبرسي في «مجمع البيان» عن زين العابدين عليه السلام قال: إنّ الذي أخفاه في نفسه هو: أنّ الله سبحانه كان قد أعلمه أنّ زيداً سيطلّقها وأنّها ستكون من أزواجه، فلمّا جاء زيد وقال له: أريد أن أطلّق زينب، قال له: ﴿ أمسك عليك زوجك ﴾ قال الله له: لِمَ قلت: ﴿ أمسك عليك زوجك ﴾ وقد أعلمتك أنّها ستكون من أزواجك؟![3]

وروى الصدوق في «عيون أخبار الرضا» عنه عليه السلام قال: جاء زيد بن حارثة إلى النبيّ ﷺ وقال له: يا رسول الله، إنّ امرأتي في خلقها سوء وإنّي أريد طلاقها

---

(1) تفسير القمي ٢: ١٩٤ والآية من سورة الأحزاب: ٣٧ ـ ٤٠.

(2) التبيان ٨: ٣٤٤ و٣٤٥.

(3) مجمع البيان ٨: ٥٦٤.

فقال له النبيّ ﷺ: ﴿ أمسك عليك زوجك واتّق الله ﴾

وقد كان الله ـ عزّ وجلّ ـ عرّفه عدد أزواجه وأنّ تلك المرأة منهنّ، فأخفى ذلك في نفسه ولم يُبده لزيد وخشي أن يقول الناس: إنّ محمّداً يقول لمولاه: إنّ امرأتك ستكون زوجة لي، يعيّبونه بذلك فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتّق الله ﴾ ثمّ إنّ زيد بن حارثة طلّقها واعتدّت منه، فزوّجها الله ـ عزّ وجلّ ـ من نبيّه ﷺ وأنزل بذلك قرآناً فقال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ فلمّا قضى زيدٌ منها وطراً زوّجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهنّ وطراً وكان أمر الله مفعولاً ﴾[1].

كان هذا في جواب المأمون الخليفة العبّاسي، وكذلك علي بن الجهم في مجلسه:

روى الصدوق عنه أيضاً قال: وأمّا محمّد ﷺ وقول الله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿ وتُخفي في نفسك ما الله مُبديه وتخشى الناس والله أحقّ أن تخشاه ﴾ فإنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ عرّف نبيّه ﷺ أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في دار الآخرة ومِمّن سمّي له زينب بنت جحش، وهي يومئذٍ زوجة زيد بن حارثة. فأخفى اسمها في نفسه ولم يبده، لكي لا يقول أحد من المنافقين: أنّه قال في امرأة في بيت رجل أنّها إحدى أزواجه من اُمّهات المؤمنين، وخشي قول المنافقين فقال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ وتخشى الناس والله أحقّ أن تخشاه ﴾[2]

والآيات التالية: ﴿ ما كان على النبيّ من حرج فيما فرض الله له، سنّة الله

(١) عيون أخبار الرضا ١: ٢٠٣.

(٢) عيون أخبار الرضا ١: ١٩٥ والآية: ٣٧ من سورة الأحزاب.

في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً * الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلّا الله وكفى بالله حسيباً ﴾[1] وكأنّ الآية استدراك على قوله سبحانه ﴿... وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه...﴾ فتصله مع ﴿ الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلّا الله ﴾ ثم ختمت الموضوع بالآية الأخيرة هذه ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً ﴾[2]

وفي الآية ٤ و ٥ من أوائل السورة بداية التمهيد لهذا الحكم، قوله سبحانه ﴿... ما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل * ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم...﴾

ثم تنصرف الآيات التالية عن هذا الموضوع إلى حرب الأحزاب، ثم بني قريظة، ثم أزواج النبي وتخييرهم بين الحياة الدنيا وزينتها أو الله ورسوله والدار الآخرة وقد قال المفسّرون أنهنّ كنّ يومئذٍ تسعاً: سودة بنت زمعة، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وصفية بنت حُييّ بن أخطب الخيبرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية[3] وقد تزوّج جويرية في السادسة، وصفية وميمونة في أوّل وآخر السابعة، وهذا يقتضي نزول السورة أو هذه الآيات منها بعد ذلك! ولذلك فحتى نؤخّر خبره إلى هنالك، بما ضمنت الآية ٣٣ من قوله سبحانه. ﴿ إنّما يريد الله

---

(١) الأحزاب: ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) الأحزاب: ٤٠

(٣) التبيان ٨: ٣٣٤، ٣٣٥ ومجمع البيان ٩: ٥٥٤ و ٥٧٣ و ٥٧٤.

ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ﴾ وبما بعدها من الآية ٣٥ ﴿ ان المسلمين والمسلمات ... ﴾ لما جاء في شأن نزولها من ذكر أسماء بنت عميس بعد رجوعها من الحبشة في السابعة.

ثم تعود الآيات فتستأنف قصة زينب بنت جحش وزوجها زيد من الآية ٣٦: ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ... ﴾ وتنهي الموضوع بالآية ٤٠ عدداً وتنصيصاً: ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ... ﴾.

ثم تتخلّل اثنتا عشرة آية منها ثلاث آيات تعود على أزواج النبيّ.

ثم تعود الآية ٥٣ الى ما يتعلق بوليمته ﷺ لزوجه زينب وهو قوله سبحانه ﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبيّ الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلك كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعاً فسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عند الله عظيماً ﴾

في تفسير القمي: لمّا تزوّج رسول الله بزينب بنت جحش ... أولم ودعا أصحابه وكان أصحابه اذا أكلوا أحبوا أن يتحدثوا عند رسول الله ﷺ، وهو يحب أن يخلو مع زينب، فأنزل الله الآية[1].

وروى الطبرسي عن أنس بن مالك قال: ان رسول الله ذبح شاة، وأعدّ تمراً وسويقاً، وبعثت امي ام سليم له بتور من حجارة فيه حيس (وهو تمر يخرج نواه ويعجن في قط وسمن) وأمرني رسول الله أن أدعو أصحابه الى الطعام

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٩٥.

فدعوتهم، فجعل القوم يجيئون ويأكلون ويخرجون، ثم يجيء القوم فيأكلون ويخرجون حتى ما وجدت أحداً أدعوه فقلت ذلك لرسول الله فقال: ارفعوا طعامكم. فرفعوه وخرج القوم، وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت فأطالوا المكث، فقام ﷺ فمشى حتى بلغ حجرة عائشة، وظن أنهم قد خرجوا فرجع فإذا هم جلوس مكانهم! وكان رسول الله يريد أن يخلو له المنزل فنزلت الآية[1].

مما يقتضي نزولها في زواج النبي بزينب بعد الأحزاب في الخامسة.

وجوب الحجاب:

وفي الآية: ﴿... وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهنّ من وراء حجاب ...﴾ وفي الآية ٥٥ ﴿لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهنّ ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهنّ ولا ما ملكت أيمانهنّ واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾ وقبلها في الآية ٣٢ ﴿يا نساء النبي لستنّ كأحد من النساء إن اتقيتنّ فلا تخضعنّ بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً * وقرن في بيوتكنّ ولا تبرجنّ تبرّج الجاهلية الأولى ...﴾ وبعدها في الآية ٥٩: ﴿يا أيّها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً﴾.

وفي الآية الأخيرة في تفسير القمي قال: كان سبب نزولها أن النساء كنّ يخرجن إلى المسجد يصلين خلف رسول الله، فإذا كان بالليل وخرجن إلى صلاة المغرب والعشاء الآخرة والغداة، قعد الشبان لهنّ في طريقهنّ فيؤذونهنّ ويتعرضون لهنّ فأنزل الله الآية[2]. وروى ابن سعد في «الطبقات» عن أنس بن

---

(١) مجمع البيان ٩: ٥٧٤.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٩٦ ونحوه في مجمع البيان ٩: ٥٨٠.

مالك: أن وجوب الحجاب كان في سنة زواج النبي بزينب. وعن ابن سعد أيضاً أنه كان في ذي القعدة[1].

أمّهات المؤمنين:

وفي الآية السادسة: ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أُمّهاتهم... ﴾ وجاء في ذيل الآية ٥٣: ﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً ﴾.

وفي تفسير القمي: كان سبب نزولها: أنه لما أنزل الله ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أُمّهاتهم... ﴾ قال طلحة [بن عبيد الله التيمي ابن عم عائشة]: تزوّج محمد نساءنا ويحرّم علينا نساءه؟! لئن أمات الله محمداً لنفعلنّ كذا وكذا... فأنزل الله الآية[2].

ونقل الطوسي عن السُدّي قال: لما نزلت آية الحجاب، قال رجل من بني تيم (؟!): أنُحجَبُ عن بنات عمّنا [عائشة] إن مات عرّسنا بهنّ، فنزل قوله: ﴿ ولا أن تنكحوا... ﴾.

وعن الشعبي عن عكرمة قال: لما نزلت آية الحجاب قال آباء النساء وأبناؤهن: ونحن أيضاً مثل أولئك؟ فأنزل الله: ﴿ لا جناح عليهنّ في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيداً ﴾[3].

---

(1) كما في الميزان ١٦: ٣٤٣.

(2) تفسير القمي ٢: ١٩٥.

(3) التبيان ٨: ٣٥٨ ومجمع البيان ٩: ٥٧٧ وفي الميزان ١٦: ٣٤٢ عن السدّي عن الدر ←

وروى الطبرسي عن ابن عباس قال: قال رجل من الصحابة (؟!): لئن قُبض رسول الله لأنكحنّ عائشة بنت أبي بكر! وقال مقاتل: هو طلحة بن عبيد الله[1].

والآية ٥٠: ﴿ يا أيّها النبي إنّا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أُجورهنّ وما ملكت يمينك ممّا أفاء الله عليك .. ﴾ قال القمي: يعني من الغنيمة[2] والتي أفاءها الله عليه من غنيمة الحرب هي: أولاً: جويرية بنت الحارث زعيم بني المصطلق، وغزوهم كان في السادسة. وثانية: صفية بنت حُييّ بن أخطب في حرب خيبر في أوائل السابعة. فهذا يقتضي نزولها لا أقل بعد حرب بني المصطلق مما في الآية من قوله سبحانه: ﴿ .. وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيّ ... ﴾ وشأن نزولها في هنالك.

والآيتان ٢٨ و ٢٩ وهما آيتا التخيير: ﴿ يا أيّها النبي قل لأزواجك إن كنتنّ تردن الحياة الدنيا وزينتها .. ﴾ قد قال القمي في سبب نزولها: أنّه لما رجع رسول الله من غزوة خيبر[3] بل في «التبيان» و«مجمع البيان» ما يدلّ على نزولها بعد زواجه بميمونة بنت الحارث الهلالية في آخر السابعة[4] فإلى هنالك.

المنثور رمز أخبر عن الحُميدي عن السُدي نفسه نزول الآيات بعد زواجه بأُم سلمة وحفصة وقول عثمان وطلحة عن كشف الحقّ للعلّامة الحلي: ٢٤٧ ط. بغداد، في الصفحة ٤٦٢ من هذا الكتاب، فراجع.

(١) مجمع البيان ٩: ٥٧٤.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٩٥.

(٣) تفسير القمي ٢: ١٩٢.

(٤) التبيان ٨: ٣٣٤ و ٣٣٥ ومجمع البيان ٦: ٥٥٤ و ٥٧٢.



أهمّ حوادث

السنة السادسة للهجرة



غزوة القُرَطاء:

قال المسعودي في حوادث السنة السادسة من الهجرة: في المحرّم كانت سريّة محمّد بن مسلمة الأنصاري إلى قبيلة القُرَطاء من بني بكر بن كلاب، بموضع يقال له: البَكرات بناحية ضريّة [1].

وروى الواقدي بسنده عن محمّد بن مَسلمة: أنّ رسول الله بعثه في ثلاثين رجلاً إلى بني بكر بن كلاب، وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار وأن يشنّ الغارة عليهم.

قال محمّد بن مَسلمة: فخرجت بأصحابي في عشر ليالٍ خلون من المحرّم على رأس خمسة وخمسين شهراً من الهجرة، وانطلق حتّى إذا كان بموضع يُطلعه على بني بكر فبعث عبّاد بن بشر إليهم فأوفى عليهم، فلمّا روّحوا ماشيتهم وحلبوها وردّوا إليهم وردّوها إلى مباركها جاء إلى محمّد بن مَسلمة فأخبره، فخرج محمّد بن مَسلمة فشنّ عليهم الغارة فقتل منهم عشرة، واستاقوا النعم والشياه وانحدروا إلى المدينة

(1) التنبيه والإشراف: 218.

فأصبحوا في الضريّة(١).

قال: ثمّ مضى الطلب فصدرنا بالنعم وطردت الشياه أشدّ الطرد فكانت تجري معنا كأنّها الخيل ثمّ أبطأت علينا الشاة بالربذة فخلّفناها مع نفرٍ من أصحابنا، وطردنا النعم فقدمنا بها المدينة على النبيّ، مئة وخمسين بعيراً وثلاثة آلاف شاة، فخمّسها رسول الله وقسّم ما بقي منها على أصحابه، وعدلوا كلّ جزور بعشر من الغنم فأصاب كلّ رجل منهم(٢).

غزوة بني لحيان:

روى الواقدي: أنّ رسول الله كان قد وجد على عاصم بن ثابت وأصحابه الذين قتلوا يوم الرجيع في أوّل سنة الرابعة، فخرج في مئتي رجل فيهم عشرون فارساً(٣) هلال ربيع الأوّل سنة ستّ(٤)، فنزل بناحية الجرف، فعسكر فيه أوّل النهار وهو يظهر أنّه يريد الشام(٥) ليصيبهم على غفلة. فسلك على جبل غراب بطريق الشام ثمّ على مخيض ثمّ على البتراء ثمّ خرج على يين ثمّ على صخيرات اليمام، ثمّ

---

(١) المغازي ٢: ٥٣٤ وجاء في الخبر: بعد ضريّة مسيرة ليلة أو ليلتين ثمّ يقول: وخرجت من ضريّة حتّى وردت على نخل وهي على يومين من المدينة. وقبلها يقول: فأبطأت علينا الشياه بالربذة وهي على ثلاثة أيّام من المدينة بل أربعة أيّام وعليه فلا تصحّ مسافة ضريّة ليلتين، بل يقرب ما في الطبقات ٢: ٥٦: سبع ليال من المدينة. ولا يصحّ ما في التنبيه والإشراف: ٢١٨: سبعة أميال، ولعلّه تصحيف الليال.

(٢) المغازي ٢: ٥٣٥.

(٣) المغازي ٢: ٥٣٦. وروى العدد كذلك ابن إسحاق ٢: ٢٩٢.

(٤) المغازي ٢: ٥٣٥.

(٥) المغازي ٢: ٥٣٦.

فاستقام على المحجّة من طريق مكّة فأسرع السير حتّى نزل منازل بني لحيان في غُران وادٍ بين أمج وعُسفان إلى بلدٍ يقال له ساية، فوجدهم قد حذروا به فتحصّنوا وتمنّعوا منه برؤوس الجبال[1] فأقام يوماً أو يومين وبعث السرايا في كلّ ناحية فلم يقدر على أحد منهم[2] فقال ـ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ـ لو أنّا هبطنا عُسفان لرأى أهل مكّة أنّا قد جئنا مكّة. فخرج في أصحابه حتّى نزل عُسفان[3] ثمّ بعث فارسين من أصحابه حتّى بلغا كُراع الغَميم[4] ثمّ كرّا، ورجع رسول الله إلى المدينة وهو يقول: آيبون تائبون، لربّنا حامدون. أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد[5].

وغاب رسول الله عن المدينة أربع عشرة ليلة[6].

سريّة الغَمْر[7]

روى الواقدي بسنده قال: بعث رسول الله عُكاشة بن مِحصن الأسدي في أربعين رجلاً (إلى بني أسد في الغَمْر) وأُخبروا به فهربوا من مائهم، فانتهى إليهم فلم

---

(١) سيرة ابن هشام ٣: ٢٩٢

(٢) المغازي ٢: ٥٣٦

(٣) وفي الحسني: في مرجعه من بني لحيان جاز على قبر أُمّه فزاره: البحار ٢٠: ٢٩٨ في قرية الأبواء.

(٤) وادٍ بعد عُسفان إلى مكّة بثمانية أميال.

(٥) ابن هشام ٣: ٢٩٣.

(٦) المغازي ٢: ٥٣٧

(٧) ماء لبني أسد على ليلتين من فيد في طريق العراق ـ التنبيه والإشراف: ٢١٩ وأشار الحلبي إلى السريّة باسم الغمرة: المناقب ١: ٢٠١

بعدهم، تبعث الطلائع يطلبون خبراً أو أثراً، فرجع أحدهم يقول: إنّه رأى لهم أثراً، وكان القوم قد تركوا لهم ربيئة كان قد سهر ليله يسمّع الصوت حتّى أصبح أخذه النوم، فأصابه المسلمون فأخذوه وسألوه عن خبر الناس. وضربه أحدهم بسوط، فقال: تؤمّنني على دمي وأُطلعك على نعم لبني عمّ لهم لم يعلموا بمسيركم؟ قالوا: نعم، فانطلقوا معه فخرج حتّى أمعن.. ثمّ قال: تطلعون عليهم من هذا الدرب، فأشرفوا فإذا بنعمهم ترتع، فأغاروا عليهم فهربوا في كلّ وجه فأصابوا منهم مائتي بعير فاستاقوها إلى المدينة. وكان ذلك في شهر ربيع الأوّل سنة ست.

موادعة بني أشجع

روى القمي في تفسيره خبرهم فقال: كان رسول الله ﷺ قد هادن بني ضمرة ووادعهم قبل غزاة بدر الموعد[1] وكان على مقربة منهم بنو الأشجع بطن من كنانة في البيضاء والجبل والمستبح، وكان بينهم وبين بني ضمرة حلف في المراعاة والأمان، فأجدبت بلاد أشجع وأخصبت بلاد بني ضمرة فصارت أشجع إلى بلاد بني ضمرة، فقربوا من رسول الله، فهابوا لقربهم من رسول الله أن يبعث إليهم من يغزوهم.

فلمّا بلغ رسول الله مسيرهم إلى بني ضمرة وكان رسول الله قد خافهم أن يصيبوا من أطرافه شيئاً، همّ بالمسير إليهم، وتهيّأ للمصير إليهم ليغزوهم، للموادعة التي كانت بينهم وبين بني ضمرة.

فبينا هو على ذلك إذ جاءت أشجع ورئيسها مسعود بن رخيلة، وهم سبعمئة فنزلوا شعب سلع ـ وذلك في شهر ربيع الأوّل سنة ست ـ فدعا رسول الله

(١) حسب نسخة بحار الأنوار ٢٠: ٣٠٥ وفي طبعة النجف الحديثة، تحريفاً.

أُسيد بن حضير فقال له : اذهب في نفرٍ من أصحابك حتّى تنظر ما أقدم أشجع ؟

فخرج أُسيد ومعه ثلاثة نفر من أصحابه حتّى وقف عليهم فقال لهم : ما أقدمكم ؟

فقام إليه مسعود بن رخيلة فسلّم على أُسيد وقال : جئنا لنوادع محمّداً

فرجع أُسيد إلى رسول الله فأخبره، فقال رسول الله : خاف القوم أن أغزوهم فأرادوا الصلح بيني وبينهم. ثمّ قال : نعم الشيء الهدية قبل الحاجة، ثمّ قدّم أمامه بعشرة أحمال من التمر، ثمّ أتاهم فقال لهم : يا معشر أشجع ما أقدمكم ؟

قالوا : قربت دارنا منك، وليس في قومنا أقلّ عدداً منّا فضقنا بحربك لقرب دارنا منك، وضقنا بحرب قومنا لقلّتنا فيهم، فجئنا لنوادعك.

فقبل النبيّ ذلك منهم وادعهم، فأقاموا يومهم، ثمّ رجعوا إلى بلادهم[1].

غارة الفزاري وردّها[2]

اجتمع للنبيّ ﷺ من خمس الجمال الغنائم أو صفاياها عشرون ناقة لُقحت فكانت حوامل ذوات ألبان يقال لها : اللقاح، كانت ترعى في الغابة قرب المدينة على طريق الشام[3]، وكان الراعي يرجع بلبنها أصيل كلّ يوم عند المغرب.

وروى الكليني في «روضة الكافي» بسنده عن ابان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي عن الصادق عليه‌السلام : أنّ أبا ذر الغفاري استأذن رسول الله ﷺ يرعى لقاحه، وسمّي الموضع : مزينة قال : أتأذن لي أن أخرج أنا وابن أخي الى مزينة فنكون بها ؟

---

(١) تفسير القمي ١ : ١٤٦، ١٤٧.

(٢) أشار إليها الحلبي في المناقب ١ : ٢٠١ باسم ذي قرد.

(٣) على بريد من المدينة ـ التنبيه والإشراف : ٢١٨.

فقال ﷺ: إنّي أخشى أن يغير عليك خيل من العرب فتقتل ابن أخيك فتأتيني شعثاً فتقوم بين يدي متكئاً على عصاك فتقول: قتل ابن أخي وأُخذ السرح.

فقال أبو ذر: يا رسول الله بل لا يكون إلّا خير إن شاء الله.

فأذن له رسول الله. فخرج هو وابن أخيه وامرأته.

فلم يلبث هناك إلّا يسيراً حتى غارت خيل بني فزارة فيها عُيينة بن حصن، فأخذت السرح، وقتل ابن أخيه، وأُخذت امرأته من بني غفار... وطعنوه طعنة جائفة[1].

وروى الواقدي مثل ذلك وأضاف: وكان أبو ذرّ بعد ذلك يقول: عجباً لي! إنّ رسول الله كان يقول: لكأنّي بك وأنا ألحّ عليه. فكان والله على ما قال رسول الله ﷺ، والله إنّا لفي منزلنا ولقاح رسول الله قد رُوِّحت وعُطِّنت وحُلبت عند العتمة ونمنا. وفي الليل (ليلة الأربعاء لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة ست) أحدق بنا عُيينة بن حصن الفزاري في أربعين فارساً وقاموا على رؤوسنا وصاحوا بنا، وقتلوا ابني وتحت امرأته وثلاثة آخرون. واشتغلوا عنّي بإطلاق عُقل اللقاح فتنحّيت عنهم. ثمّ صاحوا باللقاح فكان آخر العهد بها.

وفي خبر «روضة الكافي»: وأقبل أبو ذر يشتد حتى وقف بين يدي رسول الله فاعتمد على عصاه وقال: صدق الله ورسوله. أُخذ السرح وقتل ابن أخي وقد قمت بين يديك على عصاي. فصاح رسول الله في المسلمين فخرجوا في الطلب فقتلوا نفراً من المشركين وردّوا السرح[3].

---

(١) روضة الكافي: ١١٠ ح ٩٦ ط النجف الأشرف.

(٢) المغازي ٢: ٥٣٧.

(٣) روضة الكافي: ١١٠ ح ٩٦ ط النجف الأشرف.

وقال الواقدي: وكان سلمة بن الأكوع نحو خرجت في الغداة أريد لقاح رسول الله في لقاحه لآتيه بلبنها، وكانت إبل عبد الرحمان بن عوف دون إبل النبيّ، فيها غلام لعبد الرحمان فلقيته فأخبرني أنّ عيينة بن حصن قد أغار في أربعين فارساً على لقاح رسول الله.

فرجعت بفرسي إلى المدينة حتّى أشرفت على ثنية الوداع فصرخت بأعلى صوتي ثلاثاً: يا صباحاه! وبلغ رسول الله صياح بن الأكوع، فصرخ بالمدينة: الفزع الفزع[1] ثمّ طلع رسول الله مقنّعاً في الحديد ووقف، فكان أوّل من أقبل إليه المقداد بن عمرو عليه الدرع والمغفر شاهراً سيفه، فعقد له رسول الله لواءً في رمحه وقال له: امض حتّى تلحقك الخيول ونحن على أثرك.

قال المقداد: فخرجت وأنا أسأل الله الشهادة، حتّى أدركت أخريات العدو وقد أعيا فرس لهم فنزل عنه صاحبه وارتدف خلف أحدهم، وتأخر الفرس عنهم، فأخذت الفرس وربطت في عنقه قطعة وتر وخلّيته، وأدركت منهم رجلاً يُدعى مَسعدة فطعنته برمح فيه اللواء فزلّ الرمح وأعجزني هرباً، ووقفت لواقي ليراه أصحابي فلحقني أبو قتادة على فرسٍ له ثمّ استحثّ فرسه فتقدّم عليّ حتّى غاب عنّي ثمّ لحقته فإذا هو قد قتل مَسعدة وسجّاه بِبُرده.

وقال سلمة: ولحقت القوم فجعلت أرميهم بالنبل وأقول: خذها وأنا ابن الأكوع! وما زلت أكافحهم وأقول: قفوا قليلاً يلحقكم أربابكم من المهاجرين والأنصار، حتّى انتهيت بهم إلى ذي قَرَد[3].

---

(١) المغازي ٢: ٥٣٩.

(٢) ابن هشام ٣: ٢٩٤.

(٣) هو يوم من المدينة إلى غطفان.

ثمّ كان أوّل فارس وقف على رسول الله بعد المقداد من الأنصار: عبّاد بن بشر الأشهلي، ثمّ سعد بن زيد الأشهلي[1].

فروى الواقدي عنه قال: أتانا الصريخ يوم السّرح وأنا في بني عبد الأشهل، فلبست درعي وأخذت سلاحي واستويت على فرسي، فانتهيت إلى رسول الله وعليه الدرع والمِغفر لا أرى إلّا عينيه والخيل تعدو باتّجاه القناة، فالتفت إلى رسول الله فقال: يا سعد قد استعملتك على الخيل فامضِ حتّى ألحقك إن شاء الله، فلحقت بالمقداد بن عمرو ومُعاذ بن ماعص، وأبو قتادة في أثرهم، ونظرت إلى ابن الأكوع يسبق الخيل يرشقهم بالنبل، ولحقنا بهم، فتناوشنا ساعة، وحملت على حُبيب بن عيينة بالسيف فقطعت منكبه الأيسر محلّ العنان وأسرع فرسه فوقع لوجهه وداسه فرسه فقتله. وكان شعارنا: أَمِت أَمِت[2] وقد أعطاه رسول الله راية العُقاب[3].

وقال: قالوا: وذهب الصريخ إلى بني عمرو بن عوف، فجاءت الأمداد، فلم تزل الخيل والرجال تأتي على أقدامهم والابل يتعقّبون البعير والبغال والحمير، حتّى انتهوا إلى النبيّ بذي قَرَدَ، فاستنقذوا عشر لقائح، وذهب القوم بالعشر الباقي[4].

قال سلمة بن عمرو بن الأكوع: لحقنا رسول الله والخيول عشاءً، فقلت: يا رسول الله، إنّ القوم عِطاش وليس لهم ماء دون كذا وكذا، فلو بعثتني في مئة رجل استنقذت ما بأيديهم من السّرح وأخذت بأعناق القوم. فقال: ملكت

---

(١) ابن هشام ٣: ٢٩٤ و ٢٩٥.

(٢) المغازي ٢: ٥٤٥ و ٥٤٦.

(٣) المغازي ٢: ٥٤٢.

(٤) المغازي ٢: ٥٤٢.

فأسجح[1]، إنهم الآن في غطفان[2]

وأقام رسول الله بذي قرد[3] تلك الليلة ونهارها يتحسّس الأخبار. وكانوا خمسمئة إلى سبعمئة، وقسم في كلّ مئة منهم جزوراً ينحرونها، وصلّى بهم صلاة الخوف

وكان قد أقام في المدينة سعد بن عُبادة في ثلاثمئة من قومه يحرسونها خمس ليال حتّى رجع النبي ﷺ وهو الذي بعث إليه بعشرة جزائر محمّلة بالتمر مسيّرة لهم، مع ابنه قيس بن سعد، فقال له رسول الله: يا قيس بعثك أبوك فارساً وقوّى المجاهدين وحرس المدينة من العدو، اللّهم ارحم سعداً وآل سعد. ثمّ قال: نعم المرء سعد بن عُبادة! فقال بعض الخزرج: يا رسول الله، هو سيّدنا وابن سيّدنا، ومن أهل بيت كانوا يُطعمون في المحل ويحملون الكَلّ ويقرون الضيف ويعطون في النائبة ويحملون عن العشيرة. فقال النبيّ ﷺ: خيار الناس في الإسلام خيارهم في الجاهلية إذا فقهوا في الدين[4]

وروى ابن إسحاق عن الحسن بن أبي الحسن البصري: أنّ رسول الله رجع قافلاً إلى المدينة فأقبلت امرأة الغفاري (أبي ذر أو ابنه) على ناقة من نوق رسول الله نجت عليها، فأخبرته خبرها ثمّ قالت: يا رسول الله، إنّي قد نذرت لله أن أنحرها إن نجّاني الله عليها؟ فتبسّم رسول الله ثمّ قال لها: بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها ونجّاك بها ثمّ تنحرينها؟! إنّه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين، وإنّما هي

---

(١) المغازي ٢: ٥٤١

(٢) ابن هشام ٣: ٢٩٧

(٣) أشار إليها الحلبي في المناقب ١: ٢٠١

(٤) المغازي ٢: ٥٤٧

ناقة من إبلي، فارجعي إلى أهلك على بركة الله[1].

وروى الواقدي بسنده: أنّ رجلاً يُدعى عُيينة غزا في بعض أطراف المدينة على ناقة من نوق النبيّ فجاء بها إليه وقال له: يا رسول الله أهديت لك هذه اللّقحة! فتبسّم النبيّ وقبضها منه ثمّ أمر له بثلاث أواق من فضّة، ومع ذلك عرف في وجهه عدم الرضا، فلمّا صلّى الظهر صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّ الرجل ليهدي لي الناقة من إبلي أعرفها كما أعرف بعض أهلي ثمّ أثيبه عليها فيظلّ يتسخّط عليّ، ولقد هممت أن لا أقبل هديّة إلّا من قرشيّ أو أنصاري.

وكان أبو هريرة يروي الخبر فيزيد فيه: أو ثقفي أو دوسي![2]

حرب بني محارب:

روى الواقدي: أجدبت بلاد بني ثعلبة وأنمار ومحارب فساروا إلى تغلمين من أراضي المراض ثمّ أجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة ببطن هيفا، وبلغ ذلك رسول الله فبعث أبا عبيدة بن الجرّاح في أربعين رجلاً من المسلمين بعد صلاة المغرب في ربيع الآخر سنة ستّ، فباتوا يمشون ليلتهم حتّى وافوا ذا القصّة[3] مع الصبح فأغاروا عليهم فأخذوا رجلاً منهم وهرب الباقون في الجبال، فاستاقوا النعم وغنموا المتاع فقدموا به المدينة، فأسلم الرجل فتركه رسول الله، وخمّس رسول الله

---

(1) ابن هشام ٣: ٢٩٧ و ٢٩٨ والمغازي للواقدي ٢: ٥٤٨ وفيه: امرأة أبي ذر، مع ذكره لآخر الخبر: ارجعي إلى أهلك. وهذا إنّما يناسب امرأة ذرّ بن أبي ذرّ المقتول هنا، ولو كانت امرأة أبي ذر لناسب أن يقول لها: الحقي بزوجك. وقد مرّ في خبر الكليني أنّ امرأة أبي ذر أُخذت.

(2) المغازي ٢: ٥٤٨ و ٥٤٩ وهذه من زيدات أبي هريرة.

(3) نحو عشرين ميلاً من المدينة على طريق الربذة إلى العراق. التنبيه والإشراف: ٢١٩.

الغنيمة وقسّمها عليهم[1].

ثمّ بعث عليهم محمّد بن مَسْلَمة في عشرة، فورد ذي القصّة ليلاً، فكمن القوم حتّى نام المسلمون فأحدق بهم مئة رجل من بني ثعلبة وعُوال، فتراموا بالنبل ساعة من الليل، ثمّ حمل الأعراب عليهم بالرماح فقتلوهم. ووقع محمّد بن مسلمة جريحاً لا يتحرّك، فجرّدوهم ثيابهم وانطلقوا[2].

فمرّ رجل على القتلى فاسترجع وسمعه محمّد فتحرّك له محمّد بن مسلمة فعرض عليه الماء والطعام ثمّ حمله إلى المدينة. فبعث النبيّ إلى ذلك الموضع (من ذي القصّة) أبا عبيدة بن الجرّاح مع الأربعين رجلاً فلم يجدهم ووجد لهم نعماً فاستاقها راجعاً إلى المدينة[3].

صلاة الاستسقاء:

مرّ في خبر مسير القمّي عن بني ضمرة وأشجع أنّ بلادهم كانت قد أجدبت في هذه السنة السادسة شهر ربيع الأوّل، ومرّ آنفاً عن الواقدي: أنّه قد أجدبت بلاد بني أنمار وثعلبة ومحارب في شهر ربيع الآخر سنة ست.

وقد روى الكازروني في «المنتقى» في حوادث هذه السنة السادسة، عن الزّهري عن أنس بن مالك قال: أتى المسلمون رسول الله فقالوا:

يا رسول الله قحط المطر، ويبس الشجر، وهلكت المواشي وأسنت الناس، فاستسقِ لنا ربّك

---

(1) المغازي ٢: ٥٥٢ وأشار إليها في إعلام الورى ١: ١٩٠ والحلبي في المناقب ١: ٢٠١.

(2) وأشار إليها الحلبي في المناقب ١: ٢٠١ و ٢٠٢.

(3) المغازي ٢: ٥٥١، وأشار إليه الحلبي في المناقب ١: ٢٠١.

فقال: إذ كان يوم ـ كذ وكذا ـ فاخرجوا، وأخرجوا معكم بصدقات

فلمّا كان ذلك اليوم خرج رسول الله ﷺ ـ والناس معه ـ يمشي وعليه السكينة والوقار، حتّى أتوا المصلّى، فتقدّم النبيّ فصلّى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة، في الأُولى بفاتحة الكتاب والأعلى، وفي الثانية بفاتحة الكتاب والغاشية

فلمّا قضى صلاته استقبل القوم بوجهه وقلّب رداءه ـ تفاؤلاً لانقلاب القحط إلى الخصب ـ ثمّ جثا على ركبتيه ورفع يديه ثمّ قال: «الله أكبر، اللّهم اسقنا وأغثنا غيثاً مغيثاً، وحَياً ربيعاً، وجدىً طبقاً غدقاً مغدقاً عاماً، هنيئاً مريئاً مريعاً، وابلاً شاملاً، مُسبلاً مجلجلاً، دائماً درراً، نافعاً غير ضار، عاجلاً غير رائث، غيثاً اللّهم تحيي به البلاد، وتغيث به العباد، وتجعله بلاغاً للحاضر منّا والباد. اللّهم أنزل في ارضنا زينتها، وأنزل علينا سكنتها. اللّهم أنزل علينا من السماء ماءً طهوراً تحيي به بلدة ميتاً، واسقه ممّا خلقت أنعاماً وأناسيّ كثيراً»

قال أنس: فما برحنا حتّى أقبلت قزع من السحاب فالتأم بعضها إلى بعض ثمّ مطرت عليهم سبعة أيّام ولياليهنّ لا تُقلع عن المدينة.

فأتاه المسلمون ـ وهو على المنبر ـ فقالوا: يا رسول الله، قد غرقت الأرض وتهدّمت البيوت، وانقطعت السُبُل، فادعُ الله ـ تعالى ـ أن يصرفها عنّا

فضحك رسول الله حتّى بدت نواجذه، ثمّ رفع يديه فقال: «اللّهم حوالينا ولا علينا. اللّهم على رؤوس الظراب ومنابت الشجر وبطون الأودية وظهور الآكام».

فتصدّعت قطع السحاب عن المدينة حتّى كانت في مثل الفسطاط عليها، تمطر على مراعيها ولا تمطر فيها.

قالوا: فلمّا صارت المدينة في مثل الفسطاط ضحك رسول الله حتّى بدت نواجذه ثمّ قال: لله أبو طالب، لو كان حيّاً قرّت عيناه، من الذي يُنشد قوله؟

فقام علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله كأنّك أردت قوله:

وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهه   ثمالُ اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهُلّاكُ من آل هاشم   فهم عنده في نعمة وفواضل

كذبتم وبيت الله نُبزى محمّداً   ولمّا نقاتل دونه ونناضل

ونسلمه حتّىٰ نُصرّع حوله   ونُذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله: أجل[1]

مصادرة قافلة تجارة قريش:

كان رسول الله يحاول محاصرة قريش اقتصادياً قبل أن يحاصرها عسكريّاً، واقتصاصاً من أموالها لما استلبوا وصادروا من أموال المسلمين المهاجرين. فكانت وقعة بدر ردّاً على محاولته ذلك للمرّة الأُولىٰ.

وقد نقلنا برواية ابن إسحاق أنّ قريشاً حين كان من وقعة بدر ما كان خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام، فاستأجروا فرات بن حيان من بني بكر بن وائل يدلّهم على طريق العراق إلى الشام، فبعث رسول الله عليهم زيد بن حارثة فلقيهم في القَرَدة ماء من مياه نجد، فأصاب العير وفيها فضّة كثيرة لأبي سفيان، وأعجزه الرجال، فقدم بها على رسول الله[2].

وبعد غزوة الغابة ـ فيما روى الواقدي ـ بلغه أنّ عيراً لقريش أقبلت من الشام، فبعث زيد بن حارثة ـ أيضاً ـ في مئة وسبعين راكباً، فأخذوها، وفيها يومئذٍ فضّة كثيرة لصفوان بن أُميّة الجمحي وذلك في جمادى الأُولى سنة ست[3] في

(١) عنه في بحار الأنوار ٢٠: ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(٢) سيرة ابن هشام ٣: ٥٣ و ٥٤.

(٣) المغازي ٢: ٥٥٣.

بالعيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام[1].

وقال الطبرسي في «إعلام الورى»: فيها أُخذت أموال أبي العاص بن الربيع وفيها بضائع لقريش، وقدموا بها على رسول الله فقسّمه بينهم. وأفلت أبو العاص ولكنّه أتى المدينة فاستجار بزينب بنت رسول الله (زوجته)، وسألها أن تطلب من رسول الله أن يردّ عليه ماله وما كان معه من أموال الناس.

فدعا رسول الله السريّة وقال لهم: إنّ هذا الرجل (أبو العاص بن الربيع) منّا بحيث قد علمتم، فإن رأيتم أن تردّوا عليه فافعلوا.

فردّوا عليه ما أصابوا منه. فخرج[2].

---

(1) ابن هشام ٣: ٢٣٨، بين وادي المروة ليلة، وبينها والمدينة أربع ليالٍ ـ الطبقات ٢: ٦٣.

(2) إعلام الورى ١: ٢٠٢ وتمامه: وقدم مكّة وردّ على الناس بضائعهم ثمّ قال لهم: أما والله ما منعني أن أُسلم قبل أن أقدم عليكم إلّا توقّياً أن تظنّوا أنّي أسلمت لأذهب بأموالكم، وإنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله. وأشار إليه الحلبي في المناقب ١: ٢٠٢.

وروى الواقدي الخبر بتفصيل جاء فيه: أنّه دخل على زينب بنت رسول الله (امرأته) سحراً فاستجار فأجارته، فلمّا صلّى رسول الله الفجر قامت زينب على بابها (الملاصق للمسجد) فنادت بأعلى صوتها فقالت: إنّي قد أجرت أبا العاص!

وسمعها رسول الله فنادى: أيّها الناس هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم. فقال: فوالذي نفسي بيده ما علمت بشيء ممّا كان حتّى سمعت الذي سمعتم، والمؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم أدناهم، وقد أجرنا من أجارت. ثمّ انصرف إلى منزله.

فدخلت عليه ابنته زينب فسألته أن يردّ إلى أبي العاص ما أُخذ منه من المال فقبل ذلك رسول الله، وأمرها أن لا يقربها، فإنّها لا تحلّ له ما دام مشركاً.

سرية إلى بني ثعلبة:

روى الواقدي: أنّ رسول الله بعث زيد بن حارثة في جمادى الآخرة سنة ست إلى بني ثعلبة في الطَّرَف[1] في خمسة عشر رجلاً، فخاف الأعراب أن يكون رسول الله قد سار إليهم فهربوا، فلم يكن قتال، وأصاب شياهاً ونعماً فانحدر زيد بعشرين بعيراً منها إلى المدينة، فخرجوا في طلبه فأعجزهم حتّى أصبح بالمدينة[2].

غزوة دومة الجندل[3]:

روى الواقدي: أنّ رسول الله دعا عبد الرحمان بن عوف الزُّهْري (في شعبان

ثمّ كلّم رسول الله أصحابه في ذلك فقبلوا، وردّوا إليه كلّ شيء حتّى المطهرة والحبل.

فرجع أبو العاص إلى مكّة وأدّى إلى كلّ ذي حقّ حقّه، ثمّ قال لهم: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم شيء؟ قالوا: لا والله. قال: فإنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، لقد أسلمت بالمدينة، وما منعني أن أقيم بالمدينة إلّا أن خشيت أن تظنّوا أنّي أسلمت لأذهب بالذي لكم معي.

ثمّ رجع إلى النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فردّ عليه زينب بذلك النكاح ٢: ٥٥٣.

(١) هو ماء على ستّ وثلاثين ميلاً من المدينة دون النخيل قرب المراض. الطبقات ٢: ٦٣. وشذّ ابن إسحاق إلى غزوة بلا تأريخ قال: وغزوة زيد بن حارثة الطَّرَف من ناحية نخل من طريق العراق ٤: ٢٦٥. وأشار إليها الحلبي في المناقب ١: ٢٠١.

(٢) المغازي ٢: ٥٥٥، وأشار إليه ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٦٥.

(٣) دومة المدينة ودمشق الشام بينهما خمس عشرة ليلة، كما في معجم البلدان، وكان أهلها نصارى من كلب.

سنة ست) فقال له: تجهّز فإنّي باعثك في سريّة من يومك هذا أو من غد إن شاء الله.
ثمّ أمره رسول الله أن يسير من الليل إلى دومة الجندل فيدعوهم إلى الإسلام
ومضى أصحابه في السحر فعسكروا بالجُرف، وهم سبعمئة رجل.

وصلّى رسول الله صلاة الصبح وإذا عبد الرحمان بن عوف في ناس من المهاجرين، وهو متوشّح سيفاً وقد لفّ على رأسه عمامة، فقال له رسول الله: ما خلّفك عن أصحابك؟ فقال: يا رسول الله أحببت أن يكون آخر عهدي بك وعليّ ثياب سفري. فدعاه النبيّ فأقعده بين يديه فنقض عمامته بيده ثمّ عمّمه بعمامة سوداء فأرخى منها ذيلها بين كتفيه وقال: هكذا فاعتمّ يا ابن عوف. ثمّ قال له: اغزُ باسم الله وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، لا تغلّ ولا تغدر ولا تقتل وليداً. ثمّ التفت إلى الناس فقال:

أيّها الناس، اتّقوا خمساً قبل أن يحلّ بكم:

ما نقص مكيالُ قوم إلّا أخذهم الله بالسنين ونقصٍ من الثمرات لعلّهم يرجعون!

وما نكث قوم عهدهم إلّا سلّط الله عليهم عدوّهم!

وما منع قوم الزكاة إلّا أمسك الله عليهم قطْر السماء، ولولا البهائم لم يُسقوا!

وما ظهرت الفاحشة في قوم إلّا سلّط الله عليهم الطاعون!

وما حكم قوم بغير آي القرآن إلّا ألبسهم الله شيَعاً وأذاق الله بعضهم بأس بعض!

ثمّ خرج عبد الرحمان حتّى لحق بأصحابه فسار بهم حتّى قدم دُومة الجندل، وهم نصارى من كلب ورئيسهم الأصبغ بن عمرو الكلبي، فدعاه وقومه للإسلام، فأبوا أن يُعطوه إلّا السيف، فمكث بها ثلاثة أيّام يدعوهم إلى الإسلام، فلمّا كان

اليوم الثالث أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي وأقام على إعطاء الجزية عن قومه[١] فكتب عبد الرحمن إلى النبيّ ﷺ يخبره بذلك، وبعث بذلك رجلاً من جُهينة يقال له: رافع بن مكيث، وكتب معه يخبر النبيّ أنّه قد أراد أن يتزوّج فيهم. فكتب إليه النبيّ أن يتزوّج تُماضر بنت الأصبغ، فتزوّجها عبد الرحمن، ثمّ رجع بها إلى المدينة[٢].

سرية علي عليه السلام إلى فدك

روى الواقدي: أنّ بني سعد كانوا بفدك (وهي قرية بينها وبين المدينة ستّ ليالٍ قريبة من خيبر) وقد بلغ رسول الله أنّ لهم جمعاً لإمداد يهود خيبر[٣] فبعث إليهم عليّاً عليه السلام في مئة رجل في شعبان سنة ستّ. فسار الليل وكمن النهار حتّى انتهى إلى الهمج (ماء قرب فدك بينها وبين خيبر) فأصابوا رجلاً منهم فأخذوه، فقال له عليّ عليه السلام: هل لك علمٌ بما وراءك من جمع بني سعد؟ قال: لا علم لي به، فشدّوا عليه، فأقرّ أنّه عينٌ لهم بعثوه إلى خيبر يعرض على يهود خيبر نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم. فقالوا له: فأين القوم؟ قال: تركتهم وقد تجمّع منهم مئتا رجل ورأسهم وَبَر بن عُليم. قالوا: فَسِرْ بنا حتّى تدلّنا. قال: على أن تؤمّنوني! قالوا: إن دللتنا عليهم وعلى سَرْحهم آمنّاك وإلّا فلا أمان لك!

---

(١) أصلها بالبونانية: كرست، بمعنى الضريبة على الرؤوس. وهذا أوّل مرّة تذكر في التاريخ الاسلامي. ولم ترد في القرآن الكريم إلّا في سورة التوبة: ٢٩ وهي حسب المعروف آخر سورة نزلت، وعليه فتشريعها بالسنّة.

(٢) المغازي ٢: ٥٦١، وأشار إليها الحلبي في المناقب ١: ٢٠٢.

(٣) ولعلّهم كانوا قد أعدّوا له بعد بني قريظة.

فخرج بهم وولّى بهم على هدايته وكتمان حتّى ساء ظنّهم به، ثمّ أفضى بهم إلى سهول فإذا شياه كثيرة ونَعَم فقال: هذه شياههم ونعمهم، فأرسلوني، قالوا: لا حتّى نأمن الطلب، ثمّ أغاروا فصمّوا النعم والشياه وهرب راعيها فأنذر أهله وحذّرهم فتفرّقوا وهربوا، وانتهى المسلمون إلى محلّتهم فلم يروا أحداً، فأرسلوا الرجل. فمكث علي عليه‌السلام ثلاثاً، ثمّ عزل خمس الغنائم، وصفي للنبيّ ـ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ـ لقوحاً، وقسّم سائر الغنائم، وكانت خمسمئة بعير وألفي شاة

غزوة ذات السلاسل[2]:

روى الشيخ المفيد عن أصحاب السير: أنّه كان النبيّ ﷺ جالساً ذات يوم إذ جاءه أعرابي فجثا بين يديه ثمّ قال: إنّي جئتك لأنصحك، قال: وما نصيحتك؟ قال: قوم من العرب قد عملوا على أن يبيّتوك بالمدينة[3] فقد اجتمع بنو سليم بوادي الرمل عند الحرّة على أن يبيّتوك[4].

فأمر أمير المؤمنين عليه‌السلام أن ينادي بالصلاة جامعة، فاجتمع المسلمون، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس، إنّ هذا عدوّ الله وعدوّكم قد أقبل إليكم يزعم أنّه يبيّتكم في المدينة، فمن للوادي؟ [وادي الرمل].

فقام رجل من المهاجرين (؟) فقال: أنا له يا رسول الله. فناوله اللواء، وضمّ

---

(1) المغازي ٢: ٥٦٢، وأشار إليها الحلبي في المناقب ١: ٢٠٢.

(2) وتسمّى غزوة وادي الرمل، ذكرها الشيخ المفيد في الإرشاد ١: ١١٤ - ١١٧ بعد بني قريظة وبني المصطلق، وأشار إليها الحلبي في المناقب ١: ٢٠٢ في حوادث السنة السادسة.

(3) الإرشاد ١: ١١٤.

(4) المناقب ١: ٢٠٢.

إليه سبعمئة رجل وقال له: امضِ على اسم الله. فمضى فوافى القوم صحوة فقالوا له: من الرجل؟ قال: أنا رسول لرسول الله، فإمّا أن تقولوا: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، أو لأضربنّكم بالسيف! فقالوا له: ارجع إلى صاحبك فإنّا في جمع لا تقوم له. فرجع الرجل وأخبر رسول الله بذلك!

فقام النبيّ وقال: من للوادي؟ فقام رجل آخر من المهاجرين (؟)، فقال: أنا له يا رسول الله! فدفع إليه الراية ومضى، ثمّ عاد بمثل ما عاد به صاحبه الأوّل.

فقال رسول الله: أين عليّ بن أبي طالب؟ فقام أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أنا ذا يا رسول الله. قال: امضِ إلى الوادي. قال: نعم.

ثمّ مضى إلى منزله، وكانت له عصابة لا يتعصّب بها إلّا إذا بعثه النبيّ في وجه شديد، فأخذ يلمسها، فقالت له فاطمة: أين بعثك أبي؟ قال: إلى وادي الرمل، فبكت إشفاقاً عليه، وفي تلك الحال دخل النبيّ ﷺ فقال لها: ما لكِ تبكين؟ تخافين أن يقتل بعلك؟ كلّا إن شاء الله. فقال له عليّ عليه السلام: لا تنفَس عليّ بالجنّة يا رسولَ الله.

ثمّ خرج، ومعه لواء النبيّ ﷺ، فمضى حتّى وافى القوم بسحر، فأقام حتّى أصبح، فصلّى بأصحابه الغداة، ثمّ صفّهم، ثمّ أقبل على العدوّ واتّكأ على سيفه وقال لهم: يا هؤلاء، أنا رسول رسول الله إليكم: أن تقولوا لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وإلّا ضربتكم بالسيف!

فقالوا له: ارجع كما رجع صاحباك!

قال: أنا أرجع؟! لا والله حتّى تُسلموا أو أضربكم بسيفي هذا، وأنا عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب. فلمّا عرفه القوم اضطربوا، وثمّ اجترؤوا على مواقعته.

(١) أي: لا تبخل.

فقتل منهم ستة أو سبعة ثمّ انهزموا، فحاز المسلمون غنائمهم وانصرفوا إلى النبيّ ﷺ.

فروي عن أُمّ سلمة قالت: كان نبيّ الله ﷺ قائلاً في بيتي إذ انتبه فزعاً من منامه، فقلت له: الله جارك. قال: صدقتِ، الله جاري. لكن هذا جبرئيل عليه السلام يخبرني أنّ عليّاً قادم. ثمّ خرج إلى الناس فأمرهم أن يستقبلوا عليّاً عليه السلام، فقام المسلمون له صفّين مع رسول الله ﷺ.

فلمّا بصر بالنبيّ ﷺ ترجّل عن فرسه وأهوى إلى قدميه يقبّلهما، فقال له ﷺ: اركب فإنّ الله ورسوله عنك راضيان. فبكى أمير المؤمنين عليه السلام فرحاً، وانصرف إلى منزله.

فقال النبيّ ﷺ لبعض من كان معه في الجيش: كيف رأيتم أميركم؟

قالوا: لم نُنكر منه شيئاً إلّا أنّه لم يؤم بنا في صلاة إلّا قرأ فيها بـ (قل هو الله أحد).

فقال النبيّ: سأسأله عن ذلك.

فلمّا جاء، قال له: لِمَ لَمْ تقرأ بهم في فرائضك إلّا بسورة الإخلاص؟

فقال: يا رسول الله، أحببتها.

فقال له النبيّ ﷺ: فإنّ الله قد أحبّك كما أحببتها. ثمّ قال له: يا عليّ لولا أنّني أُشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بملأ منهم إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك[1].

---

(١) الارشاد ١: ١١٦ ـ ١١٧ ثمّ قال: ذكر كثير من أصحاب السيرة: أنّ في هذه الغزاة نزل على النبيّ ﷺ ﴿ والعاديات ضبحاً ﴾ إلى آخرها كما في تفسير القمي ٢: ٤٣٤ ومجمع البيان ←

غزوة بني المصطلق[1]

روى الواقدي : أنّ بني المصطلق من خزاعة كانوا ينزلون ناحية الفُرُع ، وبدأ الركبان يأتون من ناحيتهم فيخبرون رسول الله أنّ الحارث بن أبي ضرار رأس المصطلق وسيّدهم قد سار في قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم إلى حرب رسول الله .

فلمّا بلغ ذلك رسول الله ـ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ـ بعث بُريدة بن الحُصَيب الأسلمي يعلم علم ذلك ، فاستأذن النبيّ أن يقول ما شاء فأذن له فخرج

←

٢ : ٨٠٢ و ٨٠٣ عن الصادق عليه السلام . ورواه الحلبي في المناقب ٢ : ١٤٠ بإسناد أبي الفتح الحفّار وأبي القاسم الوكيل . هذا ، وقد اشتهر أن سورة العاديات مكية وقد سبق في تفسيرها ما يناسب مكيّتها . ونقل عن مقاتل والزجاج ووكيع والثوري والسدّي وأبي صالح عن ابن عبّاس : أنّه صلى الله عليه وآله وسلم أنفذ أبا بكر في سبعمئة رجل فهزموهم وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً . ورجع عمر منهزماً أيضاً ، فقال عمرو بن العاص : ابعثني يا رسول الله فبعثه فرجع منهزماً . وفي رواية : أنه أنفذ خالداً بعد كذلك . وهذا يعني أنّ ذلك لم يكن في سنة ست بل بعد سنة ثمان . هذا ، وقد أشار إليه من نقل في حوادث السنة السادسة ١ : ٢٠٢ .

(١) من قبائل خزاعة ، وكان ماؤهم يسمّى المريسيع من ناحية قُدَيد إلى الساحل بينه وبين الفُرُع نحو يوم . وفاء الوفاء ٢ : ٣٧٣ . وقد اختلف الخبر عن تاريخ هذه الغزوة ، ففي مغازي الواقدي ١ : ٤٠٤ : في سنة خمس خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان ، وقدم المدينة لهلال رمضان . وفي سيرة ابن هشام ٣ : ٣٠٢ : في شعبان سنة ست . والقمي في تفسيره ٢ : ٣٦٨ والحلبي في المناقب ١ : ٢٠١ بنيا على الأوّل ، وذكرهما الطبرسي في إعلام الورى ١ : ١٩٦ ورجّح الأخير لبعض القرائن ، منها أنّ عليّاً عليه السلام هو فارس ، فلو كانت

حتّى ورد ماءهم فوجد قوماً مغرورين قد جمعوا الجموع فقالوا له: من الرجل؟ قال: رجل منكم، قدمت لما بلغني عن جمعكم لهذا الرجل، فأسير في قومي ومن أطاعني، فنكون يداً واحدة حتّى نستأصله. فقال له الحارث: فنحن على ذلك فعجّل علينا. فقال بُريدة: اركب الآن فآتيكم بجمع كثيف من قومي ومن أطاعني فركب...

ورجع إلى رسول الله فأخبره خبر القوم.

فندب رسول الله الناس وأخبرهم خبر عدوّهم، فأسرع الناس للخروج وفيهم ثلاثون فارساً، عشرة من المهاجرين: رسول الله وعليّ عليه السلام والمقداد والزبير وطلحة وأبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمان بن عوف. وعشرون من الأنصار منهم: أُبيّ بن كعب وأُسيد بن حضير والحُباب بن المنذر وسعد بن زيد وسعد بن مُعاذ ومُعاذ بن جبل.

وخرج مع رسول الله بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة مثلها قطّ، ليس لهم رغبة في الجهاد، ولكن قرب السفر عليهم، وأرادوا أن يصيبوا من عرض الدنيا

وسلك رسول الله على الحلائق[1] فنزل بها وفيها جاءه رجل من عبد القيس فسلّم على رسول الله، فسأله: أين أهلك؟ قال: بالرّوحاء. قال: فأين تريد؟ قال: جئت لأُؤمن بك وأشهد أنّ ما جئت به الحقّ وأُقاتل عدوّك. فقال رسول الله: الحمد لله الذي هداك للإسلام. فلمّا أسلم قال: يا رسول الله أيّ الأعمال أحبّ إلى الله؟ قال: الصلاة في أوّل وقتها[2].

---

(١) المغازي ٢: ٤٠٥.

(٢) المغازي ٢: ٤٠٦.

وكان الرجل قد لقي يوم أمس مسعود بن هُنيدة مولى أبي تميم وقد أعتقه وكان أهله بموضع تُعرف بالخَدوات، وقد رغب الناس حولهم في الإسلام وكثر. قال: فتركت أهلي وجئت لأُسلم على رسول الله ولقيت رسول الله في بقعاء(١). فقال له: يا رسول الله قد رأيتني أمس بدأت بنفسي رجلاً من عبد القيس أدعوه إلى الإسلام فرغّبته فيه فأسلم. فقال له رسول الله: لإسلامه على يديك كان خيراً لك ممّا طلعت عليه الشمس أو غربت. ثمّ قال له: كن معنا حتّى نلقى عدوّنا، فإنّي أرجو أن ينفّلنا الله أموالهم وذراريهم(٢).

وفي بقعاء صادفوا رجلاً من المشركين فسألوه: ما وراءك؟ وأين الناس؟ فقال: لا علم لي بهم. فقال له عمر بن الخطّاب: لتصدُقنّ أو لأضربنّ عنقك! فقال: أنا رجل من بني المصطلق. تركتُ الحارث بن أبي ضرار قد جمع لكم الجموع وجلب إليه ناساً كثيراً، وبعثني إليكم لآتيه بخبركم وهل تحرّكتم من المدينة.

فأتى عمر إلى رسول الله فأخبره الخبر فدعاه رسول الله ودعاه إلى الإسلام فقال:

لست بمتّبع دينكم حتّى أنظر ما يصنع قومي، فإن دخلوا في دينكم كنت كأحدهم، وإن ثبتوا على دينهم فأنا رجل منهم!

فقال عمر: يا رسول الله أضرب عنقه؟ فأذن له، فضرب عنقه.

---

(١) موضع على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة ـ وفاء الوفاء ٢ : ٢٦٤

(٢) مغازي ٢ : ٤٠٩ وبعده: فأعطاني رسول الله قطعة من الإبل وقطعة من غنم فقلت: يا رسول الله كيف أقدر أن أسوق الإبل ومعي الغنم؟ اجعلها غنماً كلّها أو إبلاً كلّها. فتبسّم رسول الله وقال: أيّ ذلك أحبّ إليك؟ فقلت: اجعلها إبلاً. قال: أعطه عشراً من الإبل. فأعطيتها.

فذهب خبره إلى بني المصطلق فساء بذلك زعيمهم الحارث بن أبي ضرار ومن معه وخافوا خوفاً شديداً، وتفرّق عنه من كان قد اجتمع إليه من أفناء العرب حتّى ما بقي منهم أحد سوى بني المصطلق.

وفي المُريسيع:

حتّى انتهى رسول الله إلى ماء المُريسيع فنزله، وضُربت له قبّة من أدَم. وقد اجتمع بنو المصطلق على الماء وأعدّوا وتهيّأوا للقتال. فصفّ رسول الله أصحابه، ودفع راية المهاجرين ـ فيما قيل ـ إلى عمّار بن ياسر عليه‌السلام وراية الأنصار إلى سعد بن عُبادة عليه‌السلام.

فروى الواقدي عن ابن عمر: أنّ النبيّ أغار على بني المصطلق وهم غارّون ونَعَمهم تُسقى على الماء.

ولكنّه روى بسنده عن زيد بن طلحة: أنّ رسول الله أمر عمر فنادى فيهم: قولوا: لا إله إلّا الله، تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم! فأبوا. ورمى رجلٌ منهم المسلمين فرماهم المسلمون بالنبل ساعة[1].

ثمّ أمر رسول الله أصحابه أن يحملوا عليهم حملة رجل واحد، فما أفلت منهم إنسان، فقتل منهم عشرة وأُسر سائرهم[2] فقتل أمير المؤمنين عليه‌السلام رجلين من القوم هما مالك وابنه.. وكان هو الذي سبى جويريّة بنت الحارث أمير القوم، فجاء بها إلى النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله، فاصطفاها النبيّ عليه‌السلام. وأصاب رسول الله منهم سبياً كثيراً فقسمه في المسلمين.

---

(١) المغازي ٢: ٤٠٤ ـ ٤٠٧.

(٢) إعلام الورى ١: ١٩٧ وهو لفظ الواقدي ٢: ٤٠٧.

وبعد إسلام بقيّة القوم جاء الحارث أبو جويرية إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله إنّ ابنتي لا تُسبى؛ إنّها امرأة كريمة. قال: اذهب فخيّرها. قال: قد أحسنت وأجملت. وجاء إليها أبوها فقال لها: يا بنيّة لا تفضحي قومك! فقالت له: اخترت الله ورسوله! فقال لها أبوها: فعلَ الله بك وفعل!

وأعتقها رسول الله، وجعلها في جملة أزواجه. فلمّا بلغ الناس أنّ رسول الله تزوّج جويرية بنت الحارث قالوا: أصهار رسول الله! فأرسلوا ما كان في أيديهم منهم[2].

---

(١) الإرشاد ١: ١١٩. وقال الحلبي في المناقب ١: ٢٠١: فجاء أبوها إلى النبيّ بفداء ابنته فسأله النبيّ ﷺ عن جملين كان قد خبّأهما في شعب كذا، فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله، والله ما عرفهما أحدٌ سواي! ثمّ قال: يا رسول الله، إنّ ابنتي لا تُسبى إنّها امرأة كريمة..

(٢) إعلام الورى ١: ١٩٧ وتمامه: فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها. وهو لفظ الواقدي رواية عن عائشة ٢: ٤١١ ولكن صدر الرواية تخالف ما نقلناه عن المفيد في الإرشاد، وما ذكره الطبرسي في إعلام الورى، والحلبي في المناقب. فقد روى الواقدي بسنده عن عائشة قالت: بينا النبيّ ﷺ عندي وهو على الماء (المريسيع) إذ دخلت عليه جويرية، فقالت: يا رسول الله، إنّي امرأة مسلمة أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله، وأنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيّد قومه، أصابنا من الأمر ما قد علمت ووقعت في سهم ثابت بن قيس بن شمّاس وابن عمّ له، فتخلّصني من ابن عمّه بنخلات له بالمدينة، ثمّ كاتبني على ما لا طاقة لي به ولا يدان، وما أكرهني على ذلك إلّا أنّي رجوتك ـ صلّى الله عليك ـ فأعنّي في مكاتبتي!

قالت عائشة: وكانت جويرية جارية حلوة لا يكاد يراها أحد إلّا ذهبت بنفسه. فكرهت دخولها على النبيّ وعرفت أنّه سيرى منها مثل الذي رأيت!

وروى عنها الطبرسي في «إعلام الورى» قالت: أتانا رسول الله ﷺ ونحن على المريسيع، فكنت أسمع أبي يقول: أتانا ما لا قِبَلَ لنا به. وكنت أرى من الناس والخيل والسلاح ما لا أصف من الكثرة.

فلمّا أسلمت وتزوّجني رسول الله ورجعنا جعلت أنظر إلى المسلمين فليسوا كما كنت أرى، فعرفت أنّه رعب من الله ـ عزّ وجلّ ـ يُلقيه في قلوب المشركين (1).

فقال رسول الله: أو خيرٌ من ذلك؟

فقالت: ما هو يا رسول الله؟

قال: أؤدّي عنك كتابتك وأتزوّجك؟!

قالت: نعم يا رسول الله قد فعلت!

فأرسل رسول الله إلى ثابت فطلبها منه وأدّى ما كان عليها من كتابتها وأعتقها وتزوّجها.

وخرج الخبر إلى الناس ورجال بني المصطلق قد اقتُسموا وملكوا ووُطئ نساؤهم، فقالوا: أصهار النبيّ! فأعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبي، فأعتق مئة أهل بيت بتزويج رسول الله إيّاها، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها.

ثمّ روى بسنده عن مولاة جويرية عنها قالت: إنّ أبي افتداني من ثابت بن قيس بن شمّاس بما كانت تفتدى به المرأة من السبي، ثمّ خطبني رسول الله إلى أبي فأنكحني إيّاه. وإنّ رسول الله هو الذي سمّاها جويرية وكان اسمها برّة.

وروى عنها ـ أيضاً ـ قالت: رأيت قبل قدوم النبيّ ـ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ـ بثلاث ليالٍ كأنّ القمر يسير من يثرب حتّى وقع في حجري، فكرهت أن أُخبرها أحداً من الناس حتّى قدم رسول الله، فلمّا سُبينا رجوت الرؤيا، فلمّا أعتقني وتزوّجني ما كلّمته في قومي، وما شعرت إلّا بجارية من بنات عمّي تخبرني أنّ المسلمين قد أرسلوهم، فحمدت الله ـ عزّ وجلّ ـ ٢: ٤١١ و٤١٢. وسيأتي التفصيل عن سبايا بني المصطلق.

(1) إعلام الورى ١: ١٩٧ وهو لفظ الواقدي بسنده عن مولاة جويرية ٢: ٤٠٨ و٤٠٩.

ومما وقع في أثناء القتال: أنّ رجلاً من بني عمرو بن عوف من الأنصار أو هشام بن صُبابة أو هاشم بن صُبابة -كما في الواقدي- لقيَ في ريح شديدة وعجاج رجلاً آخر من الأنصار يُقال له أوس، فظنّ أنّه من المشركين، فحمل عليه فقتله، فعُلم بعد أنّه مسلم. فأمر رسول الله أن تخرج ديته[1].

السبايا والغنائم:

وأمر رسول الله بالأسرى والذرية فكُتّفوا وجُعلوا ناحية، واستعمل عليهم بُريدة بن الحُصيب. وأمر بما وُجد في رحالهم من المتاع والسلاح فجمع، وعُمد إلى النَّعَم والشياه فسيقت، واستُعمل عليهما (المتاع والنعم) مولاه شُقران. ثمّ أخرج رسول الله الخمس من جميع المغنم، واستعمل على مقسم الخمس وسهام المسلمين محميّة بن جَزْء الزُّبيدي فكان يليه.

قال: قالوا: فاقتُسم السبي وفُرّق، فصار في أيدي الرجال، وقُسّم المتاع والنعم والشاء، فعُدلت الجَزور بعشرٍ من الغنم. وأُسهم للفرس سهمان ولصاحبه سهم، وللراجل سهم. وكانت الإبل ألفَي بعير، وخمسة آلاف شاة، والسبي مئتي أهل بيت[2] فأُعتق منه أهل بيت منهم بتزويج رسول الله بجويرية بنت زعيمهم الحارث[3].

---

(1) المغازي ٢: ٤٠٨ وتمامه: فقدم أخوه مقيس على النبيّ ﷺ فأمر له بالدية فقبض، ثمّ عدا على قاتل أخيه فقتله ثمّ خرج مرتداً إلى قريش وقال شعراً في ذلك. فأهدر رسول الله دمه يوم فتح مكّة فقُتل فيها. وعكس ابن هشام فجعل هشام بن صُبابة هو المقتول ولم يذكر اسم القاتل ٣: ٣٠٢، وذكر تتمّة الخبر ٣: ٣٠٥ و٣٠٦.

(2) المغازي ٢: ٤١٠.

(3) المغازي ٢: ٤١١ وقد مرّ الخبر عنه.

ومنهم من منّ عليه رسول الله بغير فداء، ومنهم من صار في أيدي الرجال، فافتديت المرأة بستّ نياق، وقدموا المدينة ببعض السبي فقدم عليهم أهلوهم فافتدوهم، فلم تبق امرأة من بني المصطلق إلّا رجعت إلى قومها[1].

وكان أبو سعيد الخدري يقول: قدمت علينا وفودهم فافتدوا النساء والذرّية ورجعوا بهم إلى بلادهم، وخيّر بعضهنّ أن تقيم عند من صارت في سهمه فأبين إلّا الرجوع[2] إلّا ما كان من جويرية بنت زعيمهم الحارث بن أبي ضرار فإنّها لمّا خيّرها رسول الله أبت الرجوع مع أبيها.

ووطئ النساء ـ كما في خبر الواقدي عن عائشة ـ ولكن لم تحمل أيّ منهنّ من المسلمين لعزلهم عنهنّ، كما في خبر الواقدي بسنده عن أبي سعيد الخُدري ـ أيضاً ـ قال: أصبنا في غزوة بني المصطلق سبايا منهم، وأحببنا فداءهنّ. ولكن اشتدّت علينا الغربة فسألنا رسول الله عن العزل فقال: ما عليكم أن لا تفعلوا[3]؟ أي ما يمنعكم عن ذلك؟ وقال رجلٌ من اليهود: إنّا نعلم بالعزل: ذلك الموؤدة الصغرى! قال: فجئت رسول الله ـ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ـ فأخبرته ذلك فقال: كذبت اليهود! كذبت اليهود![4]

---

(١) المغازي ٢: ٤١٢ عن ابن أبي سبرة عن عُمارة بن غُزيّة. قال الواقدي: ويقال: جعل صداقها عتق أربعين من قومها. وعليه فمن منّ عليه النبيّ منهم أربعون، وستّون منهم منّ عليهم سائر المسلمين وبقي منهم مئة نفس بيعت فتُفدوا، كلّ امرأة بستّ نياق، كما مرّ الخبر عنه.

(٢) المغازي ٢: ٤١٣.

(٣) المغازي ٢: ٤١٣ ويلاحظ عليه عدم التصريح بمدّة استبراء أرحامهنّ!

(٤) المغازي ٢: ٤١٣.

وفي طريق الرجوع

قال القمي: لما رجع رسول الله من غزوة المُريسيع وهي غزوة بني المصطلق ـ في سنة خمس من الهجرة ـ نزل على بئر، وكان الماء فيها قليلاً، فاجتمعوا على البئر، فتعلق دلو سيّار بن أنس(1) ـ حليف الأنصار ـ بدلو جهجاه بن سعيد الغفاري ـ وكان أجيراً لعمر بن الخطاب ـ فقال سيّار: دلوي، وقال جهجاه: دلوي، وضرب بيده على وجه سيّار، فسال منه الدم، فنادى سيار بالخزرج! ونادى جهجاه بقريش! وثارت الفتنة، وسمع عبد الله بن أُبي (ابن سلول الخزرجي) النداء فسأل: ما هذا؟ فأخبروه الخبر.

فغضب غضباً شديداً وقال: إنّي لأذل العرب! قد كنت كارهاً لهذا المسير ما ظننت أن أبقى إلى أن أسمع مثل هذا فلا يكون عندي تغيير!

ثم أقبل على أصحابه وقال: هذا عملكم، أنزلتموهم منازلكم وواسيتموهم بأموالكم، ووقيتموهم بأنفسكم، وأبرزتم نحوركم للقتل فأرمل نساؤكم، وأيتم صبيانكم، ولو أخرجتموهم لكانوا عيالاً على غيركم. ثم قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ!

وكان ذلك في وقت الهاجرة، وكان رسول الله في ظل شجرة وعنده قوم من أصحابه من المهاجرين والأنصار، وكان زيد بن أرقم غلاماً قد راهق، وقد سمع كلام ابن أُبي، فجاء فأخبر النبي ﷺ بما قال عبد الله بن أُبي.

فقال رسول الله: يا غلام لعلك وهمت؟! قال: لا والله ما وهمت.

---

(1) تكرر اسم سيار في الخبر عدّة مرات، وهنا: أنس بن سيار، بينما سيأتي عن ابن إسحاق أنّ اسمه سنان بن وبر الجهني حليف بني عمرو بن عوف من الخزرج.

فقال: لعلّك غضبت عليه؟! قال: لا، ما غضبت عليه.

قال: فلعلّه سفه عليك؟! فقال: لا والله.

فقال رسول الله لمولاه شقران: أخدج (أي اجعل الخدج على الجمل) فأخدج راحلته، فركب رسول الله وارتحل، وتسامع الناس بذلك فارتحلوا.

ولحقه سعد بن عبادة فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فقال: وعليك السلام. فقال: ما كنت لترحل في هذا الوقت؟! فقال: أوَلا سمعت قولاً قال صاحبكم؟! قالوا: وأيّ صاحب لنا غيرك يا رسول الله؟ قال: عبد الله بن أُبي زعم أن رجع الى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ.

فقال: يا رسول الله فأنت وأصحابك الأعزّ وهو وأصحابه الأذلّ! وسار رسول الله ذلك اليوم كلّه، ولم ينزلوا إلّا للصلاة، ثم سار ليله.

وروى بسنده عن أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي قال: سار رسول الله ﷺ يومه وليلته ومن الغد حتى ارتفع الضحى، وإنّما أراد رسول الله أن يكفّ الناس عن الكلام، ثم نزل ونزل الناس فرموا بأنفسهم نياماً.

قال القمي: وأقبلت الخزرج على عبد الله بن أُبي يعذلونه، فحلف عبد الله أنه لم يقل شيئاً من ذلك! فقالوا له: قم بنا الى رسول الله حتى نعتذر اليه. فلوى عنقه!

ثم جاء الى النبي فحلف أنّه ليشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، وأنّه لم يقل ذلك وأنّ زيداً قد كذب عليه. وقبل منه رسول الله ذلك القول.

فأقبلت الخزرج على زيد بن أرقم يقولون له: كذبت على سيّدنا عبد الله؟! ويشتمونه. وزيد يقول: اللهم إنّك لتعلم أنّي لم أكذب على عبد الله بن أُبي.

وارتحل رسول الله، فما سار إلّا قليلاً حتى أخذ رسول الله ما كان يأخذه من الشدّة عند نزول الوحي عليه، فثقل حتى كادت ناقته تبرك من ثقل الوحي. ثم سُرّي عن رسول الله وهو يسكب العرق عن جبهته، ثم دنا الى رحل زيد بن أرقم

فأخذ بأذنه وقال: يا غلام صدق قولك، ووعى قلبك، وأنزل الله فيّ ما قلت قرآناً.

فلما نزل جمع أصحابه حوله فقرأ عليهم السورة: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنّك لرسول الله والله يعلم إنّك لرسوله والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون * اتّخذوا أيمانهم جُنّة فصدّوا عن سبيل الله إنّهم ساء ما كانوا يعملون * ذلك بأنّهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون * وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنّهم خُشُب مسنّدة يحسبون كلّ صيحة عليهم هم العدوّ فاحذرهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون * وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم ورأيتهم يصدّون وهم مستكبرون * سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إنّ الله لا يهدي القوم الفاسقين * هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا ولله خزائن السماوات والأرض ولكنّ المنافقين لا يفقهون * يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكنّ المنافقين لا يعلمون ﴾ (1) ففضح الله عبد الله بن أُبيّ.

وقال ابن الحلبي: وأتى ولد عبد الله بن أُبيّ إلى رسول الله فقال:

يا رسول الله، إن كنت عزمت على قتله فمُرني أكون أنا الذي أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الأوس والخزرج أني أبرّهم ولداً بوالده، فإني أخاف أن تأمر غيري فيقتله فلا تطيب نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار!

فقال رسول الله: بل نُحسن صحابته ما دام معنا (2).

---

(1) المنافقون: ١ ـ ٨.

(2) تفسير القمي ٢: ٣٦٨ ـ ٣٧٠.

وقال ابن اسحاق: وردت واردة الناس على الماء، وازدحم عليه جهجاه بن سعيد الغفاري أجير عمر بن الخطاب مع سنان بن وبر (أو تميم) الجُهني حليف الخزرج، واقتتلا، فصرخ الجُهني: يا معشر الانصار! وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين! فغضب عبد الله بن أُبي بن سلول وقال:

أو قد فعلوها؟! قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما عُدنا وجلابيب قريش الا كما قال الاول: سمّن كلبك يأكلك! أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل! ثم اقبل على من حضره من قومه ـ ومنهم زيد بن ارقم وهو غلام حدث ـ فقال:

هذا ما فعلتم بأنفسكم، احللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم اموالكم، اما والله لو امسكتم عنهم بأيديكم لتحولوا الى غير داركم!

فمشى زيد بن ارقم الى رسول الله فأخبره الخبر، وكان عنده عمر بن الخطاب فقال: مُر عبّاد بن بشر فليقتُله. فقال له رسول الله: يا عمر! فكيف اذا تحدث الناس: أن محمداً يقتل اصحابه. لا، ولكن أذّن بالرحيل في ساعة لا يرتحل فيها.

فلما استقل رسول الله راحلته وسار لقيه أُسيد بن حُضير فسلّم عليه بالنبوة ثم قال: يا نبي الله، والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها! فقال له رسول الله: أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال: وأي صاحب يا رسول الله؟ قال: عبد الله بن أُبي. قال: وما قال؟ قال: زعم أنه ان رجع الى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل! قال: فأنت يا رسول الله ـ والله ـ تخرجه منها ان شئت، وهو ـ والله ـ الذليل وأنت العزيز. ثم قال: يا رسول الله ارفق به! فوالله لقد جاءنا الله بك وإنّ قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فانه يرى أنك قد استلبته ملكاً!

وحين بلغ ابن أُبي ان زيد بن ارقم قد بلّغ النبيّ ما سمعه منه، مشى الى رسول الله فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به! فحدب عليه ودافع عنه من حضر

من الأنصار قالوا: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل!

ومشى رسول الله بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس بالزوال فنزل بالناس، فلما وجد الناس الأرض وقعوا نياماً. وإنما فعل ذلك رسول الله ليشغل الناس عن حديث ابن أُبي.

وأتى عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبيّ فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بدّ فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه! فوالله لقد علمت الخزرج ما كان فيها من رجل أبرّ بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار!

فقال رسول الله: بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا.

ثم راح رسول الله بالناس حتى نزل على ماء يقال له بقعاء.. فهبّت ريح شديدة آذتهم، فقال رسول الله: لا تخافوها، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار! فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد من عظماء يهود بني قينقاع، وكان كهفاً للمنافقين، قد مات في ذلك اليوم.

ونزلت سورة المنافقون، فأخذ رسول الله بأذن زيد وقال: هذا الذي أوفى الله بأذنه[1].

ونقل الطبرسي في «مجمع البيان» مثله وزاد: لما هاجت الريح الشديدة قال: مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة. قيل: من هو؟ قال: رفاعة. وضلت ناقة

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٣: ٣٠٣ ـ ٣٠٥ وعنه في مجمع البيان ٩: ٤٤٢، ٤٤٣ ونقل مفصّل الأخبار الواقدي في المغازي ٢: ٤١٥ ـ ٤٢٥.

رسول الله ليلاً...

فقال رجل من المنافقين: كيف يزعم أنّه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته؟! ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي؟!

فأتاه جبرئيل فأخبره بقول المنافق وبمكان الناقة، وأخبر رسول الله بذلك أصحابه قال: ما أزعم أني أعلم الغيب، وما أعلمه، ولكن الله أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب. فإذا هي كما قال، فجاؤوا بها وآمن ذلك المنافق (؟)

قال زيد بن أرقم: فلما وافى المدينة جلست في البيت لما بي من الهمّ والحياء! فنزلت سورة المنافقين في تصديقي وتكذيب عبد الله بن أُبيّ. فأخذ رسول الله بأذني وقال: يا غلام صدق قولك ووعت أُذناك ووعى قلبك، وقد أنزل الله فيما قلت قرآناً.

فلما نزلت هذه الآيات وبان كذب عبد الله قيل له: نزلت فيك آي شداد! فاذهب إلى رسول الله يستغفر لك. فلوى رأسه ثم قال: أمرتموني أن أؤمن فقد آمنت! وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد![1]

ولم يلبث إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات[2].

ما تبقى من آيات الأحزاب

مرّ في ما نزل من القرآن في أعقاب حرب الأحزاب وبني قريظة، وزواج

---

(١) تمام الخبر: فنزل: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا...﴾ وهي الآية الخامسة، وبعدها في الثامنة ﴿يقولون لئن رجعنا...﴾ وهذا يعني أن السورة نزلت أولاً أربع آيات، ثم ترتب الأخريات، مما يبعد صحة الخبر هكذا.

(٢) مجمع البيان ٩: ٤٤٣، ٤٤٤ ونحوه في إعلام الورى وفي تأريخ الخميس ١: ٤٧٣ وبعد مصطلق في الدر المنثور ٦: ٢٢٦.

النبي ﷺ بزينب بنت جحش، فأحسن ما قيل من السبب لوجه نزول الآيات ٥٠ - ٥٢ من سورة الأحزاب إلى ما بعد حرب بني المصطلق، والوجه في ذلك.

قوله سبحانه: ﴿ يا أيها النبي إنّا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك ممّا أفاء الله عليك وبنات عمّك وبنات عمّاتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيّ إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكي لا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً ﴾[1]

روى الطوسي في «التبيان» عن علي بن الحسين عليه السلام في قوله سبحانه ﴿... وامرأة مؤمنة... ﴾ أنها امرأة من بني أسد يقال لها: أم شريك[2] ورواه الطبرسي وزاد: بنت جابر[3] ورواه السيوطي في «الدر المنثور» ولكنه قال: الأزدية[4].

وروى الكليني في «الكافي» بسنده عن الباقر عليه السلام قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن المرأة لا تخطب الزوج، وأنا امرأة أيّم لا زوج لي منذ دهر ولا ولد، فهل لك من حاجة؟ فإن تك فقد وهبت نفسي لك إن قبلتني!

فقال لها رسول الله: يا أخت الأنصار جزاكم الله عن رسول الله خيراً، فقد نصرني رجالكم ورغبت فيّ نساؤكم.

فقالت لها حفصة: ما أقل حياءك وأجرأك وأنهمك للرجال!

---

(١) الأحزاب: ٥٠.

(٢) التبيان ٨: ٣٥٢ وقد مرّ ذكرها في السنة الثالثة للهجرة في الصفحة ٢٤٤ من كتابنا ويكون الأرجح وقوع هذه القصة في السنة السادسة.

(٣) مجمع البيان ٨: ٥٧١.

(٤) كما في الميزان ١٦: ٣٤٦.

فقال رسول الله: كُفّي عنها يا حفصة فإنها خير منك، رغبت في رسول الله ولُمتها وعبتها

ثم قال للمرأة: انصرفي رحمك الله، فقد أوجب الله لك الجنة لرغبتك فيّ وتعرضك لمحبتي وسروري، وسيأتيك أمري إن شاء الله.

فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿ وامرأة مؤمنة ﴾ فأحلّ الله ـ عزّ وجلّ ـ هبة المرأة نفسها للنبيّ ﷺ، ولا يحلّ ذلك لغيره[1].

وفي تفسير القمي قال: كان سبب نزولها: أن امرأة من الأنصار أتت رسول الله ﷺ وقد تهيأت وتزيّنت فقالت له: يا رسول الله، هل لك فيّ حاجة؟ فقد وهبت نفسي لك!

فقالت عائشة: قبّحك الله! ما أنهمك للرجال؟!

فقال لها رسول الله: يا عائشة، إنها رغبت في رسول الله إذ زهدتنّ فيه!

ثم قال للمرأة: رحمكم الله يا معاشر الأنصار، نصرني رجالكم ورغبت فيّ نساؤكم، ارجعي رحمك الله فإني انتظر أمر الله.

فأنزل الله: ﴿ وامرأة مؤمنة ﴾ فلا تحل الهبة إلّا لرسول الله ﷺ[2]

وقال الطبرسي: قيل: إنها لما وهبت نفسها للنبيّ ﷺ قالت عائشة: ما بال النساء يبذلن أنفسهنّ بلا مهر؟! فنزلت الآية.

فقالت عائشة: ما أرى الله إلّا يسارع في هواك!

فقال رسول الله: وإنّكِ لو اطعت الله سارع في هواكِ[3]

---

(١) فروع الكافي ٥: ٥٦٨، الحديث ٥٣.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٩٥.

(٣) مجمع البيان ٩: ٥٧١ وفيه: وفي السنن عن الشعبي: أنها زينب بنت خزيمة الأنصاري ←

والسورة التالية للاحزاب في النزول حسب الخبر المعتمد هي سورة الممتحنة[1] وهي قد نزلت في حاطب بن ابي بلتعه حيث كتب الى قريش في مكة أنّ النبي يريد غزوهم[2] وهذا يعني أنها نزلت فيا بعد الحديبية وقبيل فتح مكة قالى هناك

أُمّ المساكين. وعن ابن عباس: أنها ميمونة بنت الحارث كانت وهبت نفسها للنبيّ بلا مهر ـ مجمع البيان ٨: ٣٥٠، وميمونة بنت الحارث هي الهلالية خالة ابن عباس نفسه. ولقي زوّجها النبي ابوه العباس في عمرة القضاء آخر السابعة. وكانت بهر فليست هي الواهبة نفسها للنبيّ بلا مهر. وأظنه متزلفاً به الى امراء بني العباس بأن خالتهم هي الواهبة نفسها للنبيّ ﷺ!

والآية التالية قوله سبحانه: ﴿ تُرجي من تشاء منهن ﴾ في التبيان ٨: ٣٥٤ ومجمع البيان ٩: ٥٧٤ وذكروا فيمن أرجأ منهن: جويرية ثم صفية ثم ام حبيبة ثم ميمونة، وهي لاحقة الذكر، وهذا يقتضي إرجاء التعبير الى هناك. ولا سيّما وقد ربط الطبرسي بين هذه الآية وآيتي التخيير ٢٨ و ٢٩ من السورة وذكر هذه الثلاث فيمن خيرهن ٩: ٥٥٤ وقبله الطوسي في التبيان ٨: ٣٣٥، ٣٣٦

ونقل الطبرسي في الآية التالية ٥٢ في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿ .. ولو أعجبك حسنهنّ ﴾ قال: قيل: إنّ التي أعجبه حسنها اسماء بنت عميس بعد قتل جعفر بن أبي طالب عنها ـ مجمع البيان ٩: ٥٧٥ فهذا يقتضي تأخير الآية أو الآيات الى ما بعد غزوة موتة في الثامنة. ولا اقل من تأخير أخبار هذه الآيات ولا سيّما آية التخيير الى ما بعد حرب خيبر، كما في تفسير القمي ٢: ١٩٢، فالى هناك

(١) التمهيد ١: ١٠٦.

(٢) تفسير القمي ٢: ٣٦١

سرية زيد الى بني بدر:

روى الواقدي بسنده [1] قال: كان رسول الله قد بعث زيد بن حارثة الى الشام في تجارة بضائع لأصحاب النبي، ومعه ناس من أصحابه. فلما كان بوادي القرى (بعد خيبر) أغار عليهم ناس من بني بدر من بني فزارة فضربوهم حتى ظنوا أن قد ماتوا، وأخذوا ما معهم.

فرجع زيد وأصحابه الى المدينة، فبعثه رسول الله في سرية اليهم في رمضان سنة ست، وقال لهم: سيروا الليل واكمنوا النهار. وعلم بهم بنو بدر فجعلوا لهم ناظوراً على جبل مشرف لهم على وجه الطريق الذي يرون أنهم يأتون منه. فصمد لهم زيد بن حارثه في الليل حتى صبّحهم ثم اوعز الى أصحابه أن لا يفترقوا، وقال لهم: اذا كبّرت فكبّروا. وأحاطوا بهم فكبّر وكبّروا، وقتلوا منهم عبد الله بن مسعدة، وابن اخيه قيس بن النعمان بن مسعدة، ورجل آخر، وقتلت امرأة منهم يقال لها ام قرفة قتلها قيس بن المحسّر، وسبي ابنتها سلمة بن الاكوع، فوهبها لرسول الله، فوهبها رسول الله لحزن بن ابي وهب فتزوّجها [2].

سرية ابن رواحة الى خيبر

روى الواقدي بسنده عن ابن عباس قال: لما قُتل ابو رافع (سلام بن ابي

---

(١) قال: عن عبد الله بن جعفر، عن عبد الله بن الحسن، بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهو الحسن المثنى وامه من بني فزارة واخبر عن بني فزارة.

(٢) المغازي ٢: ٥٦٤، ٥٦٥

الحُقيق ، زعيم اليهود في خيبر[1] مَرّوا عليهم أسير بن زارم وكان شجاعاً . فقام فيهم فقال . انه والله ما سار محمد الى أحد من اليهود الاّ بعث احداً من أصحابه فأصاب منهم ما أراد ، ولكني اصنع ما لا يصنع اصحابي .

قالوا : وما عسيت ان تصنع ما لم يصنع أصحابك ؟

قال : أسير في غطفان فأجمعهم . ثم نسير الى محمد في عقر داره ، فانه لم يُغز أحد في داره الا ادرك منه عدوّه بعض ما يريد .

قالوا : نعم ما رأيت . فسار في غطفان فجمعهم .

وقدم خارجة بن حُسيل الأشجعي على رسول الله فاستخبره ما وراءه فقال . تركت أسير بن زارم يسير اليك في كتائب اليهود .

فروى عن عروة بن الزبير . أن النبي بعث عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر في شهر رمضان الى خيبر ليخبر عن حال اهلها وما يتكلمون به وما يريدون فلما وصل الى خيبر فرّق أصحابه الثلاثة في ثلاثة من آطام خيبر الشق ، والكتيبة ، والنطاة ، فأقاموا فيها ثلاثة أيام حتى وعوا ما سمعوه عن أسير وغيره ، ثم خرجوا بعد ثلاثة أيام فرجعوا الى النبي ﷺ لليالي بقين من شهر رمضان فأخبروه بما رأوا وسمعوا

وعن ابن عباس قال . فندب رسول الله الناس فانتدب له ثلاثون رجلاً فاستعمل عليهم عبد الله بن رواحه

وقال عبد الله بن أنيس : جئت فوجدت أصحابي يوجهون الى أُسير بن زارم ، وسمعت النبي يقول : لا أرى أُسير بن زارم يعني ان اقتلوه وكنت فيهم ،

---

(1) مرّ خبره في حوادث ما بعد الخندق وبني قريظة ، كما ذكره ابن اسحاق ٣ : ٢٨٦ ـ ٢٨٨ وذكره الواقدي ١ : ٣٩١ على رأس ستة واربعين شهراً ، وقال : ٣٩٥ . ويقال : كانت السرية في شهر رمضان سنة ست .

فخرجنا حتى قدمنا خيبر، فأرسلنا الى أُسير بن رزام حتى يأتيك فنعرض عليك ما جئنا له؟ قال: نعم، ولي مثل ذلك منكم؟ قلنا: نعم.

فدخلنا عليه فقلنا: انّ رسول الله بعثنا اليك أن تخرج اليه فيستعملك على خيبر، ويُحسن اليك. فشاور اليهود في ذلك فقالوا له: ما كان محمد يستعمل رجلاً من بني اسرائيل! قال: بلى، وقد مللنا الحرب.

فخرج ومعه ثلاثون رجلاً من اليهود. فسرنا حتى اذا كنّا بقرقرة ثبار[1] فأهوى بيده الى سيفي! ففطنت له فدفعت بعيري وقلت: أغدراً أي عدو الله؟ ثم دنوت منه مرة اخرى وتناومت لانظر ما يصنع؟ فتناول سيفي! فغمزت بعيري ونزلت عنه وسُقت القوم حتى انفرد أُسير فضربته بالسيف فقطعت فخذه وسقط عن بعيره، ثم ملنا على أصحابه فقتلناهم الا واحداً منهم اعجزنا هرباً، ورجعنا الى رسول الله فاذا هو جالس في صحابه مشرفين على الثنية (ثنية الوداع الى جهة الشام) فانتهينا اليه وحدثناه الخبر فقال: نجّاكم الله من القوم الظالمين[2].

سرية الى بني ضبّة:

روى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي.. عن الامام الصادق عليه‌السلام قال: قدم على رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قوم من بني ضبّة مرضى، فقال لهم رسول الله: أقيموا عندي فاذا برأتم بعثتكم في سرية. فقالوا:

---

(١) موضع على ستة اميال من خيبر ـ وفاء الوفاء ٢: ٢٧٣ وروى السمهودي الخبر عن موسى بن عقبة، وفاء الوفاء ٢: ٣٦١.

(٢) المغازي ٢: ٥٦٦ ـ ٥٦٨ وذكر ابن اسحاق مختصره في السيرة ٤: ٢٦٦ والطبرسي في اعلام الورى ١: ٢١١ بعد خيبر، بلا تأريخ. ويصلح هذا ان يكون الباعث على حرب خيبر بفاصل أربعة أشهر وعشراً تقريباً.

أخرجنا من المدينة فبعث بهم الى ابل الصدقة يشربون من .. ألبانها، فلما برأوا واشتدوا قتلوا ثلاثة ممن كان في الابل [واستاقوها].

فبلغ الخبر رسول الله فبعث اليهم علياً عليه‌السلام [مع جمع، وكانوا] في وادٍ قد تحيّروا ليس يقدرون أن يخرجوا منه فأسرهم وجاء بهم الى رسول الله، فنزلت الآية: ﴿ إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ﴾[1] فاختار رسول الله القطع، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف[2].

وروى القاضي في «دعائم الاسلام» عنه عليه‌السلام عن جده أمير المؤمنين حكى ذلك الى أن قال: فأرسلني في طلبهم، فلحقت بهم ـ وهم في وادٍ قد ولجوا فيه ليس يقدرون على الخروج منه، فأخذتهم وجئت بهم الى رسول الله، فتلى عليهم هذه الآية: ﴿ إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ﴾ ثم قال: القطع القطع، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف[3].

ونقل الطوسي في «التبيان» عن قتادة والسدّي وسعيد بن جبير وعن أنس

---

(١) المائدة: ٣٣ هذا، والمعروف أنها آخر سورة نزلت من القرآن الكريم.

ولعله قد ذهب الضحاك عن ابن عباس الى أن الآية نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي موادعة فنقضوا العهد وأفسدوا في الارض، فخيّر الله نبيه في ما ذكر في الآية كما في التبيان ٣: ٥٠٥، وعنه في مجمع البيان ٣: ٢٩١ وعليه فلا يصدق ما يروى أنه ﷺ سمل أعينهم ثم نزلت الآية فنهى عن المثلة بعد ذلك بل يصحّ أنه كان ينهى عن المثلة قبل نزول الآية في أواخر عهده ﷺ.

(٢) فروع الكافي ٧: ٢٤٥، ح ١، ورواه العياشي في تفسيره ١: ٣١٤، ح ٩٠.

(٣) دعائم الاسلام ٢: ٤٧٦، ح ١٧١١.

ابن مالك : أن الآية نزلت في العرنيين والعكليين حين ارتدوا وأفسدوا في الارض ، فأخذهم النبي ﷺ وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف[1].

ونقله الطبرسي في «مجمع البيان» فقال : نزلت في العرنيين لما نزلوا المدينة للاسلام واستوخموا هواءها فاصفرت ألوانهم فأمرهم النبي أن يخرجوا الى ابل الصدقة فيشربوا من ألبانها ، ففعلوا ذلك ، ثم مالوا الى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الابل وارتدوا عن الاسلام ، فأخذهم النبي ﷺ فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف[2].

---

(١) التبيان ٣ : ٥٠٥.

(٢) مجمع البيان ٣ : ٢٩١ ورواه الواحدي عن قتادة عن أنس : ١٥٨ وروى الخبر الواقدي عن يزيد بن رومان (عن أنس بن مالك) قال : قدم ثمانية نفر من عُرينة على النبي فأسلموا (وأصابهم الوباء بالمدينة) فأمر بهم النبي ﷺ الى لقاحه بذي الجَدَر (وذو الجدر على ستة أميال من المدينة من ناحية قُباء قريباً من عَير . الطبقات ٢ : ٦٧) فكانوا بها حتى صحّوا وسمنوا ثم عدوا على اللقاح فاستاقوها ، فأدركهم يسار مولى رسول الله ومعه نفر فقاتلوهم فأخذوه فقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات تحت شجرة وانطلقوا بالسرح .

واقبلت امرأة من بني عمرو بن عوف فرأت يساراً ميتاً تحت شجرة ، فرجعت الى قومها فخبّرتهم الخبر ، فخرجوا حتى جاؤوا به الى قُباء وخبّروا النبي ﷺ .

فبعث رسول الله في آثارهم عشرين فارساً واستعمل عليهم كُرز بن جابر الفهري (كذا!) فخرجوا في طلبهم حتى أدركهم الليل فباتوا بالحرّة ، فأصبحوا لا يدرون أين يسلكون ؟ فاذا هم بامرأة تحمل كتف بعير ، فأخذوها فقالوا : ما هذا معك ؟ قالت : مررت بقوم قد نحروا بعيراً فأعطوني هذا . فقالوا : أين هم ؟ قالت : هم بتلك القفار من الحرّة اذا وافيتم عليهم رأيتم دخانهم .

فساروا حتى أتوهم فأحاطوا بهم فاستأسروا أجمعهم ، فربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة ، فوجدوا رسول الله بالغابة ، فخرجوا اليه ، حتى التقوا بزغابة في مجمع

←

صلح الحديبية

روى القمي في تفسيره بسنده عن الصادق عليه السلام قال: إن الله ـ عزّ وجلّ ـ أرى رسول الله صلى الله عليه وآله في النوم أنه دخل بأصحابه المسجد الحرام مع الداخلين، وطاف مع الطائفين، وحلّق مع المحلّقين، وكان ذلك أمراً به بذلك

فأخبر أصحابه بذلك، وأمرهم بالخروج، فخرجوا[1]

ـ

السيول من الزغابة، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسُمّلت أعينهم وصلبوا هناك.

ثم روى عن أبي هريرة* قال: لما قطع النبي أيدي أصحاب اللقاح وأرجلهم وسمل أعينهم نزلت الآية: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ فلم تُسمل بعد ذلك عين.

لكنه روى بعد هذا عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده قال: لم يقطع رسول الله صلى الله عليه وآله لساناً قط ولم يُسمل عيناً ولم يزد على قطع اليد والرجل. وروى عن الإمام الباقر عن أبيه عن جده قال: ما بعث النبي صلى الله عليه وآله بعد ذلك بعثاً إلا نهاهم عن المثلة.

قال: ولما أقبل رسول الله من الزغابة الى المدينة وجلس في المسجد إذا اللقاح على باب المسجد، ثم ردّها الى مكانها بذي الجدر فكانت هناك، وكان يصله كل ليلة منها وطبٌ لكيل من لبن. وكانت خمس عشرة لقحة غزاراً.

وقد أرّخ للسرية بشوال سنة ست (المغازي ٢: ٥٦٩ ـ ٥٧١).

(*) هذا، وقد أسلم أبو هريرة سنة سبع للهجرة، أي بعد الواقعة بسنتين، فلم يكن شاهدها.

(١) قال الواقدي: واغتسل رسول الله في بيته ولبس ثوبين من نسج صُحار (بعده بسطره غُمان اليوم) وقديد كانت من قرى اليمن (التنبيه ٢: ٢٥٣)، وركب راحلته القصواء من عند بابه وخرج من المدينة يوم الاثنين لهلال ذي القعدة. واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وكان قد أمر رسول الله بشر بن سفيان الكعبي أن يبتاع له بدناً ويبعث بها الى ذي الجدر، فلما

←

فلما نزل ذا الحليفة[1]. وكان قد ساق رسول الله ستاً وستين بدنة[2]، فأحرم بالعمرة وأشعرها عند احرامه، وأحرم المسلمون ملبّين بالعمرة مُشعرين[3].

→

حصر خروجه امرٌ بها تجلبت الى المدينة. ثم استعمل عليها ناجية بن جُندب الأسلمي فأمره أن يقدمها الى ذي الحليفة. وخرج معه المسلمون وساق الهدي معه منهم اهل القوة عليه. وقال سعد بن عُبادة: يا رسول الله، لو حملنا السلاح معنا فان رأينا من القوم ريباً كنّا مُعدّين لهم!

فقال رسول الله: لست أحمل السلاح، إنّا خرجت معتمراً. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله تخشى عليك من ابي سفيان [ألا] ابن حرب وأصحابه ولم تأخذ للحرب عدّتها؟!

فقال رسول الله: ما أدري، ولست أحب حمل السلاح معتمراً [المغازي ٢: ٥٧٢ - ٥٧٣].

وروى الكليني في روضة الكافي: ٢٦٦، بسنده عن الصادق عليه السلام: خرج النبي في وقعة الحديبية في ذي القعدة... ومعه خيل الانصار: الاوس والخزرج وكانوا ألفاً وثمانمئة.

وقال الطبرسي: خرج في الشهر الحرام ذي القعدة في ناس كثير من أصحابه يريد العمرة، وساق معه سبعين بدنة ـ اعلام الورى: ٢٠٣.

وقال الحلبي في المناقب ١: ٢٠٢: اعتمر في ألف ونيف رجل وسبعين بدنة.

وروى ابن اسحاق بسنده ٣: ٣٢٢، عن المسور بن مخرمة قال: كان الناس معه سبعمئة رجل، واهدى سبعين بدنة، وكل بدنة عن عشرة. وروي عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: كنا ألفاً وأربعمئة رجلاً.

(١) في معاني الاخبار: ١٠٨، بسنده عن الصادق عليه السلام: كان بينها [المدينة وذي الحليفة] ستة أميال. وهو كذلك في معجم البلدان ٥: ١٥٥.

(٢) في اعلام الورى ١: ٢٠٢: سبعين بُدنة وكذلك في قصص الأنبياء: ٣٤٦ ومناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٢.

(٣) قال ابن اسحاق: وانما ساق معه الهدي وأحرم بالعمرة ليعلم الناس انه انّما خرج زائراً للبيت

←

وكان رسول الله في طريقه يستنفر بالأعراب ليكونوا معه، فلم يتّبعه أحد منهم وكانوا يقولون: أيطمع محمد وأصحابه أن يدخلوا الحرم وقد غزتهم قريش في

ومعظماً له، فيأمن الناس من حربه. ٣: ٢٢٢

وروى الواقدي ٢: ٥٧٣: أنّ رسول الله صلى الظهر بذي الحليفة، ثم دعا بالبدن فجُلّلت (جعل عليها الجُلّ) ثم أشعر عدداً منها بنفسه في شقها الأيمن وهنّ موجّهات الى القبلة. ثم أمر ناجية بن جندب بإشعار ما بقي، وقلّدها نعلاً. وأشعر المسلمون بُدنهم وقلّدوهن النعال في رقابهن. ثم دخل رسول الله المسجد (؟) فصلى ركعتين. ثم خرج ودعا براحلته فركبها من باب المسجد، فلما انبعثت به مستقبلة القبلة أحرم وهو يقول:

«لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبيك» وأحرم عامة المسلمين بإحرامه [و]معه أمّ سلمة.

ودعا رسول الله بُسر بن سفيان الكعبي فقال له: إنّ قريشاً قد بلغها أني أريد العمرة فخبّر لي خبرهم ثم القني بما يكون منهم، فتقدم بُسر أمامه.

ودعا رسول الله عبّاد بن بشر فقدّمه طليعة في عشرين فرساً من خيل المسلمين من الأنصار ومنهم محمد بن مسلمة، ومن المهاجرين ومنهم المقداد بن عمرو. وقيل: بل كان أميرهم سعد بن زيد الأشهلي.

وروى الحميري في قرب الإسناد: ٥٩، بسنده عن الصادق عليه السلام قال: إنّ رسول الله لما انتهى الى البيداء حيث الميل قرّبت له ناقة فركبها، فلما انبعثت به لبّى بالأربع.

وروى الكليني في فروع الكافي ٤: ٣٣٤ بسنده عنه عليه السلام ـ أيضاً ـ قال: إنّما لبّى النبي في البيداء لأنّ الناس لم يعرفوا التلبية فأحب أن يعلمهم كيف التلبية.

وروى الطوسي في الاستبصار والتهذيب بسنده عنه عليه السلام قال: إنّ رسول الله لم يكن يلبّي حتى يأتي البيداء. ٢: ١٧ و ٥: ٨٤ والبيداء هي الصحراء أمام الحجاج بعد ذي الحليفة الى جهة المغرب ـ وفاء الوفاء ٢: ٢٦٧.

غُفر دارهم فقتلوهم ؟ ! إنه لا يرجع محمد وأصحابه إلى المدينة أبداً

---

(١) تفسير القمي ٢: ٣١٠، وقال ابن إسحاق ٣: ٣٢٢، واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي ومن الأعراب ليخرجوا معه فأبطأ عليه كثير منهم، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت.

وروى الواقدي ٢: ٥٧٤، أن رسول الله جعل يمر بالأعراب فيما بين المدينة إلى مكة من بني بكر، وجُهينة، ومُزينة، فيستنفرهم معه فيتشاغلون له بأموالهم وأبنائهم وذراريهم ويقولون: يُريد محمد أن يغزو بنا إلى قوم معدّين مؤيدين في الكراع والسلاح وإنما محمد وأصحابه أكلة جزور! لن يرجع محمد وأصحابه من سفرهم هذا أبداً! قوم لا سلاح معهم ولا عدد، وإنما يقدم على قوم عهدهم حديث بمن أصيب منهم يوم بدر. وخرج معه من أسلم سبعون أو مئة رجل. وخرج معه من المسلمين ألف وست مئة أو ألف وخمسمئة أو ألف وأربعمئة. وكان معه أربع نسوة: أم سلمة زوجه، وأم عامر الأشهلية، وأم عمارة، وأم منيع.

وكان رسول الله يقدم الخيل، ثم قدَّمه ومعه هدي المسلمين مع ناجية بن جندب ومعه فتيان من أسلم، ثم يخرج ﷺ.

وخرج رسول الله عصر يوم الاثنين من ذي الحليفة فأصبح يوم الثلاثاء بملل، وراح من ملل فتعشّى بالسيّالة ثم أصبح بالروحاء.

وكان فيهم من لم يحرم فاشترى قوم منهم في الروحاء أو عرضوه على المحرمين فأبوا حتى سألوا رسول الله فقال: كلوه، فكل صيد ليس لكم حلالاً في الإحرام تأكلونه، إلا ما صدتم أو صيد لكم ٢: ٥٧٥، وروى بسنده عن ابن عباس: أن الصعب بن جثامة أهدى لرسول الله في الأبواء حماراً وحشياً (قد صاده)، فردّه وقال: إنا لم نردّه إلا أنا حُرم. ولكنه روى عن أبي قتادة: أنه صاد في الأبواء حماراً وحشياً لنفسه وأصحابه المحلّين فطبخوه، وعرضوه على المحرمين فشكّوا في أكله فسأل النبي عن ذلك فقال: أمعكم منه شيء؟ فأعطاه الذراع فأكله وهو محرم، لأنه لم يصده محرم أو لمحرم، بل محلّ لمحلّ ـ ٢: ٥٧٦.

وروى المفيد في «الإرشاد»: نزل رسول الله ﷺ في منزل الجحفة فلم يجد بها ماءً، فبعث سعد بن مالك (بن وقاص الزهري) بالروايا، حتى إذا كان غير بعيد

←

وحين انتهوا من الأبواء عطب بعير من الهدي فأمر ناجية بن جندب رسول الله فقال له: انحرها واصبغ قلائدها في دمها، وخلِّ بين الناس وبينها ولا تأكل أنت ولا أحد من أهل رفقتك منها شيئاً.

وفي الأبواء ـ أيضاً ـ رأى رسول الله كعب بن عُجرة عند طبخ والقمل في رأسه يؤذيه فقال له: هل تؤذيك هوامك يا كعب؟ قال: نعم يا رسول الله. فقال: فاحلق رأسك.

وروى الواقدي بسنده عن مجاهد: أن في كعب بن عُجرة هذا نزلت الآيات من سورة البقرة: ﴿وأتمّوا الحج والعمرة لله فإن أُحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محلّه فمن كان منكم مريضاً أو به أذىً من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتّقوا الله واعلموا أنّ الله شديد العقاب﴾ فروى مجاهد عن كعب بن عُجرة قال: فأمرني رسول الله أن أذبح شاة هدياً نسكاً، أو أصوم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين مدّين مدّين. وقال: أي ذلك فعلت أجزأك ٢: ٥٧٧، ٥٧٨.

والآيات في سورة البقرة من ١٩٦ ـ ٢٠٣ وعليه فهذه الآيات مما نزلت في السنة السادسة وألحقت بسورة البقرة النازلة في السنة الأولى من الهجرة.

وفي منزل الجحفة روى الواقدي أن النبي خطب الناس فقال: أيها الناس إني لكم فرط، وقد تركت فيكم كتاب الله وسنّة نبيه ٢: ٥٧٩.

وهذا ما رواه مسلم في صحيحه أيضاً، وقد روى جمع كثير أنه قال: كتاب الله وعترتي أهل بيتي. فراجع مصادر حديث الثقلين في المراجعات سبيل النجاة ١٢ ـ ٢٢. تحقيق حسين الراضي.

رجع وقال : يا رسول الله ما استطيع أن امضي لقد وقفت قدامي رعباً من القوم ، فبعث رسول الله رجلاً آخر ، فخرج بالروايا حتى اذا كان بالمكان الذي انتهى اليه الأول (سعد) فرجع وقال : والذي بعثك بالحق ما استطعت ان امضي رُعباً !

فدعا رسول الله علي بن ابي طالب فأرسله بالروايا وخرج معه السقاة وهم لا يشكّون في رجوعه كما رجع من قبله فخرج علي عليه السلام بالروايا حتى ورد الخرار فاستقى ثم أقبل بها الى النبي صلى الله عليه وآله ، فكبّر النبي ودعا له بخير[1]

قال القمي : فلما بلغ قريشٌ ذلك بعثوا خالد بن الوليد في مئتي فارس ليستقبل رسول الله ، فكان يكمن له في الجبال[2]

---

(١) الارشاد ١ : ١٢١ ، ١٢٢ ، واختصره الحمي في سطرين في المناقب ٢ : ٩٠ ، ونقله عن المفيد ابن حجر في الاصابة ٢ : ١٩٩ . والغريب أن الواقدي ٢ : ٥٧٨ ، نقل الخبر بألفاظه إلّا أنه لم يسمّ أحداً لا سعداً ولا علياً عليه السلام ! سترةً للمثالب والمناقب ، أليس الانصاف كذلك ؟ !

(٢) تفسير القمي ٢ : ٣١ ، وفي روضة الكافي : أرسل اليه المشركون أبان بن سعيد (بن العاص الاموي) في الخيل فكان بازائه . وفي اعلام الورى : ٩٨ ، بعثوا مكرز بن حفص وخالد بن الوليد ، وكذلك في المناقب ٢ : ٢٠٢ .

وروى الواقدي ٢ : ٥٧٩ ، لما بلغ المشركين خروج رسول الله الى مكة رعبهم ذلك واجتمعوا له ، فجمعوا أمرهم وجمعوه الى صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل .

فقال صفوان : نرى أن نقدّم مئتي فارس الى كراع الغميم (على مرحلتين من مكة) ونستعمل عليها رجلاً جَلداً (قوياً) فقالوا : نعم ما رأيت . فقدّموا على خيلهم - يقال - خالد ابن الوليد (أو) عكرمة بن أبي جهل ، واستنفرت قريش من أطاعها من الأحابيش ومعهم ثقيف ، ووضعوا العيون على الجبال الى جبل يقال له : وزر وزَع ، فكان العيون يوحي بعضهم ←

فلما قرب في الطريق إلى مكة وحضرت صلاة الظهر أذن بلال، وصلى رسول الله الظهر بالناس. فقال خالد بن الوليد: لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة لأصبناهم، فإنهم لا يقطعون صلاتهم. ثم قال: ولكن تجيء لهم بعد الآن صلاة

→

إلى بعض حتى ينتهي ذلك إلى قريش

وخرجت قريش إلى بَلْدَح فضربوا بها القباب والأبنية، وخرجوا بالنساء والصبيان فعسكروا هناك.

وروى ابن إسحاق بسنده، عن المسور بن مخرمة قال: وخرج رسول الله حتى كان بعُسفان (على مرحلتين من مكة ـ معجم البلدان) فلقيه بشر بن سفيان الكعبي (الذي كان قد بعثه النبي إلى مكة عيناً له) فقال له: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العُوذ المطافيل [العائذات ومعهن أطفالهن] قد لبسوا جلود النمور، وقد نزلوا بذي طوى [قرب مكة] يعاهدون الله: لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدّموها إلى كراع الغميم [واد بعد عُسفان بثمانية أميال].

فقال رسول الله: يا ويح قريش، لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟! فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة [أي صفحة العنق، كناية عن الموت]

ثم أمر رسول الله الناس أن يسلكوا ذات اليمين طريقاً تخرجهم على ثنية المرار مهبط الحديبية في أسفل مكة.

فلما رأت خيل قريش من قَتَر جيش المسلمين أنهم خالفوا طريقهم، إلى مكة ـ سيرة ابن هشام ٣: ٣٢٣، ٣٢٤ وهذه هي رواية ابن إسحاق عن ابن شهاب، وعليها فقد كان كل ذلك على بعد فيما بين المسلمين والمشركين، ولم يكن بينهم قبل الحديبية من القرب ما يوجب صلاة الخوف كما يظهر من الخبر الثاني عن تفسير القمي ومغازي الواقدي

أخرى أحب إليهم من ضياء أبصارهم، فإذا دخلوا في الصلاة أغرنا عليهم.

فنزل جبرئيل على رسول الله بقوله ـ سبحانه ـ: ﴿ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأتِ طائفة أُخرى لم يصلّوا فليصلّوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذىً من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعدّ للكافرين عذاباً مهيناً * فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾[1].

ففرّق رسول الله أصحابه فرقتين، فوقف بعضهم تجاه العدو وقد أخذوا سلاحهم، وفرقة صلوا مع رسول الله قياماً ومرّوا فوقفوا موقف أصحابهم، وجاء أولئك الذين لم يصلوا فصلى بهم رسول الله الركعة الثانية، وقعد رسول الله فتشهد، وقام أصحابه فصلوا الركعة الثانية لأنفسهم[2].

---

(١) النساء: ١٠٢، ١٠٣. والخبر في تفسير القمي ٢ : ٣١٠.

(٢) تفسير القمي ١ : ١٥٠. وقال الطوسي في التبيان ٣ : ٣١١: كان النبي ﷺ بعسفان، والمشركون بضجنان، فتواقفوا، فصلى النبي بأصحابه صلاة الظهر بتمام الركوع والسجود، فهمّ بهم المشركون أن يغيروا عليهم، فقال بعضهم: لهم صلاة أخرى أحب إليهم من هذه، يعنون العصر، فأنزل الله عليه الآية فصلى بهم العصر صلاة الخوف، ونقله عنه الطبرسي في مجمع البيان ٣ : ١٥٧. ثم ذكر خبر أبي حمزة الثمالي في تفسيره أن ذلك كان في حرب محارب وأنمار.

وروى الواقدي بسنده عن ابن عياش الزرقي الأنصاري، تفصيل ذلك قال: ... حانت صلاة الظهر فأذن بلال وأقام، فاستقبل رسول الله القبلة وصفّ الناس خلفه فصلى بهم الظهر

وروى الكليني في «روضة الكافي» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: لما سمع أن المشركين أرسلوا خالد بن الوليد بعرّدة قال: ابغوا لي رجلاً يأخذني على غير هذا الطريق فأُتي برجل من مزينة أو جهينة، فسأله فلم يوافقه فقال: ابغوا لي رجلاً غيره فأُتي برجل آخر

وفي «المغازي»: قالوا: فلما أمسى رسول الله قال: أيكم يعرف ثنية

وسلم، فقاموا إلى ما كانوا عليه من التعبئة، فقال خالد بن الوليد: قد كانوا على غرة لو كنّا حملنا عليهم لأصبنا منهم، ثم قال: ولكن تأتي الساعة صلاة هي أحب إليهم من أنفسهم وأبنائهم!

فنزل جبرئيل عليه السلام بين الظهر والعصر بهذه الآية ﴿ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم ﴾ الآية فحانت العصر فأذن بلال وأقام، فقام رسول الله مواجهاً القبلة، والعدو أمامه، [واصطفوا] خلفه صفّين، وكبّر رسول الله فكبّر الصفان، وركعوا معاً، ثم سجد فسجد الصف الذي يليه ووقف الصف الآخر يحرسونهم. فلما قضى رسول الله سجوده بالصف الأول وقام وقاموا معه سجد الصف المؤخر السجدتين وقاموا، فتأخر الصف الأول وتقدم الصف المؤخر، فركع رسول الله وركعوا معاً، ثم سجد رسول الله فسجد الصف الذي يليه ووقف الصف المؤخر يحرسونهم، فلما سجد رسول الله السجدتين ومن معه ورفعوا رؤوسهم واستووا جالسين سجد الصف المؤخر السجدتين، فتشهد رسول الله وسلّم عليهم ٢: ٥٨٣

ورواها كذلك ـ أيضاً ـ بسنده عن عكرمة عن ابن عباس ٢: ٥٨٢.

ولكنه روى بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أن هذه الصلاة كانت في عسفان وإنما كانت صلاة الخوف الثانية بعد صلاته الأولى في غزوة ذات الرقاع، بينهما ربع سنين. ثم قال الواقدي: وهذا أثبت عندنا ٢: ٥٨٣ ويؤيد ذلك أن الآية من سورة النساء.

(١) روضة الكافي: ٢٦٦

ذات الحنظل[1] فنزل عمرو بن عبد نُهْم الأسلمي فقال: أنا يا رسول الله أدلك. فقال: انطلق أمامنا، فانطلق عمرو أمامهم حتى نظر رسول الله الى الثنية فقال: هذه ثنية ذات الحنظل؟ فقال عمرو: نعم يا رسول الله.

وعن أبي سعيد الخدري قال: انما كان عامّة زادنا التمر، وانا مع رسول الله الدقيق... فحين نزل رسول الله قال: من كان معه ثَقَلٌ فليصطنع [أي: من كان معه دقيق فليخبز] فقلنا: يا رسول الله انا نخاف من قريش أن ترانا! فقال ﷺ: إنّ الله سيعينكم عليهم، إنهم لن يروكم.

فأوقدوا النيران فكانت اكثر من خمسمئة نار. فلما أصبحنا صلى رسول الله بنا الصبح[2].

وروى ابن اسحاق بسنده عن المسور بن مخرمة قال: خرج رسول الله حتى اذا سلك في ثنية المُرار بركت ناقته فقال الناس: خلأت الناقة[3] فقال ﷺ: ما خلأت، وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة! لا تدعوني قريش اليوم الى خُطّة يسألوني فيها صلة الرحم الا أعطيتهم إيّاها[4].

وروى الخبر الواقدي وفيه زيادة: ثم قامت فعادت حتى نزلت به على ثمد ظنون قليل الماء[5] فقال رسول الله للناس: انزلوا! فقيل له: يا رسول الله ما

---

(١) ذات الحنظل: موضع كان في ديار بني أسد ـ معجم ما استعجم: ٢٨٨.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٥٨٣ ـ ٥٨٥.

(٣) خلأت: الخلاء في النوق كالحران في الدواب: إعياء يصيب الحيوان فلا يمشي.

(٤) سيرة ابن هشام ٣: ٣٢٤ ورواه الطبرسي في مجمع البيان ٩: ١٧٨ والحلبي في المناقب ١: ٢٠٢.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٥٨٧ ومجمع البيان ٩: ١٧٨ عن المسور بن مخرمة، والثمد: الماء القليل، والظنون: البخيل.

بالوادي ماء ننزل عليه[1].

وروى الواقدي بسنده عن أبي قتادة الانصاري : نزلنا على الحديبية والماء قليل ، فسمعت الجدّ بن قيس [المنافق] يقول : ما كان خروجنا الى هؤلاء القوم ؟ ! نموت من العطش عن آخرنا ! فقلت له : يا أبا عبد الله فلم خرجت ؟ قال : خرجت مع قومي ! قلت : فلم تخرج معتمراً ؟ قال : لا والله ما أحرمت ، ولا نويت العمرة . فذكرت قوله للنبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ، فقال رسول الله : ابنه خير منه[2].

الماء في الحديبية

فروى بسنده عن ناجية بن الاعجم الأسلمي قال : كان المشركون قد سبقوا الى بَلْدَح فغلبوا على مياهه ، والناس في حرّ شديد ، والبئر واحدة ، وقد شكى الناس الى النبي قلّة مائها ، فدعا بدلو من ماء البئر فجئته به فمضمض فاه ثم مجّه فيه ، وأخرج سهماً من كنانته ودفعه اليّ وقال : انزل بالماء فصبّه في البئر ، وأثر ماءها بالسهم . ففعلت ، فوالذي بعثه بالحق لقد فارت كما تفور القدر وكاد الماء يغمرني وأنا أخرج حتى طمّت البئر واستوت بشفيرها ، فكان المسلمون يغترفون الماء منها حتى نهلوا عن آخرهم .

النفاق في الحديبية :

وكان يومئذ نفر من المنافقين جلوس ينظرون الى الماء وقد جاشت البئر وهم على شفيرها ، فقال أوس بن خولي لعبد الله بن أبي بن سلول : ويحك يا أبا الحباب :

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٣٢٤

(٢) مغازي الواقدي ٢ : ٥٩٠

أما آن لك أن تبصر ما أنت عليه ؟ أبعد هذا شيء[١] ؟ ! ووردنا بئراً يتبرّض ماؤها[٢] فتوضأ رسول الله في الدلو ومضمض ماء فيه، ثم افرغ الدلو فيها ونزل بالسهم فحصحصها فجاشت بالرواء.

فقال ابن أُبي : قد رأيت مثل هذا !

فقال أوس : قبّحك الله وقبّح رأيك !

وقال له رسول الله : أبي أبا الحباب، أين رأيت مثل ما رأيت اليوم ؟

قال : ما رأيت مثله قط !

فقال رسول الله : فلِمَ قلت ما قلت ؟

قال : أستغفر الله[٣] !

وقال ابو قتادة الأنصاري : لما دعا رسول الله الرحل وتوضأ بالدلو ومج فاه فيه ثم رده في البئر ونزل فيها بالسهم، فجاشت البئر بالرواء... رأيت الجد بن القيس على شفير البئر مادّاً رجليه في الماء !

فقلت له : أبا عبد الله، أين ما قلت ؟

فقال : لا تذكر لمحمد مما قلت شيئاً، انما كنت أمزح معك[٤].

---

(١) مغازي الواقدي ٢ : ٥٨٨، ٥٨٩ وقد روى الكليني خبر البئر عن الصادق عليه‌السلام في روضة الكافي : ٢٦٦، وأشار اليه الطوسي في التبيان ٩ : ٢١٣، والطبرسي في مجمع البيان ٩ : ١٦٧ عن ابن اسحاق في السيرة ٣ : ٣٢٢، والراوندي في الخرائج والجرائح ١ : ٥٨ و ١٢٣ وخبر آخر مثله في الطريق ١ : ١٠٩.

(٢) يتبرّض : يخرج في القصب جرعة ماء.

(٣) مغازي الواقدي ٢ : ٥٨٨، ٥٨٩.

(٤) مغازي الواقدي ٢ : ٥٩٠.

وفي المساء مطرت السماء فكثر الماء، فروى الواقدي بسنده عن أبي قتادة الأنصاري قال: فسمعت ابن أبي بقوب. هذا نوء الخريف، مُطِرنا بالشعري[1]

فروى الواقدي بسنده عن زيد بن خالد الجُهَني قال. صلّى بنا رسول الله في الحديبية صبحة مطر كان في الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربّكم؟ قالوا: الله ورسوله اعلم. فقال: إنه قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأمّا من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب[2].

هدايا المشركين:

قال الواقدي. وقالوا: لما نزل رسول الله الحديبية.. أهدى عمرو بن سالم الخزاعي من صحنان لسعد بن عبادة الخزرجي وكان صديقاً له غنماً وجزوراً على يد غلام منهم، فجاء سعد بالغنم والغلام الى رسول الله فأخبره أن عمراً أهداها له. فقال رسول الله: فبارك الله في عمرو! ثم قال للغلام: يا غلام أين تركت أهلك؟ قال: تركتهم قريباً بصجنان وما والاه، فقال: فكيف تركت البلاد؟ فقال الغلام: تركتها وقد تيسّرت. قد امتليت الأرض فتشبّعت شاتها وشبع بعيرها مما جمعا من حوص الأرض وبعلها الى الليل، وتركت مياههم كثيرة تُشرع فيها الماشية، مع قلة حاجتها الى الماء لرطوبة الأرض.

فأعجب رسول الله لسانه وكانت عليه بردة باليه، فأمر له بكسوة، فكُسي الغلام فقال الغلام: في اريد أن أمسّ يدك أطلب بذلك البركة! فقال رسول الله:

---

(١) مغاري ٢: ٥٩٠.

(٢) المغازي ٢، ٥٨٩، ٥٩٠.

ادنُ [وأشار اليه بيده] فأخذ يد رسول الله فقبّلها، فمسح رسول الله على رأسه وقال: بارك الله فيك [1].

ثم فرّق رسول الله الغنم كلّها على أصحابه، وأمر بالجُزُر أن تنحر وتقسم في أصحابه.

وكانت ام سلمة معه فقالت: وشركنا في شاة فدخل علينا بعضها. ودخل علينا من لحم الجُزُر كنحو مما دخل على رجل من القوم [2]!

رسل المشركين:

روى ابن اسحاق بسنده عن المسور بن مخرمة قال: لما اطمأنّ رسول الله أتاه بُديل بن ورقاء الخُزاعي في رجال من خُزاعة ـ وكانوا ناصحين لرسول الله لا يخفون عنه شيئاً ـ فسألوه: ما الذي جاء به؟

فقال لهم مثل ما قال لبشر بن سفيان وأنّه لم يأت يريد حرباً وانما جاء زائراً للبيت ومعظّماً لحُرمته.

فرجع بديل الخزاعي ورجاله الى قريش فقالوا لهم: يا معشر قريش، انكم تعجلون على محمد، انّ محمداً لم يأت لقتال، وانما جاء زائراً هذا البيت.

فقالوا: وان كان لا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوةً، ولا تحدث بذلك عنّا العرب [3].

---

(١) قال: فبارك الله فيه مالاً وعملاً حتى توفي في زمن الوليد بن عبد الملك ٢: ٥٩٣.

(٢) المغازي ٢: ٥٩٢.

(٣) سيرة ابن هشام ٣: ٣٢٥. أما الواقدي فقد روى الخبر في ٢: ٥٩٣ والظاهر أنه بسند ابي

←

إسحاق أيضاً ٢ ٥٨٦، ٥٨٧ ولكنه قال: قال بديل: جئناك من عند قومك كعب بن لؤي وعامر بن لؤي، وقد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم معهم العوذ المطافيل (العائذات معها أطفالها) يُقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تبيد خضراؤهم (سوادهم = جماعتهم).

فقال رسول الله: إنا لم نأت لقتال أحد، إنما جئنا لنطوف بهذا البيت، فمن صدّنا عنه قاتلناه! وقريش قوم قد أضرت بهم الحرب ونهكتهم، فإن شاؤوا ماددتهم مدة يأمنون فيها ويخلون فيما بيننا وبين الناس، والناس أكثر منهم، فإن ظهر أمري على الناس كانوا بين أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس أو يقاتلوا وقد جمعوا والله لأجهدن على أمري حتى تنفرد سالفتي (صفحة العنق، كناية عن الموت) أو ينفذ الله أمره!

فقام بديل وركب، وركب من معه إلى قريش حتى هبطوا عليهم فقال ناس منهم: هذا بديل وأصحابه إنما جاءوا يريدون أن يستخبروكم! فلا تسألوهم عن حرف واحد (وكأنهم لم يرسلوا من قبل قريش).

فقال بديل: إنا جئنا من عند محمد، أتحبون أن نخبركم؟!

فقال عكرمة بن أبي جهل والحكم بن العاص: لا والله ما لنا حاجة بأن تخبرونا عنه، ولكن أخبروه عنا: أنه لا يدخلها علينا عامه هذا أبداً حتى لا يبقى منّا رجل!

فقال عروة بن مسعود: والله ما رأيت كاليوم رأياً أعجب! وما تكرهون أن تسمعوا من بديل وأصحابه، فإن أعجبكم أمر قبلتموه وإن كرهتم شيئاً تركتموه.

فقال صفوان بن أمية والحارث بن هشام: أخبرونا بالذي رأيتم والذي سمعتم. فأخبروهم بمقالة النبي التي قال وما عرض على قريش من المدة.

فقال عروة: يا معشر قريش، إنّ بديلاً قد جاءكم بخطة رشد لا يردّها أحد أبداً إلّا أخذ

←

وفي خبر «روضة الكافي» عن الصادق عليه السلام قال: ثم ارسلوا الحُلَيس [سيد الأحابيش][1] فرأى البُدن (وقد تأكل أوبارها).

فرجع، وقال لأبي سفيان: يا أبا سفيان، أما والله ما على هذا حالفناكم على أن تردّوا الهدي عن محلّه.

فقال له ابو سفيان: اسكت فانّما أنت اعرابي!

فقال الحُلَيس: أما والله لتخلّين عن محمد وما أراد، أو لأنفردنّ بالأحابيش!

فقال أبو سفيان: اسكت حتى نأخذ من محمد ولثاً[2].

→

شرّاً منه، فاقبلوها منه، وابعثوني حتى آتيكم بمصداقها من عنده، وأنظر إلى من معه وكون لكم عيناً آتيكم بخبره. فما لكم ناصح شفيق عليكم لا تتّهموني. فقالوا: نِعْمَ ما رأيتَ. صدقتَ. فخرج. ـ مغازي ٢: ٥٩٣، ٥٩٤ ورواه الطبرسي في مجمع البيان ٩: ١٧٨ باختصار وبمعنى الحديث. وأشار اليه الحلبي في المناقب ١: ٢٠٢، ٢٠٣.

(١) قال ابن الأثير: الأحابيش كانوا احياء من القارة انضموا الى بني ليث في محاربتهم لقريش. ثم حالفوا قريشاً عند جبل يسمى حُبشي، فسمّوا بذلك. وقال الفيروزآبادي في القاموس المحيط: حُبشي بالضمّ: جبل بأسفل مكة ومنه أحابيش قريش، لأنهم تحالفوا عنده بالله أنهم يد على غيرهم ما سجى ليل، ووضح نهار، وما رسى حُبشي. راجعه في مجمع البحرين، مادة: حبش.

(٢) روضة الكافي: ٢٦٧ وفي مجمع البحرين: الولث: العهد من غير قصد أو غير مؤكد. مادة: ولث. وروى خبر الحُلَيس ابن اسحاق في السيرة ٣: ٣٢٥، ٣٢٦ والواقدي في المغازي ٢: ٥٩٩، ٦٠٠ وكلاهما عن الزهري عن عروة عن المسور بن مخرمة. وابن اسحاق روى الكلام بينه وبين قريش ـ بلا اسم ـ عن عبد الله بن ابي بكر، وكان بمكة مشركاً

فأرسلوا اليه عروة بن مسعود [الثقفي][1] وقد كان جاء الى قريش في القوم الذين أصابهم المغيرة بن شعبة [الثقفي] كان قد خرج معهم من الطائف تجاراً فقتلهم وجاء بأموالهم الى رسول الله ﷺ فأبى رسول الله أن يقبلها وقال: هذا غدر، ولا حاجة لنا فيه.

فأرسل [مقدّم المسلمين] الى رسول الله: يا رسول الله، هذا عروة بن مسعود قد أتاكم، وهو يعظّم البدن.

فقال [رسول الله]: فأقيموها [له] فأقاموها.

فقال: يا محمد، مجيء من جئت؟

قال: جئت أطوف بالبيت وأسعى بين الصفا والمروة وأنحر هذه الابل وأخلّي [بينكم] وبين لحمانها[2].

وفي خبر القمي عن الصادق عليه السلام ـ أيضاً ـ قال:

قال رسول الله: ما جئت لحرب، وإنّما جئت لأقضي نُسكي فأنحر بدني، وأُخلّي بينكم وبين لحمانها.

وقال (عروة): يا محمد، تركتَ قومك وقد ضربوا الأبنية وأخرجوا العُوذ المطافيل [العائذات معها اطفالها] يحلفون باللات والعزّى لا يدعوك تدخل مكة عنوة، فانّ مكة حرمهم، أتريد أن تبيد اهلك وقومك يا محمد[3]؟!

وفي خبر الكليني قال: فلا واللات والعزّى ما رأيت مثلك رُدّ عما جئت له،

---

(١) وهو صهر أبي سفيان على ابنته ميمونة فهو عديل رسول الله ﷺ لزواجه بأمّ حبيبة بنت أبي سفيان.

(٢) روضة الكافي: ٢٦٧.

(٣) تفسير القمي ٢: ٣١١.

إنّ قومك يذكرونك الله والرحم أن تدخل عليهم بلادهم بغير إذنهم، وأن تقطع أرحامهم وأن تجرّئ عليهم عدوّهم!

فقال رسول الله: ما أنا بداخل حتّى أدخلها.

وكان عروة، حين كلّم رسول الله تناول لحيته، وكان المغيرة [بن شعبة] قائماً على رأس النبيّ، فضرب يد عروة، فقال عروة: مَن هذا يا محمد؟ فقال: هذا ابن أخيك المغيرة! فقال له عروة: يا غُدَر، ما جئت إلا في غسل سلحتك[1].

ثم رجع إلى [مكة] فقال لأبي سفيان وأصحابه: لا والله ما رأيت مثل محمد ردّ عما جاء له[2].

وقال الواقدي: فلما فرغ عروة بن مسعود من كلام رسول الله ركب حتى رجع إلى قريش فقال لهم: يا قوم، إني وفدت على الملوك: على كسرى وهرقل

---

(١) السَّلْح: ذروق الطائر ـ مجمع البحرين.

(٢) روضة الكافي: ٢٦٧، ٢٦٨. ولعلّ علّة عدم معرفة عروة للمغيرة ما رواه الواقدي في المغازي ٢: ٥٩٥ أنه كان على وجهه المغفر فلا يُعرف. وفيه: أن عروة قال له: وأنت بذلك يا غُدَر؟! لقد أورثتنا العداوة من ثقيف إلى آخر الدهر! ثم قال: يا محمد، أتدري كيف صنع هذا؟ إنه خرج في ركب من قومه، فلما كانوا بيننا وناموا طرقهم فقتلهم وأخذ حرائبهم (أموالهم) وفرّ منهم! قال الواقدي: ولحق بالنبيّ فأسلم، وحين أخبر النبيّ خبرهم قال: هذا [المال] غَدْر لا أخمّسه.

قال: وكان عروة بن مسعود قد استعان في حمل ديته فأعانه الرجل بالفريضتين والثلاث وأعانه أبو بكر بعشر فرائض، فكانت هذه يد أبي بكر عند عروة بن مسعود. فلما قال عروة للنبي: وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً! قال له أبو بكر: امصص بظر اللات! أنحن نخذله؟! فقال عروة: أما والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها بعد لأجبتك! فقصد عونه له بعشر ديات. المغازي ٢: ٥٩٥، ٥٩٦ ومجمع البيان ٩: ١٧٨.

والنجاشي، واني ـ والله ـ ما رأيت ملكاً قط اطوع فيمن هو بين ظهرانيه من محمد في أصحابه ! والله ما يشدون اليه النظر، وما يرفعون عنده الصوت، ويكفيه أن يشير الى أمر فيُفعل، وما يتنخّم وما يبصق الا وقعت في يد رجل منهم يمسح بها جلده ! وما يتوضأ الا ازدحموا عليه أيّهم يظفر منه بشيء ! وقد حزرت القوم

واعلموا أنكم إن أردتم السيف بذلوه لكم، وقد رأيت قوماً ما يبالون ما يُصنع بهم اذا هم منعوا (ومنعوا) صاحبهم. والله لقد رأيت معه أناساً لا يسلمونه على حال أبداً ! فروا رأيكم، واياكم والوهن في الرأي، وقد عرض عليكم خطة فمادوه ! يا قوم اقبلوا ما عرض، فاني لكم ناصح، مع أني أخاف أن لا تنصروا عليه (فانه) رجل أتى هذا البيت معظماً له معه الهدي ينحره وينصرف !

فقالوا له : يا أبا يعفور، لا تتكلم بهذا، ولو غيرك تكلّم بهذا لَلُمناه، ولكن نردّه عن البيت في عامنا هذا ويرجع الى قابل[1]

رُسل رسول الله

روى ابن اسحاق : أنّ رسول الله دعا خراش بن أمية الخزاعي فبعثه الى قريش بمكة، وحمله على بعير له، ليبلّغ اشرافهم عنه ما جاء له

فعقروا به جمل رسول الله وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش وخلّوا سبيله[2]

---

(١) مغازي الواقدي ٢ : ٥٩٨، ٥٩٩ وروى الطبرسي في مجمع البيان ٩ : ١٧٨، ١٧٩ عن المسور بن مخرمة قريباً منه، وذكر مختصره الحلبي في مناقب آل أبي طالب ١ : ٢٠٣.

(٢) ابن اسحاق في السيرة ٣ : ٣٢٨ وقال الواقدي في المغازي ٢ : ٦٠٠ كان أول من بعث رسول الله الى قريش خراش بن أمية الكعبي ليبلّغ أشرافهم عن رسول الله ويقول لهم : إنا جئنا معتمرين معنا الهدي معكوفاً، فنطوف بالبيت ونحلّ وننصرف. فولي عكرمة بن أبي ←

فروى الكليني في «روضة الكافي» بسنده عن الصادق عليه‌السلام: «أن رسول الله أراد أن يبعث عمر فقال: يا رسول الله، إنّ عشيرتي قليل، وإنّي فيهم على ما تعلم، ولكنّي أدلّك على عثمان بن عفّان».

فأرسل اليه رسول الله فقال له: انطلق الى قومك من المؤمنين فبشّرهم بما وعدني ربّي من فتح مكة(٢).

فلما انطلق عثمان لقي أبان [بن سعيد بن العاص الأموي] فتأخّر عن السرج

جهل عقر جمل النبيّ وأراد قتل (الرجل) فمنع عنه من كان هناك من قومه وخلّوا سبيله، فرجع الى النبي ولم يكد يرجع. فأخبر النبي عليه وقال: يا رسول الله ابعث رجلاً أمنع مني - ٢: ٦٠٠

(١) رواه ابن اسحاق في السيرة ٣: ٣٢٩ بسنده عن عكرمة عن ابن عباس قال: ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة، فيبلّغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عديّ بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها، ولكني أدلّك على رجل أعزّ بها منّي: عثمان بن عفّان. فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنّه لم يأت لحرب، وأنّه إنّما جاء زائراً لهذا البيت ومعظّماً لحرمته. مغازي الواقدي ٢: ٦٠٠ وسيأتي التفصيل في عمرة القضاء في آخر السنة السابعة للهجرة.

(٢) قال الواقدي في المغازي ٢: ٦٠١: قال عثمان: ثم كنت أدخل على قوم مؤمنين من رجال ونساء مستضعفين فأقول: إنّ رسول الله يبشّركم بالفتح ويقول: أظلّكم حتى لا يُستخفى بالايمان بمكة. فكنت أرى المرأة منهم تنتحب والرجل ينتحب حتى أظن أنه يموت فرحاً بما خبّرته، فيسأل عن رسول الله فيُحفي المسألة ويشدّ ذلك أنفسهم ويقولون: إنّ الذي أنزله بالحديبية لقادر أن يدخله مكة، فاقرأ منّا السلام على رسول الله

وحمل عثمان بين يديه وأدخله مكة وأعلمهم[1].

ذكر الطبرسي في «اعلام الورى»: أن رسول الله بعث عثمان بن عفّان الى أهل مكة يستأذنهم أن يدخل مكة معتمراً.

فأبوا أن يتركوه واحتبس، فظن رسول الله أنهم قتلوه![2]

الحراسة والغارة

قال الواقدي: وكان رسول الله يأمر أصحابه بالحديبية يتحارسون الليل.

---

(١) روضة الكافي: ٢٦٨ وقال ابن اسحاق في السيرة ٣: ٣٢٩: فخرج عثمان الى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه وأجاره ليبلّغ رسالة الله، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلّغهم عن رسول الله ما أرسله به.

وقال الواقدي في المغازي ٢: ٦٠٠، ٦٠١: فخرج عثمان حتى أتى بلدح، فوجد قريشاً هنالك، فقالوا له: أين تريد؟ فقال: بعثني رسول الله اليكم يدعوكم الى الله والى الاسلام تدخلون في الدين كافة، فإن الله مُظهر دينه ومُعزّ نبيّه، أو اخرى: تكفّون، ويلي هذا الأمر منه غيركم، فان ظفروا بمحمد فذلك ما أردتم، وان ظفر محمد كنتم بالخيار أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس، أو تقاتلوا وأنتم وافرون جامّون. ان الحرب قد نهكتكم... واخرى: أنّ رسول الله يخبركم أنه لم يأت لقتال أحد، إنما جاء معتمراً معه الهدي عليه القلائد ينحره وينصرف.

فقالوا: قد سمعنا ما تقول، ولا كان هذا أبداً، ولا دخلها علينا عنوة، فارجع الى صاحبك فأخبره!

فقام اليه أبان بن سعيد بن العاص فرحّب به وأجاره، ونزل عن فرسه وحمل عثمان على السرج وردف وراءه، وأدخله مكة وقال له: لا تقصر عن حاجتك.

(٢) اعلام الورى ١: ٢٠٤ وقال ابن اسحاق: فاحتبسته قريش عندها وبلغ رسول الله أنه قد قتل ٣: ٣٢٩.

فكان ثلاثة منهم يتناوبون الحراسة: أوس بن خولي، وعبّاد بن بشر، ومحمد بن مسلمة. فكان الرجل منهم يبيت على الحرس تطف بالعسكر حتى يصبح.

وكان عثمان قد اقام بمكة ثلاثاً يدعو قريشاً. وكان رجال من المسلمين قد دخلوا مكة باذن رسول الله الى أهليهم[1] وهم عشرة من المهاجرين: حاطب بن ابي بلتعة، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس، وأبو الروم بن عمير، وعمير بن وهب الجُمحي، وعبد الله بن ابي امية بن وهب، وعبد الله بن حذافة، وعبد الله بن سهيل بن عمرو العامري: سفير الصلح، وعياش بن أبي ربيعة، وكرز بن جابر الفهري، وهشام بن العاص بن وائل[2].

وليلة من تلك الليالي وعثمان بعد بمكة، ومحمد بن مسلمة (على الحراسة) وقد كانت قريش بعثت خمسين رجلاً ليلاً[3] عليهم مكرز بن حفص، أمروهم أن يطيفوا بالنبي صلّى الله عليه [وآله] رجاء أن يصيبوا منهم أحداً، أو يصيبوا منهم غرة، فأخذهم محمد بن مسلمة وأصحابه وجاؤوا بهم الى رسول الله.

وبلغ قريشاً أن أصحابهم حُبسوا، فجاء جمع منهم الى المسلمين وتراموا بالنبل والحجارة، وأسّر المسلمون منهم أسرى آخرين أيضاً[4].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٠٢.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٠٢.

(٣) وروى الطبرسي في مجمع البيان ٩: ١٨٦ عن انس بن مالك: أنهم كانوا ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا من جبل التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوهم، فأخذهم المسلمون.

وروى عنه عن ابن عباس: أنهم كانوا أربعين رجلاً بعثهم المشركون ليصيبوا المسلمين فأسروا، وأتي بهم الى النبي ﷺ فخلّى سبيلهم.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٦٠٢.

بيعة الرضوان:

ثمّ إنّ قريشاً بعثوا سُهيل بن عمرو [العامري] وحويطب بن عبد العُزّى، ومكرز بن حفص [فداء الأسرى المحتبسين لرسول الله للصلح]

وقد بلغ رسول الله أنّ عثمان وأصحابه [المهاجرين العشرة] قد قتلوا، فأقبل رسول الله يوم منزل غَزيّة بن عمرو المازني من بني النجّار ومعه زوجته أُمّ عمارة، فجلس في رحالهم ثم قال: إنّ الله أمرني بالبيعة. فتداكّ الناس يبايعونه، فبايعهم على أن لا يفرّوا[1].

وقال الطبرسي في «إعلام الورى»: فبايعوه تحت الشجرة على أن لا يفرّوا عنه أبداً[2].

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٦٠٢، ٦٠٣.

(2) إعلام الورى ١: ٢٠٤ ومثله في المناقب ١: ٢٠٢. هذا، وقد روى ابن إسحاق في السيرة ٣: ٣٣٠ عن عبد الله بن أبي بكر: أنّ الناس كانوا يقولون: بايعهم رسول الله على الموت، وكان جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: إنّ رسول الله لم يبايعنا على الموت، ولكن بايعنا على أن لا نفرّ، فبايعه الناس ولم يتخلّف عنه أحد حضرها من المسلمين، إلّا الجدّ بن قيس من بني سلمة والله لكأنّي أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته يستتر بها من الناس. ثمّ أتى رسول الله أنّ الذي ذُكر من أمر عثمان باطل. وروى الواقدي في المغازي ١: ٥٩١، عن أبي قتادة الأنصاري قال: لما دعا رسول الله إلى البيعة فرّ الجدّ بن قيس فدخل تحت بطن البعير، فقلت له: ويحك ما أدخلك هاهنا؟ أفراراً مما نزل به روح القدس؟ قال: لا، ولكنّي سمعت البيعة فرُعبت.

ومات الجدّ بن قيس في خلافة عثمان في ماله بالواديين.

وروى الطبري في تاريخه ٢: ٦٣٢ بسنده عن سلمة بن الأكوع قال: بينا نحن قائلون من

وقال المفيد في «الارشاد»: إنّ عليّاً عليه‌السلام طرح ثوباً بينه ﷺ وبين النساء فبايعنه بمسح الثوب، ورسول الله يمسح الثوب مما يليه[1].

وروى الكليني: أنّ رسول الله ضرب بإحدى يديه على الأخرى لهنّ[2].

وأنبأ النبي عن الوصي:

وروى في «الارشاد» بسنده عن علي بن الحسين عليهما‌السلام قال: انقطع شسع نعل رسول الله ﷺ فدفعها الى علي عليه‌السلام يصلحها، ثم مشى في نعل واحدة غلوةً (رمية سهم) أو نحوها، وأقبل على أصحابه فقال: إن منكم من يقاتل على التأويل كما قاتل معي على التنزيل.

فقال أبو بكر: أنا ذاك يا رسول الله؟ قال: لا.

فقال عمر: فأنا يا رسول الله؟ قال: لا

فأمسك القوم ونظر بعضهم الى بعض، فقال رسول الله: لكنّه خاصف النعل ـ وأومأ الى علي عليه‌السلام ـ وإنّه المقاتل على التأويل إذا تركت سنّتي ونُبذت،

الحديبية إذ نادى منادي النبي: أيها الناس، البيعة البيعة، نزل روح القدس. فسرنا الى رسول الله وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه.

ويبدو منه أن البيعة كانت بعد الصلح والرجوع! وهو أمر غريب منفرد. ويبدو لي التصحيف في لفظ (قافلون من) عن (قائلون في) أي كنّا في نومة القيلولة قبل الزوال في الحديبية، لا قافلين منها. ومعه ينسجم قوله: فسرنا الى رسول الله تحت الشجرة، وأيضاً نداء المنادي، ولو كانوا قافلين لاقتضى الأمر غير ذلك.

(١) الارشاد ١: ١١٩

(٢) روضة الكافي: ٣٦٨

وحُرّق كتاب الله، وتكلّم في الدين من ليس له ذلك، فيقاتلهم علي على احياء دين الله عزّ وجل[1].

وكأنّ لشيخ المفيد رأى وحدة أو تقارب هذا الحديث مع ما رواه في لقاء سهيل بن عمرو العامري برسول الله سفراً للصلح معه قال: أقبل سهيل بن عمرو الى النبي فقال له: يا محمد إنّ أرقّاءنا لحقوا بك فارددهم علينا! فغضب رسول الله حتى تبيّن الغضب في وجهه ثم قال: لتنتهن ـ يا معشر قريش ـ أو ليبعثن الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه للإيمان يضرب رقابكم على الدين!

فقال بعض من حضر: يا رسول الله، أبو بكر ذلك الرجل؟ قال: لا

قيل: فعمر؟ قال: لا، ولكنه خاصف النعل في الحجرة.

فتبادر الناس الى الحجرة ينظرون من الرجل؟ فاذا هو امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[2].

وفي «روضة الكافي» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: فأرسلوا اليه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى. فأمر رسول الله فأثيرت البدن في وجوههم، فقالا: مجيء من جئت؟

قال: جئت لأطوف بالبيت وأسعى بين الصفا والمروة وانحر البدن واخلّي بينكم وبين لحمانها.

فقالا: إنّ قومك يناشدونك الله والرحم أن تدخل عليهم بلادهم بغير اذنهم

---

(١) رواه المغازلي بسنديه عن أبي سعيد الخدري ٣: ٢٠٦ ونقله الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٢ ونقله أبو يعلى الموصلي في مسنده ٢: ٣٤١ وقبله احمد في مسنده ٣: ٨٢.

(٢) الارشاد ١: ١٢٢ ـ ١٢٣.

وتقطع أرحامهم وتجرّئ عليهم عدوّهم. فأبى رسول الله إلّا أن يدخلها[1].

وفي خبر القمي في تفسيره بسنده عنه عليه السلام أيضاً قال: فبعثوا [مكرز بن] حفص بن الاخيف وسهيل بن عمرو... فرأوا رسول الله فقالوا:

يا محمد، ألا ترجع عنا عامك هذا، الى أن ننظر الى ماذا يصير أمرك وأمر العرب (؟) فان العرب قد تسامعت بمسيرك، فإن دخلت بلادنا وحرمنا استذلّتنا العرب واجترأت علينا. ونخلّي لك البيت في العام القابل في هذا الشهر [ذي القعدة] ثلاثة أيام حتى تقضي نسكك وتنصرف عنا ؟

فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وآله الى ذلك، وقالوا له:

وترد الينا كل مَن جاءك من رجالنا، ونرد اليك كل من جاءنا من رجالك ؟

فقال رسول الله: من جاءكم من رجالنا فلا حاجة لنا فيه. ولكن:

على أن المسلمين بمكة لا يؤذون في إظهارهم الاسلام، ولا يكرهون، ولا ينكر عليهم شيء يفعلونه من شرائع الاسلام ؟

فقبلوا ذلك. ورجع سهيل بن عمرو و [مكرز بن] حفص بن الاخيف الى قريش فأخبراهم بالصلح.

اعتراض بعض الصحابة:

قال القمي: فلما أجابهم رسول الله الى الصلح أنكر ذلك عامة الصحابة. وأشد ما كان إنكاراً [عمر بن الخطاب] فقال:

يا رسول الله، ألسنا على الحق وعدونا على باطل ؟

فقال: نعم

(١) روضة الكافي: ٢٦٨

قال: فنعطي الدنية في ديننا؟

فقال: إنّ الله وعدني، ولن يخلفني.

فقال عمر: يا رسول الله ألم تقل لنا أن ندخل المسجد الحرام ونحلّق مع المحلّقين؟!

فقال: أمن عامنا هذا وعدتك وقلت لك: إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ قد وعدني أن أفتح مكة وأطوف وأسعى مع المحلّقين؟[1].

ولما أكثروا عليه قال لهم رسول الله:

ألستم أصحابي يوم بدر أنزل الله فيكم: **﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنّي ممدّكم بألف من الملائكة مردفين﴾**[2].

ألستم أصحابي يوم أحد **﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول**

---

(1) وفي التبيان ٩: ٣٢٥ روى: أنّ رسول الله حيث قاضى أهل مكة يوم الحديبية وهمّ بالرجوع إلى المدينة قال له عمر: يا رسول الله، أليس وعدتنا أن ندخل المسجد الحرام محلّقين ومقصّرين؟! فقال له رسول الله: قلت لكم أنّا ندخلها العام؟ فقال: لا، فقال ﷺ: فإنّكم تدخلونها إن شاء الله.

ورواه الطبرسي في مجمع البيان ٩: ١٨٠، عن الزهري عن المسور بن مخرمة عن عمر قال: والله ما شككت مذ أسلمت إلّا يومئذٍ فأتيت النبي فقلت: ألست نبيّ الله؟ فقال: بلى! قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟! قال: بلى! قلت: فلم نعطي الدنيّة في ديننا إذاً؟! قال: إنّي رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري. قلت: أو لست كنت تحدّثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف حقّاً؟! قال: بلى، أفأخبرتك أنّا نأتيه العام؟! قلت: لا. قال: فإنّك تأتيه وتطوف به.

وانظر سيرة ابن هشام ٣: ٣٣١ ومغازي الواقدي ٢: ٦٠٦ و ٦٠٩.

(2) الأنفال: ٩.

يدعوكم في أخراكم ... ﴾[1].

ألستم أصحابي يوم كذا؟ ألستم أصحابي يوم كذ ؟

فاعتذروا الى رسول الله وندموا على ما كان منهم، وقالوا: الله أعلم ورسوله، فاصنع ما بدا لك[2].

قبول قريش بالصلح:

قال: ورجع [مكرز بن] حفص بن الاحيف وسهيل بن عمرو الى رسول الله وقالا:

يا محمد، قد أجابت قريش الى ما اشترطت عليهم من إظهار الاسلام وان لا يكره أحد على دينه[3].

ثم قال: يا أبا القاسم، إنّ مكة حرمنا وعزّنا، وقد تسامعت العرب بك أنّك قد غزوتنا، ومتى ما تدخل علينا مكة عنوة تطمع فينا فنتخطف، وإنّا نذكّرك الرحم، فإن مكة بيضتك التي تفلّقت عن رأسك.

فقال له رسول الله: فما تريد؟

قال: أريد أن اكتب بيني وبينك هدنة: على أن أحلّها لك في قابل فتدخلها، ولا تدخلها بخوف ولا فزع ولا سلاح، إلّا سلاح الراكب: القسيّ، والسيوف في القراب[4].

---

(١) آل عمران: ١٥٣

(٢) وروى مثله الواقدي في المغازي ٢: ٦٠٩

(٣) تفسير القمي ٢: ٣١١، ٣١٢

(٤) اعلام الورى ١: ٢٠٤

قال المفيد في « الإرشاد » لما صرع سهيل بن عمرو الى النبيّ ﷺ في الصلح نزل الوحي عليه بالإجابة الى ذلك ، وأن يجعل أمير المؤمنين عليه السلام كاتبه يومئذ والمتولي لعقد الصلح بخطّه [1].

نصّ معاهدة الصلح :

قال الطبرسي في «إعلام الورى» ، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام ، فأخذ أديماً أحمر فوضعه على فخذه [2].

فقال ﷺ لعلي عليه السلام : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم

فقال سهيل : ما أدري ما الرحمن ، إلّا اني أظنه هذا الذي باليمامة ، ولكن اكتب كما نكتب : باسمك اللهم [فكتب باسمك اللهم].

فقال : واكتب : هذا ما قاضى عليه رسولُ الله سهيل بن عمرو

فقال سهيل : فعلامَ نقاتلك يا محمد ؟!

فقال ﷺ : أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله [3].

فقال له سهيل : لا أُجيبك إلى كتاب تُسمى فيه رسول الله ، ولو أعلم أنك رسول الله لم أُقاتلك ، إنّي إذاً ظلمتك إذ منعتك أن تطوف ببيت الله وأنت رسول الله ، ولكن اكتب : « محمد بن عبد الله » أُجيبك

قال علي عليه السلام : فغضبت فقلت : بلى والله إنّه لرسول الله وإن رُغم أنفك

فقال رسول الله : يا علي ، إنّي لرسول الله ، وإنّي لمحمد بن عبد الله ، ولن يمحو

---

(١) الارشاد ١ : ١١٩ وأشار اليه الحلبي في المناقب ١ : ٢٠٢

(٢) إعلام الورى ١ : ٢٠٤

(٣) روضة الكافي : ٢٦٨ ، ٢٦٩ باسناده عن الصادق عليه السلام

عنّي الرسالة كتابي بينهم: من محمّد بن عبد الله، فاكتب: محمد بن عبد الله، اكتب ما يأمرك، إنّ لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد![1]

فمحا رسول الله اسمه بيده، وأمرني فكتب: «محمد بن عبد الله»[2] والملأ من قريش وسُهيل بن عمرو، اصطلحوا على

وضع الحرب بينهم عشر سنين[3] على أن يكفّ بعض عن بعض، وعلى أنه لا إسلال ولا إغلال[4] وأن بيننا وبينهم غيبة مكفوفة.

وأنه من أحبّ أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، وأنّ من احبّ أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل.

وأنه من أتى من قريش الى أصحاب محمد بغير اذن وليّه يردوه اليه، وأنه من أتى قريشاً من اصحاب محمد لم يردوه اليه.

---

(١) وقعة صفين: ٥٠٨ و ٥٠٩ بسنده عن علي عليه السلام قاله يوم صفين. ورواه الطوسي في أماليه ١٨٧ ح ٣١٥ عن أبي مخنف عنه عليه السلام قال: فامتنعت من محوه (لقول سُهيل) فقال النبي ﷺ: امحه يا علي، وستُدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض. وفي تفسير القمي ٢: ٣١٣: لتجيبن أبناءهم إلى مثلها وأنت مضيض مضطهد. ومثله في الارشاد ١: ١٢١ وإعلام الورى ١: ٢٠٤ و ٣٧٢ والخرائج والجرائح ١: ١١٦ ح ١٩٢ ومناقب آل أبي طالب ٣: ١٨٤.

(٢) اليعقوبي ٢: ١٨٩ في صفين و ١٩٢ في النهروان وتفسير القمي ٢: ٣١٣ والارشاد ١: ١٢١ وإعلام الورى ١: ٢٠٤ و ٣٧٢ ومجمع البيان ٩: ١٧٩ عن الزُهري ومناقب الحلبي ٣: ١٨٤. وفي أخبار الكافي وأمالي الطوسي وصفين للمنقري واليعقوبي: أنّه عليه السلام أبى أن يمحو وصف الرسالة على سُهيل بن عمرو وليس على النبي ﷺ.

(٣) تفسير القمي ٢: ٣١٤ وكذلك في خبر الطبرسي في مجمع البيان ٩: ١٧٩ عن الزهري، وذكر الحلبي في المناقب ١: ٢٠٣: سبع سنين، واليعقوبي ٢: ٥٤: ثلاث سنين.

(٤) الاسلال: سل السيوف، والاغلال: من الغُلّ في الأسر، أو الغلّ أي الغشّ.

وأن يكون الاسلام ظاهراً بمكة، لا يكره أحد على دينه ولا يؤذى ولا يعيّر

وأن محمداً يرجع عنهم عامه هذا وأصحابه، ثم يدخل في العام القابل مكة فيقيم فيها ثلاثة أيام[1]، ولا يدخل عليها بسلاح إلّا سلاح المسافر: السيوف في القرب. وشهد على الكتاب المهاجرون والأنصار. وكتب علي بن ابي طالب»

ثم قال رسول الله لعلي عليه السلام: يا علي، إنّك أبيت أن تمحو اسمي من النبوة، فوالذي بعثني بالحق نبياً لتجيبنّ أبناءهم إلى مثلها وأنت مضيض مضطهد[2]

فلما كتبوا الكتاب قامت خزاعة فقالت: نحن في عهد محمد رسول الله وعقده

وقامت بنو بكر فقالت: نحن في عهد قريش وعقدها.

وكتبوا نسختين، نسخة عند رسول الله، ونسخة عند سُهيل بن عمرو[3]

---

(1) وأن ترفع الأصنام (أي في هذه الأيام الثلاثة) عن الصادق عليه السلام في تفسير العياشي ١: ٧٠.

(2) قال القمي: فلما كان يوم صفين ورضوا بالحكمين، كتب: هذا ما اصطلح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. فقال عمرو بن العاص: لو علمنا أنك أمير المؤمنين ما حاربناك، ولكن اكتب: هذا ما اصطلح عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: صدق الله وصدق رسوله صلى الله عليه وآله، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك ثم كتب الكتاب ٢: ٣١٤ وروى المفيد في الارشاد ١: ١٢١ أن النبي قال لعلي عليه السلام: ستدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض. ونقلها الطبرسي في اعلام الورى ١: ٢٠٤ و ٣٧٢ وفي مجمع البيان ٩: ١٨٠ عن محمد بن اسحاق عن بريدة بن سفيان عن محمد بن كعب. ولا يوجد الخبر في السيرة، فلعله مما هذّبه ابن هشام. ورواه الراوندي عن علي عليه السلام في الخرائج والجرائح ١: ١١٦

(3) تفسير القمي ٢: ٣١٤ وروى الطبرسي في مجمع البيان ٩: ١٧٩ عن الزهري عن المسور

بن مخرمة، قال: كتب: «هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على
وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس ويكفّ بعضهم عن بعض.
وعلى أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجاً أو معتمراً، أو يبتغي من فضل الله، فهو
آمن على دمه وماله. ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو إلى الشام فهو آمن على
دمه وماله.
وأنّ بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال.
وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد
قريش وعهدهم دخل فيه.
وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، ومن جاءنا ممن معك لم
نرده عليك.
وعلى أنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك
فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً، ولا تدخلها بالسلاح إلا بالسيوف في القراب وسلاح
الراكب. وعلى أن الهدي حيث ما حبسناه محله، لا تقدمه علينا».
وثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده.
وثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم.
وذكر الخبر مختصراً في إعلام الورى ١: ٢٠٤ بدون ذكر المدة.
وذكر مختصر الخبر الحلبي في مناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٣ إلا أنه ذكر المدة سبع سنين.
وأشار إليه وذكر ما دنى منه الكليني في روضة الكافي: ٢٦٨ عن الصادق عليه السلام.
وهل كتب نسختين علي عليه السلام؟ قيل: كتب الثانية محمد بن مسلمة الأنصاري كما في
مكاتيب الرسول ١: ٢٨٨.

ابو جندل بن سهيل:

في خبر الطبرسي في «مجمع البيان» عن المسور بن مخرمة، بينا هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين وكان [مسلماً] قد عذّب عذاباً شديداً

فقال سهيل: هذا ـ يا محمد ـ أول ما أقاضيك عليه أن ترده

فقال النبيّ: إنّا لم نقض بالكتاب بعد!

قال: والله ـ اذاً ـ لا صالحك على شيء أبداً

فقال النبيّ: فأجزه لي فقال: ما أنا بمجيزه لك. قال: بلى، فافعل. قال: ما أنا بفاعل!

فقال مكرز بن حفص: بل قد أجزناه.

فقال أبو جندل بن سهيل: معشر المسلمين، أُرد الى المشركين وقد جئت مسلماً؟! ألا ترون ما قد لقيت؟![1]

قال: فقام ﷺ وأخذ بيده وقال: اللهم إن كنت تعلم أنّ أبا جندل لصادق فاجعل له من أمره فرجاً ومخرجاً.

ثم أقبل على الناس وقال: إنّه ليس عليه بأس، إنّما يرجع الى أبيه وأمه، وإنّي

←

وروى الطبرسي في مجمع البيان ٩: ١٨٦ عن عبد الله بن المغفل: بينا كان رسول الله جالساً في ظل شجرة وبين يديه علي ﷺ يكتب كتاب الصلح، فخرج ثلاثون شاباً عليهم سلاح فدعا عليهم النبي ﷺ فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا فأخذناهم، فخلى سبيلهم

(١) مجمع البيان ٩: ١٨٠

أُريد أن أتمّ لقريش شرطها(١).

قال القمي: ورجع سهيل بن عمرو [بابنه ومعه مكرز بن] حفص بن الأحنف الى قريش، فأخبرهم(٢) بالأمر.

خروجهم من إحرام العمرة:

روى القمي في تفسيره بسنده عن الصادق عليه السلام قال: وقال رسول الله لأصحابه: انحروا بُدنكم، واحلقوا رؤوسكم. فامتنعوا وقالوا: كيف ننحر ونحلق ولم نطف بالبيت، ولم نسعَ بين الصفا والمروة؟!

فاغتم رسول الله من ذلك، وشكى ذلك الى أمّ سلمة.

فقالت: يا رسول الله، انحر أنت واحلق.

فنحر رسول الله وحلق، فنحر القوم على حيث يقين وشكّ وارتياب!(٣)

---

(١) اعلام الورى ١: ٢٠٥ وذكر مختصره [illegible] في المناقب ٢: ٢٠٤.

(٢) تفسير القمي ٢: ٣١٤ عن الصادق عليه السلام، ومثله في روضة الكافي: ٢٦٨ بلفظ آخر.

(٣) وقال الواقدي في المغازي ٢: ٦١٣: لما فرغ رسول الله من الكتاب قال لأصحابه: قوموا فانحروا واحلقوا. فلم يجبه منهم رجل الى ذلك! فقالها رسول الله ثلاث مرات، كل ذلك يأمرهم، فلم يفعل واحد منهم ذلك!

فانصرف رسول الله حتى دخل على زوجته أمّ سلمة مغضباً شديد الغضب، فاضطجع. فقالت له: ما لك يا رسول الله؟ مراراً [وهو] لا يجيبها. ثم قال: عجباً يا أمّ سلمة ـ إنّي قلت للناس: انحروا واحلقوا وحلّوا مراراً، فلم يجبني أحد من الناس الى ذلك وهم يسمعون كلامي وينظرون في وجهي!

فقالت: يا رسول الله، انطلق الى هديك فانحره فإنهم سيقتدون بك.

فقال رسول الله ـ تعظيماً للبدن ـ رحم الله المحلّقين؛ لأنّ من لم يسق هدياً لم يجب عليه الحلق.

فقال قوم لم يسوقوا البُدن: يا رسول الله، والمقصّرين؟

فقال رسول الله ثانياً: رحم الله المحلّقين الذين لم يسوقوا هدى.

فقالوا: يا رسول الله والمقصّرين؟

فقال: رحم الله المقصّرين[1]

فقام واضطبع بثوبه [الاضطباع: جعل طرفيه تحت إبطه الأيمن والآخر على كتفه الأيسر] وأخذ الحربة وخرج يزجر هديه وأهوى بالحربة إلى البدنة رافعاً صوته: بسم الله والله أكبر. فلما رآه عجّلوا حتى تواثبوا إلى هديهم فنحروه.

وأكل المسلمون من هديهم الذي نحروا، وأطعموا المساكين والمعترّ [المعترض للسؤال، ومن يسأل ممن حضر غير كثير.

ولما فرغ النبي من نحر البدن دخل قبة له من أدم حمراء فحلق الحلاق رأسه، فخرج من قبته وهو يقول: رحم الله المحلّقين ـ ثلاثاً ـ قيل: يا رسول الله، والمقصّرين؟ فقال: والمقصّرين. وقد حلق ناس وقصّر آخرون وقصّر النساء. والذي حلق النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم خراش بن أمية.

وقد أقام بالحديبية بضعة عشر يوماً أو عشرين ٢: ٦١٦.

(١) تفسير القمي ٢: ٣١٤ وفي الاستبصار ٢: ٤٢، والتهذيب ٥: ٤٣٨ وعن الصادق ﷺ في الفقيه ٢: ١٣٩ والتهذيب ٥: ٢٤٣ و٤٣٨ و٥١٦ والذي تولى ذلك خراش بن أمية الخزاعي، في فروع الكافي ١: ٢٣٥ والفقيه ٢: ١٥٥ والتهذيب ٥: ٤٥٨، ٥٧٠ وفي السيرة ٣: ٣٣٣ وروى خبر المحلّقين والمقصّرين عن ابن عباس وأنّه كان في هديه جمل أبي جهل ليغيظ المشركين.

في طريق العودة

قالوا: أقام رسول الله بالحديبية بضعة عشر يوماً، ثم انصرف راجعاً نحو المدينة، فعاد إلى التنعيم[1] فجاءه صحابته الذين أنكروا عليه الصلح واعتذروا إليه وأظهروا الندامة على ما كان منهم، وسألوا رسول الله أن يستغفر لهم، فنزل ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾[2].

وروى الطبرسي في «مجمع البيان» عن مجمع بن جارية[3] الأنصاري - وكان من القرّاء - قال: شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الأباعر[4] فقال بعض الناس لبعض: ما بال الناس؟ قالوا: أُوحي إلى رسول الله، فخرجنا نوجف فوجدناه على راحلته واقفاً عند كُراع الغميم[5] فلما اجتمع إليه الناس قرأ:

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً... ﴾.

فقال عمر: أفتحٌ هو يا رسول الله؟

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦١٦ وتخريجها والجرائح ١: ١٢٣، ١٢٤ برقم ٢٠٤.

(٢) كان من قرب التنعيم الخارج من مكة وهو اليوم مدخل مكة من جهة المدينة، وجعله في تفسير القمي هنا من غب الشجرة وكأنه يشير إلى بيعة الرضوان كانت بعد عقد الصلح! وهو غريب، ولذلك أهملناه.

(٣) تفسير القمي ٢: ٣١٤ ونزول سورة في البيان ٩: ٣١٣ ومجمع البيان ٩: ١٦٦ وإعلام الورى ١: ٢٠٥، وقصص الأنبياء: ٣٧٤ والمناقب ١: ٢٠٤.

(٤) في مجمع جارية، عن الواقدي في مغازي ٢: ١٠٧ جارية، ورجحناه صحيحاً.

(٥) الهز: سوق الإبل سريعاً.

(٦) على مرحلتين من مكة.

قال: نعم، والذي نفسي بيده، إنّه لفتح[1].

وفي معنى الفتح:

نقل الطوسي في «التبيان» عن البجلي عن الشعبي في معنى الفتح في الحديبية:

(١) مجمع البيان ٩: ١٦٧ ولم يذكر المصدر، وقد روى الواقدي في المغازي ٢: ٦١٧ عن مجمع ابن يعقوب عن أبيه عن مجمع بن جارية قال: لما كنّا بضجنان [بعد عُسفان] راجعين من الحديبية رأيت الناس يركضون، فإذا هم يقولون: أُنزل على رسول الله، فركضت مع الناس حتى توافينا عند رسول الله فإذا هو يقرأ: ﴿إنّا فتحنا لك فتحاً مُبيناً ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر...﴾

وقد روى الصدوق في «عيون أخبار الرضا» بإسناده إلى ابن الجهم: أنّ المأمون قال للإمام الرضا عليه السلام: أخبرني عن قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر...﴾

فقال الرضا عليه السلام: إنّ مشركي مكة كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمئة وستين صنماً، فلما جاءهم رسول الله بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا لشيء عُجاب * وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشيء يراد * ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إنْ هذا إلّا اختلاق﴾ فلما فتح الله على نبيّه مكة (كذا) قال: يا محمد ﴿إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك...﴾ عند مشركي مكة بدعائك إلى التوحيد فيما تقدم ﴿وما تأخّر﴾ لأنّ مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد إذا دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفوراً بظهوره عليهم.

فقال المأمون: لله درّك يا أبا الحسن (عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٠٢).

أن البئر فيها غارت فمجّ النبي ﷺ فيها فظهر ماؤها حتى امتلأت به. ثم بويع بيعة الرضوان، ثم بلغ الهدي محله، وظهرت الروم على فارس[1].

ونقله عنه الطبرسي في «مجمع البيان» وزاد: فرح المسلمون بظهور أهل الكتاب وهم الروم على المجوس، إذ فيه مصداق قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ ... وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذٍ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء ... ﴾[2].

وقد قال المسعودي في «التنبيه والاشراف» في حوادث السنة السادسة: وفيها ظهرت الروم على قائد الفرس شهربراز صاحب پرويز فانكشف هو والفرس عن الروم[3].

وقال في تعداد ملوك الروم بعد قيصر موقاس: الثاني والعشرون من ملوك الروم المتنصّرة: هرقل بن موقاس بن مرقس، وكان من مدينة صوبيقية. ملك لثلاث وثلاثين سنة مضت من ملك خسرو پرويز بن هرمز، وفي أول سنة من ملكه كانت هجرة رسول الله ... وملك خمساً وعشرين سنة[4].

قال: وكان شهربراز صاحب جيش خسرو پرويز محاصراً للقسطنطينية، فذهب هرقل اليه ومالأه على پرويز، ففسد الحال بينه وبين پرويز، وانكشف بجيشه

---

(١) البيان ٩: ٣٦٢.

(٢) مجمع البيان ٩: ١٦٧ والآيات من سورة الروم: ٣ ـ ٥.

(٣) التنبيه والاشراف: ٢٢٢ وتمام كلامه: وفيهم نزلت: ﴿ الم * غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين... ﴾. ولا بد أنه يقصد نزولها فيهم صدقها اليوم.

(٤) أي الى أول خلافة عثمان.

عن عاصمته القسطنطينية فخرج هرقل في مراكب كثيرة في الخليج الى بحر الخزر واستنجد هناك ملوك اللان والخزر والسرير والأبخاز وجرزان والأرمن وغيرهم على پرويز حتى صارت جيوشه الى أماهات من أرض الجبل وتصدت جيوشه الى أرض العراق، فشن الغارات وقتل وسبى، واحتال عليه پرويز بحيلة فانصرف راجعاً الى القسطنطينية[1] هذا، ولم يؤرخ هنا سنة هذه الغلبة الرومية على فارس

وقال ابن العبري في «تأريخ مختصر الدول»: في السنة الخامسة عشرة من ملك هرقل... غزا أهل هرقل (كذا) الفرس، فافتتحوا مدينة كسرى (مدائن طسفون؟) وسبوا منها خلقاً كثيراً وانصرفوا[2].

فلعل لهذا الخبر أثراً في حال المسلمين والمشركين يومئذ.

وكرامة في عسفان:

وقال الواقدي في «المغازي» ثم نزل بمرّ الظهران ثم نزل عسفان وقد نفد زادهم[3] فشكوا إليه ذلك فأمر أن يبسطوا الأنطاع، وأن يأتوا ببقية أزوادهم فيطرحوها فيها.

ففعلوا فقام ودعا بالبركة فيه، ثم أمرهم أن يأتوه بأوعيتهم، فملؤوها حتى لم يجدوا له محملاً[4].

---

(١) التنبيه والاشراف: ١٣٣ ـ ١٣٥

(٢) تأريخ مختصر الدول ٩١ ـ ٩٢ وإن كانت الغلبة المشار اليها في الآية هي هذه وكانت في خبر السنة السادسة للهجرة والخامسة عشرة من ملك هرقل فلا تكون بداية ملكه مع أول الهجرة بل أوائل البعثة، ولذلك قال ابن العبري إنه ملك ثلاثين سنة.

(٣) مغازي ٢: ٦١٦

(٤) الخرائج والجرائح ١: ١٢٣، ١٢٤ برقم ٢٠٤

وكانوا صائمين لا يجدون ماءً، وأذّن رسول الله بالرحيل، فمطروا، فنزل رسول الله ونزلوا معه، فشربوا ما شاؤوا[1].

استعراض سورة الفتح:

قال القمي[2] والطبرسي[3] والراوندي[4] والحلبي[5] بنزول سورة الفتح بعد انتهاء النبيّ ﷺ من صلح الحديبية بدايات رجوعه الى المدينة. ونقل الطوسي عن قتادة[6] والطبرسي عنه وعن جماعة من المفسرين[7] وعن مجمع بن جارية الانصاري مرسلاً[8] ونقله الواقدي مسنداً[9].

وقد مرّ الخبر عن القمي قال: كان رسول الله يستنفر بالاعراب في طريقه معه، فلم يتّبعه منهم أحد، وكانوا يقولون: أيطمع محمد وأصحابه أن يدخلوا الحرم

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦١٦ وبعد هذا روى الواقدي بسنده عن مجمّع بن جارية الخبر السابق عن مجمع أيضاً، وفيه أن الآيات ﴿انا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ نزلت في كراع الغميم على مرحلتين من مكة، وفيما رواه الواقدي أنها بضجنان (٢: ٦١٨) وهو بعد كُراع الغميم وبعد مر الظهران وعُسفان. ورأيت أن الاول أولى وأوثق وأضبط وأكمل دليلاً وأتم.

(٢) تفسير القمي ٢: ٣١٤.

(٣) اعلام الورى ١: ٢٠٥.

(٤) قصص الانبياء: ٣٧٤.

(٥) المناقب ١: ٢٠٤.

(٦) التبيان ٩: ٣١٢، ٣١٣.

(٧) مجمع البيان ٩: ١٦٦.

(٨) مجمع البيان ٩: ١٦٧.

(٩) مغازي الواقدي ٢: ٦١٧.

وقد عرفتم قريش في عقر ديارهم فعمدوهم؟ إنه لا يرجع محمد وأصحابه إلى المدينة أبداً[1] فبما قصد المسلمون قريشاً في عقر دارهم وسلموا منهم وانصرفوا عنهم بصلح وأمان وكان ذلك كان (فتحاً مبيناً) بالنسبة إلى ما كان يظنّ بهم المشركون والمنافقون وقد في الآيات الأوائل من السورة اشارة إلى ذلك إذ قال تعالى: ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم * ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفّر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً * ويعذّب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانّين بالله ظنّ السوء عليهم دائرة السوء ... سيقول لك المخلّفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل ... بل كان الله بما تعملون خبيراً * بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبداً وزُيّن ذلك في قلوبكم وظننتم ظنّ السوء وكنتم قوماً بوراً ﴾[2] وهنا قال القمي: أي: قوم سوء، وهم الذين استنفرهم في الحديبية.

ثم قال: ولما رجع رسول الله من الحديبية إلى المدينة غزا خيبر، فاستأذنه المخلّفون من الأعراب أن يخرجوا معه، فقال الله: ﴿ سيقول المخلّفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتّبعكم يريدون أن يبدّلوا كلام الله قل لن تتّبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلّا قليلاً ﴾[3] وهذا بظاهره يفيد نزول هذه الآية ـ وما بعدها ـ بعد دخول الرسول إلى المدينة وخروجه منها إلى خيبر بعد الحديبية، بينما لم يقل به القمي في نزول السورة، وهنا قال: ﴿ فقال الله ﴾

---

(١) تفسير القمي ٢: ٣١٠.

(٢) الفتح: ٤ ـ ١٢.

(٣) الفتح: ١٥.

وليس: غانمون الله

والآية من دون تفسير القمي غير ظاهرة في ذلك، بل تحتمل أن تكون إخباراً عما سيكون، وكذلك في تفسير الطوسي[1] والطبرسي[2] وقول الواقدي[3].

وبيعة الرضوان تحت الشجرة كانت قبل عقد الصلح، فلو كان الفتح المبين هو الفتح بالصلح، فليس من الغريب أن يكون الفتح القريب في قوله سبحانه: **﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾**[4] هو نفس ذلك «الفتح المبين» أيضاً كما قال الواقدي[5]، لا فتح مكة كما عن الجبائي، ولا فتح خيبر كما عن قتادة[6] ولكن هي من المغانم الكثيرة التي يأخذونها فيما يأتي. والتي وعدهم الله بها في الآية التالية وعليه فالإشارة في قوله سبحانه: **﴿فعجّل لكم هذه﴾** إشارة إلى نفس ذلك الفتح المبين القريب، وكذلك قال الشيخ الطوسي: يعني الصلح. وعليه فالصلح ليس فتحاً مبيناً قريباً فحسب بل هو ـ مع بيعة الرضوان ـ غنيمة معجّلة لهم. وهذا ما رآه الطوسي بحاجة إلى التفسير فقال: وسمّيت بيعة الرضوان (غنيمة) لقول الله تعالى: **﴿لقد رضي الله عن المؤمنين﴾**[7] والآية تبيّن ما عجّل الله لهم من الفتح بعطف

---

(1) التبيان ٩: ٣٢٢

(2) مجمع البيان ٩: ١٧٣

(3) مغازي الواقدي ٢: ٦١٩

(4) الفتح: ١٨

(5) مغازي الواقدي ٢: ٦٢١ عن الزهري عن سعيد بن المسيب

(6) التبيان ٩: ٣٢٨ ومجمع البيان ٩: ١٧٦

(7) التبيان ٩: ٣٢٨

بيان. ﴿ وكفّ أيدي الناس ﴾ الذين كانوا طمعوا بالنبي من المشركين رجاء أن يصيبوا من المسلمين غرة فأسرهم أصحاب رسول الله أسراً، كما نقل الواقدي عن الزهري عن سعيد بن المسيب[1] وعاد فقال ـ تعالى ـ بعد اربع آيات: ﴿ وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم... ﴾[2]. وفي معناه نقل الطوسي عن ابن عباس قال: كان المشركون بعثوا أربعين رجلاً من المسلمين، فأتوا بهم الى رسول الله فخلّى سبيلهم[3] فكفّ الله أيدي المسلمين عن قتلهم «بأن حجز بين الفريقين فلم يقتتلا حتى اتفق بينهم الصلح، فكان أعظم من الفتح»[4].

ورد الله على تردد بعض المسلمين في صدق رؤيا النبي في دخول المسجد الحرام مقصّرين ومحلّقين الرؤوس فقال: ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصّرين لا تخافون.. ﴾ ثم اوعز الى تأخيره والعلة في ذلك فقال: ﴿ فعلم ما لم تعلموا ﴾ أنتم من المصلحة في المقاصاة (المصالحة) واحتياجهم الى ذلك ﴿ فجعل من دون ذلك فتحاً

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٢١.

(٢) الفتح: ٢٤.

(٣) التبيان ٩: ٣٣١ ومجمع البيان ٩: ١٨٦ وعن انس أنهم كانوا ثمانين رجلاً.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٦٢٢ عن الزهري عن سعيد بن المسيب.

(٥) مجمع البيان ٩: ١٨٧ ونصّ البيان: نزلت في أهل الحديبية وأهل مكة لا في أهل خيبر ولكنه في معنى: ﴿ وكفّ أيدي الناس عنكم ﴾ بدل: يعني أسداً وغطفان حيث كانوا مع يهود خيبر فصالحهم النبي فكفوا عنه. وقيل: يعني اليهود بالمدينة قبل الحديبية ٩: ٣٢٩ ـ وقريب منه في مجمع البيان ٩: ١٧٧ ـ وهذا قريب بعيد.

قريباً﴾ هو فتح الحديبية، كما عن الزهري. وعليه فالفتح القريب في سورة الفتح

---

(١) التبيان ٩: ٣٣٥ و٣٣٦ وانظر مجمع البيان ٩: ١٩١ وابن هشام ٣: ٣٣٦ ومغازي الواقدي ٢: ٦٢٣ عن الزهري أيضاً.

قال الطباطبائي في الميزان ١٨: ٢٩١ في تفسير الآية: سياق الآية يعطي أنّ المراد بها إزالة الريب عن بعض من كان مع النبي ﷺ. قال: المؤمنون كانوا يرجعون من رؤيا النبي ﷺ أنهم سيدخلون المسجد الحرام آمنين في عامهم هذا، فلما خرجوا إلى مكة معتمرين واعترضهم المشركون فصدّوهم في الحديبية عن المسجد الحرام، ارتاب بعضهم في صدق رؤيا النبي، فأزال الله ريبهم بما في الآية.

ومحصل الآية: أنّ الرؤيا صادقة وأنكم ستدخلون المسجد الحرام آمنين لا تخافون، ولكنه أخّره الله وقدّم قبله هذا الصلح الذي هو فتح لكم ليتيسر لكم دخول مكة، وذلك لعلمه بأنه لا يمكن لكم دخوله آمنين لا تخافون إلّا من هذا الطريق.

قال: ومن هنا يظهر أنّ المراد بالفتح القريب في هذه الآية هو فتح الحديبية فهو الذي سوّى للمؤمنين الطريق لدخول المسجد الحرام آمنين ويسّر لهم ذلك، ولولا ذلك لم يمكن لهم الدخول فيه إلّا بالقتال وسفك الدماء ولا عمرة مع ذلك. لكن صلح الحديبية وما شرط من شرط مكّنهم من دخول المسجد الحرام معتمرين في العام القابل.

ومن هنا يعرف أنّ قول بعضهم بأنّ المراد بالفتح القريب في الآية هو فتح خيبر، بعيد عن السياق، وأمّا القول بأنه فتح مكة فهو أبعد من ذلك. انتهى.

وفي الفتح القريب في الآية السابقة ١٨ قال: «قيل: المراد بالفتح القريب فتح مكة، والسياق لا يساعد عليه» ولكنه قال: «المراد بالفتح القريب فتح خيبر على ما يفيده السياق» الميزان ١٨: ٢٨٥ بينما السياق واحد، والفتح قريب واحد.

وبشكل عام لا نرى في كل آي سورة الفتح ما يفيد أن يكون بعض الفتوح فيها سوى فتح الحديبية ممهّدة لفتح مكة، ونرى أنّ سبب هذا الخلط والاشتباه هو قرب فتح خيبر من ←

في الموضعين هو نفس الفتح المبين في مطلع سورة في صلح الحديبية فحسب، لا فتح خيبر، ولا فتح مكة.

وأين أبو سفيان وعمرو بن العاص؟

ولا نجد في أخبار الحديبية أثراً أو ذكراً لعمرو بن العاص السهمي؛ ذلك لما روى الواقدي بسنده عنه قال: حضرت بدراً مع المشركين فنجوت، ثم حضرت أُحداً فنجوت، ثم حضرت الخندق فنجوت[1].

الصلح، ووضوح الفتح فيه وغموضه في الصلح، وسبب الاشتباه بفتح مكة شدة ما بينهما من الارتباط واشتهار إطلاق الفتح عليه، وإلا فلا داعي لهذا الخلط والالتباس.

بل أن نقول: إنّ سورة الفتح ـ كما قلنا ـ وحسب سياقها نزلت بعد صلح الحديبية، أي بعد مضي ست سنين من الهجرة وقبل وفاة النبي ﷺ بأربع سنين، تلك السنين العشر التي نزل فيها ثمان وعشرون سورة من السادسة أو السابعة والثمانين حتى الرابعة عشرة بعد المئة، وسورة الفتح حسب الخبر المعتبر والمعتمد هي الثانية عشرة بعد المئة، أي هي سابقة قبل نهاية المئة. وإن بعدها براءة والمائدة والعكس. وقبل الفتح بأكثر من عشر سور سورة الحشر النازلة في بني النضير، وبعدها النصر المشهور نزولها في فتح مكة (!)، وبعدها النور النازلة في قصة الإفك والتي قالوا: إنّها كانت بعد غزوة بني المصطلق في المريسيع في الخامسة أو السادسة للهجرة، والصحيح بعدها، بينما سنبحث أن بطلها عائشة ولكن الصحيح بطلتها مارية أم إبراهيم مارية القبطية المهداة من المقوقس عظيم أقباط مصر في جواب كتاب النبي ﷺ إليه لدعوته إلى الإسلام بعد صلح الحديبية، وعليه فنزول الآيات بشأنها في سورة النور بعد ذلك ونزول سورة الفتح قبلها أي في حدود مئة لا بعد المئة والعشرة وحينئذ يكون التقطيع الزمني هنا مناسباً، والفصل الزمني بينها وبين نهاية السور أيضاً كذلك.

(1) مغازي الواقدي ٢: ٧٤١.

ورواه قبله ابن اسحاق بسنده عنه ـ أيضاً ـ قال: لما انصرفنا عن الخندق مع الاحزاب[1] قلت في نفسي: والله ليظهرنّ محمد على قريش! فخلّفت مالي بالرهط وأقبلت، أو قال: فلحقت بمالي بالرهط وأقللت من الناس، فلم احضر الحديبية وصلحها، وانصرف رسول الله بالصلح ورجعت قريش الى مكة[2].

هذا عن عمرو بن العاص، وأما عن أبي سفيان فقد مرّ الخبر عن «روضة الكافي» عن الصادق عليه السلام: أن قريشاً لما ارسلوا الرسل الى رسول الله يستفسرونه عن قصده، وفيهم الحُليس سيد الأحابيش، ورجع الحُليس يقول لابي سفيان: أما والله لتخلينّ عن محمد وما أراد، أو لانفردنّ بالأحابيش! فقال ابو سفيان: اسكت حتى نأخذ من محمد ولثاً[3].

وعليه فإنّ أبا سفيان كان يريد أن يعاهد محمداً صلى الله عليه وآله لمصلحته في «رحلة الشتاء والصيف» فلم يكن يريد النفير لرعاية العير، وقد وصل بعهد الصلح الى ما كان يؤمل. وكأنه من ابي سفيان خطوة نحو الائتلاف فماذا عن ردّ النبيّ على ذلك؟

كأن الرد كان بزواجه صلى الله عليه وآله بابنته رملة الشهيرة بأم حبيبة، التي كانت قد اسلمت مع زوجها عبيد الله بن جحش الأسدي القرشي حليف بني امية، وأمّه اميمة بنت عبد المطلب، فهو من اقرباء النبيّ، أسلم وأسلمت معه زوجه بنت ابي سفيان، وهاجر وهاجرت معه الى الحبشة للصرانية فتأثر بها وتنصّر حتى مات عليها[4]، وبقيت زوجه رملة أرملة مسلمة، فأرسل الرسول عمرو بن أُمية الضمري القرشي لخطبتها، وتقدم الرسول بذلك الى النجاشي أصحمة. والظاهر أن ذلك كان مع كتابه

---

(١) ابن اسحاق في السيرة ٣: ٢٨٩.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٧٤٢.

(٣) روضة الكافي: ٣٦٧ والولث: العهد من غير قصد أو غير مؤكد ـ مجمع البحرين.

(٤) ابن اسحاق في السيرة ١: ١٣٧، ١٣٨ و ٤: ٦.

ﷺ اليه بدعوته إيّاه الى الاسلام، بعد الحديبية.

قصّة أبي بصير الثقفي:

كان من المسلمين المستضعفين المحبوسين في مكة رجل من ثقيف يدعى أبو بصير بن أسيد.

قال الطبرسي: لما رجع رسول الله الى المدينة (وقبل غزوة خيبر) انفلت أبو بصير بن أسيد الثقفي، من يد المشركين، ومعه خمسة آخرون مسلمين مهاجرين الى المدينة.

وبعث الأخنس بن شريق الثقفي في أثره رجلين يردّانه، فقتل أحدهما وانفلت الآخر وأقدم على رسول الله وحكى له قصّته فقال فيه رسول الله: مِسعر حربٍ لو كان معه أحد، ثمّ قال له: شأنك سلب صاحبك، واذهب حيث شئت!

فخرج ابو بصير ومعه أصحابه الخمسة الى طريق عيرات قريش مما يلي سيف البحر في أرض جُهينة بين العيص وذي المروة

وانفلت بعده أبو جندل بن سهيل بن عمرو ومعه سبعون رجلاً من مكة قد أسلموا، فلحقوا بأبي بصير

واجتمع اليهم ناس من جُهينة وغفار وأسلم حتى بلغوا ثلاثمئة مقاتل وهم مسلمون (؟) لا تمرّ عيرٌ لقريش الّا قتلوا أصحابها وأخذوها!

ومنها العير التي كان فيها ابو العاص بن الربيع صهر رسول الله زوج زينب ابنة النبيّ، وكان حينما خرج من مكة الى الشام قد أذن لها أن تهاجر الى أبيها في المدينة. فلمّا رجع مع أصحابه من قريش من الشام، اسروهم وأخذوا أموالهم ولم يقتلوا منهم أحداً وخلّوا سبيل أبي العاص، فقدم المدينة على زينب

وأرسلت قريش أبا سفيان بن حرب الى رسول الله يتضرّعون اليه أن يبعث

إلى أبي بصير وأبي جندل ومن معهم فيقدموا عليه في المدينة، وكلّ من خرج من مكة إليه فلا حرج عليه أن يمسكه ولا يردّه إليهم حسب الصلح[1].

وعلم الصحابة أنّ طاعة رسول الله كانت خيراً لهم فيما كرهوا من قرار الصلح.

نزول آيتين من الممتحنة

﴿ يا أيّها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مُهاجرات فامتحنوهنّ الله أعلم بإيمانهنّ فإن علمتموهنّ مؤمنات فلا ترجعوهنّ إلى الكفّار لا هنّ حِلٌّ لهم ولا هم

---

(1) إعلام الورى 1: 206 وحكى القصة ابن إسحاق في السيرة وأسماه عتبة بن أسيد، وفي الاستيعاب: عبيد، وقال: إنّ الرجلين بعثهما الأخنس بن شريق وأزهر بن عبد عوف الزّهري بكتاب إلى رسول الله، وإنّ أبا بصير كان قد قدم المدينة فقال له رسول الله: يا أبا بصير، إنّا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإنّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك! فقال: يا رسول الله، أتردّني إلى المشركين يفتنوني في ديني؟ قال: يا أبا بصير انطلق فإنّ الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً. فانطلق معهما، وفي ذي الحليفة (الميقات) قتل العامري أحدهما وفرّ الآخر ورجع هو إلى النبيّ فقال: يا رسول الله، وفت ذمّتك وأدّى الله عنك، أسلمتني بيد القوم وامتنعت أن أفتن في ديني أو يعبث بي! فلم يقبله النبي وقال كلمته. فخرج أبو بصير بأصحابه فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً، فكتبت قريش إلى رسول الله يسألونه أن يؤويهم، فقدموا عليه المدينة فآواهم. السيرة 3: 337، 338 وهذا أقرب أنّهم بلغوا سبعين رجلاً وليس ثلاثة.

وكذلك في مغازي الواقدي 2: 626 ـ 629 وقال: كتب إليه النبيّ أن يقدم المدينة فجاءه الكتاب وهو يموت، فقرأه ومات فدفن هناك، وبنوا على قبره مسجداً!

يحلّون لهنّ وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهنّ إذا آتيتموهنّ أجورهنّ ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم * وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون *(1)

واختصر خبرها الشيخ الطوسي فذكر عن عروة بن الزبير في سبب نزول الآية: أن النبي ﷺ كان قد صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليّه، فلما هاجرت أم كلثوم بنت أبي مُعيط (كذا) جاء أخواها فسألا رسول الله أن يردها عليهم، فنزلت الآية فنهى الله أن تُردّ إلى المشركين(2).

بينما نقل الطبرسي عن الجُبائي: أنّ أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط (وهو الصحيح في الاسم) كانت مسلمة فهاجرت من مكة إلى المدينة بعد الحديبية، فجاء أخواها إلى المدينة فسألا رسول الله أن يردّها عليهم، فلم يردها عليهما وقال: إنّ الشرط بيننا في الرجال لا في النساء.

وروى عن ابن عباس: أنّ سبيعة بنت الحارث الأسلمية كانت مسلمة وزوجها مسافر من بني مخزوم كافر، فلحقت بالمسلمين وهم في الحديبية بعد الفراغ من الصلح، فأقبل زوجها يقول: يا محمد، اردد عليّ امرأتي، فإنّك قد شرطت لنا أن تردّ علينا منّا، وهذه طينة الكتاب لم تجفّ بعد، فنزلت الآية.

فامتحنها رسول الله فحلّفها بالله الذي لا إله إلّا هو أنّها خرجت من بغض

---

(1) الممتحنة: ١٠ و١١، وقبلها آيات بسبب حاطب بن أبي بلتعة وكتابه إلى أهل مكة يخبرهم بإرادة النبيّ غزو مكة، قبل فتح مكة. وبعدها آية بشأن بيعة النساء بعد فتح مكة، وفي آخر السورة آية تعود على ما قبلها في ابن أبي بلتعة. وانظر التمهيد ١: ٢٦٤.

(2) التبيان ٩: ٥٨٤، وانظر خبر عروة في سيرة ابن هشام ٣: ٣٢٤ وخبر الزهري عنه في مغازي ٢: ٦٣١ - ٦٣٣.

زوج ولا رغبة عن ارض الى ارض، ولا التماس دنيا، إلّا حباً لله ولرسوله وإلّا رغبة في الاسلام. فحلفت فلم يردها على زوجها وأعطاه مهرها وما انفق عليها.

وامينة بنت بشر كانت مسلمة وزوجها ثابت بن الدحداحة كافراً، ففرت منه الى رسول الله، فزوّجها رسول الله سهل بن حنيف[1].

وقال القمي في الآية الثانية (١١ ـ الممتحنة): كان سبب نزول ذلك: أن عمر ابن الخطاب كانت عنده فاطمة[2] بنت ابي امية بن المغيرة المخزومي (أخت ام سلمة) وكانت كافرة فكرهت الهجرة معه وأقامت بمكة (حتى نزلت هذه الآية) فنكحها معاوية بن ابي سفيان، فأمر الله رسوله أن يعطي عمر مثل صداقها[3] من غنائم الحرب. وتزوج عمر بن الخطاب شيمة الاسلمية.

ثم نقل الطبرسي عن الزهري قال: كان جميع من رجع من نساء المؤمنين المهاجرين، كافرات الى المشركين (بحكم الآية) ست نسوة. فاطمة بنت ابي امية المخزومي أخت أم سلمة، كانت لعمر بن الخطاب فأبت أن تهاجر معه. وكلثوم بنت جرول الخزاعية كانت لعمر ايضاً. وهند بنت ابي جهل بن هشام المخزومي كانت لهشام بن العاص بن وائل السهمي اخي عمرو بن العاص. وأم الحكم بنت ابي سفيان كانت لعياض بن شداد الفهري. وعبدة بنت عبد العزى وزوجها عمرو بن عبدود (كذا) وبردع بنت عُقبة كانت لشماس بن عثمان[4].

---

(١) مجمع البيان ٩: ٤١٠، ٤١١.

(٢) وفي مجمع البيان ٩: ٤١٠ قريبة ام كلثوم بنت عمرو الخزاعية فتزوجها ابو جهم العدوي، وهي ام عبيد الله بن عمر.

(٣) تفسير القمي ٢: ٣٦٣.

(٤) مجمع البيان ٩: ٤١٢ وانظر خبر الزهري في سيرة ابن هشام ٣: ٣٤١ ومغازي الواقدي ٢: ٦٣١ ـ ٦٣٣.

وقد حكى الواقدي في مغازيه قصة هجرة أُم كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط المخزومي مع رجل من خزاعة ـ خلال ثمانية ايام ـ ودخولها على أُم سلمة المخزومية، وتتضمن ان ذلك كان بعد قصة ابي بصير وابي جندل، وان النبيّ قال لها: إنّ الله قد نقض العهد في النساء، فقد انزل فيهم «الممتحنة» وحكم في ذلك بحكم رضوه كلهم

وقدم أخواها عمارة والوليد من الغد، فقال لهما: قد نقض الله ذلك! فانصرفا.

وهذا يؤيد نزول الممتحنة قبل ذلك كما في خبر ابن عباس في سبيعة الأسلمية زوجة مسافر المخزومي، كما مرّ.

ولكنه يروي بعده عن الزهري عن عروة قال: فرجعا الى مكة فأخبرا قريشاً بذلك، فرضوا بأن تحبس النساء، فلم يبعثوا في ذلك احداً[1] فهذا بظاهره يدل على أنّ الأمر والخبر كان حادثاً غير مسبوق.

رُسل الرسول الى الملوك:

نقل ابن اسحاق عن كتاب وجده ليزيد بن ابي حبيب المصري فيه: أن رسول الله [بعد الحديبية] خرج على اصحابه [يوماً] فقال لهم

إنّ الله بعثني رحمة، وكافّة، فأدوا عني يرحمكم الله، ولا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريّون على عيسى بن مريم.

قالوا: يا رسول الله، وكيف كان اختلافهم؟

قال: دعاهم لمثل ما دعوتكم له، فأما من قرّب به فأحبّ وسلّم، وأما من بعّد به فكره وأبى. فشكا ذلك عيسى منهم الى الله، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٢٩ ـ ٦٣٢

بلغة القوم الذين وُجّه اليهم[1]

أمّا ابن هشام فقد روى عن ابي بكر الهذلي أنّ رسول الله خرج [يوماً] بعد يوم الحديبية فقال:

ايها الناس ان الله بعثني رحمة وكافّة، فلا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم

فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟

قال: دعاهم الى الذي دعوتكم اليه، وأمّا من بعثه مبعثاً قريباً فرضي وسلّم، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتثاقل، فشكا ذلك عيسى الى الله، فأصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التي بعث اليها[2]

فقالوا: وما أراد أن نكتب بكتب الى الملوك فقل له يا رسول الله، إنّهم لا يقرؤون كتاباً غير مختوم بخاتم

فيومئذٍ اتخذ رسول الله خاتماً، روى الكليني في كتاب الزيّ والتجمّل من «فروع الكافي» بسنده عن الصادق عليه‌السلام أنّ خاتم رسول الله كان من فضة ونقشه

---

(١) ثم قال ابن اسحاق عن رسل عيسى عليه‌السلام من الحواريين وغيرهم

يحنّس الى أورشام وهي بيت قرية بيت المقدس

ويوحنّس الى أفسوس قرية أصحاب الكهف [في الاردن]

وابن ثلما [أو تلمال] الى الارض الأعرابية وهي الحجاز

وتوماس الى أرض بابل من المشرق

وفيلبس الى قرطاجنّة وهي افريقية

وسيمون الى ارض البربر

وبطرس ـ ومعه بولس ـ الى رومية ٣: ٢٥٥

(٢) ابن هشام ٣: ٢٥٤

محمد رسول الله في سطرين من أسفل إلى أعلى[١].

قال الطبرسي في «مكارم الأخلاق»: أهداه له معاذ بن جبل[٢].

وفي «أمالي الطوسي» بسنده عن زيد بن علي عن أبيه: أن رسول الله أعطى خاتمه لعلي عليه السلام وقال له: يا علي، خذ هذا الخاتم وانقش عليه: محمد بن عبد الله، فأعطاه علي عليه السلام للنقّاش لينقش عليه ذلك، فأخطأ النقاش ونقش عليه: محمد رسول الله. فأخذه النبي وتختّم به وقال: أنا محمد بن عبد الله وأنا رسول الله[٣].

تأريخ الكتب:

أقدم ما بأيدينا ممّا عُني بتأريخ الكتب ما نقله الطبري عن الواقدي ـ عن غير مغازيه ـ أن رسول الله بعث في ذي الحجة سنة ست ثلاثة رسل مرة واحدة مصطحبين في خروجهم:

شجاع بن وهب الأسدي القرشي ممن شهد بدراً إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني من غساسنة الشام عمّالاً للروم.

ودحية بن خليفة الكلبي الأنصاري إلى قيصر الروم (وكان في الشام).

وحاطب بن أبي بلتعة القرشي أيضاً إلى المقوقس في الاسكندرية عاملاً للروم.

وبعث سليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي في اليمامة.

وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في الحبشة عاملاً للروم.

---

(١) فروع الكافي ٦: ٤٧٤ الحديث ٧.

(٢) مكارم الأخلاق: ٣٨.

(٣) أمالي الطوسي ٢: ٨٠ وعنها في البحار ١٦: ٩١، ٩٢.

وعبد الله بن حُذافة السهمي الى كِسرى.

ثم نقل عن ابن اسحاق ـ وليس في السيرة ـ أنّ رسول الله قد فرّق رجالاً من أصحابه الى ملوك العرب والعجم دعاةً الى الله ـ عزّ وجلّ ـ في ما بين الحديبية ووفاته[1].

بدأ ابن هشام في رسل الرسول بدحية بن خليفة الكلبي الى قيصر ملك الروم، وعبد الله بن حُذافة السهمي الى كسرى ملك فارس، وعمرو بن امية الضمري الى النجاشي ملك الحبشة[2]

وبدأ اليعقوبي بعبد الله بن حُذافة السهمي الى كسرى، ودحية بن خليفة الكلبي الى قيصر، وعمرو بن أُمية الضّمري الى النجاشي[3]

هذا وقد ذكر الواقدي سرية في جمادى الآخرة سنة ست روى فيها: أن دحية الكلبي أقبل من عند قيصر وقد أجازه بمال وكساء كسوة، فلما كان في حسمى لقيه ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق وأصابوا كل شيء معه... فلما وصل المدينة استخبره رسول الله عما كان من هرقل[4] فالراجح أن ذلك كان سنة سبع لا ست.

ومن الرسل عمرو بن أميه الضّمري الى النجاشي في الحبشة، وأولى أن

---

(١) الطبري ٢: ٦٤٤، ٦٤٥ وعنه الكازروني في المنتقى، وعنه المجلسي في بحار الأنوار ٢٠: ٣٨٢ وربطها السيوطي برواية عن أنس بنزول آية ﴿ قل أيّ شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأُوحي اليّ هذا القرآن لأُنذركم به ومن بلغ ﴾ بين الآية هي ١٩ من سورة الأنعام وهي ٥٥ في النزول بمكة

(٢) ابن هشام ٤: ٢٥٤

(٣) اليعقوبي ٢: ٧٧، ٧٨.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٥٥٥، ٥٥٦.

يكون النبيّ ﷺ قد بدأ به، لسوابقه الحسنة، ولخطبة ابنة أبي سفيان لما مرّ آنفاً. فنبدأ به:

الى النجاشي في الحبشة

روى الطبري بسنده عن ابن اسحاق ـ وليس في السيرة ـ قال: بعث رسول الله عمرو بن امية الضَّمري الى النجاشي وكتب معه كتاباً:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، الى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلم أنت، فانّي أحمد اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها الى مريم البتول الطيّبة الحصينة فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه

وإني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته، وأن تتّبعني و(توقن) بالذي جاءني، فانّي رسول الله، واني ادعوك وجنودك الى الله. فقد بلّغت ونصحت، فاقبلوا (نصحتي) والسلام على من اتّبع الهدى»[1].

فلما وصل الكتاب اليه أخذه ووضعه على عينيه ونزل عن سريره وجلس

---

(1) الطبري ٢: ٦٥٢ والحلبي في سيرته ٣: ٢٧٩ والمواهب اللدنية بشرح الزرقاني ٣: ٣٤٣ وصبح الأعشى ٦: ٢٧٩ لم يذكروا في الكتاب: «وقد بعثت اليكم ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاءك فأقرهم، ودع التجبّر» ولا توجد في نسخة الكتاب المكتشف كما في مجموعة الوثائق السياسية: ٤٣ والفقرة لا تناسب أول الهجرة الى الحبشة ولا بعد الحديبية، ولذا رجحنا ما خلا منها. ونقل الكتاب مع الفقرة البيهقي في دلائل النبوة عن ابن اسحاق وعنه الطبرسي في اعلام الورى ١: ١١٨ ولعل عنه الراوندي في قصص الأنبياء: ٣٢٤ وعنهما المجلسي في البحار ١٨: ٤١٨، ٤١٩.

على الأرض إجلالاً وإعظاماً، ودعا بحقٍّ من عاج وجعل الكتاب فيه[2].

وروى عن عمرو بن أُمية أنه قال له: يا أصحمة، إنّ عليَّ القول وعليك الاستماع، إنك كأنّك في الرقة علينا منّا، وكأنّا في الثقة بك منك، لأنا لم نظنّ بك خيراً قطّ إلّا نلناه، ولم نخفك على شرّ قطّ إلّا أمناه. وقد أُخذت الحجة عليك من قبل آدم، والانجيل بيننا وبينك شاهد لا يُرد وقاض لا يجور، وفي ذلك موقع الحز وإصابة الفصل، وإلا فأنت في هذا النبيّ الأُمّي كاليهود في عيسى بن مريم. وقد فرّق رسله الى الناس[3] فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه، لخير سالف، وأجر يُنتظر.

فقال النجاشي: أشهد بالله أنه النبي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار[4] كبشارة عيسى براكب الجمل[5] وانه ليس الخبر كالعيان ولكن أعواني من الحبشة قليل، فأنظرني حتى اكثر الأعوان، وألين القلوب. وفي رواية: لو كنت استطيع أن آتيه لأتيته.

ثم أحضر النجاشي جعفراً وأصحابه وأسلم على يدي جعفر لله ربّ العالمين.

وعن الواقدي قال: كتب رسول الله الى النجاشي كتابين، في أحدهما يدعوه الى الاسلام، وفي الكتاب الآخر يأمره أن يزوّجه بأُم حبيبة بنت أبي سفيان[6].

---

(١) العاج: أنياب الفيل.

(٢) وهذا ما يؤيد امكانية بقاء الكتاب المكتشف أخيراً حيث احتفظ به.

(٣) ويستفاد من هذا تاريخ الكتاب وأنه كان مع ارسال الرسل.

(٤) وهذا مما يؤيد أن الكتاب كان بعد حرب بني النضير حيث ركب النبي اليهم الحمار.

(٥) كناية عن عروبته، إذ اشتهر العرب بركوب الجمال.

(٦) نقله المجلسي في بحار الأنوار ٢٠: ٣٩٢ عن المنتقى عن الواقدي.

هي رملة، وقد تزوّجها قبل الاسلام عبيد الله بن جحش الأسدي حليف بني أمية، وأمه أميمة بنت عبد المطّلب، أدركته حنيفية جدّه لامّه عبد المطّلب، فاجتمع في يوم اجتماع في عيد لهم عند صنم من أصنامهم مع ثلاثة آخرين هم: زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، وعثمان بن الحويرث، وورقة بن نوفل، ولعلّه هو الذي جمعهم، فقال بعضهم لبعض: والله ما قومكم على شيء، لقد أخطأوا دين أبيهم ابراهيم، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع؟! يا قوم التمسوا لانفسكم ديناً، فإنكم والله ما أنتم على شيء.

ثم تفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية

حتى أسلم عبيد الله بن جحش، ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة وتبعته امرأته رملة بنت أبي سفيان وهاجرت معه، فلما قدم الحبشة فارق الاسلام وتنصّر (١) فكان حين يمرّ بأصحاب رسول الله وهم بأرض الحبشة يقول لهم: فقّحنا وصأصأتم أي: أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد (٢) حتى هلك نصرانياً(٣).

وروى ابن اسحاق في سيرته بسنده عن الامام الباقر عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بعث الى النجاشي عمرو بن أمية الضمري في [أم حبيبة] فخطبها له النجاشي (٤).

وروى الطبري عن الواقدي قال: فأرسل النجاشي الى أم حبيبة جارية يقال لها أبرهة (كذا) تخبرها بخطبة رسول الله إياها، وأمرها أن توكّل عنها من يزوّجها،

---

(١) ابن اسحاق في السيرة ١: ٢٣٧، ٢٣٨.

(٢) ابن اسحاق في السيرة ١: ٢٣٨ و٤: ٦.

(٣) ابن اسحاق في السيرة ١: ٢٣٨.

(٤) ابن اسحاق في السيرة ١: ٢٣٨.

فبشّرت رملة بذلك وأعطت الجارية بعض حليّها من الفضة، وأوكلت خالد بن سعيد ابن العاص أن يزوّجها.

فخطب النجاشي لرسول الله، وخطب خالد عن أمّ حبيبة، ودعا النجاشي بأربعمئة دينار ودفعها الى خالد صداقاً لها، وحملتها لها أبرهة. فلما جاءتها بالدنانير أعطتها أُم حبيبة خمسين مثقالاً منها. فقالت لها أبرهة: قد أمرني الملك أن لا آخذ منك شيئاً، وأن أردّ إليك الذي أخذت منك، وأنا صاحبة دُهن الملك وثيابه، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بما عندهن من عود. وقد صدّقت محمداً وآمنت به، وحاجتي إليك أن تقرئيه مني السلام.

قالت أُم حبيبة: فخرجنا في سفينتين حتى قدمنا الجار، ثم ركبنا الظهر الى المدينة، وكان رسول الله بخيبر، فخرج إليه من خرج منا، وأقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله[1].

---

(١) الطبري ٢: ٦٥٣، ٦٥٤ وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن علي بن الحسين قال: ما نرى عبد الملك بن مروان وقف صداق النساء على أربعمئة دينار إلا على ذلك. وكان الذي ملكها للنبي خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ١: ٢٣٨.

ورواه الكليني في فروع الكافي ٥: ٣٨٢ عنه عليه السلام أيضاً قال: أتدري من أين صار مهور النساء أربعة آلاف [درهماً = ٤٠٠ دينار]؟ قلت: لا، فقال: إنّ أُم حبيبة بنت أبي سفيان كانت بالحبشة فخطبها النبي وساق عنها النجاشي أربعة آلاف [درهماً = ٤٠٠ دينار] فمن ثم يأخذون به، فأما الأصل في المهر فاثنتا عشرة أوقية ونش (٥٠٠ درهماً).

ورواه الصدوق في كتاب من لا يحضره الفقيه، والقمي في تفسيره ١: ١٧٩. وذكر المسعودي الزواج في حوادث السنة السادسة بعد الحديبية ـ مروج الذهب ٢: ٢٨٩.

(٢) الطبري ٢: ٦٥٣، ٦٥٤ وتمامه: وبلغ أبا سفيان تزوّج الرسول بأمّ حبيبة فقال: ذلك الفحل لا يقدع أنفه!

وقال القمي في تفسيره: وجهّزها وبعثها إلى رسول الله ﷺ. وبعث إليه بثياب وطيب وفرس.

وبعث ثلاثين رجلاً من القبطيين وقال لهم: انظروا إلى كلامه وإلى مقعده ومشربه ومصلّاه[1].

ابن العاص عند النجاشي:

روى ابن إسحاق بسنده عن عمرو بن العاص قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق[2] قلت في نفسي: والله ليظهرنّ محمد على قريش! فخلّفت مالي بالرهط وأفلت، أو قال: فلحقت مالي بالرهط وأقللت من الناس. فلم أحضر الحديبية وصلحها، وانصرف رسول الله بالصلح ورجعت قريش إلى مكة.

فقدمت مكة، فجمعت رجالاً من قومي يقدّمونني فيما نابهم ويسمعون منّي ويرون رأيي، فقلت لهم: والله إنّي لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإني قد رأيت رأياً. فقالوا: وما هو؟ قلت: نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن كان يظهر محمد كنا عند النجاشي فنكون تحت يد النجاشي أحب إلينا من أن نكون تحت يد محمد! وإن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا! فقالوا: هذا الرأي. فقلت لهم

---

(١) تفسير القمي ١: ١٧٩ وإعلام الورى ١: ١١٩ عن دلائل النبوة للبيهقي عن ابن إسحاق، وعنه القطب الراوندي في قصص الأنبياء: ٣٣٤ وهؤلاء ذكروا مارية القبطية في هداياه، وغيرهم عن أنها من هدايا المقوقس، وهو الصحيح. وعدّ الحلبي في المناقب ١: ١٧١ من هداياه: خُفّين أسودين ساذجين. وفي ١: ١٧٠ عنزة (عصا) كان يمسكها بلال بين يديه في العيدين، وفي أسفاره فيصلي إليها.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٨٩.

فجمعوا ما تهدونه له.

وكان أحب ما يُهدى إليه من أرضنا الأدَم (الجلود).

فجمعنا أدماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشي (الحبشة).

وكان رسول الله قد بعث عمرو بن أمية الضَّمري بكتاب إلى النجاشي كتب فيه إليه أن يزوّجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ... فوالله إنّا لعند النجاشي إذ جاء عمرو الضَّمري فدخل على النجاشي ثم خرج من عنده.

فدخلت على النجاشي فسجدت له، كما كنت أصنع، فقال: مرحباً بصديقي! أهديت لي من بلادك شيئاً؟ قلت: نعم أيها الملك أهديت لك أدماً كثيراً. ثم قربته إليه فأعجبه، وفرّق منه أشياء بين بطارقته، ثم أمر بسائره فادخل في موضع ليحتفظ به وأمر أن يكتب.

فلما رأيت طيب نفسه قلت له: أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدوّ لنا قد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا! فأعطنيه فاقتله!

فرفع يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنه كسره، وابتدر منخراي بالدم، فجعلت أتلقى الدم بثيابي فقلت له: أيها الملك لو ظننت أنك تكره ما فعلت ما سألتك. فقال: يا عمرو، تسألني أن أعطيك رسولَ رسول الله الذي يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، والذي كان يأتي عيسى بن مريم لتقتله؟!

فقلت له: أيها الملك أتشهد بهذا؟ قال: نعم، أشهد به عند الله، فأطعني واتّبعه، والله إنّه لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده!

---

(١) وفي رواية ابن إسحاق: قد بعثنا إليه في شأن جعفر وأصحابه ـ ٣: ٢٨٩.

فقلت له: أفتبايعني على الإسلام؟ قال: نعم. فبسط يده فبايعته على الإسلام وكانت ثيابي قد امتلأت من الدم فدعا لي بطست، فألبسني ثوبي وغسل عني الدم وكساني ثياباً، فخرجت بها إلى أصحابي[1]

قال ابن إسحاق: وكتب النجاشي إلى رسول الله: بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر. سلام عليك يا نبيّ الله ورحمة الله وبركاته من الله الذي لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام

أما بعد، فقد بلغني كتابك ـ يا رسول الله ـ فيما ذكرت من أمر عيسى، فوربّ السماء والأرض إنّ عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقاً[2] إنّه كما قلت، وقد عرفت

---

(1) ثم فارقتهم فعمدت إلى موضع السفن فوجدت سفينة قد شحنت وتُدفع، فركبت معهم فدفعوها حتى انتهوا إلى الشعيبة، وكانت معي نفقة فابتعت بها بعيراً، وخرجت أريد المدينة، فالراوي للخبر يزيد بن أبي حبيب إنّ عمراً لم يوقت حتى قدم المدينة إلا أنه كان قبيل فتح مكة. وقال جعفر: فقدم المدينة هلال صفر سنة ثمان ـ مغازي الواقدي ٢: ٧٤٢ ـ ٧٤٥ وروى بسنده عن خالد بن الوليد قال: فكان قدومهم إلى المدينة في صفر سنة ثمان ٢: ٧٠٩

وسبق ابن إسحاق الواقدي في روايته الخبر عن يزيد بن أبي حبيب، ولكنه ضمّن حوادث السنة الخامسة بعد حرب الأحزاب وذلك لقوله في أول الخبر: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق وفي أواخر الخبر: وذلك قبيل الفتح يعني فتح مكة. ولكن ابن إسحاق قال بعيده: وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة يعني سنة الخندق. فكأنّ ابن إسحاق حمل الفتح على فتح بني قريظة دون فتح مكة

وحيث إنّ لا خلاف في تأريخ رجوع جعفر الطيار من الحبشة في فتح خيبر في شهر صفر من السنة السابعة، ويستبعد جداً أن تكون أم حبيبة قد عقد عليها عند النجاشي، فهذا يظهر أنّ سفر عمرو الضمري إلى النجاشي كان بُعيد الحديبية وكذلك سفر عمرو بن العاص، وأنه استبطأ في القدوم إلى المدينة إلى ما بعد عام تقريباً، وليس ببعيد.

(2) الثفروق: قمع التمر.

ما بعثت به الينا، وقد قربت ابن عمك واصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدّقاً. وقد بايعتك وبايعت ابن عمه واسلمت على يده لله ربّ العالمين.

وقد بعثت اليك بابني أرها بن الأصحم بن ابجر، فإني لا املك الا نفسي وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله فإني أشهد أن ما تقول حق. والسلام عليك يا رسول الله [1]

وكان قد بعث ابنه أرها مع ستين من الحبشة في سفينة، ولكنّهم غرقت بهم سفينتهم في وسط البحر [2].

ونقل ابن عبد الباقي أن النبي كان قد كتب الى النجاشي كتاباً في تزويج أُم حبيبة، فكتب اليه النجاشي جواباً

بسم الله الرحمن الرحيم، الى محمد، من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته

أما بعد، فاني قد زوجتك امرأة من قومك وعلى دينك، وهي السيدة ام حبيبه بنت أبي سفيان، وأهديتك هدية جامعة: قميصاً وسراويل، وعطافاً وخفين ساذجين. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

ونقل ـ أيضاً ـ أنّ النبي كان قد كتب الى النجاشي أن يجهز اليه المسلمين الى المدينة، فكتب النجاشي اليه جواباً:

بسم الله الرحمن الرحيم، الى محمد ﷺ من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته لا إله إلّا الذي هداني للاسلام

---

(١) الطبري ٢: ٦٥٢، ٦٥٣ واعلام الورى ١: ١١٩ عن دلائل النبوة للبيهقي عن ابن اسحاق أيضاً، وعنه القطب في قصص الأنبياء: ٣٢٤.

(٢) الطبري ٢: ٦٥٢

أما بعد فقد ارسلت اليك ... رسول الله ـ من كان عندي من أصحابك المهاجرين من مكة الى بلادي، وها أنا أرسلت اليك ابني اريحا (كذا) في ستين رجلاً من أهل الحبشة، و ان شئت أن آتيك بنفسي فعلت يا رسول الله، فاني أشهد أن ما تقول حق والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته[1].

والى المقوقس[1] في الاسكندرية :

وقد مرّ عن الواقدي خبر وفد ثقيف معهم المغيرة بن شعبة على المقوقس في الاسكندرية، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً. فلما انصرفوا وكانوا في نيسان بين خيبر والمدينة سكروا، فغدر بهم المغيرة وقتلهم ونهب اموالهم ولحق بالنبيّ ﷺ وأسلم فكان معه في الحديبية[2].

ولم يذكر الواقدي في الخبر شيئاً عن أمر النبي ﷺ، وذكر ابن حجر في الاصابة: أنهم لما دخلوا على المقوقس قال لهم: كيف خلصتم اليّ وبيني وبينكم محمد وأصحابه؟ قالوا: لصقنا بالبحر. قال: فكيف صنعتم فيما دعاكم اليه؟ قالوا: ما تبعه منّا رجل واحد. قال: فالى ماذا يدعو؟

قالوا: الى ان نعبد الله وحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا، و يدعو الى الصلاة

---

(١) عن الطرز المنقوش، الباب الاول، وسواطع الأنوار: ٨١ في مجموعة الوثائق السياسية ٨ وعنه في مكاتيب الرسول ١: ١٢٩.

(٢) والى أحفاده بالنجاشي لذكر مارية القبطية في هدياه، وهي من هدايا المقوقس. وقال زيني دحلان: المقوقس ـ بكسر الرابع ـ أي المبنى العالي ـ سيرة زيني دحلان بهامش الحلبية ٣: ٧٠.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٥٩٦.

والزكاة، وتأمر بصلة الرحم، ووفاء العهد، وتحريم الزنا والربا والخمر

فقال المقوقس: هذا نبي مُرسل الى الناس كافة، ولو أصاب القبط والروم لاتبعوه وقد أمرهم بذلك عيسى. وهذا الذي تصفون منه بُعث به الانبياء من قبله، وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد ويظهر دينه الى منتهى الخف والحافر!

فقال وفد ثقيف: لو دخل الناس كلهم ما دخلناه معه

فأنغض المقوقس رأسه وقال: أنتم في اللعب[1].

فلعل المغيرة حين أغار على الرجال من بني مالك من وفد ثقيف وقتلهم ولحق بالنبي أسلم مندفعاً بمثل هذا، ولما عوتب على ذلك اعتذر بمضمون الخبر، ولذلك جعل الرسول المقوقس ممن دعاه من الملوك يومئذ.

ارسل الكتاب اليه مع حاطب بن ابي بلتعة القرشي، وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله، الى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد فإني ادعوك بدعاية الاسلام، أسلم تسلم [و] يؤتك الله اجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾[2].

فجاء به حاطب حتى دخل الاسكندرية فلم يجده، وأُخبر أنه في مجلس مشرف على البحر، فركب حاطب سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب اليه فلما

---

(١) الاصابة ٣ في ترجمة حاطب بن ابي بلتعة

(٢) الاصابة ٣ في ترجمة حاطب، وانظر سائر المصادر في مكاتيب الرسول ١ : ٩٧ والآية ٦٤ من سورة آل عمران

راه المقوقس أمر باحضاره بين يديه. فلما جيء به نظر في الكتاب وفضه وقرأه، ثم قال لحاطب: إن كان نبياً فما منعه أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده الى غيرها أن يُسلّط عليهم ؟

فقال حاطب: ألست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله ؟ فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله ـ تعالى ـ حتى رفعه الله اليه ؟

فقال المقوقس: أحسنت، أنت حكيم من عند حكيم[1].

ثم قال له حاطب: إنّه كان قبلك من يزعم أنه الربّ الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك. إنّ هذا النبيّ دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى. ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلّا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إيّاك الى القرآن إلّا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل. وكل نبيّ أدرك قوماً فهم أمّته فالحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدرك هذا النبيّ. ولسنا ننهاك عن دين المسيح بل نأمرك به[2].

فقال المقوقس: إنّي نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذّاب، ووجدت معه آية النبوة باخراج الخبأ (الخبء) المستور، والإخبار بالنجوى وسأنظر.

ثم أخذ الكتاب وجعله في حق وختم عليه ودفعه الى جاريته[3].

---

(١) الاستيعاب في ترجمة حاطب، وسائر المصادر في مكاتيب الرسول ١: ٩٨، ٩٩.

(٢) سيرة زيني دحلان ٣: ٧٠ والحلبية ٣: ٢٨١، وفي مكاتيب الرسول ١: ٩٩.

(٣) الطبقات الكبرى ١: ٢٦٠ وسائر المصادر في مكاتيب الرسول ١: ٩٩ وهذا الامر من ←

وروى ابن سعد عن حاطب قال: ما لبثت بباب المقوقس الا قليلاً، وأقمت عنده خمسة أيام[1].

وفي يوم من هذه الأيام أرسل الى حاطب فقال: أسألك عن ثلاث فقال: لا تسألني عن شيء الا صدقتك. قال: إلامَ يدعو محمد؟ قلت: الى أن نعبد الله وحده ويأمر بالصلاة خمس صلوات في اليوم والليلة، ويأمر بصيام رمضان، وحج البيت، والوفاء بالعهد، وينهى عن اكل الميتة والدم.

قال حاطب: فقال المقوقس: صِفه لي. فوصفت فأوجزت، فقال المقوقس: قد بقيت أشياء لم تذكرها: في عينيه حمرة قلما تفارقه، وبين كتفيه خاتم النبوة، يركب الحمار، ويلبس الشملة، ويجتزئ بالتمر والكِسر، ولا يبالي من لاقى من عم او ابن عم. وكنت اعلم أن نبياً قد بقي، ولكنني كنت أظن أن مخرجه بالشام، فهناك كانت تخرج الأنبياء قبله، وأراه قد خرج في ارض العرب في ارض جهد وبؤس، والقبط لا تطاوعني في اتباعه، وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما هاهنا. وأنا لا اذكر للقبط من هذا حرفاً واحداً، ولا احبّ أن تعلم بمحادثتي اياك[2].

واحضره المرة الآخرة فقال له: إنّ القبط لا تطاوعني في اتباعه، ولا احبّ

المقوقس في الكتب بمعجم المكتبة بعاء الكتاب وفقاً للمصدر حتى اكتشف مين مرن تقريباً في كنيسة قرب أخميم في صعيد مصر، ونشرت صورته مجلة الهلال بعدد ٢١٩٠٤، كما في مكاتيب الرسول ١: ٩٥

(١) الطبقات الكبرى ١: ٢٦٠

(٢) الاصابة ٤: ٥٠٢ وانظر مكاتيب الرسول ١: ١٠٠.

أني نعلم بخروج نبي إيّاك، وأنا أظنّ ملكي أن يفارقه! وسيظهر على البلاد وينزل بساحتنا هذه أصحابه من بعده! فارجع الى صاحبك وارحل من عندي ولا تسمع منك القبط حرفاً واحداً[1].

جواب المقوقس[2] وهداياه

ثم دعى كاتبه بالعربية فكتب الى النبي ﷺ:

« بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله، من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك أمّا بعد، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه، وقد علمت أنّ نبيّاً قد بقي وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبثياب، وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام عليك »[3]

احدى الجاريتين هي مارية القبطية أم ابراهيم[4] وكان لها أخت معها يقال

---

(١) سيرة زيني دحلان ٣: ٧٢ ـ ٧٣ والحلبية ٣: ٢٨١

(٢) المقوقس المطوّل البناء، أو اسم قبيلة من القبط، كما في التنبيه والاشراف: ٢٢٧ وقال عنه في مروج الذهب ١: ٤٠٥ كان المقوقس ملك مصر ... في حصون ... فيما بين الاسكندرية ومدينة منف، وقصر الشمع في وسط الفسطاط وكان حتى فتح مصر

(٣) سيرة زيني دحلان ٣: ٧١ والحلبية ٣: ٢٨٦ ونقل نبذاً منه في الطبقات ١: ٢٦٠

(٤) كما في قرب الاسناد: ٧ بسنده عن الصادق عن ابيه الباقر عليه السلام قال: أهداها اليه صاحب الاسكندرية، مع ابنة الشمس، وأشياء معها وعليه فلا يصح في تفسير القمي ١: ١٧٩ عن النجاشي بعث الى النبي مارية القبطية ام ابراهيم والظاهر عنه في اعلام الورى ١: ١١٩ مع انه ذكر في موالياته ﷺ أن المقوقس صاحب الاسكندرية أهدى اليه جاريتين احداهما

لها: سيرين[1].

ولم يذكر في نص جواب المقوقس في الهدايا ما عدا هاتين الفرسين سوى البغلة، وهي التي سمّاها الشهباء، كما في الخبر عن الباقر عليه السلام عن «قرب الاسناد»[2].

وروى الاصفهاني عن محمد بن الحنفية: أن المقوقس كان قد أهدى مع الجاريتين خصياً اسمه مأبور[3] وروى في خبر آخر عن محمد بن اسحاق - ولس السيرة - أنه كان ابن عم مارية[4] وعن الكازروني أنه مابوشيج وأنه كان أخاها[5] وفي تفسير القمي عن الباقر عليه السلام أن اسمه جريج[6].

وعدّ الحلبي في «المناقب» من هدايا المقوقس فرساً سمّي باللزاز[7]

مارية القبطية: ١٤٧ وفي تفسيره ... ٧١، ٤٢٢ روى ذلك عن الشعبي ومسروق عن عبادة، والظاهر أنه عن ابن عباس ومثلهما القمي والطبرسي والراوندي في قصص الأنبياء: ٣٢٤

(١) مناقب الحلبي ١: ١٦١ نقلاً عن مبسوط الشيخ الطوسي وفي مختصر الدول: ٩٦ شيرين وهي كلمة فارسية بمعنى الحلو

(٢) قرب الاسناد: ٧ وذكرها الحلبي في المناقب ... ١٦٩ وقال: هي الدُلدُل وكانت شهباء، ودفعها النبيّ الى علي ثم كانت للحسن ثم كانت للحسين عليهما السلام ثم عميت

(٣) كما في المناقب ٢: ٢٢٥

(٤) كما في المناقب ٢: ٢٢٥.

(٥) كما في بحار الأنوار ٢١: ٤٥

(٦) تفسير القمي ٢: ٩٩ وجريج اسم عربي، وكذلك مأبور، ومابوشيج معرّب هوشنگ بالفارسية، فلعله تبدّل اسمه الى هذه الأسماء عملاً باستحباب تغيير أسامي الموالي والعبيد، أو أن اسمه كان بالنصرانية جورج وكان يصغّر: جريج.

(٧) اللزاز أي المكتنز اللحم القوي المحكم

وحماره اليعفور[1].

وقالوا: أهدى إليه ألف مثقال ذهباً، وقدحاً من قوارير، وعمائم وقباطي، وعوداً ومسكاً وقارورة دهن، ومربعة فيها مكحلة ومشط ومقص ومرآة ومسواك.

وأكرم الرسول مبعوثه بخمسة أثواب ومئة دينار، وبعث معه جيشاً أوصلوه إلى جزيرة العرب حتى وجدوا قافلة من الشام تريد المدينة، فرافقها وردّ الجيش[2].

والي الحارث الغسّاني في الشام:

نقلنا عن الواقدي: أنّ رسول الله بعث في ذي الحجة سنة ست، ثلاثة رسل مرّة واحدة مصطحبين في خروجهم[3]، وذكرنا واحداً منهم هو حاطب إلى المقوقس في الإسكندرية عاملاً للروم، وننتقل الآن إلى ذكر آخر منهم: شجاع بن وهب الأسدي القرشي إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني من غساسنة الشام عاملاً للروم أيضاً[4].

---

(١) مناقب الحلبي ١: ١٦٩.

(٢) انظر المصادر في مكاتيب الرسول ١: ١٠١.

(٣) الطبري ٢: ٦٤٤ وعنه الكازروني في المنتقى، وعنه المجلسي في بحار الأنوار ٢٠: ٣٨٢.

(٤) قال في مروج الذهب ٢: ٨٤ كان ملكه حين بُعث النبي ﷺ. وقيل: إنه ملك بالتاريخ الميلادي ما بين ٥٢٨ ـ ٥٦٩ بعد تعيينه من الامبراطور يوسطنيانوس بالإكليل ومنحه لقب البطريك والفلارك أي شيخ القبائل. وهو العاشر من ملوك الغساسنة كما في مروج الذهب ٢: ٨٦ وترجمه يوسطينيانوس. انظر مختصر الدول: ٨٨ وبعده طيباريوس ثم موريق ثم فوق ثم هرقل معاصر الإسلام.

ورووا بعض الخبر عن ابن وهب بسنده قال : أُنبئت اليه ، وهو بغوطة دمشق[1] مشغول بتهيئة مستلزمات النزول لقيصر (وكان قادماً الى دمشق لينزل الى ايليا لقدس).

وكان حاجبه رومياً يدعى (مري . فقال لي : لا تصل اليه حتى يخرج يوم كذا . فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة ، وأخذ الحاجب يسألني عن رسول الله وما يدعو اليه ، فاجيبه ، فيرق حتى يغلبه البكاء ، ويقول : إني قد قرأت الإنجيل ، وأجد صفة هذا النبي بعينه ، فأنا أؤمن به و أصدقه . فكان الحاجب يكرمني ويحسن ضيافتي ويقول عن الحارث : أنه يخاف قيصر ، وهو يخاف من الحارث .

حتى كان يوم خروج الحارث (وكان ينزل قصبة الجولان) فجلس والتاج على رأسه ، وأذن لي عليه ، فدفعت إليه كتاب رسول الله[2].

فروى الطبري عن الواقدي قال : كان قد كتب اليه : «سلام على من اتبع الهدى وآمن به ، إني أدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ، يبقى لك ملكك»[3].

قال : فدفعت اليه كتاب رسول الله فقرأه ثم رمى به وقال : من ينزع ملكي ؟ ! ها أنا سائر اليه ولو كان باليمن

ثم قال : أخبر صاحبك بما ترى من الجيوش والخيول ، وإني سائر اليه

وكتب الى قيصر بخبره الخبر . . فلما رأى قيصر كتاب الحارث اليه كتب اليه :

---

(١) غوطة دمشق هي الكورة التي منها دمشق ، يحيطها جبال عالية ، استدارتها ثمانية عشر ميلاً - معجم البلدان

(٢) الطبقات الكبرى ١ : ٢٦١ . وعن المنتقى في بحار الانوار ٢٠ : ٣٩٣

(٣) الطبري ٢ : ٦٥٢

أن لا تسر ابيه وآلة عمه ، ووافي بابلي ، لتهيئه قصر لنزول الملك

قال : فلما جاء كتاب قيصر دعاني وقال : متى تريد أن تخرج الى صاحبك ؟ قلت : غداً . فأمر لي بمئة مثقال ذهب (كذا) ووصلني حاجبه بكسوة ونفقة وقال اقرئ رسول الله مني السلام ، وأعلمه أني متبع دينه [1]

والى قبائل غطفان :

قال ابن اسحاق : وقدم على رسول الله في هُدنة الحديبية قبل خيبر رفاعة بن زيد الجُذامي الضبيبي ، وأسلم ، وأهدى لرسول الله غلامه [مِدعم[2]] وكتب رسول الله كتاباً معه الى قومه ، فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد في بعثته الى قومه عامة ، ومن دخل فيهم ، يدعوهم الى الله والى رسوله ، فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين

وقدم رفاعة الى قومه فأجابوا وأسلموا[3] ثم ساروا الى حرّة الرّجلاء

وقال وكانت غطفان من جُذام ووائل ومن كان معهم من سلامان وسعد بن

---

(١) الطبقات الكبرى ١ : ٢٦١ وكانت المبعوثين اخارجين مصطحبين في ذي الحجة سنة ست ، على خبر الطبري عن الواقدي (٢ : ٦٤٤) هو دحية بن خليفة الكلبي الأنصاري الى قيصر بالشام أيضاً ولكن دحية ذكر في من حضر خيبر في سيرة ابن هشام ٣ : ٣٤٥ ومغازي الواقدي ٢ : ٦٧٤ وعليه فلا يصح خبر سفره في ذي الحجة بل بعد خيبر فعله في ربيع الاول سنة سبع ، فننوخر ذكره

(٢) ذكره الواقدي باسم مِدعم ، غلاماً أسود ٢ : ٧٠٩

(٣) ابن اسحاق في السيرة ٤ : ٢٣٤ و ٢٦٠ وانظر كتاب مكاتيب الرسول ١ : ١٤٤ ، ١٤٥ .

هُدَم، حين جاءهم رفاعة بن زيد بكتاب رسول الله، فقد توجّهوا إلى حرّة الرجلاء فنزلوها، وكان رفاعة بن زيد في ناس من قومه بني الضُّبيب في كُراع ربّة [1].

ولم يعيّن الشهران للأمان، ولعلّهما شهرا محرّم وصفر من أول السنة السابعة ولعلّ توقيته هذا كان لحين انتهائه من خيبر ليحسبوا حسابهم ليومئذٍ.

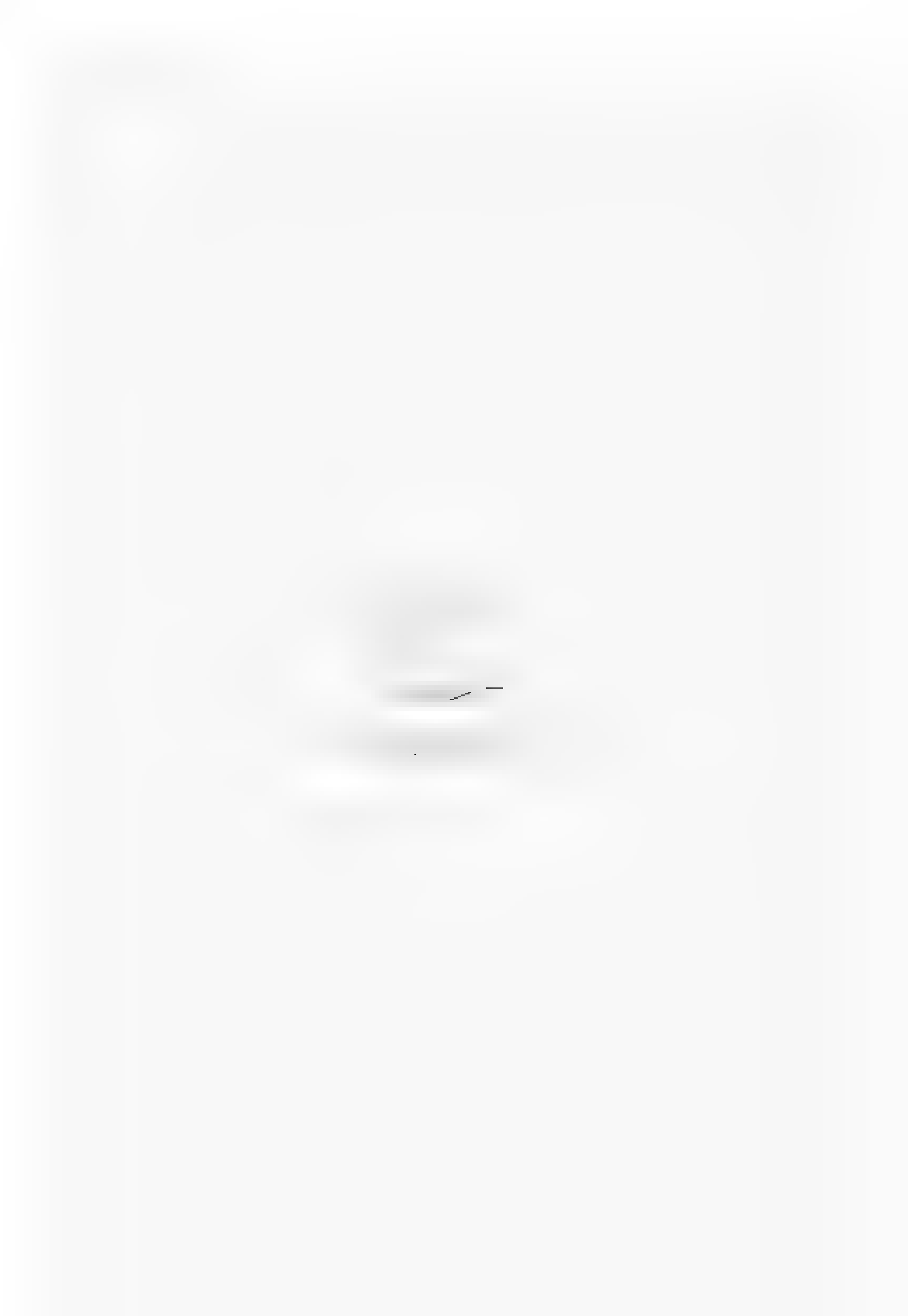
وسيأتي في أخبار خيبر: أنّ اليهود حاولوا أن يكسبوا نصرة غطفان لهم، فلعلّ هذه الدعوة من الرسول ﷺ كانت مبادرة منه لمنعهم عن اليهود.

---

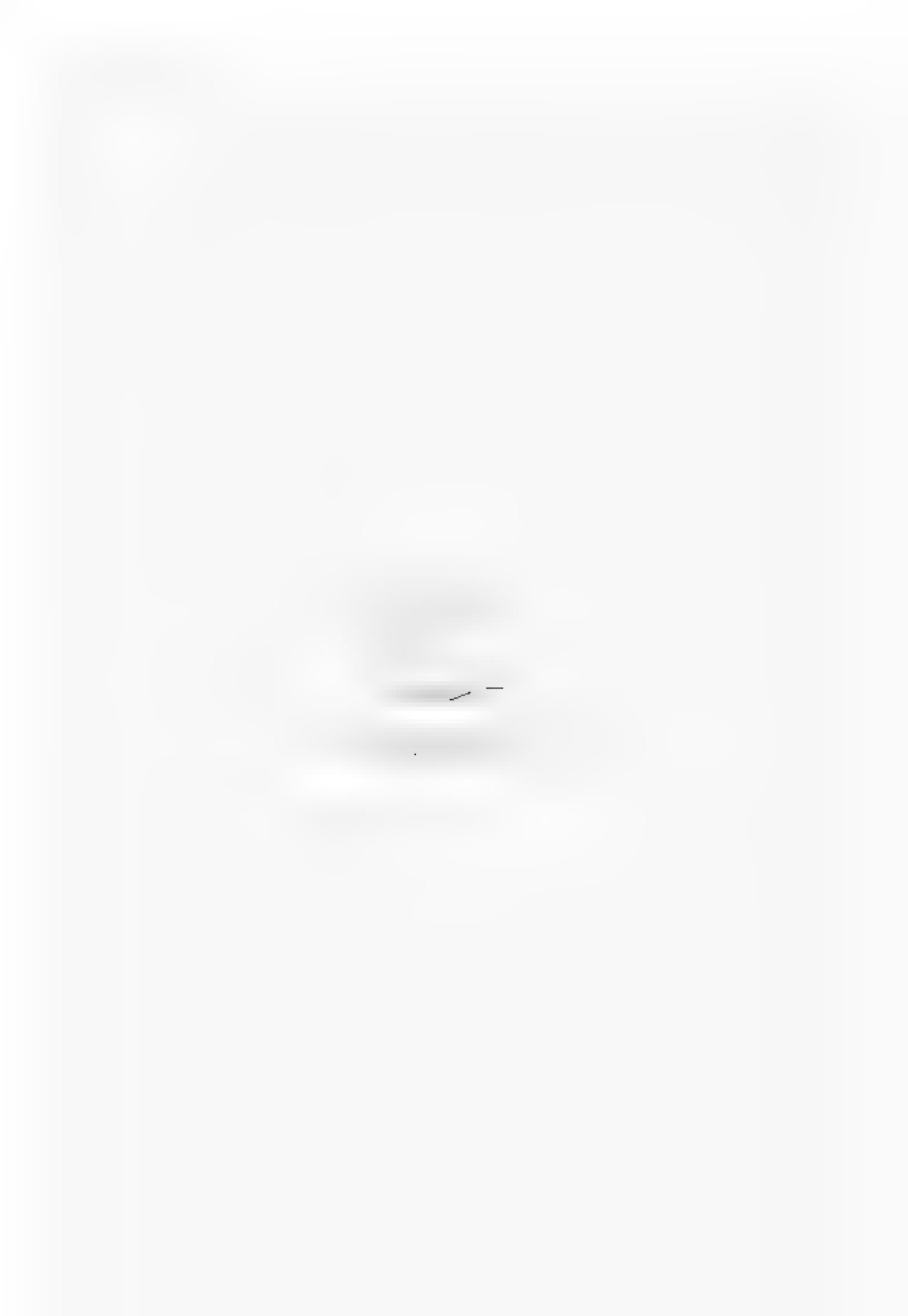
(١) ابن إسحاق [illegible] ٢٦ [illegible]



الفهارس الفنية



دليل الفهارس



فهرس الآيات الكريمة

فهرس الأحاديث الشريفة

الامام علي عليه السلام

الامام الحسين عليه‌السلام

الامام علي بن الحسين عليه‌السلام

الامام الباقر عليه‌السلام

أحدهما عليهما السلام

الامام الكاظم عليه السلام

الامام الرضا عليه السلام

العسكري عليه السلام

الحجّة عجل الله تعالى فرجه

في الخبر

فهرس أسماء المعصومين عليهم السلام

فهرس الأعلام

فهرس الأشعار

فهرس الفرق والمذاهب

فهرس البلدان والأماكن

فهرس الغزوات والوقائع والأيام

فهرس الجماعات والقبائل

فهرس مصادر الكتب

القرآن الكريم

نهج البلاغة

الاحتجاج .... أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي

أحكام القرآن ... . أبو بكر أحمد بن علي المعروف بالجصّاص

الاختصاص أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد)

الارشاد . . .. أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد)

الاستبصار . . . . شيخ الطائفة محمد بن الحسن (الطوسي)

الاستيعاب ... . ابو محمد يوسف بن عبد الله بن عبد البر

أسد الغابة . ... ابن الاثير : ابو الحسن علي بن أبي مكرم

الإصابة . . . . شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني

إعلام الورى . ... امين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي

إقبال الأعمال . ... رضي الدين علي بن موسى بن طاووس

أمالي الصدوق .. . الشيخ الصدوق . محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي

أمالي الطوسي .. .. شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي

إمتاع الاسماع .... تقي الدين أحمد بن علي المقريزي

أنساب الأشراف . .. . احمد بن يحيى البلاذري

الأغاني . . .. علي بن الحسين أبو الفرج الاصفهاني

بحار الأنوار .... العلامة محمد باقر المجلسي الاصفهاني
البداية والنهاية .... الحافظ أبو الفداء ابن كثير الشامي
بصائر الدرجات .... أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار
تأريخ ابن كثير .... عماد الدين اسماعيل بن عمر الدمشقي
تأريخ الخميس .... حسين بن محمد بن الحسن الدياربكري
تأريخ دمشق .... علي بن الحسين المعروف بابن عساكر
تأريخ الطبري .... أبو جعفر محمد بن جرير الطبري
تأريخ مختصر الدول .... أبو الفرج غريغوريوس
تأريخ المدينة المنوّرة .... أبو زيد عمر بن شبّة النميري البصري
تأريخ اليعقوبي .... أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي
تحقيق النصرة .... زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر العثماني المراغي
تذكرة الأُمّة (تذكرة الخواص) .... يوسف بن عبد الله المعروف بـ(ابن الجوزي)
تفسير التبيان .... شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي
تفسير الدر المنثور .... جلال الدين السيوطي
تفسير العيّاشي .... محمد بن مسعود العياشي
تفسير روح المعاني .... محمود بن عبد الله الآلوسي
تفسير فرات .... فرات بن ابراهيم بن فرات الكوفي
تفسير القرطبي .... أبو عبد الله عبيد بن أحمد القرطبي المالكي
تفسير القُشيري .... أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان الشافعي
تفسير القمّي .... أبو الحسن علي بن ابراهيم القمي
تفسير مجمع البيان .... الفضل بن الحسن الطبرسي
تفسير الميزان .... العلّامة محمد حسين الطباطبائي

روضة الكافي .... أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني

سبيل النجاة (ملحق المراجعات) .... الشيخ حسين الراضي

سواطع الأنوار ....

السيرة النبوية لابن هشام .... أبو محمد عبد الملك بن هشام

السيرة الحلبية .... علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي

سيرة دحلان .... السيد أحمد زيني دحلان

السيرة النبوية .... أبو الفداء اسماعيل بن كثير

السيرة .... لابن السيد الغياس

شرح الأخبار .... القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التيمي المغربي

شرح نهج البلاغة .... عبد الحميد بن محمد المعتزلي المعروف بـ(ابن أبي الحديد)

شواهد النبوة .... نور الدين عبد الرحمان بن أحمد الجامي

صبح الأعشى .... شهاب الدين أحمد بن علي القلقشندي

صحيح البخاري .... محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري

صحيح مسلم .... مسلم بن الحجاج القشيري

الطبقات الكبرى .... محمد بن سعد الزهري

الطرائف .... أبو القاسم علي بن طاووس الحسني

الطراز المنقوش .... أبو المعالي علاء الدين بن محمد بن عبد الباقي البخاري المكي

علل الشرائع .... أبو جعفر محمد بن الحسين بن بابويه القمي

عيون اخبار الرضا عليه السلام .... أبو جعفر محمد بن الحسين بن بابويه القمي

الغدير .... العلّامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني

فتح الباري .... أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

فروع الكافي .... أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني

الفصول المهمّة .... علي بن محمد بن الصباغ المالكي

الفضائل ... أحمد بن حنبل
القاموس المحيط ... أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي
قرب الاسناد ... أبو عباس عبد الله بن جعفر الحميري
قصص الأنبياء ... قطب الدين الراوندي
كامل الزيارات ... أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي
الكامل في التأريخ ... علي بن أبي المكرم المعروف بـ(ابن الأثير)
كشف الغمة ... أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي
كفاية الطالب ... أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي
كنز العمال ... علاء الدين علي المتقي الهندي
كنز الفوائد ... محمد بن علي بن عثمان الكراجكي الطرابلسي
لسان العرب ... محمد بن مكرم ابن منظور
المبسوط ... محمد بن الحسن الطوسي (شيخ الطائفة)
مجلة الميقات ... منظّمة الحج والزيارة ـ طهران
مجمع البحرين ... فخر الدين الطريحي
مجمع الزوائد ... علي بن أبي بكر الهيثمي
مجموعة الوثائق السياسية ... حميد الله المستوفي
مراصد الاطلاع ... عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي
مروج الذهب ... علي بن الحسين المسعودي
مسار الشيعة ... محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (الشيخ المفيد)
المستدرك للحاكم ... محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري
مستدرك الوسائل ... المحدث الكبير ميرزا حسين الطبرسي النوري
المستطرف ... محمد بن أحمد الأبشيهي الشافعي
مسند أحمد ... أحمد بن حنبل

مصباح المتهجدين .... شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي
مطالب السؤول .... كمال الدين محمد بن طلحة البيهقي الشافعي
معالم المدينة المنورة ....
معاني الأخبار .... محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي
معجم البلدان .... أبو عبد الله ياقوت الحموي البغدادي
المغازي .... أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي
مقاتل الطالبيين .... أبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني
الملهوف على قتلى الطفوف .... علي بن طاووس الحسني
مكاتيب الرسول ﷺ .... المحقق العلامة الشيخ علي الأحمدي الميانجي
مكارم الاخلاق .... أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي
مناقب آل أبي طالب .... محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني
مناقب ابن المغازلي .... علي بن محمد الشافعي الواسطي
مناقب الخوارزمي .... ضياء الدين موفق بن أحمد الخوارزمي
المنتقى في مولد المصطفى .... محمد بن مسعود الكازروني
من لا يحضره الفقيه .... محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
المواهب اللدنية بالمنح المحمدية .... أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني المصري
النص والاجتهاد .... السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي
نفس المهموم .... المحدث الكبير الشيخ عباس القمي
النهاية في غريب الحديث .... المبارك بن محمد الجزري (ابن الاثير)
نهج الحق وكشف الصدق .... العلّامة الحلّي
الوافي .... المحدّث الفيض الكاشاني
وسائل الشيعة .... الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي
وفاء الوفاء .... علي بن عبد الله الحسني الشافعي السمهودي

فهرس الكتاب

أهم حوادث السنة الأولى للهجرة

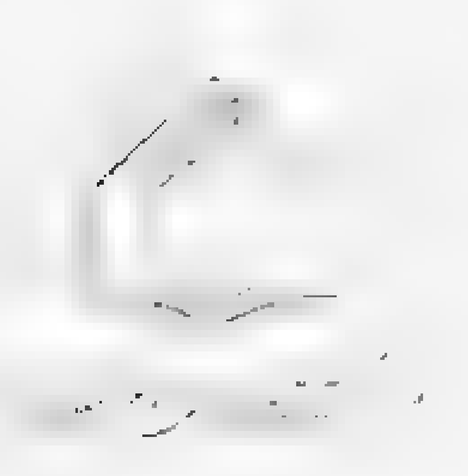
أهم حوادث السنة الثانية للهجرة

أهم حوادث السنة الثالثة للهجرة

أهم حوادث السنة الرابعة للهجرة

أهم حوادث السنة الخامسة للهجرة

أهم حوادث السنة السادسة للهجرة



استدراكات

١ ـ يضاف هامش متّصلاً بعبارة «أبو الأوصياء علي عليه السلام» في ص ١٣ س ١٥ :

( ) ذكر عبد الرحمان خويلد في كتابه : المساجد والأماكن الأثرية المجهولة وذكر مسجداً يقع جنوب مسجد قباء بكيلومتر واحد فيما يعرف اليوم بالعين الزرقاء خلف خزّانات مصلحة المياه والصرف الصحّي، كان يعرف باسم مسجد المصبّح، وحوّرته مديرية الأوقاف إلى مسجد الصبح برقم ٧٩. وقيل في وجه اسمه أنّه المكان الذي بات فيه النبي صلى الله عليه وآله حتّى صلّى فيه الصبح بانتظار وصول علي عليه السلام إلى المدينة من مكّة للهجرة ـ كما في مجلّة ميقات الحجّ ٨ : ٢٤٧ ـ ٢٤٩.

٢ ـ يضاف إلى الهامش ٤ في ص ٩٥ :

ولمكثه صلى الله عليه وآله أياماً في دار سعد بن خيثمة روى ابن شبة في تأريخ المدينة ١ : ١٦١ و ١٦٢ بسنده عن ابن أُقيش قال : كان صلى الله عليه وآله يتوضّأ من المهراس (= الحوض الصخري) الذي كان في دار سعد بقُباء وتوضّأ من بئره الغرس وأهرق بقية وضوئه فيها، وروى عن الباقر عليه السلام أربع روايات تقول : إنّه صلى الله عليه وآله كان يشرب من بئر سعد بن خيثمة في قباء يقال لها الغَرْس. وزاد ابن سعد في الطبقات ١ : ٥٠٣ أنّه قال : هي عين من عيون الجنّة. ويسمّيها الناس اليوم بئر الغُرس أو بالتصغير : الغُريس. وذكرها السمهودي في وفاء الوفاء ٢ : ١٤٥ وقال : هي على نصف ميل إلى الشمال من مسجد قُبا. وفي تأريخ معالم المدينة : ١٨٣ : عن المطري قال : هي بئر كثيرة الماء وعرضها عشرة أذرع وطولها يزيد على ذلك، وماؤها تغلب عليه الخضرة ولكنّه عذب طيّب، اشتراها الخواجة حسين القاوانى وعمّرها وحوّط عليها بحديقة وأنشأ بجانبها مسجداً عام ٨٨٢ه‍ وقال عبد الرحمان خويلد في المساجد والمساكن الأثرية المجهولة : هي الآن جافة، ومكانها على يسار القادم من قربان أو مسجد قُباء إلى باب العوالي خلف الإشارة الضوئية من شرقها بمسافة نصف كم بمحاذاة معهد دار الهجرة

ومدارس الشاوي الأهليّة في غربيّها، وهي الآن مسوّرة من جهاتها الأربع فلا يمكن رؤيتها إلّا بالصعود على سورها، كما في مجلّة ميقات الحجّ ٧ : ٢٧٠.

٣ ـ يضاف هامش متّصلاً بعبارة «انتهوا إلى حصن» في ص ٢٣٩ س ٦ :

( ) يقع هذا الحصن إلى الغرب من جبل قريظة، من طرف العوالي وقربان وقُباء، بعد حديقة سدّ بطحان بأقلّ من كيلومتر واحد، ولا زالت أطلال قصره تُرى واضحة من الشارع، كما ذكره عبد الرحمان خويلد في كتابه : المساجد والأماكن الأثرية المجهولة، وعنه في مجلّة ميقات الحجّ ٨ : ٢٤٤.

٤ ـ يستبدل الهامش رقم ٤ في الصفحة ٢٧٣ بما يلي :

(٤) ابن اسحاق في السيرة ٢ : ١٦٤، ١٦٥ و ٣ : ٩٤ وأمواله الحوائط السبع وهي : الأعواف وبرقة وحسنى والدلال والصافية والميثب والمشربة التي أسكنها فيها بعد زوجته مارية القبطية أمّه ابنه إبراهيم فسمّيت المشربة بها : مشربة أمّ إبراهيم. وأرفقهنّ النبيّ سنة سبع (أو تسع) للهجرة على ابنته الزهراء ﷺ، فأوصت بها الزهراء لعليّ ثمّ للحسن ثمّ للحسين ﷺ ثمّ للأكبر من وُلدها، وأشهدت عليها المقداد بن الأسود والزبير بن العوّام، كما عن الباقر ﷺ في الكافي ٧ : ٤٨ و ٤٩ ح ٥ و ٦، والفقيه ٤ : ٢٤٤ ح ٥٥٧٩، ودلائل الإمامة : ٤٢، وتأريخ وقف النبيّ لهن في وفاء الوفا للسمهودي ٢ : ١٥٢، ١٥٣ وأنظر وفاة الصدّيقة للمقرّم : ١٠٤.

٥ ـ يضاف هامش متّصلاً بعبارة «التنعيم (أوّل الحلّ)» في ص ٣٩٤ س ١٣ :

( ) بل قال عاتق البلادي في مختصر معجم معالم مكّة التأريخية : إنّ موضع قتل خُبيب في شمال وادي يأجَجَ والذي يُعرف اليوم باسم ياج، تخفيفاً، ويعرفه عامّة أهل مكّة باسم وادي بئر مقيت، وهو في شمال التنعيم يمرّ به حتّى يصبّ في مرّ الظهران بطول ٣٣ كم. كما عنه في مجلّة ميقات الحجّ ٧ : ٢٤١.

٦ ـ يضاف هامش متّصلاً بعبارة «من البطحاء» في ص ٤٠٥ س ٧:

( ) وهو الموضع الذي كان نفر من الأنصار يشربون فيه نبيذ التمر (الفضيخ) وبلغهم تحريم الخمر فأراقوا قربتهم، وبنوا فيه فيما بعد مسجداً أسموه مسجد الفضيخ (تأريخ المدينة لابن شبّة ١: ٦٩) وهو جنوب مشربة أمّ إبراهيم في الشارع الموصل بين شارع العوالي وخطّ الحزام على طريق مستشفى المدينة الوطني كما ذكره عبد الرحمان خويلد في كتابه: المساجد والأماكن الأثرية المجهولة، وعنه في مجلّة ميقات الحجّ ٧: ٢٧٥.

٧ ـ يضاف هامش متّصلاً بعبارة «أكفى من الأشربة» في ص ٤٢٨ س ٣:

( ) هذا، وقد مرّ في خبر بني النضير ومضرب خباء النبيّ لحربهم: أنّ جمعاً من الأنصار كانوا قد اجتمعوا في الموضع يشربون نبيذ التمر (الفضيخ) فيه، فبلغهم تشديد التحريم فأراقوا قربتهم، وفيما بعد بنوا فيه مسجداً سمّوه مسجد الفضيخ، وهو أوجه.

٨ ـ يضاف إلى الهامش ١ في الصفحة ٤٧٠:

وفي إكمال الدين: ١٦٥ بسنده عن الكاظم عليه السلام: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله مع جمع من خواصّه قدم يوماً على سلمان في حائط مولاته من بني سُليم، فلمّا رأى سلمان في كتف النبيّ خاتم النبوّة وأسلم قال له: يا روزبه ادخل إلى هذه المرأة وقل لها: يقول لك محمّد بن عبد الله: تبيعينا هذا الرجل؟ فقالت: قل له: لا أبيعك إلّا بأربعمئة نخلة! وفي السيرة: على ثلاثمئة نخلة أحييها له بالفقير (أي الحفر والغرس) فلمّا اجتمعت لي ثلاثمئة وَديّة (نخلة صغيرة) قال لي رسول الله: اذهب يا سلمان ففقّر لها (= احفر لها) فإذا فرغت فأنا أضعها بيدي! فوضعها بيده فأُحييت ـ ابن إسحاق في السيرة ١: ٢٣٦ وبُني على الموضع مسجد سمّي بمسجد الفُقير وهو غرفة من الحجر مهملة ومسوّرة بسور حديدي أخيراً، على يمين الطريق الموصل بين قربان والعوالي على أقلّ من كيلومترين من مسجد قُباء، وعلى يمين محطّة نفط للبنزين للقادم من قُباء، وعلى كيلومتر واحد من الإشارة الضوئية ـ كما ذكره عبد الرحمان خويلد في كتابه: المساجد والأماكن الأثرية المجهولة، وعنه في مجلّة ميقات الحجّ ٧: ٢٧١.

٩ ـ يستبدل الهامش رقم ٥ في الصفحة ٤٩٦ بما يلي :

(٥) قال : وروي أنّه جاءت أُخت عمرو ورأته في سلبه فلم تحزن وقالت : إنّما قتله كريم ـ مناقب آل أبي طالب ٢ : ١١٧ ، ١١٨ وقالت شعراً :

لو كان قاتل عمرٍو غير قـاتله	لكنت أبكي عليه آخر الأبـدِ
لكـنّ قـاتله مَـن لا يُـلام بـه	أبوه قد كان يُدعى بيضة البلدِ

١٠ ـ يضاف إلى الهامش ١ في الصفحة ٥١٤ :

ومكان هذا الجبل اليوم مقابل مستشفى المدينة الوطني في طريق خطّ الحزام العامّ إلى مسجد قُباء ، في الشارع الفرعي الأيسر بعد محطّة البنزين لابن فارس ، في أوّل شارع فرعي على اليمين قبل منازل الإسكان الحكومي . وحول الجبل خندق يصل إلى حزام الرجل حفره الشيخ عبد العزيز بن صالح الإمام الأسبق للمسجد النبوي الشريف ، حيث بنى لنفسه قصراً بسفح الجبل .

١١ ـ تضاف العبارة التالية آخر متن الصفحة ٥٩٨ بعد (وأرجلهم من خلاف) :

هجرة عقيل مسلماً:

قالوا : كانت قريش بعد هجرة المسلمين منهم تنهب المنقول من ماله وتهب غير المنقول منه لمن لم يسلم بعد من قبيلته ، فأعطت دور المسلمين المهاجرين إلى عقيل ، ولعلّه لغنى العباس ، فباعها عقيل . ولمّا أُسر مع العباس ببدر وفداه العباس عاد إلى مكّة ، ثمّ عاد إلى المدينة مسلماً مهاجراً قبل الحديبية ، فشهدها وما بعدها[1] .

---

(١) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة : ١٥٤ .